

محمد بن المنور بن
أبى سعيد

ميراث الترجمة

أسرار التوحيد

في مقامات أبى سعيد

ترجمة و تقديم: إسعاد عبد الهادى قنديل
تصدير: بديع جمعة





هذا الكتاب من الآثار الخالدة في اللغة الفارسية، مؤلفه محمد بن المنور حفيد الشيخ أبي سعيد، حيث سجل فيه أحوال جده وأخباره وكذلك الكرامات المنسوبة إليه. وقدمه إلى السلطان الغوري أبي الفتح غياث الدين محمد بن سالم المتوفى عام ٥٩٩هـ؛ مما يرجح أن تأليف هذا الكتاب قد تم ما بين عامي ٥٥٣هـ و٥٩٩هـ. وأسلوب الكتاب غاية في السلاسة والبلاغة مما يجعل قراءته الفارسية متعة، وهكذا جاءت ترجمته العربية سلسلة واضحة، تدفع القارئ دفعا لمواصلة القراءة حتى نهاية الكتاب، وخاصة أن سيرة الشيخ أبي سعيد كانت نموذجاً احتذى به العديد من مشايخ التصوف الإسلامي عبر قرون عديدة.

أسرار التوحيد

في مقامات الشيخ أبي سعيد

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر : طلعت الشايب

- العدد : ١٠٩٩ -

- أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد

- محمد بن المنور بن أبى سعيد بن أبى طاهر سعيد بن أبى سعيد بن أبى الخير

- إسعاد عبد الهادى قنديل

- بديع جمعة

- ٢٠٠٧ -

هذه ترجمة كتاب :

أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد

تأليف : محمد بن المنور بن أبى سعيد

المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084

أسرار التوحيد

في مقامات الشيخ أبي سعيد

تأليف :

محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير

ترجمة : إسعاد عبد الهادي قنديل

تصدير : بديع جمعة



بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية

أبى الخير ، محمد بن المنور بن أبى سعيد بن أبى طاهر بن أبى سعيد
أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير /
ترجمة : اسعاد عبد الهادى قنديل ؛ تصدير : بديع جمعة ؛
القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٧

٤٧٢ ص ؛ ٢٤ سم

١ - المتصوفون .

(أ) قنديل ، إسعاد عبد الهادى (مترجم)

(ب) جمعة ، بديع (مصدر)

(ج) السيد ، سيد محمد (رسام)

٩٢٢ ، ٦٩

(د) العنوان

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٣٩٦٩

الترقيم الدولى X - 200 - 437 - 977 I.S.BN.

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب
الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها
فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تصدير

كتاب "أسرار التوحيد" أول كتاب مفصل أُلّف باللغة الفارسية فى شرح حال أحد شيوخ التصوف الكبار فى إيران ، ويُعد هذا الكتاب أقدم مؤلّف من هذا النوع أبقت عليه الأيام فوصل إلينا ، هذا ما قالته المترجمة فى تقديمها للكتاب .

وقد أُلّف هذا الكتاب فى القرن السادس الهجرى ، وعنوان الكتاب كاملاً هو : "أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد" ، وعنوانه دال على محتواه ؛ فهو فى شرح أحوال ومقامات وأقوال الصوفى الكبير الشيخ أبى سعيد فضل الله بن أبى الخير الميهنى .

ومؤلف الكتاب هو حفيد الشيخ أبى سعيد ، ويدعى محمد بن المنور الذى يتصل نسبه بالشيخ أبى سعيد بثلاثة أجداد . وقد ذكر المؤلف بأنه كان يهوى منذ طفولته جمع حكم جده الشيخ أبى سعيد وأقواله ، وأنه قصر همهته منذ بداية شبابه على استقصاء أخبار الشيخ من أبنائه وأحفاده والشيوخ الآخرين ، حتى يكتب سيرته بصورة سليمة لا ادعاء فيها ، وليكون ما يكتبه نجماً هادياً لمريدى الشيخ ومحبيه ، وكذلك مرشداً لجميع السالكين طريق التصوف السمع .

وعلى الرغم من أن الكتاب يحكى أحوال شيخ بذاته ، فإن الكتاب يشتمل على معلومات قيمة عن رسوم وعادات واجتماعات وتشكيلات الصوفية ، والكثير من المفاهيم

الحقيقية لبعض مصطلحات هذه الفئة مثل : الخلوة والزاوية والرياضة والمراقبة والسماع والرقص والخرقة والمرقع والوجد والحال والقبض والبسط ، كما يمد القارئ بوصف شامل لأنواع الرياضات والمجاهدات وآداب السلوك ومقاماته ، والشروط التي ينبغي توفرها في الشيخ والمريد ، وطريقة تأديب الشيخ لمريديه ونوع العلاقة بينهما ونظام الحياة في خانقاهات .

ويعتبر كتاب أسرار التوحيد من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها فريد الدين العطار في كتابه "تذكرة الأولياء" ، وكذلك عبد الرحمن الجامي في كتابه "نفحات الأنس" ، وغيرهما ممن كتبوا في التصوف .

* * *

كانت ترجمة هذا الكتاب القيم أساس رسالة الماجستير للمتريجة المرحومة الأستاذة الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل تحت إشراف أستاذنا الكبير المرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربي ، الذي كان يتسم بالدقة العلمية في اختيار الموضوعات التي يُشرف عليها ، وكذلك بالالتزام الكامل في الترجمة ، والحرص على تقديم أعمال متميزة تثرى المكتبة العربية بأصول الفكر الإسلامي . كما كانت المتريجة المرحومة الدكتورة إسعاد قنديل حريصة كل الحرص على الالتزام الكامل بدقة الترجمة وباختيار أسلوب عربي سليم قادر على نقل فكر المؤلف الفارسي إلى كل قارئ عربي مهتم بهذا الفكر الصوفي الرصين : لذا جاءت الترجمة العربية رصينة قوية .

وقد نفذت نسخ الطبعتين السابقتين بمجرد صدورهما . وخلت المكتبة العربية فترة طويلة من هذه الترجمة الموفقة . لهذا أتقدم بالشكر للمجلس الأعلى للثقافة لإعادة طبع هذا الكتاب القيم ضمن المشروع القومى للترجمة ، وتوفير نسخة للدارسين المتشوقين لهذه الترجمة بعد طول بحث وانتظار .

أ.د. بديع محمد جمعة

أسرار التوحيد^٧

في مقامات الشيخ أبي سعيد

تأليف

محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير

ترجمة

إسعاد عبد الهادي قنديل

تصدير

بديع جمعة

مقدمة الطبعة الثانية

ترجمة كتاب «أسرار التوحيد» طبعت للمرة الأولى في عام ١٩٦٦، وكنت قد قمت بها في الفترة ما بين عامي ١٩٦١م - ١٩٦٣م، حين كنت أعد لكتابة بحث عن أبي سعيد بن أبي الخير للحصول على درجة الماجستير . وقد اعتمدت حين ذاك على النص الفارسي للكتاب الذي نشره ذبيح الله صفا في طهران عام ١٣٣٢ هـ . ش .

وبعد الانتهاء من البحث أشار بعض أساتذتي بنشر الترجمة ، نظرا لأهمية الكتاب، بعد أن أظهروا رضاهم عن تلك الترجمة على أساس أنها تصلح للنشر، فقدمتها إلى الدار المصرية للتأليف والترجمة التي قامت مشكورة بنشرها في عام ١٩٦٦م .

وخلال تلك الأعوام التي انقضت بعد نشر الكتاب، كنت أتوق دائماً إلى إعادة النظر فيه وإخراجه على صورة أكمل، بإضافة بعض الحواشي والشروح التي تثرى الترجمة من ناحية، ومن ناحية أخرى مراجعة بعض ما ورد في الترجمة الأولى، وبخاصة بعد ما تيسر لي الحصول على نسخة أخرى للنص الفارسي للكتاب، والذي سبق إلى نشرها المستشرق الروسي زوكوفسكى وتتميز هذه النسخة بخلوها من كثير من الزيادات المتكررة التي أضافها ذبيح الله صفا إلى نسخته .

أضف إلى هذا أن عملي في مجال التصوف خلال تلك الأعوام المنصرمة ربما يكون قد أضاف، إلى خبرتي المتواضعة التي استندت إليها عند ترجمة الكتاب، شيئاً من وضوح الرؤية أو الخبرة فيما يتعلق بترجمة بعض النصوص الصوفية .

ب

وظل هذا الأمل يراودني ، وتحول دون تحقيقه ظروف انشغالي
بكتب أخرى . ولما كانت الحاجة تدعو إلى إعادة طبع الكتاب ، نظراً لنفاذ
الطبعة الأولى من سنوات وكثرة الطلب للكتاب ، وعملاً بالقول : ما لم
يدرك كله لا يترك كله ؛ فقد قمت بمراجعة الترجمة على النص الفارسي
لنسختي صفا وزوكوفسكى معا ، وأجريت بعض التعديلات المهمة ، مع
وعد بإضافة الحواشي والشروح إلى الطبعة الثالثة بمشيئة الله تعالى ، وهو
عز وجل الموفق للصواب .

والله ولي التوفيق ، ،

د- إسعاد عبد الهادي قنديل

تقديم

كتاب « أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد »

تعريف بالكتاب :

كتاب « أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد » واحد من الآثار القيمة في النثر الفارسي التي ألقت في القرن السادس الهجري . وهو كما يستفاد من اسمه ، في شرح أحوال ومقامات وأقوال الصوفية في الشهداء الشيخ أبي سعيد فضل الله ابن أبي الخير الميمني .

ويعتبر كتاب « أسرار التوحيد » أول كتاب مفصل ألف باللغة الفارسية في شرح حال واحد من شيوخ الصوفية الكبار ، وأقدم مؤلف من هذا النوع أبقت عليه الأيام فوصل إلينا .

مؤلفه :

مؤلف هذا الكتاب هو واحد من أحفاد الشيخ أبي سعيد يدعى محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير، والذي يتصل نسبه بالشيخ أبي سعيد بثلاثة أجداد .

ولا يعرف شيء عن أحوال هذا المؤلف إلا ما ذكره عن نفسه في بعض مواضع من كتابه .

ويستخلص مما كتبه عن نفسه أنه كان مثل جده من أهل ميهنه ، وأنه كان في سنة ٥٥١ هـ ، وهي السنة التي تخلص فيها السلطان مسنجر السلجوقي من أسر الفرس ، شخصاً محترماً ، وصاحب مكانة تجعله جديراً بالثول بين يدي السلطان .

كما يستفاد مما كتبه في مقدمة كتابه أنه كان يهوى منذ طفولته جمع حكم جده الشيخ أبي سعيد وأقواله ، وأنه قصر همته منذ بداية شبابه على استقصاء أخبار الشيخ من أبنائه وأحفاده والشيوخ الآخرين ، وأخذ يتحقق من السجلات والتقاليد التي ورثتها عائلته أبا عن جد ، ويجتهد في تصحيح أسانيدها ، باذلا في ذلك أقصى ما يمكنه من جهد .

ويحدثنا ابن المنور عن السبب الذي حدا به إلى تأليف هذا الكتاب فيقول :
إنه «مد الفترة العصبية التي اكتسحت فيها قبيلة الغز التركمانية حدود خراسان ، وأعمت النار والسلاح في هذه المقاطعة ، وارتكبت المذابح ضد السكان في كل مكان ، بحيث قتل في ميهنة وحدها خمسة عشر ومائة شخص من أبناء الشيخ وأحفاده ، علاوة على الكثير من المريدين الصادقين وكبار رجال الدين وشيوخ الصوفية ، حتى لقد تم القضاء تماما على الدين فو توقف البحث عن الحقيقة ، وقنع المسلمون من الإسلام بالإسم ، ومن الصوفية بالشكل ؛ قد وفقته العناية الإلهية للاستجابة لمطلب بعض المريدين في أن يكتب تاريخ التجارب الروحية والحكم التي قالها الشيخ أبو سعيد لتشجيع الراغبين في سلوك الطريق ، ولتكون نجما هاديا ومرشدا لتلك الطريقة ، فأقدم على تأليف هذا الكتاب معتمداً على كل المعلومات التي تسنى له أن يجمعها .

وقد أهدى المؤلف كتابه إلى ملك الغور « غياث الدين أبي الفتح محمد بن سام » (٥٥٨ - ٥٩٩ هـ) ، كما يتضح من مقدمة الكتاب ..

تاريخ تأليف الكتاب :

لم يعين المؤلف تاريخ تأليف الكتاب في مقدمته ، كما لم يشر إلى ذلك صراحة في أى موضع من كتابه .

غير أن المستشرق الرومى «جوكوفسكى» الذى قام بنشر هذا الكتاب ، حدد تاريخاً لتأليفه على وجه التقريب معتمداً فى ذلك على بعض ماورد فيه ، فقد ذكر ابن النور فى موضع من كتابه أنه حظى بمقابلة السلطان سنجر السلجوقى (٥١١ - ٥٥٢ هـ) فى مرو بعد أن تخلص من أسر الغز ، وهو يروى قصة هذا اللقاء مشيراً إلى السلطان باعتباره متوفياً إذ يقول :

فى ذلك الوقت الذى تخلص فيه السلطان السعيد سنجر بن ملكشاه برّاد الله مضجعه ، من يد الغز ، وجاء إلى العاصمة مرو .

واستناداً إلى هذه العبارة ، وإلى ما ورد فى مقدمة الكتاب من أن المؤلف أهدى كتابه إلى الملك غياث الدين محمد بن سام ، حدد جوكوفسكى تاريخاً لتأليف الكتاب هو الفترة ما بين « سنة ٥٥٢ هـ وسنة ٥٩٩ هـ » . وأول التاريخين هو تاريخ وفاة السلطان سنجر ، وثانيهما تاريخ وفاة الملك غياث الدين .

وقد تابع الكثيرون جوكوفسكى فى تحديد هذه الفترة لتأليف أسرار التوحيد وخالفه بعض المتأخرين فحدّدوا تاريخ تأليف الكتاب بالفترة ما بين سنة ٥٧٠ ، ٥٨٠ هـ ، كما ذكر بعضهم تاريخاً سابقاً على هذه الفترة وهو سنة ٥٦٠ هـ ، وذكر آخرون تاريخاً تالياً لهذه الفترة هو سنة ٥٧٤ هـ .

وقد عثرت أثناء ترجمة كتاب « أسرار التوحيد » على عبارة وردت فيه يمكن استناداً إليها أن ترجع التاريخ الأخير .

وقد وردت هذه العبارة على لسان ابن المنور عندما أخذ يعقب على بعض ما ذكره الشيخ أبو سعيد عند وفاته من أن نفحات ولايته ستظل بين الناس مائة عام بعد وفاته تكون خلالها عوناً لهم وتدرأ عنهم البلياء والحن وبعد هذه الفترة يندثر كل شيء فلا يبقى منه إلا الأثر ، فقال :

« وقد حدث هذا في الوقت الذي تمت فيه المائة عام بحيث لم يبق في الشهر التالي شيء من هذا كله ، ولم يبق على قبره إلا نفر قليل من أبنائه ومريديه ، واستشهد الباقي جميعهم على يد الغز ، واغترب بعضهم في أنحاء الدنيا ، وانتقلوا جميعاً إلى رحمة الله في غربتهم ، وقد مضت الآن أربعة وثلاثون عاماً لم يظهر خلالها على قبره المقدس أي ترتيب » .

ونحن إذا استرجعنا في أذهاننا تاريخ وفاة الشيخ أبي سعيد وهو عام ٤٤٠ هـ وراعينا المائة عام التي أشار الشيخ إلى أن نفحات ولايته ستبقى خلالها ، وأضفنا إلى ذلك الأربعة والثلاثين عاماً التي ذكر ابن المنور — كما يبدو من عبارته — أنها مرت عندما كان يؤلف كتابه أمكننا أن نرجح أن كتاب أسرار التوحيد ألف حوالي عام ٥٧٤ هـ .

مصادر الكتاب :

المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ثلاثة :

المصدر الأول :

نص لمؤلف عن أبي سعيد ، لا يعرف اسمه ، كتبه حفيد آخر من أحفاد الشيخ أبي سعيد قبل تأليف أسرار التوحيد . وقد قرر بن المنور في مقدمة كتابه أنه أفاد من هذا المؤلف كما ذكر اسم مؤلفه .

وبناء على الأوصاف التي وردت في كتاب أسرار التوحيد استطاع جوكوفسكي أن يلحظ الشبه الكبير بين هذا المؤلف الذي أشار إليه ابن المنور ، وبين مخطوطة وحيدة في المتحف البريطاني ، مجهولة الاسم والمؤلف ؛ أشار إليها ريو في فهرست المخطوطات الفارسية ص ٣٤٢ .

وبمقارنة ما ذكره ابن المنور عن مضمون الكتاب الذي اعتمد عليه ، بمضمون المخطوطة ، وأقوال مؤلفها التي ذكرها في بداية الفصل الأول ليشرح منهجه العام في كتابه ، أمكن لجوكوفسكي أن يستنتج أن نص ما ورد في هذه المخطوطة هو نفسه نص الكتاب الذي أشار ابن المنور إلى أنه أفاد منه .

غير أن جوكوفسكي لم يعثر على الاسم الحقيقي لهذا النص لأن مؤلفه لم يشر إلى ذلك ؛ كما أن ابن المنور لم يذكر ذلك الاسم في كتابه أيضا .

وعلى هذا وضع جوكوفسكي لهذا المؤلف اسما ينطبق على موضوعه فنشره تحت عنوان « حالات وسخنان شيخ أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني » .

وقد اعتمد مؤلف أسرار التوحيد على هذا الكتاب اعتمادا كبيرا . ونقل عنه كثيرا حتى أنه ليكون سدس المادة التي عرضها في كتابه ، وإن كان لا يشير إلى ذلك في المواضع التي ينقل عنه فيها . كما أنه لم ينقله بأكمله . ولعل السبب في ذلك أنه لا يحوى المعلومات الثابتة التي يجزم بصحتها جميعها .

المصدر الثانى :

المصدر الثانى الذى اعتمد عليه مؤلف أسرار التوحيد ، هو مجموعة من الروايات الشفوية التي جمعها المؤلف ؛ والتي تأكد من صحتها . وهو يمنح السند أكبر عناية في كل قصة . ولكي يذود الملل عن القارئ بذكر سلسلة الرواة

الطويلة يكفى بذكر الحلقة الأولى فقط فيذكر شخصا واحداً هو الأقرب إلى زمن أبي سعيد أو يكون معاصراً له . وفي هؤلاء الأشخاص نصادف أقرباء الشيخ وتلاميذه وخدامه وقراءه والشيوخ .

ويقول المؤلف إنه لا يذكر من هذه الروايات إلا التي يعتقد اعتقاداً جازماً بما جاء فيها ، أما التي يشك فيها فإنه يستبعدا لأنه لا يجد وجها لقبولها .

المصدر الثالث :

المصدر الثالث الذي اعتمد عليه ابن المنور هو بعض الكتابات التي يصدقها ويثق في محتها ، فقد ذكر في كتابه خمس مرات عبارة : رأيت مكتوباً بخط (فلان) .

أقسام الكتاب :

قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول :

في بداية حياة الشيخ أبي سعيد .

ويشتمل على ذكر بعض أحوال الشيخ في طفولته وشبابه ، ونوع العلوم التي حصلها ، والرياضات التي قام بها ، وذكر أساتذته وشيوخه ، وتاريخ حياته حتى بلوغه سن الأربعين .

الباب الثاني :

في أواسط حياة الشيخ ، وهو على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في الحكايات المشهورة عن كرامات الشيخ والتي ثبت

للمؤلف صدقها :

وبيلغ عدد حكايات هذا الفصل مائة وعشر حكاية . ولكن نوع الكرامات فيها واحد ، فهي تحكي - باستثناء عدد قليل منها - اطلاع أبي سعيد وإشرافه على الخواطر ، وسيطرته على أفكار الآخرين .

الفصل الثانى : فى الحكايات المتضمنة للفوائد ، وبعض ما نقله عن المشايخ من الحكايات والأقوال .

وهذا الفصل قسمان :

الأول يشتمل على حكايات عن الشيخ ويبلغ عددها ثمانين حكاية .

والثانى فى أقوال الشيخ وبعض الحكايات والفوائد التى ذكرت متفرقة على لسانه .

الفصل الثالث : فى بعض فوائد أنفاس الشيخ ، وبعض الرسائل والأشعار التى جرت على لسانه بالقدر الذى تحقق للمؤلف صدقه .

الباب الثالث : فى انتهاء حياة الشيخ ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول فى وصاياه عند وفاته .

الفصل الثانى فى وفاته وكيفيتها .

الفصل الثالث فى كراماته التى جرى بعضها على لسانه أثناء حياته وظهرت بعد وفاته ، وبعض ما أشار إليه ورآه الناس بعد وفاته على سبيل الكرامة .

أسلوب الكتاب :

النثر الفارسى حافل بكثير من الآثار القيمة التى تختلف فيه على مر العصور ولعل أشهر الكتب الذين أنشأوا روائع النثر الفارسى جماعة من الأدباء والكتاب

الذين عاشوا في الفترة ما بين القرن الرابع والقرن السابع الهجري ، فهذه القرون .
تعتبر أزهى عصور النهضة العلمية والأدبية في إيران .

وكتاب أسرار التوحيد واحد من الكتب التي ألقت في هذه الفترة وقد
كتب بالثر البسيط السلس الخالي من كل نوع من التكلف اللفظي والجامع لشروط
البلاغة والفصاحة .

وقد أدرك مؤلف الكتاب الذي يدل مؤلفه على حسن ذوقه ومهارته
الكاملة في فنون الأدب ، أن الوضوح والصدق واستقامة المعنى من أكبر شروط
البلاغة فرجح جانب المعنى على جانب اللفظ ، واستعمل المفردات البسيطة السهلة
الفهم في تركيب الجمل ، وتخير دائماً من الألفاظ ما هو أكثر مطابقة للمعنى
وأقوى دلالة عليه .

وقد التزم مؤلف أسرار التوحيد قواعد النحو الفارسي بدقة كاملة ، وحرص
على توضيح معنى ما يقول فكان يتحرز دائماً من التقديم والتأخير ، والحذف
والزيادة . كما كان يتجنب العبارات والكلمات المتنافرة ، ويتجنب التكرار
الممل . وكان أيضاً يلجأ إلى الإيجاز إذا اقتضى الأمر ذلك .

وبالنسبة لرواية القصص نجد مؤلف أسرار التوحيد يختلف عن أولئك
الكتاب الذين يركزون اهتمامهم على سرد الوقائع وذكر الأحوال ، فهو يهتم
بوصف جزئيات كل واقعة ، ويشرح كل حال ملتزماً في ذلك الدقة الشديدة .

كذلك كان المؤلف دقيقاً في إثبات بعض الحقائق والأحكام وشرح
الآداب والرسوم ومصطلحات الصوفية والشروط المناسبة لكل حال ومقام وترجمة
العبارات العربية وتفسيرها .

على أننا نلاحظ ظاهرة الاستطراد التي كانت تبدو طبيعية في كتابات ذلك العصر سواء العربية منها أو الفارسية ، فهذه الظاهرة تتضح في بعض المواضع من الكتاب لاسيما في الباب الأول الذي يكتب فيه المؤلف تاريخ حياة أبي سعيد حتى بلوغه سن الأربعين - فهو عندما تعترضه شخصية أو مدينة أو ذكر مذهب يترك الموضوع الأصلي أو الحكاية التي كان يرويها ويتحدث عن هذه الشخصية أو المدينة ، أو يعقد فصلا في شرح هذا المذهب ، ثم يعود إلى تكملة الموضوع الذي كان يتحدث فيه أو القصة التي كان يرويها ، وفي بعض المواضع يمتد هذا الاستطراد لبضعة أسطر، ولكنه في مواضع أخرى يستغرق صفحات .

قيمة الكتاب :

كتاب أسرار التوحيد من أقدم وأوسع المصادر الصوفية ، فهو يعتبر أول مثل بالفارسية لمؤلف قائم بذاته موضوعه حياة أحد الصوفية . وقد أعطيت فيه صورة لأبي سعيد وسط دائرة الصوفية وال دراويش الذين عاش معهم في تفاصيل واسعة . وهو من هذه الناحية يعتبر من أوضح الكتب التي صورت لنا حياة الدراويش في القرن الخامس الهجري .

والكتاب يشتمل على معلومات قيمة عن رسوم وعادات واجتماعات وتشكيلات الصوفية ، والكثير من المفاهيم الحقيقية لبعض مصطلحات هذه الفئة مثل الخلوة والزواية والرياضة والمراقبة والسمع والرقص والخرقة والرقع والوجد والحال والقبض والبسط . كما يمدنا بوصف شامل لأنواع الرياضات والمجاهدات وآداب السلوك ومقاماته . والشروط التي ينبغي توفرها في الشيخ والمريد ، وطريقة تأديب الشيخ لمريديه ، ونوع العلاقة بينهما ، ونظام الحياة في خانقاهات .

ويضم الكتاب إلى جانب هذا كثيرا من التعريفات والأقوال الصوفية التي أثرت عن أبي سعيد وعن الكثير من أعلام الصوفية الذين سبقوه .

ولا يخلو الكتاب أيضا من الفائدة في الناحية التاريخية والاجتماعية؛ ففيه ذكر لبعض الوقائع التاريخية والأوضاع الاجتماعية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فضلا عن الكثير من أخبار شيوخ الصوفية وكبار رجال الدين والأئمة المعاصرين لأبي سعيد .

ويعتبر كتاب أسرار التوحيد من المصادر الأصلية التي اعتمد عليها فريد الدين العطار . ويقول جوكوفسكي أنه ينقل عنه كثيرا في تذكرته دون أن يشير إلى ذلك ، وقد استفاد منه إلى أبعد حد ، كما تأثر به في سرد القصص المنفصلة في كثير من الأحيان .

وقد أفاد المجامى أيضا من أسرار التوحيد على نطاق واسع ، وكان أساسه الذي اعتمد عليه ، لافي كتابته عن أبي سعيد فحسب ، وإنما في كتابته عن كثير من الشيوخ الآخرين .

وقد طبع كتاب أسرار التوحيد ثلاث مرات :

الطبعة الأولى : قام بها المستشرق الروسي « جوكوفسكي » عندما نشر هذا الكتاب لأول مرة فطبعه في بطرسبرج عام ١٨٩٩ م / ١٣١٧ هـ .

الطبعة الثانية : قام بها « بهمنيار » فطبع أسرار التوحيد في طهران عام ١٣١٣ هـ ش .

الطبعة الثالثة : هي الطبعة التي قام بها ذبيح الله صفا فطبع أسرار التوحيد .

في طهران عام ١٣٣٢ هـ ش ، واعتمد في ذلك على مخطوطة لمكتبة
استانبول يرجع تدوينها إلى سنة ٧٠٠ هـ ، ويظن ذبيح الله صفا أن هذه
المخطوطة أو المخطوطة التي نسخت عنها هي المتن الأصلي لأسرار التوحيد .
وقد اعتمدت في ترجمة هذا الكتاب على نسختي ذبيح الله صفا
وجوكوفسكي ، مع اختصار بعض الزيادات .

* * *

أما عن أبي سعيد فهو أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد الميمني ؟
شاعر فارسي ، وشيخ من شيوخ الصوفية عاش في إيران في النصف الثاني من
القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس ، فقد كان مولده في
مدينة ميمنة من أعمال خاوران بأقليم خراسان في أول محرم لعام سبع وخمسين .
وثلاثمائة بعد الهجرة .

وقد تلقى أبو سعيد علومه الأولى في ميمنة فقرأ القرآن وتعلم النحو والصرف ،
ثم انتقل إلى مدينة مرو لدراسة الفقه فقرأ على أبي عبد الله الخضرى خمس سنوات ،
وبعد وفاته تحول إلى أبي بكر القفال فقرأ عليه خمس سنوات أخرى .

وبعد ذلك توجه أبو سعيد إلى مدينة سرخس لدراسة علوم الدين على أبي
علي زاهر بن أحمد فكان يقرأ عليه التفسير في الفجر وعلم الأصول في الظهيرة .
وأخبار الرسول في العصر .

وفي سرخس التقى أبو سعيد يوما بدرويش مجذوب يدعى لقمان فقدمه إلى
أبي الفضل حسن من شيوخ الصوفية في هذه المدينة ، وكان هذا اللقاء بين .

أبي سعيد وأبي الفضل نقطة التحول في حياة أبي سعيد، إذ ترك بعده دراسة علوم الدين واعتنق الصوفية واتخذ أبا الفضل مرشدا له .

وأمره أبو الفضل بالعودة إلى ميهنه والبحث عن مكان يختلئ به ويعرض فيه عن نفسه وعن الناس ، فرجع أبو سعيد إلى بلده واختار زاوية داره مكانا لاعتكافه ، وأمضى بها سبع سنوات قضاها في التأمل . ثم رجع إلى سرخس حيث مارس الرياضة عاما آخر تحت إشراف أبي الفضل . وفي نهاية هذا العام أكد له أبو الفضل أن كل شيء قد انتهى، وأمره بالعودة إلى ميهنه ودعوة الناس .

وعاد أبو سعيد إلى ميهنه ولكنه بدلا من أن يرضى نفسه بما أكده له شيخه زاد من رياضاته . وفي هذا الوقت توفي والداه فاتجه إلى صحراء خاوران وأمضى بها فترة أخرى من الرياضة امتدت لسبع سنوات قضاها متجولا في هذه الصحراء . ولم يكن يرى خلال هذه الفترة إلا نادرا، ويظن أنه كان يقات نباتات الصحراء .

وظل أبو سعيد على اتصال بأبي الفضل حسن في بداية هذه الفترة، وبعد وفاة أبي الفضل اتصل أبو سعيد بأبي عبد الرحمن السلمي في نيسابور ونال على يديه الخرقه الأولى .

وفي نهاية هذه الفترة اتصل أبو سعيد بأبي العباس القصاب في آمل ونال على يديه الخرقه الثانية .

ورجع أبو سعيد من آمل إلى ميهنه، وجاءت عودته مع الحدث الكبير في حياته وهو بلوغه مرحلة الكشف الكامل . ويبدو أن السلوك الطويل للطريق قاده في النهاية إلى الكشف الكامل المستمر فانقشع عنه الحجاب الذي كان حتى ذلك الوقت يرتفع ليعود مرة أخرى وكانت سنه عندئذ أربعين عاما .

وفي ميمنه بدأ أبو سعيد يمارس نشاطه كولى من أولياء الله وشيخ يشرف على تربية المريدين ، وكانت الخطوة الأولى هي أن حول منزله إلى خانقاه للدراويش فتجمع حوله المريدون وذاعت شهرته في المناطق المجاورة .

ثم رأى أبو سعيد أن ينقل نشاطه إلى ميدان أوسع فانتقل إلى نيسابور وأخذ يعقد المجالس بها ويقوم بوعظ الناس وإرشادهم .

ولم يكن أبو سعيد يقتصر في مجالسه على تفسير القرآن والأحاديث ، بل كان يتعدى ذلك إلى قول الشعر وإقامة حلقات الرقص والسماع ، الأمر الذى أثار عليه أئمة نيسابور ورؤساء الفرق الدينية فشكوه إلى السلطان فى غزته . ورد السلطان على هذه الشكوى بأن يعقدوا مجلسا من أئمة المذهبين الشافعى والحنفى وأن يطبقوا عليه مائتة ضربة الشريعة ، غير أن أبا سعيد استطاع أن يواجه أعداءه ، وأن يجبرهم على عدم التعرض له .

وظل أبو سعيد فى نيسابور فترة طويلة سلك خلالها مسلكا لفت إليه النظر ونسبت إليه كثير من الكرامات .

ثم عاد أبو سعيد من نيسابور إلى ميمنه للمرة الأخيرة وظل بها إلى أن توفى فى الرابع من شعبان لعام أربعين وأربعمائة بعد الهجرة بالفا من العمر ثلاثة وثمانين عاما . وأربعة أشهر ، فمن المعروف أنه عمّر ألف شهر .

* * *

ولقد كان من أهم الموضوعات التى أثير حولها الجدل بالنسبة لأبى سعيد موضوع صحة نسبة الرباعيات إليه . وقد اختلف الدارسون لأبى سعيد بشأن هذه المسألة فاعتمد بعض المستشرقين على حكاية وردت فى كتاب « أمرار التوحيد »

ذكر المؤلف فيها أن أبا سعيد كان مستغرقاً في الله بحيث لم تكن لديه القدرة على قول الشعر باستثناء بيت من الشعر ورباعية واحدة ، وقالوا إن أبا سعيد لم ينظم شعراً قط ، بينما أكد البعض الآخر أنه كان شاعراً ، بل ووصفه البعض بأنه أول من أبدع الشعر الصوفي من شعراء إيران . ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن أبا سعيد كان يقول الشعر ، وخصوصاً من لون الرباعي ؛ وإن كان هذا لا يتنافى مع ما ذكرته بعض المصادر من أن الأشعار التي كان يقولها في بعض المجالس والمناسبات ، والتي كان القوالون ينشدونها بين يديه في السماع لم تكن كلها من نظمه وإنما كانت أيضاً من نظم بعض شيوخه . وقد نص أبو سعيد بنفسه على هذا في كثير من الأحيان ، كما يتضح من بعض المواضع في كتاب أسرار التوحيد .

أما بالنسبة لمذهب أبي سعيد فقد كان من أوائل المروجين لوحدة الوجود . ورغم أن مذهبه الذي يقوم على الفناء ووحدة الوجود لم يكن جديداً ، فقد سبقه إليه الصوفي الفارسي بايزيد البسطامي ومعاشره أبو الحسن الخرقاني ، إلا أن عبقريته شكلته في صورة جديدة .

ويعتبر أبو سعيد من ناحية التطور التاريخي للصوفية مشرعاً مبرزاً ، فقد حدد معالم الطريق ووضع الشروط التي ينبغي توفرها في الشيخ والمريد ، كما شرع القواعد والرسوم لحياة أهل الخانقاه حتى أنه ليعد بحق المؤسس الأول لنظام الخانقاهات في الإسلام .

وأبو سعيد من أوائل شيوخ الصوفية في إيران الذين ضاعوا عقائدهم وآراءهم نظماً بالفارسية وفي هذا الصدد يحذر اعتباره رائداً لصوفية إيران الكبار « السنائي » و « العطار » و « جلال الدين الرومي » .

وبرغم أنه لم تنسب إلى أبي سعيد طريقة خاصة ، ولم يخلفه في طريقته أتباع ، إلا أنه أرسى أساس طريقة في التصوف تختلف عن الطرق الأخرى ، فقد خالف أبو سعيد كثيرا من الصوفية الذين سبقوه في معالجته لبعض الأمور التي تتعلق بالتصوف ، وكان يميل دائما إلى التخفيف من صرامة النظم الصوفية ، ويترك تلاميذه يعيشون في بحبوحة وحرية .

إسماعيل عبد الرزاق قنديل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى نور قلوب أوليائه بلطائف أنواره ، وجعل سراير أحيائه وبواطنهم كنوز أسرارهم ، وكشف عن عقول أصفياه حجب الطغيان وأستارهم ، والصلاة والسلام على محمد عبده ونبيه وخيرته من أخياره ، وعلى آله وأصحابه وأعوانه وأنصاره وسلم تسليماً كثيراً .

الشكر والثناء بلا حد ، والحمد بلا نهاية ، والمدح بلا غاية ؛ لخالق الكائنات وصانع الخلق تعالى وتقدس صفاته ، الخالق الذى خلق العالم من غير ما غرض ولا علة ولا طلب فائدة ولا خير ؛ بل بمحض كرمه ؛ وكمال عنايته ؛ ولطفه ، وإظهاراً لقدرته غير المتناهية . وخصه بأنواع العرائب والبدائع ؛ من جعلها أنه خالق آدم الصفى والد البشر ، وموئل أهل العالم . من حفنة من تراب ، وترك قلبه الذى صنعه من حجر مسنون بين مكة والطائف أعواماً طويلة ؛ حتى إذا ما تحقق له استعداد الروح واستكمال النفس الإنسانية من عالم المشيئة بزين قلبه بحلية « ونفخت فيه من روحي » ، وأطلق عليه اسم الإنسان . ولما كانت كلمة إنسان وأنس ومؤانسة كلمات مركبة من حروف متناسبة ؛ اقتضت الحكمة البالغة أن يحتاج إلى مؤنس لكي يدفع عنه وحشة الوحدة بمؤانسة ذلك المؤنس ؛ فخلق حواء أم البشر من ضلعه الأيسر على وجه الإبداع وسبيل الاختراع (ص ٤) ، وجعل الشهوة وهى من عوارض النفس الحيوانية فى طويتهم ؛ حتى استحكمت بينهما صلة التوالد والتناسل بذلك ؛ فظهر وانتشر فى أرجاء الأرض وعلى ظهر البسيطة آلاف وآلاف من الادميين . وقد خص كل صنف منهم بخاصية ، ووصف كل طائفة منهم

بصفة ، وجعل لكل قوم لساناً ولغة مبيّنة للأخرى ، أصلها واحد ، وفروعها وشعبها غير متناهية ، حتى رحبت أرجاء الأرض وأقل ظهرها من العالمين من لا يحصون كثرة ، ليتهاً بذلك الدليل الدال والبرهان الباهر على كمال قدرة الخالق .

وفي كل شيء له آية . . . تدل على أنه واحد

واعتبر الأنبياء والرسل خيرة أبناء آدم الصفي . ولما كانت تلك الطائفة هي الواسطة بين المعبود والعباد وبين الخالق والمخلوقات ، فقد جعل نفوسهم في كمال التجرد وعلى درجة كبيرة من الترفع ، ليكونوا بالصورة مع الخلق ؛ وبالصفة مع الحق جل جلاله ، فيقتبسوا ما هو من حقيقة الحق ، وينظروا بخاصية نور النبوة ، ويعملوا من واجبهم إرشاد الناس وهدايتهم بذلك النور ، ويلزموا أنفسهم بتحذيرهم من الضلال والضياع حتى يوصلوهم من غمرات الجهل وتيه الخيرة إلى ساحل النجاة وشاطئ الرشاد ، ويتحولوا من درجة الحيوانية إلى حد النطق والصفات الإنسانية . وجعل بعد طبقة الأنبياء الأولياء أصحاب الكرامات وأرباب المناجاة والمقامات ، وهم من حيث المعنى قريبون من الرسل والأنبياء . والفرق بين تلك الطائفة وطبقة الأنبياء ليس أكثر من أن النبي يستطيع في حال واحد أن يكون مع الحق بالصفة ، ومع الخلق بالصورة ، أما الولي فيكون انشغاله بالحق ما نعا له عن الانشغال بالخلق . ومن ناحية أخرى أن النبي مأمور بالدعوة والإرشاد ، أما الولي فهو معافي من ذلك كله ؛ فقد أوجبه بكمال كرمه وتناهي حكمته ، لأنه يتعذر في كل وقت وقرن بعث الرسل وتحقيق الرسالات ، ولكن وجود أصحاب الكرامات وأرباب المقامات يمكن أن يكون ميسوراً في كل وقت ، حتى إذا ما وقف الخلق على أحوالهم وأقوالهم

وحركاتهم وسكناتهم اتجهوا من عالم الصورة إلى عالم المعنى (ص ٥) فيعرفون أنه يوجد خارج هذا العالم المبين للصورة، والذي لا معنى له، عالم آخر خلق الإنسان من أجله حتى يهيء لنفسه في هذه الدنيا زاد الآخرة، ويتهيأ له استعداد الاتصال به ، وإذا لم يستطع أن يسمو إلى درجة الملائكة فإنه يرتفع عن طبقة البهائم والحيوانات . وبعد المزيد من الحمد والشكر للعبود عزت كبرياؤه لتعقل من أعماق الروح جارية على عذبة اللسان الكثير الجعم من الصلوات والتحيات والسلام والثناء على الروح المقدسة والتربة المطهرة والروضة المعطرة لسيد الأنبياء وقدوة الأصفياء محمد المصطفى صلى الله عليه ، اتصالا لا ينقطع إلا بسكون الأجرام السماوية وأوتاد الأرض عن حركاتها . وبعد السلام على سيد العالم عليه السلام لتصل وتتصل على مرور الأيام وتعاقب الشهور والأعوام؛ آلاف التحيات والمدح والثناء على الأرواح الطاهرة للصحابة الطيبين وأهل بيت النبي الذين كانوا نجوم سماء الهداية وشموع جماعة الرشد والعناية آمين يارب العالمين ، يقول مؤلف هذا الكتاب العبد المذنب محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر بن الشيخ الكبير سلطان الطريقة وبرهان الحقيقة أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الميمني قدس الله روحه العزيز ونور مضاجعهم إنه قصر همته منذ بداية الطفولة وعنفوان الشباب على طلب فوائد الأنفاس الميمونة والآثار والمقامات المباركة لجده سلطان الطريقة وبرهان الحقيقة أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الميمني قدس الله روحه العزيز . وكان يتنسم الأخبار من المشايخ من أبنائه والأكابر والأحفاد نور الله مضاجعهم وكان يبذل غاية وسعه في تصحيح أسانيد تلك الأخبار . ولما كان ذلك العهد عهد دولة الدين ، وكان ذلك العصر عصر ازدهار الطريقة والشرعة ، وكان العالم قد تزين بالأئمة الكبار الذين كانوا شمس سماء الدين ونجوم فلك اليقين ،

وكانت الأرض مزدانة بالمشايخ العظام الذين كانوا أوتاداً للأرض الطريقة وأقطاباً لعالم الحقيقة، والمريدين (ص ٦) الصادقين والمحبين المشفقين^{الذين} وصروا همته على طلب الشريعة ووقفوا قوتهم على السير في الطريقة فإن الجميع ، لبركة وبعن عصرهم ولكي يكون لهم دليل ومعين في سلوك نهج الحقيقة ، يتذرعون به إلى تلمس الطريق لحضرة الحق ويفرقون بين الخواطر النفسانية والإلهامات الرحمانية بهدى منه ، كانوا يذكرون كثيراً أحوال ومقامات شيخنا وفوائد أنفاسه وآثاره قدس الله روحه العزيز، ويقضون أيامهم في تذاكر ذلك . ولهذا السبب لم ينخص مشايخنا نور الله مضاجعهم في جمعه . ولما كانت جميع الخواطر مستنيرة بتلك الفوائد ، وجميع الأسماع مشفنة بسماعها وجميع الألسنة معطرة بذكرها ، لم تكن جماعة المنبئين في حاجة إلى إجمال هذا ولا إلى تفصيله ، لأن تلك المقامات والمقالات كانت معروفة بين الخاص والعام ، وكانوا في غنى عن جمعها . وظل الأمر كذلك حتى ظهرت حادثة الغزو وقتنة خراسان ، وجرى ما جرى في خراسان على جه العموم، ورأينا ما رأينا وقاسينا ما قاسينا في ميهنة على وجه الخصوص . والحق أن بلداً من بلاد خراسان لم يبتل بمثل ما ابتليت به ميهنة وأهلها من الحن والمشفة ، ومصداق ذلك الخبر الذي يقول « أشد البلايا للأنياء ثم للأولياء ثم للأمثل فالأمثل » قد تحقق لنا ولأهل خراسان جميعاً وشوهد عياناً بيانياً فيما ابتليت به ميهنة ، وإذا أجمنا القول قلنا إنه هلك في ميهنة وحدها بأنواع التعذيب من نار وتراب وغير ذلك مائة وخمسة عشر من أبناء الشيخ أبي سعيد الصغار والكبار واستشهدوا بحد السيف ، كما استشهد آخرون خارج المدن بسبب القحط والوباء الذي تخلف عن هذه الحادثة رحمة الله عليهم أجمعين . وينبغي أن نقيس على هذه الحال المريدين الصادقين والمحبين العاشقين وعظماء الدين وشيوخ الطريقة الذين احتجبوا بقباب التراب، فظهر قحط في الإسلام وانمحت عزته ، وفسد أمر الدين

واختل اختلالاً عظيماً ، (ص ٧) وحل زمن اقراض أئمة الدين وانقطاع مشايخ الطريقة وأنجز الله سبحانه وتعالى وعده « أو لم يروا أنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها » . وظهر البرهان القاطع على حقيقة القول المأثور « إن الله تعالى لا ينتزع العلم انتزاعاً ولكن يقبض العلم بقبض العلماء » وتوقف الطلب وفسدت العقائد فساداً تاماً ، وقنع أكثر أهل الإسلام من الإسلام بالاسم ومن الطريقة والحقيقة بالرسم المجرد ، ومن ثم بدت في دخيلة هذا المسكين جذبة من جذبات الفضل الرباني مبعثها الاستجابة لطلب بعض المريدين في أن يكتب كتاباً في مقامات وأحوال وآثار جده سلطان الطريقة وبرهان الحقيقة الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قدس الله روحه العزيز كغريد في رغبات الراغبين في دخول الطريق وليكون مرشداً وقدوة للسالكين في سلوك طريق الحقيقة كما جاء في قوله تعالى « إنا على آثارهم مهتدون » وعلى نحو ما قال في موضع آخر في ذكر جماعة الأصفياء الذين خصهم بنظر عنايته الإلهية : « أولئك الذين هدى الله فبهم اهتداهم اقتده » .

ولما كانت أحوال ميهنة قد أصبحت بسبب تعاقب الأيام ووقوع الفترات والسلب مرة بعد مرة وكرة بعد أخرى ، بحيث لم يبق من آثار شيخنا قدس الله روحه العزيز سوى قبره وضريحه ؛ فقد توفّر بالكثير من الجهد القليل من المطلوب ، وأشياء متفرقة من كل جانب . أما ما كان مستقراً في الخواطر فقد طواه النسيان بسبب البلاء والمشقة ، وبقي في حجاب (شغلني الشعر عن الشعر) .

وقد كانت مدة عمر شيخنا قدس الله روحه العزيز ألف شهر بلغت ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر ، على نحو ما جرى على لفظه المبارك في مجلس الوداع (ص ٨) إذ قال : لقد تم لنا ألف شهر وليس بعد الألف عدد . وكيف يمكن

ضبط هذه المدة ومراقبتها وهذا نفسه محال ، ومن جملة ما ليس في الامكان القدرة على نقل جميع أقوال وأفعال وحركات وسكنات شخص طيلة مدة عمره . أما ما كان في إمكان هذا الداعي وفي مجال قدرته فقد نفذه وبذل قصارى جهده فيه ، واجتهد بأقصى الإمكان في تصحيح أسانيده ، وحذف ما كان في روايته خلل أو في إسناده شبهة وتحاشي إيراده .

وكان ابن عمي الإمام العالم الأجل جمال الدين أبوروح لطف الله بن أبي سعيد قد ألف في عهد الاستقرار كتبيا قبل هذا تلبية لطلب أحد المريدين وجعله على خمسة أبواب وروى في كل باب خبرا بإسناد ، وأورد فصلا في معنى ذلك الخبر على نحو يليق بكمال فضله وفصاحته وجعل موضوعه أحوال وأقوال الشيخ قدس الله روحه العزيز ، ولكنه سلك فيه سبيل الاختصار والإيجاز . ولا يريد الداعي أن يعرض مع هذا الجوهر النفيس معدنه الخسيس ، أو أن يضع هذه البضاعة المزجاة في مقابل ذلك النصاب من الفضل والبلاغة ، لأنه لا يرى نفسه أهلا لذلك ، فكيف يتأتى له أن يقبض بيده على زمام عظمته ، وكيف يستطيع أن يصل في أي فن من فنون فضله إلى غبار دابته . . ، ولكنهم قالوا انهم يسلكون المعادن الخسيسة مع الجوهر في سمط . وكان المأمول أن ما أتى به هذا العظيم وما انتهى إليه ذلك الداعي وصح من آثاره وكتاباته يجرى على شبات القلم حتى يبقى بين الناس طويلا . أما ما اندرس بسبب الفتن والقلقل فيعاوده رونقه وجدته ويبقى ذكرا لنا من بعدنا ، فمن المعلوم على وجه اليقين أنه كلما تباعد الزمان بالناس ازداد القصور في هماتهم (ص ٩) ، وقل سالكو الطريق ، ولا يعين العلم كل شخص . والمعاملة نفسها كبريت أحمر في الندرة فلا أقل من أن يشف أسماع المعتقدين

بكلام عظيم الدين وأوحد العهد هذا، ويستروح قلوب وأزراح مدعى الطريقة
على نحو ما قيل : (شعر)

إذا لم أستطع أن أشتري حمل سكر ، فلاذذ عنه الذئاب مرة !
ومن قول العظماء (عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة) .

ولما كانت أحوال جملة الناس ومراتب أعمالهم لا تخرج عن ثلاث هي
البداية والوسط والنهاية فقد جعلت هذا الكتاب على ثلاثة أبواب :

الباب الأول:

في بداية حال الشيخ قدس الله روحه العزيز منذ أيام طفولته حتى بلوغه سن
الأربعين ، وما وصل إلينا من تعليمه ورياضاته ومجاهداته في هذه المدة . وذكر
مرشديه ومشايخه ونسبة علمه وخرقته حتى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

الباب الثاني :

في أواسط حال الشيخ قدس الله روحه العزيز ، وهذا الباب على ثلاثة فصول :
الفصل الأول : في الحكايات التي ظهرت عن كراماته ، والتي ثبت لنا
صدقها من الرواة والثقة .

الفصل الثاني : في الحكايات المتضمنة للفوائد وبعض الحكايات وأقوال
المشايخ التي جرت على لفظه المبارك من أجل الفائدة .

الفصل الثالث : في بعض الفوائد والنكات المتفرقة من الأقوال ، وبعض
الدعوات والأبيات المتفرقة التي جرت على لفظه العزيز ، وعدد من رسائله التي
وصلت إلينا .

الباب الثالث : في انتهاء حال شيخنا قدس الله روحه العزيز وهو على

ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في وصاياه عند وفاته .

الفصل الثاني : في كيفية وفاته .

الفصل الثالث : في الكرامات التي ظهرت بعد وفاته ، وبعض ما أخبر

(ص ١٠) به في حياته ورآه الناس بعد وفاته .

وقد سميت هذا المجموع باسم أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ،
وسألت الحق سبحانه وتعالى التوفيق في إتمامه ، وسلوك جادة الاستقامة وطريق
الرشد . وقد حذفت منه الأسانيد طلباً للإيجاز والاختصار ؛ أسأل الحق سبحانه
وتعالى أن يجعل بكمال فضله وكرمه ولطفه التوفيق رفيقاً ، وأن يسر ما يرجوه
المعتقدون من حقوق الطريقة ، وأن يحفظه في ضمان الأمان من التراجع
والنقصان ، (ونعوذ بالله من الحور بعد الكور فإنه خير موفق ومعين .) .

وبعد ، فإن هذا الداعي بالخير يأمل في أن يسدى إلى حضرة ملك الاسلام
السلطان المعظم وملك الملوك الأعظم - مالك رقاب الأمم ، ومولى ملوك العرب
والعجم ، مغيث العباد ، ظل الله في البلاد ، ناصر أولياء الله ، قاهر أعداء الله ، معين
خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، معز الإسلام والمسلمين ، عضد الدولة القاهرة ،
تاج الملة الزاهرة ، جلال الأمة الباهرة ، نظام العالم ، أبي الفتح محمد بن سام
قسيم أمير المؤمنين أعلى الله كلمته ، وعقد بالخلود دولته - أن يسدى إليه خدمة ،
وبقدم إليه تحفة ، حتى لا يكف هذا الداعي بالخير في آية حال عن الدعاء لدولته
وأداء شكر نعمة ذلك الملك العالم العادل - وحتى لا تخلو حضرة جلاله وبساط
رفعتة وهما موضع سجود الملوك ومقبل سلاطين العالم من تحفة وهدية هذا الداعي
المخلص . وفي كل وقت تعرض فيه لطيفة من تلك الفرائد ، ودقيقة من تلك الفوائد
الدينية على المسامع الشريفة ، أسممها الله المسار والبشارات ، وتحظى بمطالعة الملك

الميمونة والنظر السلطاني فإن ذكر هذا الداعي بالخير يتجدد على وجه التشریف وسبيل التعريف في الحضرة العليا والمجلس الأشرف وهما كعبة الآمال وقبلة الاقبال . وعلى ذلك فمهما مددت يد الطلب إلى زوايا القلب فإن كل ما خططته على رقعة هذه الهدية ولو كانت بساط الربع المسكون قد أصبح (ص ١١) ناقصا وصغير كالديدان إزاء هذا البساط الملوكي ، بل كان في حقيقته مثل حمل ساق الجراد أمام سليمان . وبحكم تلك المقدمة فإن هذا الداعي المخلص رأى أن الدوران حول تلك الهدية والتحفة التي لا نظير لها في العالم أقرب إلى الأدب ، فمن المحقق أن التحف الدينية فانية فناء الدنيا ولا يمكن أن تبقى السعادة من مطالعتها . ورغم أنه ليس في الدنيا بأسرها تحفة أكبر ولا أعز عند هذا الداعي بالخير من هذه التحفة فإنه قد أرسلها على سبيل الهدية إلى تلك الحضرة وهي أكبر حضرة . ولما كانت جوامع همه السلطان الأعظم أظهر الله برهانه وأعظم شأنه قد اقتصر على إحراز الفوائد الدينية، فإن هذا الداعي المخلص يعتقد أن هذه التحفة ستقع في محل القبول ، لأن كل ما يمكن إعداده من زاد طريق الدار الباقية هو متابعة سنة المصطفى صلوات الله عليه ومشايعة سيرة الأولياء ، ^{وهذه المناجاة} ولا يحصل بعد العلم التام على كيفية سلوكهم والوقوف على دقائق آدابهم وسننهم الظاهرة والباطنة .

ولما كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز هوشين ووالد ورأى ومقتدى . هذا الداعي فإن الخادم الداعي قد كرس أوقاته طوال عمره لطلب فوائد أنفاسه ومقالاته ومقاماته في طريق الشريعة والطريقة وكان قد أعد بقدر وسعه وإمكانه مجموعا من تلك الفوائد لأجل مرتادي هذه الأعتاب ومريدي تلك الحضرة ، لم بعد أي مريد قبل هذا الخادم مجموعا أجمع وأكثر فائدة منه في بيان مسلك وجمع فوائد مقالات شيخه ؛ فإنه أراد أن يبعث بهذه التحفة وهي أكل التحف

إلى حضرة الملك وهي أفضل وأعظم رحاب ملوك الدنيا ، لأن الأمل الوائق في فضل وكرم الحق سبحانه وتعالى ، بل اليقين الصادق بأن هذا الملك العادل كما أنه في الدنيا أعظم ملك من ملوك الدهر وأفضل سلطان من سلاطين العصر ، سوف يكون بالعدل والاعتقاد؛ وأيضاً بالمذهب والسياسة أعظم ملك في دار البقاء وجفة عدن بالدرجة والقربى في حضرة العزة . وسوف يكون أكثر سلطان من سلاطين الأرض نصيباً في عرصة ملك الجنة ، بحكم خبر صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: عدل ساعة من ملك عادل أفضل من عبادة العابد المتقى لسنوات عديدة . ولما كان المصطفى صلى الله عليه وسلم قد قال : (الدنيا مزرعة الآخرة) ، وهذا الملك لم يزرع في الدنيا غير بذور العدل والإنصاف مع الرعايا والإحسان مع الضعفاء والأتباع، والسخاء والمرءة مع أهل الدين والخير ؛ فإنه لا يمكن أن يكون ربيع هذا البذر في الغد سوى مثل هذه الثمرة ، ثمرة (في مقعد صدق عقد مليك مقتدر) . وأمل هذا الداعي أن يلاحظه وأن يشرفه بشرف القبول في الحضرة العلية ، أهلاًها الله ، وأن يعتبر هذا المسكين في كل حال وفي كل مقام الداعي الخاص لتلك الدولة ، وأن يعدد الشاكر والذاكر لانهام تلك الحضرة التي هي ملجأ وملاد كافة الخلائق . وإذا ما حدثت من هذا الخادم الداعي عثرة أو هفوة من قبيل النسيان الإنساني واطلع عليها ملك العالم العادل خلد الله سلطانه بإصابته رأيه المزين للعالم فإنه يعفو ويتجاوز عن تلك الهفوة بكمال كرمه الملكي ، ويستترها ويكرو سترها بفضله الملكي الذي لا نهاية له . أسأل الخالق تعالى وتقدس أن يجعل شمس ظل الحق مشرقة إلى قيام الساعة ، وأن يصونها ويحرسها من الكسوف والزوال ، وأن يجعل ظل عدل وإنصاف شمس سلاطين الدهر وذكاء ملوك العصر مضيئاً وباقياً أبداً الدهر على رؤوس الرعية وكافة الأتباع ، وأن يقرن

ملك هذه الدار الفانية بسلطنة ومملكة تلك الدار الباقية ، وأن يسر ويحصل بفضل
وكرمه كل ما فيه صلاح دين ودنيا هذا السلطان العادل بفضل وكرمه (والحمد لله
رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين وحسبنا الله وحده وهو نعم المولى
ونعم المعين) .

الباب الأول

في بداية حال شيخنا أبي سعيد بن أبي الخير
قدس الله روحه العزيز

اعلم أن شيخنا قدس الله روحه لم يشر إلى نفسه قط بلفظ « أنا » أو « نحن »
وحيثما ذكر نفسه قال « هم قالوا هذا » أو « هم فعلوا هذا » . وإذا ذكرت أقوال
الشيخ في هذا الكتاب على المنوال الذي جرى به لفظه المبارك واحتفظت بسياق
الكلام تبركا فإنه يكون بعيدا عن فهم العوام . بل أن بعض القراء إن لم يكن
أكثرهم قد يخطئون في نظم الكلام وترتيب المعاني ، ولا يستطيعون أن يذكروا
دائما هذا الأمر وهو أن الشيخ قد أراد بلفظ « هم » نفسه ، ويكون ذلك صعبا
عليهم ، وخصوصا على من لم يقرأ مقدمة الكتاب ولم يعرف هذا الأمر . وعلى هذا فإنني
بمحكم هذا العذر حيثما ذكر الشيخ لفظ « هم » سأذكر لفظ « نحن » لأن هذا
اللفظ معروف ومتداول بين الناس ، وهو أقرب إلى فهم القراء . ولكن ينبغي
إدراك هذا الأمر ، وهو أنه حيثما ذكرنا لفظ « نحن » على لسان الشيخ ، فإن الذي
جرى على لفظه المبارك هو لفظ « هم » والعامل تكفيه الإشارة .

اعلم أن والد شيخنا قدس الله روحه العزيز كان يدعى « أبو الخير » وكانوا
في ميهنة يسمونه « بابو الخير » . وكان عطارا ، ورعا متدينا ، على علم بالشرعية
والطريقة ، يجلس دائما مع أهل الصفة وأصحاب الطريقة .

وقد كانت ولادة الشيخ أبي سعيد قدس الله روحه العزيز في يوم الأحد
غرة شهر محرم لسنة سبع وخمسين وثلاثمائة (٩٦٧) . وكان والد شيخنا يجلس
دائما مع جماعة الصوفية في ميهنة حيث كانوا يجتمعون كل ليلة من الأسبوع في
منزل واحد من هذه الجماعة . وإذا ما وفد على المدينة متصوف أو غريب تجمعوا
وبعد أن يتناولوا قليلا من الطعام ، ويفرغوا من الصلاة والأوراد كانوا يقيمون

السماع . وذات ليلة كان بابوبوا الخير ذاهبا إلى اجتماع الدراويش فالتفت والدته الشيخة
رحمة الله عليها (ص ١٦) من أبيه أن يأخذه معه لكي ينال بركة الدراويش .
والمصوفة ، فأخذ بابوبوا الخير الشيخ معه . وعندما انشغلوا بالسماع أنشد القوال هذا
الشعر :

هذا المشق الأزلى هبة للدراويش
ولا يتهم في قتلهم النفس !
فليس الدرهم والديفار زينة الرجال
إنما التضحية بالروح عمل الرجال !

وعندما أنشد القوال هذا الشعر اعترت الدراويش حال من الوجد وأخذوا
يرقصون ويؤدون الذكر على هذا الشعر طوال الليل حتى مطلع الفجر . ولكثرة
ماردد القوال هذا الشعر حفظه أبوسعيد عن ظهر قلب ، وعندما عادا إلى المنزل .
سأل والده عن معنى ما كان يردده القوال وانتشى الدراويش من الاستماع إليه .
فقال له والده : صه ، إنك لا تستطيع إدراك معناه ، ثم ما شأنك به ؟ . وعندما ^{بلغ} ~~وصل~~
أوسعيد تلك الدرجة التي وصل إليها فيما بعد ، وكان والده قد توفي ، كثيرا ما كان
يذكر هذا الشعر في أحاديثه قائلا :

من لي بأبي الخير اليوم لأقول له أنه هو نفسه لم يكن ^{دعوى} ~~يهم~~ معنى ما سمعته .
ذلك الوقت ! .

وقيل أن والد شيخنا كان يحب السلطان « محمود » . حبا جما فبنى في ميمنه
بيتا . — يعرف الآن بيت الشيخ — ونقش على جدران اسم السلطان وذكر خدمه .
وحشمه وأفياله ومراكمه ، وكان الشيخ صغيرا في ذلك الوقت فقال لو والده : ابن
لي مكانا في هذا البيت يكون خاصا بي . فبنى له والده حجرة فوق البيت — وهي .

صومعة الشيخ - ولما تم بناؤها وطلبت جدرانها ، أمر الشيخ بأن يكتبوا على جدرانها وسقفها كلمة : الله ، الله ، الله . فقال له والده : ما هذا يا بني ؟ فأجاب الشيخ : كل شخص يكتب على جدران منزله اسم أميره . فسر والده وأصدر أمره بإزالة كل ما كان قد كتب على جدران البيت (ص ١٧) ومنذ تلك الساعة أخذ ينظر إلى ولده نظرة أخرى ، ويهتم بأمره .

وقد تعلم شيخنا أبو سعيد قدس الله روحه العزيز القرآن على أبي محمد العنازي وكان إماما يتصف بالورع والتقوى ، من مشاهير قراء خراسان ، وقبره رحمة الله عليه في نسا .

قال الشيخ : عندما كنت أتعلم القرآن في طفولتي ، اصطحبني والدي بابوبو الخير إلى صلاة الجمعة . وفي الطريق إلى المسجد التقينا بالشيخ أبي القاسم بشر ياسين ، وكان من مشاهير علماء عصره وكبار مشايخ دهره ، يقيم في ميهنه . وعندما رأيته قال : يا أبا الخير ابن من هذا الصبي ؟ فقال والدي : إنه ابني . فاقترب مني وجلس القرفصاء أمامي ونظر في وجهي واغرورقت عيناه بالدمع ثم قال : يا أبا الخير ، إنني لم أكن أستطيع الرحيل عن هذه الدنيا لأنني كنت أرى مقام الولاية خاليا ، وال دراويش ضائعين . والآن وقد رأيت ولدك اطمأنت إلى أنه سوف يكون للولاية شأن على يد هذا الصبي . ثم قال لوالدي : عندما تنتهي من الصلاة احضره إلى .

ولما فرغنا من الصلاة أخذني والدي إلى أبي القاسم بشر ياسين . وعندما ذهبنا إلى صومعته وجلسنا أمامه كانت هناك كوة مرتفعة جداً في تلك الصومعة فقال أبو القاسم بشر لوالدي : احمل أبا سعيد على كتفك لينزل رغيفا من فوق .

تلك الكوة . فحملني والدي ، ومددت يدي وأنزات ذلك الرغيف ، وكان رغيفاً من الشعير ساخناً شعرت يدي بسخونته ، فأخذ أبو القاسم الرغيف من يدي وبكى . وقسمه إلى نصفين وأعطاني نصفاً ، وقال لي : كله ، وأكل هو النصف الآخر . ولم يعط والدي شيئاً . فقال له والدي : أيها الشيخ ، ما السبب في أنك لم تعطني نصيباً من هذه البركة ؟ فقال أبو القاسم بشر : يا أبا الخير ، لقد وضعنا هذا الرغيف فوق تلك الكوة منذ ثلاثين عاماً . وقد وعدنا بأن من يصير هذا الرغيف ساخناً في يده سوف تزهر به الدنيا (ص ١٨) ويختم به النصف . والآن تحققت هذه البشرية وسوف يكون ابنك ذلك الرجل . ثم قال لي أبو القاسم بشر : يا أبا سعيد احفظ هذه الكلمات وقل دائماً : « سبحانك وبمحمدك على حلمك بعد علمك ، سبحانك وبمحمدك على عفوك بعد قدرتك » فحفظت هذه الكلمات وجعلت أرددها دائماً .

قال الشيخ : وخرجنا من عند أبي القاسم ولم أكن أفهم ما ذا كان يقول في ذلك اليوم . ثم امتد عمر الشيخ أبي القاسم حتى كبر شيخنا وأفاد منه كثيراً .

قال شيخنا : عندما أتممت حفظ القرآن قال لي والدي : يجب أن تذهب غداً إلى المؤدّب ، فأخبرت أستاذي بذلك فقال لي : على بركة الله ، ودعالي ثم قال : اذكر عني هذا القول : « لأن ترد همتك على الله طرفة عين خير لك مما طلعت عليه الشمس » فحفظت هذا القول . وقال لي الأستاذ أعفني ! فقلت : أعفيناك . فقال : بارك الله تعالى عليك . وفي اليوم التالي أخذني والدي إلى أبي سعيد العياري ، وكان إماماً وأديباً ومفتياً ، ومكثت لديه مدة كنت خلالها أتردد على الشيخ أبي القاسم بشر ياسين وأتعلم منه علوم الإسلام .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : قال لى أبو القاسم بشر ياسين يوما :
يا أبا سعيد اجتهد فى أن تطرح الطمع : من معاملتك ، لأن الإخلاص
لا يأتى مع الطمع . والعمل مع الطمع هدفه الحصول على الأجر ، وهو مع الإخلاص
عبادة . ثم قال : عليك أن تحفظ ما قاله الرسول عليه السلام . قال عليه الصلاة
والسلام : « قال الله لى ليلة المعراج : يا محمد ما يتقرب المتقربون إلىّ بمثل أداء
ما افترضت عليهم ، ولا يزال يتقرب إلىّ العبد بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته
كنت له سمعاً وبصيراً ويدرأ مؤيداً ، فبى يسمع وبى يبصر وبى يأخذ » .

ثم قال أبو القاسم : إن أداء الفريضة (ص ١٩) إظهار للعبودية وأداء
النوافل إظهار لحب الله ، ثم أنشد هذا الشعر :

— كمال المحبة ما يأتى من الحبيب بلا طمع ،

وأى قيمة لما يقدر بالثمن .

— يقينا ان المعطى خير لك من العطاء ،

وما العطاء حين تكون عين الكيمياء .

وقال شيخنا قدس الله روحه العزيز : كنت يوماً عند أبى القاسم بشرياسين
فقال لى : يا بنى هل ترغب فى التحدث إلى الله ؟ فقلت : نعم ، وكيف لا ؟ فقال
سكناً خلوت بنفسك قل : (رباعية) :

يا حييى إننى لا أقرار لى — دونك

ولست بقادر على أن أحصى إحسانك علىّ

لو كانت كل شعرة فى جسدى لسانا

ما استطعت أن أثنى بواحد على الألف مما تستحق من شكر

فكنت أردد هذا باستمرار حتى فتح لى الطريق إلى الله فى طفولتى .

وقد توفي أبو القاسم بشر ياسين في ميهنة سنة ثمانين وثلاثمائة (٩٩٠). وكما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز يذهب إلى مقابر ميهنة كان يبدأ بزيارة قبره .

وقال الشيخ أثناء حديثه يوما : كان هناك شيخ كفيف مؤمن يأتي إلى هذا المسجد — وأشار إلى المسجد الذي يقع على باب ضريحه — وكان يجلس ويضع عصاه خلف ظهره . وفي يوم كنت عائداً من عند المؤدب ومعى كتيبى ، فاقتربت منه . وألقيت عليه التحية . فرد على قائلاً : أأنت ولد « بابو بو الخير » ؟ قلت : نعم . قال : ماذا تقرأ ؟ قلت كتاب كذا ، فقال : لقد قال المشايخ « حقيقة العلم ما كشف على السرائر » ، ولم أكن أعرف في ذلك الوقت مامعنى الحقيقة وماذا يكون الكشف حتى أطلعنى الحق سبحانه وتعالى على حقيقة ذلك الكلام (ص ٢٠) وأظهرنى عليه .

وعندما فرغ شيخنا أبو سعيد قدس الله روحه العزيز من تعلم اللغة ورغب في تعلم الفقه قصد مدينة مرو : قال الشيخ يوماً أثناء حديثه : عندما ذهبت من ميهنة إلى مرو كنت قد حفظت ثلاثين ألف بيت من الشعر . وبعد ذلك ذهب الشيخ إلى مرو عند الإمام أبى عبد الله الخضرى وكان إمام الوقت ومفتى العصر ، مطلعا اطلعا تاما على علم الطريقة ، ومن جملة الأئمة الكبار . وكان الخضرى تلميذاً لابن سريج ، وكان ابن سريج تلميذاً للمزنى ، والمزنى تلميذاً للإمام الشافعى المطلبى رضى الله عنه .

وكان شيخنا قدس الله روحه العزيز شافعى المذهب ، وكذلك جميع المشايخ الذين عاشوا بعد الشافعى كانوا يعتنقون هذا المذهب . وكل من اعتنق مذهباً آخر قبل السير في الطريق إذا أراد الله سبحانه وتعالى بكمال فضله وعنايته الأزلية

أن يمنحه يوماً محبته ، ويختصه بالقربى التى لهذه الطائفة فى حضرة عزته ، وجهه إلى المذهب الشافعى ، مثل الشيخ الخضرى الذى كان يقيم فى بغداد وغيره من المشايخ الذين إذا ذكروا وذكرت أحوالهم انتهى الأمر بنا إلى التطويل وليس هدفنا ذكر هذه الأمور .

أما المشايخ الذين عاشوا قبل الشافعى فقد كانوا على مذهب السلف أو على مذهب شيو خهم .

واعتقد جماعة أن الشيخ الكبير بايزيد البسطامى قدس الله روحه العزيز كان يعتنق مذهب الإمام العظيم أبى حنيفة الكوفى رضى الله عنه ، ولكن الأمر ليس كذلك ؛ لأن بايزيد قدس الله روحه كان مريداً وسقياً لجعفر الصادق رضى الله عنه ، وكان جعفر رضى الله عنه يدعو بايزيد السقاء . وقد اعتنق بايزيد مذهب جعفر الصادق . لأنه كان شيخه ، وإمام أسرة المصطفى المباركة ، صلوات الله وسلامه عليه . ولا يجوز ، بأى صفة ، فى الطريق أن يكون المرید إلا على مذهب شيخه ، (ص ٢١) ولا يجوز له مخالفته فى أى شىء من الاعتقاد أو الحركات أو السككات .

ولكيلا يظن أحد ، بهذه الكلمات التى جرى بها القلم ، أن المشايخ كانوا يعتنقون مذهب الإمام العظيم الشافعى لأن هناك نقصاً فى مذهب الإمام أبى حنيفة رحة الله عليه ؛ نقول كلا وحاشا ولا يجوز مطلقاً أن يتخيل أحد هذا ، ونعوذ بالله أن يخطر هذا على خاطر أحد لأن عظمتهم وزهدهم أكثر مما يصل إليه علمى وشرعى ؛ فقد كان سراج الأمة ، وقدوة ملة النبى صلوات الله وسلامه عليه . والمذهبان متساويان فى الحقيقة ، وكل ما صدر عن الإمامين من أقوال كانا فيه متابعين الكلام الحق المجيد سبحانه وتعالى ، ومطابقاً لنص حديث المصطفى

صلوات الله وسلامه عليه . والحق أن كل من ينظر في المذهبين دون تعصب يعرف أن كلا الإمامين في الحقيقة واحد ، وإذا وجد اختلافًا في الفروع وجب عليه أن ينظر إلى ذلك بعين « اختلاف أمي رحمه » . وإذا كان أحد الإمامين قد تساهل في مذهبه فنبغى أن يراه بعين « ما جعل عليكم في الدين من حرج » ، وينظر إليه بنظر « بعث بالحنيفية السمجة السهلة » لا عن طريق التعصب الذي ابتلى به أكثر الناس . ويجب أن يعلم علم اليقين أن كل ما قال الإمامان لا يمكن أن يكون إلا حقًا . وهؤلاء الأئمة الكبار معصومون ومعافون من مثل هذا التعصب

الذي في طبيعتنا كما ورد بإسناد عن أبي الدرداء عن أبي الدرداء قال : « رأيت مالك بن أنس وأبا حنيفة رضي الله عنهما (ص ٢٢) في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء الأخيرة وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف أحدهما على القول الذي قال به وعمل عليه أمسك أحدهما عن صاحبه من غير تعنت ولا تعسف ولا تخطفة لو احدهما حتى صليا الغداة في مجلسهما ذلك » . ولكن لما كان طريق هذه الطائفة هو الاحتياط ، وكان المشايخ قد أوجبوا على أنفسهم في بداية المجاهدة أشياء من أجل الرياضة بعضها سنة وبعضها نافلة ، على نحو ما ذكر أبو عمرو البشخواني في كتابه وفقًا للخبر الذي يقول إن المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه قال « اليد اليمنى لأعلى البدن واليد اليسرى لأسفل البدن » لم تصل يدي اليمنى منذ ثلاثين عامًا تحت سرتي ، ولم تصل يدي اليسرى فوق سرتي إلا السنة .

وبشر الخافي قدس الله روحه العزيز الذي لم يتعمل حذاء في قدمه قط ، وقال إن الحق سبحانه وتعالى يقول « والله جعل لكم الأرض بساطا » فالأرض

بساط الحق سبحانه وتعالى فلا يليق بي أن أسير عليها بجذاء ونعل . وسار عارى .
القدمين طيلة عمره ولهذا السبب لقب بالخافي .

وقد قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : لقد فعلت كل ما قرأت
ورأيت في الكتب وسمعت أن المصطفى صلوات الله عليه قد فعله ، وكل ما سمعت
وطاعت في الكتب أن الملائكة تفعله ، فعلته كله في بداية تصوفى . (ص ٢٣)
وسوف يأتي شرح ذلك في مكانه .

وكانت سيرة المشايخ جميعا على هذا النحو ، فساروا طوال حياتهم على صنن
المصطفى وأوجبوا على أنفسهم النوافل والأوراد . وجلة القول ان كل ما يتعلق
بإذلال النفس والاحتياط في طريق الدين كان موضع اختيارهم . ولما كان في مذهب
الإمام الشافعى رضى الله عنه ضيق ، فقد اختارته هذه الطاقة لإذلال أنفسهم
لا لأن هناك فرقا بين المذهبين في حقيقتهماء أو أن أحد الإمامين يفضل الآخر ؛
وفي رأينا أنهم مثل الخلفاء الراشدين الذين نعرف أنهم جميعا على حق ونحبههم
جميعا من أعماق قلوبنا وقرر بفضائلهم ، ونعتقد فيهم ، ونقيم الدليل على أحقية كل
منهم للخلافة ، ونعترف بهم ولا ننكرهم ، وندعو الجميع ألا يطعنوا بسبب هوى
النفس والعناد والتعصب في صحابة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وأئمة السلف
والمشايخ الكبار رضى الله عنهم أجمعين ، وألا يجيزوا الواقعة وأن يعرفوا
حقهم جميعاً .

وقصارى القول إن اعتراف الانسان بأن كل شخص أفضل منه طريق طيب
جدا . والقول بترك الاعتراض في جميع الأحوال طريق محمود جدا ، وإنه لمن
الأقرب للصواب لمن يتتبع عثرات الآخرين أن يشتغل بإصلاح نفسه . نسأل
الحق سبحانه وتعالى أن يقرب الجميع إلى طريق رضاه بفضل منه وجوده .

وقد قرأ شيخنا قدس الله روحه العزيز على الإمام أبي عبد الله الخضرى خمس سنوات وعندما أتم دروسه (ص ٢٤) انتقل هذا الإمام إلى رحمه الله تعالى ، وقبره بمرو .

ولما توفي الخضرى اختلف الشيخ على الإمام أبي بكر القفال وقرأ عليه الفقه خمس سنوات أخرى . وكان زملاؤه في درس القفال الشيخ ناصر المروزى والشيخ أبو محمد الجوينى والشيخ أبو على سنجى وكان كل منهم قدوة الدنيا . وفى هذه المدة أتم شيخنا على القفال درسين ثم ترك مرو قاصدا سرخس . وعندما جاء إلى سرخس ذهب إلى الإمام أبي على زاهر بن أحمد الذى كان مفسراً ومحدثاً وقيهاً ، وقد قام بنشر المذهب الشافعى فى سرخس ، ومنه ظهر هذا المذهب .

وكان الأئمة الذين تخلص أهل هذه الولاية من بدعة الاعتزال ببركة أنفاسهم ورجعوا بفضلهم إلى المذهب الشافعى هم : حميد بن محويه فى «شهرستانه» و«فراوة» و«نسا» وأبو عمرو الفراهى فى «استو» و«خوجان» وأبولبابه الميهنى فى «ايورد» و«خاوران» وأبو على الفقيه فى «سرخس» رحمة الله عليهم أجمعين .

وكان شيخنا قدس الله روحه العزيز يقرأ التفسير على أبي على الفقيه فى الفجر ، وعلم الأصول فى الظهيرة ، وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم فى العصر ، وتتامذ على أبي على الفقيه فى هذه العلوم الثلاثة . وقبر هذا الإمام بسرخس .

وبعد أن قضى شيخنا زمناً يطلب العلم على أبي على ، رأى يوماً لقمان السرخسى قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : عندما كنت أطلب العلم على أبي على الفقيه فى سرخس ، كنت أسير يوماً فى المدينة ، فرأيت لقمان السرخسى جالساً على تل يخطط رقعة على ثوبه : [وكان لقمان (مجدوباً) من عقلاء المجانين ،

وكانت له في بداية أمره مجاهدات كثيرة واحتياط في المعاملة ، وفجأة حدث له كشف أودى بعقله ، كما ذكر الشيخ أن لقمان كان في بداية أمره رجلاً مجتهداً ، ورعاً ، وبعد ذلك ظهر فيه جفون وخرج عن الترتيب . قيل له (ص ٢٥) يا لقمان ، ماذا حل بك ؟ قال : وجدت أنني مهما أكثر من العبودية وجب أكثر منه ، فعجزت ، وقات يا ألهي ! عند ما يصبح العبد شيخاً فإن الملوك يعتقونه ، وأنت ملك عزيز ، وقد أصبحت شيخاً في عبوديتك فاعتقني . فسمعت نداء يقول : « يا لقمان ، لقد أعتقناك » ، والدليل على هذا أن (الله) أخذ منه عقله . وكثيراً ما كان شيخنا قدس الله روحه العزيز يقول : لأن لقمان معتوق الله حرره من أمره ونهيه [١] . فاقتربت منه وأنا أنظر إليه - وكان الشيخ قد وقف بحيث وقع ظله على ثوب لقمان - وعندما خاط الرقعة قال لي : يا أبا سعيد ، لقد خطتلك مع هذه الرقعة على هذا الثوب . ثم نهض وأمسك يدي وقادني إلى حى توجد به خاتناه الشيخ أبي الفضل حسن . ونادى على باب الخاتناه فخرج الشيخ أبو الفضل ، وكان لقمان قد أمسك يدي ، فوضعها في يد الشيخ أبي الفضل حسن وقال له : يا أبا الفضل ، ارع هذا الشاب لأنه منكم . وكان الشيخ أبو الفضل حسن رجلاً عظيماً . وقد سئل الشيخ قدس الله روحه العزيز عندما اكتمل حاله وتوفي الشيخ أبو الفضل حسن ، مم ظهر حاله ؟ فقال : من نظرة من الشيخ أبي الفضل ، فعندما كنت أطلب العلم على أبي على الفقيه في سرخس ، كنت أسير يوماً على شاطئ النهر ، وكان الشيخ أبو الفضل يسير على الشاطئ الآخر ، فنظر إلى نظرة من جانب عينه ، وكل ما أدركته منذ ذلك اليوم . أدركته بتلك النظرة .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : فأخذ الشيخ أبو الفضل يدي وقادني

(١) العبارات المكتوبة بين الحاصرتين في هذه الصفحة والصفحات التالية تبين استطراد

المؤلف .

إلى الخانقاه . وعند ما جلسنا في الصفة (ص ٢٦) أخذ الشيخ أبو الفضل كتابا وجعل ينظر فيه ، فقال بمخاطوبي كما هي عادة طلاب العلم في أى فن هذا الكتاب ؟ فأدرك الشيخ أبو الفضل ذلك وقال لى : يا أبا سعيد ، إن المائة والأربعة وعشرين ألف نبي الذين جاءوا الخلق كان المقصود منهم كلمة واحدة لقد أمروا أن يقولوا للخلق : قولوا « الله » واستغفروا فيها . فالذين استمعوا إلى هذه الكلمة كانوا يقولونها حتى صاروا بكلامهم هذه الكلمة ، فلما صاروا بكلمتهم لها استغفروا فيها وعدت تطهرها فظهرت الكلمة في قلوبهم فأصبحوا في غنى عن قولها . قال الشيخ أبو سعيد : لقد صادفني هذا الكلام ولم يتركني للنوم تلك الليلة . ولما فرغت من الصلاة والأوراد استأذنت الشيخ قبل طلوع الشمس وذهبت إلى درس التفسير عند أبي على الفقيه ، فلما جلست كان أول درس ذلك اليوم هذه الآية « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » .

قال الشيخ : عندما سمعت هذه الكلمة ففتح باب في صدرى وغبت عن نفسى . ورأى الأمام أبو على ما طرأ على من التغير فسألنى اين كنت ليلة الأمس ؟ قلت عند الشيخ أبى الفضل حسن . فقال لى : أنهض وعد حيث كنت ، فحرام مجيئك من ذلك المعنى إلى هذا الكلام . فعدت إلى الشيخ — أبى الفضل — والها ومتعبرا ، (وأشعر) بأن كلى قد صار هذه الكلمة . وعندما رآنى الشيخ أبو الفضل قال لى : يا أبا سعيد ، مستك شدة فلا تعرف رأسك من رجلك . قلت : أيها الشيخ ، بم تأمر ؟ قال : ادخل واجلس وكن هذه الكلمة ، فإن لهذه الكلمة معك أمور .

قال الشيخ : ومكثت عنده مدة مؤديا حق هذه الكلمة . وذات يوم قال : يا أبا سعيد لقد انفتحت لك أبواب حروف هذه الكلمة . والآن تغزو الجيوش

صدرك ، وترى الأودية (ص ٢٧) المختلفة . ثم قال : لقد سلبت ، سلمت ، سلبت ! فانهض واطلب خلوة ، واعرض عن نفسك وعن الخلق ، وانظر في الأمر ، واستسلم .

قال الشيخ : فتركت كل هذه العلوم وعدت إلى ميهنة واعتسكت في محراب تلك الزاوية - وأشار إلى داره - ومكث سبع سنوات مردداً : الله ، الله ، الله وكما غلبت علىَّ حال من النعاس أو الغفلة نتيجة لضعف الطبيعة البشرية ظهر لي من أمام المحراب شبح مخيف مفزع للغاية ، في يده حربة من نار ، وكان يصرخ في قائلاً : يا أبا سعيد قل : الله . وكنت من هول وفزع ذلك تنعابني الحمى والرجفة طوال اليوم واللييلة حتى لم تمد تأخذني سعة من النوم أو الغفلة .

وفي النهاية أخذ كل عضو من أعضائي يصرخ قائلاً : الله ، الله ، الله . وبعد ذلك عدت إلى الشيخ أبي الفضل حسن .

وكان الشيخ أبو الفضل حسن شيخ الشيخ أبي سعيد ، ومريداً للشيخ أبي نصر السراج الملقب بطاووس الفقراء ، وله مصنفات في علم الطريقة والحقيقة ، وكان يقيم بطوس ، وقبره هناك .

وكان أبو نصر السراج مريداً لأبي محمد عبد الله بن محمد المرتعش الذي كان رجلاً عظيماً ، فريداً في عصره ، وقد توفي ببغداد .

وكان المرتعش مريداً للجنييد ، والجنييد مريداً لسرى السقطي ، وسرى مريداً لمعروف الكرخي ، وكان هذا مريداً لداود الطائي ، الذي كان مريداً لحبيب العجمي . وكان العجمي مريداً للحسن البصري ، والبصري مريداً لأمير المؤمنين علي بن أبي

طالب كرم الله وجهه ، وكان على مريداً المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وابن عمه . وقد كان هؤلاء هم شيوخنا قدس الله روحه العزيز حتى المصطفى عليه السلام .

وحين ذهب شيخنا قدس الله روحه العزيز (ص ٢٨) إلى الشيخ أبي الفضل حسن أعطاه صومعة في مواجهة صومعته ، وكان يراقب أحواله دائماً ، ويأمره بما يلزم من شروط تهذيب الأخلاق والرياضة .

قال الشيخ : ذات ليلة كان المريدون قد ناموا وأغلقوا باب الخانقاه وباب الرباط . وجلست مع الشيخ أبي الفضل على الصفة ، ودار الحديث في المعرفة ، وعرضت مسألة مشكلة ، فرأيت لقمان السرخسي وقد طار فوق الخانقاه ، ثم جلس أمامنا وأجاب على تلك المسألة بحيث انضحت لنا ، وزال ذلك الإشكال ، ثم قام وطار ثانية وخرج من النافذة ، فقال الشيخ أبو الفضل : يا أبا سعيد ، هل ترى مكانة هذا الرجل في هذه الحضرة ؟ قلت : أجل . قال : إنه لا يصلح قدوة . قلت : لماذا ؟ قال : لأنه لا علم له .

وعندما مارس الشيخ الرياضة مدة في تلك الخانقاه ، أمره الشيخ أبو الفضل بأن ينقل زاويته إلى صومعته . وظل معه مدة في صومعة واحدة ، وكان يراقب أحواله ليلاً ونهاراً ، ويأمره بالرياضات المختلفة . ثم أرسل الشيخ أبو الفضل الشيخ أبا سعيد إلى ميهنه ، وقال له اذهب للعناية بوالدتك . فتوجه الشيخ إلى ميهنه ، واعتكف في تلك الصومعة التي كانت مقرأه ، وأخذ يمارس قواعد الزهد ، واعتراه وسواس عظيم ؛ حتى أنه كان يغسل باب الصومعة وجدرانها ، ويصب عدة أباريق في الوضوء ، ويغتسل كل صلاة . ولم يكن يتكئ على باب أو جدار قط ، أو يضع جنبه على فراش . وكان في هذه المدة يملك ثوباً واحداً ، وكلما تمزق خاط

عليه رقعة حتى صار وزنه في النهاية عشرين منا . ولم يخاصم أحدا قط ، ولم يتحدث إلى أحد إلا في وقت الضرورة ، ولم يتناول في هذه الفترة (ص ٢٩) طعاما قط في النهار ، وكان يفطر على كسرة من الخبز ، ويستيقظ الليل . وأحدث في جدار صومعته فتحة بمقدار طوله وعرضه وصنع لها بابا ، كان حين يذهب إليها يفلق بابها وباب المنزل والصومعة جميعا ويستغل بالذكر ، بعد أن يسد أذنيه بالقطن حتى لا يسمع صوتا يشغل خاطره . وكان يرعى سره دائما حتى لا يطوف بقلبه شيء . سوى ذكر الحق سبحانه وتعالى ، وأعرض عن الخلق تماما ، ولما مضت مدة على هذا لم تعد له طاقة على محبة الخلق ، وصارت رؤية الخلق مشقة طريقه ، وكان يذهب دائما إلى الصحارى ويتجول في الجبال والفيافي ، ويأكل من نباتات الصحراء . وكان يختفي في الصحراء لشهر أو أقل ثم يخرج والداه يبحث عنه ليلا نهار فلا يجده حتى إذا مارآه أحد من أهل ميهنة في برية أو مزرعة ، أو رآته قافلة في مكان من الصحراء أخبروا والده فيذهب ويعيده . وكان الشيخ يعود لإرضاء لوالده ، وبعد أن يقم عدة أيام كان لا يطيق مشقة الخلق فيعود إلى الجبال والصحارى . وكثيرا ما كان أهل ميهنة يرونه مع شيخ مهيب يرتدى ثوبا أبيض وعندما بلغت حاله تلك الدرجة سألوه قائلين : أيها الشيخ ، كنا نراك في ذلك الوقت مع شيخ مهيب ، فن كان ذلك الشيخ ؟ قال إنه الخضر عليه السلام .

وقد رأيت مكتوبا بخط الشيخ أبي القاسم الجنيد بن علي الشرمقاني جاء فيه (ص ٣٠) : كنت أسير مع الشيخ أبي سعيد قدس الله روحه العزيز في طريق ميهنة فقال لي بجوار جبل : يا أبا القاسم ، هذا هو الجبل الذي رفع منه الله عز وجل إدريس إلى السماء إذ يقول : « ورفعناه مكانا عليا » وأشار إلى جبل يعرف بصومعة إدريس عليه السلام على بعد فرسخين من « حرو » و « تياران »

ثم قال: إن الناس يأتون من الشرق والغرب ويجمعون في هذا الجبل ويمضون الليل هنا ويصلون كثيرا . وكثيرا ما حضرت أنا أيضا إلى هنا ، وذات ليلة كنت في هذا الجبل وكان هناك تل بارز منه يفقد من يرقاه الوعى رعبا إذا نظر إلى أسفل ؛ وفي ذلك الوقت فرشت السجادة على التل وفكرت في أن أختم القرآن في ركعتين بتوفيق الله ، وقلت لنفسي إنه إذا غلبني النوم سقطت وتمزقت إربا . وعندما قرأت جزءا من القرآن وسجدت غلبني النوم واستسلمت له فسقطت في الحال . ولما استيقظت رأيت نفسي في الهواء فطلبت الأمان ، فرفعى الله تعالى بفضله من الهواء إلى قمة الجبل .

وكان أكثر مقام الشيخ في الرباط القديم وهو رباط بحوار ميهنه على طريق 'بيورد . وقد قام الشيخ فيه بكثير من الرياضات والمجاهدات ؛ وكانت هناك هضبة على طريق مرو باقرب من بوابة ميهنه يقال لها « زعقل » (ص ٣١) . ورباط آخر في طريق طوعس على بعد فرسخين من ميهنه ويقع في سفح الجبل ، وكانوا يسمونه رباط « سركله » ورباط آخر على بوابة ميهنه يؤدي إلى المقابر .

قال الشيخ : ذات يوم كان هناك وحل كثير ، وكنت ضيق الصدر؛ فجلت وجلست على باب المنزل . فخرجت والدتي إلى الباب وأخذت تقول لى : ادخل ، ادخل ، فأجبته بلطف . ولما عرفت أنها ذهبت ، قمت وأمسكت حذاءى فى يدى وأخذت أسير حتى رباط المنقار . وعندما بلغته كان هناك ماء جار ففعلت أقدامى وانعلت حذاءى ، وطرقت الباب . فأقبل حارس الرباط وفتح الباب وأخذ ينظر إلى حذاءى وهو يقول : حذاءؤ جاف فى مثل هذا اليوم ومم كل هذا الوحل ! ! وأخذ يتعجب . ودخلت وأغلقت الباب وقلت : ياربى ! يا إلهى ! إئننى أستحلفك بحمك وبحق ألوهيتك وبحق ربوبيتك وبِعظمتك وجلالك وكبريائك وبسلطانك

وسبحانك وتوفيقك ألا تحبني عنى كل ما طلبته منك ومنحتني لي ، وما لم أطلبه منك ولم يصل فهمي إليه وخصصتني به ، وكل ما هو مخزون ومكنون في علمك وليس لأحد (ص ٣٢) علم به ولا سبيل لأحد إليه ولا يعرفه أحد ولا يدركه إلا أنت ؛ أن تحقق أربي . وعندما دعوت هذا الدعاء خرجت ثانية وعدت إلى المنزل .

كانت هذه الأمكنة المذكورة كلها أما كن عبادة الشيخ ، إذ أنه كثيرا ما كان يقيم فيها عندما يكون في ميمنه . وهناك أما كن أخرى كثيرة يطول الأمر لو ذكرت ، وليس في ذكرها فائدة أكثر من هذا . ولو وفق الله أحدا وذهب إلى هذه الأماكن وزارها لعرف أنها كانت مقرا لعظيم الدهر وأوحد الدنيا .

ودأب الشيخ على أن يهرب من الناس ويشغل بالعبادة والمجاهدة والرياضة وحيدا في هذه الأماكن . وكان والد الشيخ يبحث عنه دائما ويعيده إلى المنزل في لطف بعد شهر أو أكثر أو أقل ويراقبه حتى لا يهرب .

وقد حكى والد الشيخ (هذه القصة) فقال : عندما كنت أقم من الصلاة كل ليلة وأعود إلى المنزل ، كنت أغلق الباب بالسلاسل وأنصت حتى ينام أبو سعيد وعندما يأتى إلى فراشه وأظن أنه استسلم للنوم أنام أنا أيضا .

وذات ليلة استيقظت من النوم في منتصف الليل ونظرت فلم أرا أباسعيد في الحجرة فقممت وبمحت عنه في المنزل فلم أجده . وذهبت إلى باب المنزل فلم أجده السلاسل في مكانها فعدت ونمت وأنا أصغى .

وعند (ص ٣٣) الفجر دخل أبو سعيد من باب الدار في هدوء وأغلق الباب بالسلاسل وارتدى ثياب النوم ونام . وجعلت أرقبه عدة ليال فكان يفعل هذا ، ولم أطلع على هذا الأمر وتظاهرت بأننى غافل عنه ، ولكننى كنت أرقبه كل

ليلة . ولما تكرّر هذا أخذتني عليه شفقة الأبوة واتبعتني المواجس المختلفة
« فالصديق مولع بسوء الظن » ، وأخذت أقول لنفسي إنه شاب ولا يبعد وفقاً
لحكمة « الشباب شعبة من الجنون » أن يقطع عليه الطريق إنس أوجن . واستقر
رأبي على أن أراقبه ليلة لأرى إلى أين يذهب وماذا يفعل .

و ذات ليلة عندما نهض وخرج قمت أنا أيضاً وسرت في أثره ، وأخذت أتبعه
حيثما ذهب وأنا أراقبه من بعيد بحيث لا يشعر بي . وجعل أبو سعيد يسير حتى الرباط
القديم ، وهناك دخل وأغلق على نفسه الباب فصعدت على سطح الرباط فرأيت
وقد دخل إلى المسجد الذي به وأغلق الباب ووضع خشبة خلفه . وأخذت أراقبه
من طاقة المسجد ، وكان بالمسجد عمود من خشب ربط به حبل ، فأمسك العمود ،
وكان في ركن المسجد بئر ، فسار إليها وربط الحبل في قدميه ووضع العمود
على فوهة البئر وعلق نفسه بالحبل وتدلّى في البئر ورأسه إلى أسفل ؛ وأخذ يقرأ
القرآن وأنا أنصت إليه ، وكان قد ختم في وقت السحر ثم سحب نفسه من
البئر ووضع العمود مكانه وفتح الباب (ص ٣٤) وخرج ، وأخذ يتوضأ في وسط
الرباط . فنزلت من سطح الرباط وعدت مشرعا إلى المنزل ونمت مطمئنا حتى جاء
أبو سعيد ونام كما يفعل كل ليلة . وعند ما حان الوقت الذي نهض فيه كل ليلة
قمت وأيقظته كالعادة وذهبت مع الجماعة ، وجعلت أراقبه عدة ليال فكان
يفعل هذا ، وظل يواظب على هذه الرياضة زمنا .

وكان يأخذ المكنتة ويكنس المساجد ويساعد الضعفاء ، كما كان يذهب
أكثر الليالي إلى تلك الشجرة القائمة على باب روضته المقدسة ويتعلق بغصن من
أغصانها ويشغل بالذكر ؛ وكان يغتسل في جميع الأوقات حتى في البرد القارس
بالماء البارد ؛ ويقوم بخدمة الداريز بنفته .

وقد ورد على لسان شيخنا يوما أثناء الحديث قوله : في يوم من الأيام قلت .
لنفسى إننى أملك العلم والعمل والمراقبة جميعا ، ويلزم الآن الغيبة عنها . وتفكرت
فوجدت أن هذا الأمر لا يتحقق إلا فى خدمة الدراويش ، لأنه « إذا أراد الله بعبده
خيرا دلّه على ذل نفسه » . وعلى هذا اشتغلت بخدمتهم ، وكنت أنظف صوامعهم
ودورات مياههم ، وأخذت نبيلا وأقوم بهذه المهمات ، وأخرج به فضلاتهم . ولما
واظبت على هذا العمل وأصبح عادة اشتغلت بالسؤال من أجل الدراويش ، لأننى
لم أَر شيئا أقسى على النفس من هذا . وفى البداية كان كل من يرانى يعطينى
دينارا ، وبمضى الزمن تناقص هذا العطاء حتى بلغ دافقا واحدا . ثم ظل ينقص شيئا
فشيئا حتى وصل إلى حبة من الزبيب أو جوزة . وانتهى الأمر إلى الكف عن إعطائى .
حتى هذا .

وذات يوم (ص ٣٥) كانت هناك جماعة من الدراويش ولم يكن هناك
فتوح ، فبعت عمامتى التى على رأسى ، ثم بعت نعلى ، ثم بطانة الجبة ، ثم
الجبة نفسها . وقد رآنى والذى يوما عارى الرأس والجسد فلم يحتمل هذا ، وقال لى :
يا ولدى ماذا يقال عن هذه الحال !؟ فقلت له : لا تهتم بما يقول أهل ميهنه .

وكان شيخنا يكنس المساجد دائما ، ويبذل ماله وجاهه على الدراويش وغيرهم
من الخلق حتى ولو كان كسرة خبز . وكان إذا ما أشكل عليه أمر ذهب إلى
الشيخ أبى الفضل فى سرخس حافى القدمين فيحل المشكل ثم يعود .

وقد جاء فى رواية صادقة عن الشيخ عبد الصمد ، أحد مریدی الشيخ ، أنه فى
أكثر الأوقات التى كان الشيخ يذهب فيها إلى سرخس على هذا النحو ، كان
يذهب معلقا فى الهواء ، فيما بين الأرض والسماء ، دون أن يراه سوى أرباب التصوف .
وكان للشيخ أبى الفضل مرید يدعى « أحمد » ، وذات يوم رأى الشيخ آتيا فى

الهواء فذهب إلى الشيخ أبي الفضل وقال له : إن أبا سعيد الميهني قادم ، وهو يسير معلقا في الهواء فيما بين الأرض والسماء . فسأله الشيخ أبو الفضل : رأيت ذلك ؟ فأجاب : أجل رأيت . فقال له أبو الفضل إنك لن تموت حتى يكف بصرك . وقال الشيخ عبد الصمد إن « أحمد » كف بصره في أواخر عمره كما قال الشيخ أبو الفضل .

وعند ما أمضى الشيخ مدة في المجاهدة على هذا النحو رجع إلى أبي الفضل حسن في سرخس ، ولبت معه عاما . وأمره أبو الفضل برياضات أخرى ، ثم ألبسه الخرقه ، وهذه رواية ضعيفة .

أما الرواية الصحيحة فهي أن الشيخ قدس الله روحه العزيز اشغل أثناء حياة الشيخ أبي الفضل حسن بالرياضة والمجاهدة (ص ٣٦) ولم يتقلد الخرقه . وعندما توفي الشيخ أبو الفضل ذهب شيخنا إلى أبي عبد الرحمن السلمي وتقلد منه الخرقه . وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قد تقلدها من يد أبي القاسم النصرابادي ، والنصرابادي من يد الشبلي ، والشبلي من يد الجنيد ، والجنيد من يد سري السقطي ، والسقطي من يد معروف الكرخي ، والكرخي من يد جعفر الصادق ، والصادق من يد أبيه محمد الباقر ، والباقر من يد أبيه علي زين العابدين ، وعلي زين العابدين من يد أبيه أمير المؤمنين الحسين ، والحسين من يد أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليهم ، وعلي بن أبي طالب من يد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وعندما تقلد شيخنا الخرقه - وفقا لتلك الرواية الضعيفة - قال له أبو الفضل : لقد تم كل شيء الآن ، عليك أن تتوجه إلى ميهنه ، وتدعو الخلق إلى عبادة الله ، وتعظمهم . وجاء الشيخ أبو سعيد إلى ميهنه عملا بإشارة الشيخ أبي الفضل ، وأكثر من الرياضات والمجاهدات ، ولم يكتف بما أشار به الشيخ ، وأخذ يزيد من العبادة والرياضة كل يوم . وفي هذه المرة ظهر قبول الخلق للشيخ على نحو ما جرى

على لفظه المبارك في أحد المجالس ، فقد سئل قدس الله روحه العزيز عن هذه الآية : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » ، فقال شيخنا قدس الله روحه العزيز: إن هذه الآية صحيحة عن أحوال الصوفية ، فذلك هو المقام الأخير الذى يظهر بعد كل هذه الجهود والعبادات والأسفار والإقامات والآلام والامتنانات والمحقرات والمذلات كلها واحدة واحدة ، ويسمح لهم بالعبور إليه .

ففى البداية يدلونه على باب التوبة ليتوب ويسترضى خصمه ، ثم يعمل على إذلال النفس ، ويتقبل جميع الآلام ، ويسعى لراحة الخلق بقدر ما يستطيع . ثم يشتغل بأنواع الطاعات (ص ٣٧) فيقوم الليل ، ويجوع النهار ، ويؤدى القرائن ، ويزيد كل يوم فى جهوده ، ويوجب على نفسه أشياء جديدة . وقد فعلت هذا كله فأوجبت على نفسى فى البداية ثمانية عشر شيئاً ، وفتحت لنفسى بهذه الأشياء ثمانية عشر ألف عالم ، فداومت على الصوم ، وامتنعت عن اللقمة الحرام ، وواظبت على تلاوة الذكر ، وقت الليل ، ولم اضطجع على الأرض ، ولم أنم إلا وأنا جالس وكنت أجلس مولياً وجهى إلى القبلة ، ولم أنكس على شئ ، ولم أنظر إلى شاب أمرد نظرة سوء ، ولم أنظر إلى الحرمات ، ولم أستعبد لأحد ، ولم أسأل أحداً شيئاً . وكنت قائماً مستسلياً لإرادة الله . كما كنت أجلس فى المسجد دائماً ولا أذهب إلى السوق لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إن أسوأ الأماكن الأسواق وأفضلها المساجد .

وكنت متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما أفعل ، وكنت أختم القرآن كل يوم وليلة ، وكنت أعبى فيما يبصر وأصم فيما يُسمع وأبكم فيما يقال ، وظللت عاماً لا أتحدث مع أحد فأسمانى الناس مجنوناً ، وأجزت لهم ذلك بحكم هذا الخبر الذى يقول : « لا يكمل إيمان العبد حتى يظن الناس أنه مجنون » .

وقت بعمل كل شيء . قرأت أو سمعت أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قام به
أو أمر به حتى أنني سمعت أن المصطفى صلى الله عليه وسلم جرح في قدمه في غزوة
أحد فلم يستطع الوقوف عليها فكان يصلي على أطراف أصابعه ، فوقفت بحكم
متابعته على أطراف أصابعي وصليت أربع مائة ركعة ، وجمعت حركات الظاهرة والباطنة
وقال للشفعة بحيث صارت العادة طبيعة . وكل ما سمعت وقرأت أن للملائكة تقبله
فعلته وقت به (ص ٣٨) حتى أنني سمعت وقرأت أن الملائكة تعبد الله على
رؤوسها ، فوقفت على رأسي فوق الأرض وأمرت أم أبي طاهر الموقفة أن تربط
أصبع قدمي بجبل وتربطه في مسار وتعلق على الباب . ولما فعلت قلت : يا إلهي
إنني لا أريد نفسي فنجني منها . وبدأت أقرأ القرآن ، وعندما بلغت هذه الآية
« فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » تدفق الدم من عيني وغبت عن الوعي .

وبعد ذلك تبدلت الأمور .

وقد مرت بي رياضات من النوع الذي لاتصوره العبارات ، وقد أعاني الحق
عليها ووقفت فيها . وكان يخيل إلي أنني أقوم بكل هذه الأعمال بنفسى ، ولكن
ظهر فضل (ربي) وأوضح لي أن الأمر لم يكن كذلك ، وأن هذه الأعمال كلها
كانت بتوفيق الحق وفضله ، فثبت عن هذا الظن ، وتبينت أن ذلك كله كان محض
وهم وغرور . فإذا قلت أنت الآن : إنني لن أسلك هذا الطريق لأنه وهم ،
تقول لك : إن امتناعك عن عمل هذا وهم ، فما لم ير عاك هذا كله
لا يظهر لك هذا الوهم ، لأنك إذا لم تتجاوز الشرع لا يظهر هذا الوهم ، والوهم
كان موجودا في الدين ، وعدم ممارسته كفر في الشرع ، وفي الممارسة
والرؤية (عدم الغناء عن النفس) شرك ، فإذا كنت أنت موجودا وهو
موجود فإنه يكون هناك اثنان وهذا شرك . ولذلك يجب أن تفنى نفسك .
وكانت لي صومعة كنت مغرما بإفناء نفسي فيها ، فظهر لي نور بدد ظلمة

وجودى ، وكشف لى الله عز وجل عن أننى لم أكن هذا ولا ذاك ، وإنما هو توفيق
الله وفضله ، ورحمته وعنايته (ص ٣٩) حتى أننى أخذت أردد :

« رباعية »

عندما أفتح عيني أشاهد جمالك كله
وعندما أحدثك بسرى يصبح جسدى كله قلبا
وأشعر أنه حرام على أن أتحدث إلى موك
وعندما أتحدث إليك أطيل الحديث

ثم بدأ الناس ينظرون إلى بكثير من التبجيل والرضا ، وأخذ المريدون
يتجمعون حولى ويتوبون على يدى . وامتنع جيرانى عن شرب الخمر احتراما لى
حتى بلغ بهم الأمر أن اشتروا قشرة بطيخ وقعت من يدى بمبلغ عشرين دينارا .
وفى يوم كنت امتطى جوادا فأسقط هذا الجواد بعض الروث فأقبل الناس ومسحوا
به رؤوسهم ووجوههم . وبعد ذلك كشف لى أن ذلك — الاحترام — لم يكن
من أجلى . وجاءت صيحة من جانب المسجد تقول « أو لم يكفك ربك » ، فظهر
نور فى صدرى ، وارتفعت أكثر الحجب حتى رفضنى كل من كان قد تقبلنى من
الناس إلى حد أنهم ذهبوا إلى القاضى وشهدوا بكفرى ، وقالوا إن كل أرض
مررت فيها لا ينبت فيها نبات بسبب ما أجلبه لها من الشؤم . وكنت قد جلست
فى المسجد يوما فأقبلت بعض النسوة وألقين القاذورات على رأسمى . وكان
ذلك الصوت يصيح « أو لم يكفك ربك » . وكفت حشود ذلك المسجد عن
الصلاة وأخذوا يقولون إننا لن نصلى جماعة مادام هذا المجنون فى المسجد .
فجعلت أردد :

رابعة »

كنت أسدا وكان النمر صيدى
وكنت مظفرا أينما توجهت
ولكن ، منذ تملكى عشقك
طرذنى الثعلب الأعرج من عربى ١

ومع هذا كله انتابتنى حال من القبض وفتحت المصحف على تلك النية فوقعت
عيني على هذه الآية : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » (ص ٤٠)
كما لو كان الله تعالى قال لى : كل ما أضع فى طريقك من البلاء إن يكن خيرا
فهو بلاء ، وإن يكن شرا فهو بلاء ، فلا تهبط إلى الخير والشر وعد إلى . ثم فنيته
عن هذا أيضا وأصبحت رحمته كل شئ .

» بيت «

— بفساد اليوم بخارى فى كل حال ،
فحيثما يسكون أمير خراسان يكون الظفر هناك .

وقد جرى هذا الحديث على لسان شيخنا قدس الله روحه العزيز أثناء مجلس
من المجالس .

وفى خلال تلك الأحوال توفى والد الشيخ وأمه فارتفع بذلك قيد كان يقيد
من أجل إرضائهما . فتوجه إلى الصحراء الواقعة بين « باورد » و « سرخس » ، وقضى
سبع سنوات مشغلا بالرياضة والمجاهدة بحيث لم يكن أحد يراه إلا نادرا . ولا يعرف
مما كان يقتات خلال هذه السنوات السبع . ولقد سمعنا من شيوخنا وما هو متداول
على أفواه الناس ، سواء منهم العامة والخاصة ، أن شيخنا قدس الله روحه العزيز
كان يقتات خلال هذه الأعوام بنباتات الصحراء .

وروى أنه عندما بلغ حال الشيخ تلك الدرجة التي بلغها وأصبح مشهوراً ، كان قد جلس يوماً على باب روضته المقدسة ، عمرها الله ، وكان أحد مريديه يقطع بطيخة حلوة بالسككين ، وكان يقلبها في السكر ليأكل منها الشيخ وممر أحد المنسكبين على هذا المكان فقال له : أيها الشيخ ، ما طعم ذلك الذي تأكله الآن ، وماذا كان طعم ما كنت تأكله طيلة الأعوام السبعة ، وأيهما أطيب ؟ فقال الشيخ : إن لكل منهما طعم الوقت ، فإذا كان للوقت (ص ٤١) صفة البسط يكون ذلك العشب والشوك أطيب من هذا - وأشار إلى البطيخ - وإذا كان هناك قبض « لأن الله يقبض ويبسط » ، والمطلوب في الحجاب ، فإن هذا السكر ليس أطيب من ذلك الشوك . ولهذا قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : كل من رآنا في أول الأمر صار صديقاً ، وكل من رآنا في النهاية صار زنديقاً .

يعنى أنه في أول الحال تكون الرياضة والمجاهدة ، ولما كان الناس كثيراً ما يرون الصورة ويعبدون الظاهر ، فإنهم حين كانوا يرون تلك الحياة ويشاهدون تلك المجاهدات في طريق الحق كان صدقهم يزداد في هذا الطريق فينالون درجة الصديقين . وفي آخر الحال تكون المشاهدة ويكون الوقت قد حان لظهور ثمرة تلك المجاهدات ، فلا بد أن يكون التمتع بالرفاهية ، وتكون الحال الأولى على عكس هذه فيفسكرون ما هو حق ، وكل من يفسر الحق يكون زنديقاً . وهناك أدلة كثيرة على هذا منها أنه إذا أراد شخص أن يتقرب إلى ملك ليكون صاحب سره ؛ فإنه ينبغي عليه أن يواجه كثيراً من الآلام والبلايا ، وأن يتذوق أنواع المشقات وأن يحتمل الطيب والوضيع ، وأن يستمع إلى الأقوال الغليظة ، ويجب عليه أن يصبر على هذا كله ، وأن يتقبل كل هذه الآلام بوجه باش وطبع سمح ، ويؤذى

فى مقابل كل جفوة خدمة ، ويقول فى مقابل كل سب ثناء وودعاء حتى يصل إلى مرتبة صاحب سر الملك . ومن كل ألف يستطيع فرد واحد أن ينفذ هذا . وإذا فقهه فقد يصل إلى هذه المرتبة أو لا يصل . وعندما يشرف برضاء الملك (ص ٤٢) ويحصل على شرف القرب منه يجب عليه أن يؤدي كثيرا من الخدمات الحسنة حتى يعتمد الملك عليه . وعند ما يعتمد عليه ويصبح أهلا لمنزلة صاحب السر ، وتكون جميع المشقات قد ذهبت وحلت محلها الكرامة والقرب والمنزلة والنعمة والراحة ، فإنه عندئذ تبدو وجوه اللذة والراحة ، ولا يبقى أى عمل لهذا الشخص سوى ملازمة الملك . وهو لا يستطيع أن يغيب عن بلاط الملك طرفه عين فى أى وقت من الأوقات سواء فى الليل أو النهار حتى إذا ما طلبه الملك فى أى وقت ، أو أراد أن يفضى إليه بسر ، أو يمنحه شرف مناقشته ؛ وجده بين يديه . وهذه الدرجات واضحة ، والقياس عليها ظاهر .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : كنت كلما اعترضتنى مشكلة أذهب إلى الشيخ أبى الفضل ليلا فيحل ما أشكل علىّ ثم أعود فى الليل .

وبعد أن أقام الشيخ سبع سنوات فى الصحراء على هذا النحو عاد إلى ميهنة . قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : ثم أخذت استشير الشيخ أبى العباس القصاب قدس الله روحه العزيز إذ كان آخر من تبقى من المشايخ . ذلك أنه بعد وفاة الشيخ أبى الفضل ، والذي كنت ألجأ إليه فى كل إشكال يعترضنى ، لم يكن هناك من ألجأ إليه لحل مشاكلى غير الشيخ أبى العباس القصاب . ولم يكن شيخنا أبو سعيد قدس الله روحه العزيز يدعو أحدا بكلمة « شيخ » سوى أبى العباس القصاب وكان يدعو الشيخ أبى الفضل بالمرشد (پير) (ص ٤٣) لأنه كان مرشده فى الصحبة . قال الشيخ : بعد ذلك ذهبت إلى « آمل » بجوار « باورد » و « نسا »

قاصدا زيارة قبور المشايخ ، وكان معي أحمد النجار ومحمد بن الفضل .

وكان محمد بن الفضل مريدا ورفيقا للشيخ منذ البداية حتى النهاية وقبره بجوار
قبر الشيخ أبي الفضل حسن في سرخس .

قال الشيخ: وذهب ثلاثتنا إلى باورد . ثم قصدنا « شاه ميهنه » عن طريق
وادی الكز .

وقرية « شاه ميهنه » قرية من أعمال وادی الكز ، وكانت تسمى قبل ذلك
« شامينه » . وعندما بلغ الشيخ قدس الله روحه العزيز ذلك المكان سأل : ماذا
يسمون هذه القرية ؟ فقالوا « شامينه » : فقال الشيخ قدس الله روحه العزيز :
ينبغي أن تسمى هذه القرية « شاه ميهنه » ومنذ ذلك الوقت وهم يسمونها بهذا
الاسم تيمنا بقول الشيخ ، وعملا بإشارته الشريفة .

قال الشيخ: ذهبنا لزيارة قبر الشيخ أبي علي وكان هذا هدفنا . وعندما اقتربنا
من القبر كان هناك جدول ماء وحجر على شاطئه فتوضأنا عليه وصلينا ركعتين .
ورأينا صبيا يقود ثورا ويقوم بحراثة الأرض . وكان على حاشية الحقل شيخ ينثر
البذور ، وقد بدا مذهولا ؛ لأنه كان ينظر إلى القبر كل لحظة ويصيح ، فتملكني
الاضطراب . وتقدم الشيخ وسلم علينا وقال : هل يمكنك أن ترفع عبئا عن
كاهلي ؟ قالت : إن شاء الله . فقال : كنت أفكر الآن أنه إذا كان الله تعالى
عندما خلق هذه الدنيا لم يخلق فيها أي كائنات ، وملأها بالحب من الشرق إلى
الغرب ومن الأرض إلى السماء ، وجعل فيها طائرا واحدا وقال له : درزقك كل
ألف سنة هو حبة واحدة من هذا الحب ، (ص ٤٤) وخلق إنسانا واحدا وأودع
قلبه هذا المعنى وخاطبه قائلا : لن تصل إلى مقصودك حتى يجلي هذا الطائر
العالم من هذا الحب ، وستظل تكابد هذا العناء من ألم ووجد ، فإن هذا

الأمر سرعان ما ينتهى . قال الشيخ أبو سعيد : فخل ذلك الشيخ ما أشكل على وأصبح الأمر واضحا أمامى .

وعندما بلغنا قبر أبى على فتح الله علينا وحظينا بالنفحات ، ثم قصدنا نسا . ولما بلغ شيخنا قدس الله روحه العزيز مدينة نسا كانت هناك قرية بجوار المدينة يسمونها « اندرمان » فأراد أن ينزل بها وسأل عن اسمها فقالوا : « اندرمان » . (ابق فيها) فقال : لن فنزل فيها حتى لا فبقى ، ولم ينزل بها ، وكذلك لم يدخل مدينة نسا وسار خارجها . ومر بقرى نزل في واحدة منها تسمى « ردان » ، ثم توجه إلى « ييسمة » . وفى ذلك الوقت كان الشيخ أحمد بن نصر من كبار المشايخ مقبلا في مدينة « نسا » ، وينزل في خاتقاه سرواى التى تقع في أعلى المدينة بالقرب من الجبل حيث قبور المشايخ والعظماء .

[وقد بنى الأستاذ أبو على الدقاق قدس الله روحه العزيز خاتقاه وفق إشارة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأنه عندما جاء الدقاق إلى نسا لزيارة قبور المشايخ لم يكن للصوفية مكان ، فنام تلك الليلة ، ورأى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى النوم ، فأمره بأن يبنى للصوفية مكانا فى هذه البقعة ، وأشار إلى المكان الذى توجد به هذه الخانقاة الآن ، ورسم خطا حوله لتبنى فيه . وفى فجر الغداة نهض الأستاذ أبو على وجاء إلى ذلك المكان فوجد الخط الذى رسمه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه واضحا على الأرض ، وكذلك رآه الجميع . فبنى الأستاذ أبو على تلك الخاتقاه على الخط . وبعد ذلك جاء كثير من الصوفية والمشايخ إلى تلك البقعة . (ص ٤٥) ولا يزال أساس هذه الخاتقاه باقيا وظاهرا حتى اليوم . ويوجد فى المقبرة التى على طريق الجبل بجوار الخاتقاه قبور أربعائة شيخ من كبار المشايخ ومشاهير الأولياء ؛ ولهذا يسمى الصوفية مدينة

« نسا » بالشام الصغرى ، فكما توجد قبور الأنبياء فى الشام ، توجد قبور الأولياء فى نسا .

ومدينة نسا أرض كريمة جداً ازدانت دائماً بوجود المشايخ الكبار وأرباب الكرامات وأصحاب المقامات . وقد ذكر المشايخ أن البلايا والفتن التى كانت تظهر فى خراسان ما تلبث حتى تبدد حين تتجه إلى نسا . ولقد شاهدنا هذا الأمر بأنفسنا ، فى خلال الثلاثين سنة أو أكثر التى اشتعلت فيها الفتن والنارات والنهب والحرق والقتل فى خراسان دفع الله سبحانه وتعالى بفضل رحمته ولطفه وبركة المشايخ كل كارثة وفتنة اتجهت إلى نسا .

والآن وفى هذا العهد ، عهد قحط الدين واختفاء الإسلام وبخاصة فى خراسان حيث لم يبق من التصوف لا الاسم ولا الرسم ، ولا الحال ولا القال ، قد بقى هناك كثير من المشايخ ذوى العهد ، والمرشدون أصحاب الأوقات والأحوال أطال الله بقاءهم ، فلا جرم أن الأثر « بهم . رزقون وبهم يطرون » مع أنه ظاهر يتضح أكثر .

ويقيم فى هذه الولاية كثير من الصوفية أصحاب الخرق ممن لا مثيل لأحدهم فى كثير من الولايات . ورغم أن أكثر الأولياء قد اختفوا عن أبصار العامة خلف ستار « تحت قبابى لا يعرفهم غيرى » (ص ٤٦) إلا أن آثار عهودهم وبركات أنفاسهم كثيرة جداً .

وقد اتخذ الشيخ أحمد بن نصر الذى كان مقياً فى خانقاه سرواى صومعة فى هذه الخانقاة التى يسمونها الآن زاوية الشيخ .

وأخرج — الشيخ أحمد بن نصر — رأسه من الصومعة وقال للجماعة الذين جلسوا معه على صفتها : هاهو صقر الطريقة — يقصد أبا سعيد — يمر الآن وعلى كل من يريد أن يراه أن يذهب إلى يسمه ليراه هناك .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : عندما ذهبنا إلى نسا قصدنا ببسمة إذ كان في نيتنا زيارة قبر أحمد بن علي .

وبسمة هذه قرية على بعد فرسخين من نسا وبها قبر الشيخ أحمد بن علي النسوي، وكان من مشاهير مشايخ خراسان ومريدا للشيخ عثمان الحبري . ويذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلي في كتابه « طبقات أئمة الصوفية » اسمه على أنه « محمد بن عليان النسوي » ، ولكنه معروف في ولاية نسا بأحمد بن علي . وكانت له أحوال شريفة وكرامات ظاهرة منها: أنه عندما رجع الشيخ قدس الله روحه العزيز من ذلك السفر وظهر شأنه في التصوف أرسل ابنه الأكبر أبا طاهر لأمر في مدينة نسا . وعندما بلغها أبو طاهر أصيبت قدمه بحيث لم يكن يستطيع الحركة . وفي أثناء غيابه ولد للشيخ في ميته ابن . وعرف الشيخ بفراسته وكرامته مرض السيد أبي طاهر ، فدعا أحد الدراويش وقال له : ينبغي أن تذهب إلى أبي طاهر في نسا ، فقد بلغنا أنه أصيب في قدمه ، ويجب أن يذهب إلى قبر أحمد بن علي في بسمة (ص ٤٧) ليشفي من مرضه إن شاء الله تعالى . وكتب الشيخ رسالة إلى أبي طاهر جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، سنشد عضدك بأخيك » . وعندما وصلت الرسالة إلى أبي طاهر خرج للزيارة ، فخلوه على محفة إلى بسمة ، وأقام ليلة على قبر أحمد بن علي . وفي اليوم التالي شفاه الله سبحانه وتعالى وزالت آلامه .

قال الشيخ : وزرنا قبر أحمد بن علي ، وصادفتنا واقعة ، فقد دخنا القرية لنخرج من طريق آخر ، وكان هناك قصاب شيخ جالسا على باب حانوته فتقدم إلينا وحيانا وأرسل صبيه خلفنا ليرى أين نزل . وكان هناك مسجد بجوار النهر فنزلنا فيه وتوضأنا وصلينا ركعتين . وأقبل ذلك الشيخ وأحضر طعاما فكلنا ، وعندما انتهينا قال القصاب للشيخ : هل بينكم من يجيب على مسألة ؟ فأشاروا

إلى ، فسألني : ما شروط العبودية وما شروط الأجر ؟ فأجبته بنصوص من علم الشريعة ، فقال : أليس هناك شيء آخر ؟ فنظرت إليه في صمت ، فالتفت الشيخ إلى قائلاً في غضب : لا نتحدث غما طلاقه ؛ بمعنى : أنت طالقت علم الظاهر ولما سألتك أجبت من الشريعة ، فادست قد طلقت ذلك العلم فلا تعد إليه .

[وقد حدث ذلك على هذا النحو ؛ فعندما قاد الشيخ لقمان شيخنا إلى أبي الفضل حسن في سرخس وأمره بتلك الرياضات والمجاهدات وتحول الشيخ من علم القال إلى علم الحال ، جمع الكتب التي قرأها والمذكرات التي كتبها ودققها وشيد فوقها (ص ٤٨) دكاناً وزرع غصنا امتدت فروعه فوق ذلك الدكان ، ونما واخضر في أمد قصير وصار شجرة كبيرة . وقد اعتاد أهل بلدنا عند ولادة الأطفال أو غسل الموتى وتكفينهم أن يستعملوا بعض أغصانها أملاً في الحصول على البركة . وكانوا يحملونها إلى الولايات البعيدة ، وظلت خضرًا يابنة حتى عهدنا ، وعندما وقعت حادثة الفز في خراسان ، وكانت الأحوال تسوء كل يوم على مدى أكثر من ثلاثين عاماً ، لم تبق هي أيضاً واندرست مثل الآثار المباركة الأخرى .

وقد تحدث الشيخ قدس الله روحه العزيز عن هذا الأمر في أحد المجالس فقال : في بداية تصوفى عندما فتح الله علي ، كانت لدي كتب كثيرة وأجزاء عديدة تصفحتها واحداً واحداً وقرأتها جميعاً ولكنني لم أحصل على كل ما كنت أصبو إليه من الراحة والاستقرار النفسي ، فدعوت الله عز وجل قائلاً : يا إلهي إن الأمر لم يتكشف لي بقراءة هذه الكتب ، وما زال عاجزاً عن الوصول إليك رغم قراءتها فأجعتني اللهم مستغنياً بشيء أجذك فيه . فتفضل الله علي ، وأخذت أشعر بشيء من الراحة وأنا أمسك بهذه الكتب واحداً واحداً حتى وصلت إلى تفسير الحقائق ، وأخذت أقرأ القرآن فقرأت الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام حتى وصلت إلى هذه الآية « قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم

يلعبون » - وكنت قد حفظها من قبل - وهنا وضعت الكتاب ، وكلما حاولت أن أتقدم في القراءة لم أستطع . (ص ٤٩) وعند ما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز يدفن كتبه ويضع فوقها التراب ويصب عليه الماء ، أخبروا والده بذلك فأقبل والد الشيخ وقال له : يا أبا سعيد ، ما هذا الذي تفعله ؟ فقال له الشيخ : هل تذكر ماذا صنعت يوم جئت إلى حانوتك وسألتك : ما ذا في هذه الخرائط وماذا صنعت في هذه الأجرية ؟ . لقد قلت لي حينئذ : ألا تعرف - اللهجة - البلخية ؟ قلت أعرفها . قلت : لا تكن من أهل مهنه .

وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ يدفن الكتب نظر إليها وقال : « نعم الدليل أنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال » .

وقد جرى على لسان الشيخ أثناء حديثه هذا القول : « بدا من هذا الأمر كسر الحابر وخرق الدفاتر ونسيان العلوم » .

وعندما دفن شيخنا تلك الكتب وغرس الغصن ورواه قال له جمع من السكبة . أيها الشيخ ، أما كان الأفضل أن تعطى هذه الكتب لمن يمكن أن يفيد منها ؟ فقال الشيخ : « أردنا فراغة القلب بالكلية من رؤية المنة وذكر الهبة عند الرؤية » .

وقال الشيخ أيضاً : كنت أقرأ يوماً في أحد كتب السيد الإمام حمدان فقيل لي : أما تزال تقرأ الكتب ؟ . . . أتريد أن نودك إليها ؟ فبتت واستغفرت كثيراً حتى عفوا عني .

وروى أحد أصحاب الشيخ (ص ٥٠) هذه القصة فقال : في إحدى الليالي ظل الشيخ قدس الله روحه العزيز يئن في صومعته حتى الفجر ، فبت منها متألماً

من التفسير في هذا ولم أنم حتى الفجر . وفي الغداة خرج الشيخ فسألته : أيها الشيخ ، ماذا ألم بك بالأمس مما جعلك تتأوه هكذا ؟ . فقال الشيخ : رأيت بالأمس كتابا في يد أحد العلماء فأخذته منه وقرأت فيه وقد عوقبت طوال ليلة الأمس بألم في أسناني ، وقيل لي لماذا تعود إلى ما طلقت ؟^(١)

قال الشيخ : قال لي ذلك القصاب الشيخ : لن تصير عبدا ما لم تمحور نفسك ، ولن تجد الجنة ما لم تصلح وتنصح الأجير : قوله عز وجل « جزاء بما كانوا يفعلون » . قال الشيخ : لقد حلت واقعتنا بقول ذلك الشيخ . وبعد ذلك رحل الشيخ عن نسا وقصد آمل عند أبي العباس القصاب ، ولبت معه عاما . (جاء هذا في رواية وهي أكثر صحة ، وفي رواية أخرى أنه أقام هناك عامين ونصف وهذه الرواية أضعف) . وكان للشيخ أبي العباس القصاب زاوية في خانقاهه على شاكلة الحظيرة اعتكف فيها واحدا وأربعين عاما بين الجماعة ، وكان إذا ما أكثر أحد الدراويش من الصلاة في الليل قال له : « نم يا بني فإن ما يفعله شيخك إنما يفعله من أجلك فلا فائدة له فيه ولا حاجة له إليه ، غير أنه لم يقل هذا قط للشيخ أبي سعيد خلال المدة التي قضاها عنده . وكان الشيخ يصلي طوال الليل حتى الصباح ويصوم دائما . وقد أعطى الشيخ أبو العباس شيخنا زاوية في مواجهة حظيرته ، وكان أبو سعيد يقيم فيها ويمارس أنواع المجاهدات والرياضة ، ويثبت عينيه دائما على ثقب الباب ، ويراقب أحوال الشيخ أبي العباس ~~منهم~~ . وفي يوم من الأيام كان الشيخ أبو العباس قد احتجم ، وفي تلك الليلة انزلق الرباط عن يده فانفتح العرق وأدمى ولوث يده وثوبه فخرج من الحظيرة ولما كان الشيخ أبو سعيد (ص ٥١) يراقب أحواله دائما فقد خرج مسرعا من زاويته وغسل له يده وربطها . وأخذ ثوب القصاب وأعطاه ثوبه وارتنى ثوبا قديما ، وغسل ثوب أبي العباس

(١) ما بين القوسين استطراد يستكمل بعده الفقرة ص ٦١ .

وجفقه في الليل وحمله إليه . فقال له الشيخ أبو العباس : هو لك فالبس . فقال له شيخنا : فإلبسني الشيخ إياه بيده المباركة . فإلبسه الشيخ أبو العباس الخرقة بيده ، وكانت هذه هي الخرقة الثانية التي أخذها شيخنا .

[وحتى لا يذهبن أحد إلى القول بأن من يرتدى خرقة من شيخ لا يجوز له أن يلبس خرقة من شيخ آخر ، نقول إن الأصل في ارتداء الخرق هو أنه حينما يستحق شيخ من شيوخ الطريقة الخرقة بمعنى أنه أصبح أهلاً للاقتداء به بعد أن عرف علوم الشريعة والطريقة والحقيقة وأداها على وجه الكمال ، ورأى وعرف وجرب المقامات والسير في منازل هذا الطريق ومراحلها ، وتطهر من الصفات البشرية فلم يبق له من نفسه شيء ، على نحو ما ذكر الشيخ أبو الحسن الخرقاني في حق شيخنا فقد قال : في الوقت الذي بلغ فيه الشيخ أبو سعيد ما بلغ من التصوف قال : لم تبق هنا بشرية ولا نفس ، الكل هنا حق ، الكل هنا حق ، (وسوف يأتي هذا في مكانه وإنما غرضنا هنا هو الاستشهاد) ، فعندما يقف مثل ذلك المرشد على أحوال مرید أو محب ، ويعلم سره وعلايته عن طريق التجربة ، ويرى لياقة ذلك الرجل بعين البصيرة والبصر ، ويعرف أنه قد ظهر استحقاقه (ص ٥٢) وتقدمه في مقام الخدمة حتى أنه يستطيع أن يجلس بين هذه الطائفة ، ويرى أنه قد تم له الاستعداد لأن يتقدم في الرياضة والمجاهدة حتى يكون واحداً من هذه الجماعة ، وأنه صار أهلاً لهذا بفضل تربية هذا الشيخ أو تربية وإرشاد وهداية شيخ آخر جدير بتربية المريدين ؛ فإنه يلبسه الخرقة اعترافاً منه بأن هذا المرید لائق للجلوس مع هذه الطائفة . وحين يكون هذا الشيخ مقبول القول بين القوم مرموقاً فإن الجميع يعتمدون على كلمته . ولهذا فإن الصوفية إذا ما جهلوا درويشاً حين يدخل عليهم الخانقاه ، أو يريد مصاحبتهم سألوه عن شيخه ، وعن ألبسه الخرقة . وهذا الاتساق

محل اعتبار كبير بين أفراد هذه الطائفة ، وليس لديهم في الطريقة نسب أعظم من هذين التسعين . وكل من لاتصح نسبته في ذلك إلى شيخ جدير بالقيادة أبعده . ولم يكتفه من صحبتهم .

ولرانب الشيوخ والمريدين والخرق والصحة شرح كثير وليس من غرض . هذا الكتاب . وإذا وصل شخص عن طريق التجربة والرياضة إلى درجة عالية ولم يكن له مرشد أو قدوة أنكرته الطائفة . قال شيخنا : « من لم يتأدب بأستاذ فهو بطل ؛ ولو أن رجلا بلغ أعلى المراتب والمقامات حتى تكشف له من الغيب أشياء (ص ٥٣) ولا يكون له مقدم ولا أستاذ فإنه لا يحىء منه شيء » .

ومدار الطريقة على الشيخ لأن « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » . ومن المحقق أنه لا يمكن لأى شخص الوصول إلى شيء بنفسه . وللمشايع أقوال كثيرة في هذا الأمر ، وفي هذه الأقوال فوائد لاحصر لها ، خصوصا شيخنا أبو سعيد . قدس الله روحه العزيز وسوف يرد بعضها في مكانه . ولويدت لشخص تلك الكرامة وتملكه العشق ؛ فإن تلك الآلام تجبره على ملازمة الشيوخ ، والاعتكاف في خلواتهم ليكتسب الفائدة ؛ لأن هذا العلم لا يتأتى إلا عن طريق العشق « ليس الدين بالتمنى ولا بالتجلى ولكن بشيء وقر في القلب وصدقه العمل » .

« بيت »

— يامن لادراية لك بالهترق والاحتراق ،

إن العشق هبة وليس تعلما .

وحق لا يتخذ أحد لنفسه العذر بسبب هذا القول ، ويتعلل بأنه لا يوجد في هذا العهد مثل هذا الشيخ الذى يشترط وجوده ، وأنه لا يوجد الآن واحد من الشيوخ

والأئمة كالذين كانوا من قبل ، لأن هذا . الكلام تشويش نفس وعذر
للتكاسل ؛ نقول إن كل من وجد في نفسه القدرة على هذا الأمر ، وعشق هذا
الطريق ، وجب عليه أن يكون كما قال الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس الله
روحه العزيز : يلزم في البداية عمل شتين ؛ أجدها السفر ، والآخر الأستاذ . وقد
تجولت كثيرا بسبب هذا وصعب على الأمر . وشاء الله تعالى أنه كلما اعترضني
مشكلة وعجزت أمامها أقبل عالم من المذهب الشافعي وناقش معي هذه المشكلة .
وعشت ثلاثا وثمانين عاما مع الحق ، فلم أسجد سجدة مخالفة للشرع ، ولم أتنفس نفسا
واحدا موافقا للنفس . وفي السفر هياؤا لها بخطوة واحدة كل ما بين العرش والثرى .
وعندما يكون العشق صادقا وتكون الإرادة خالصة (ص ٥٤) تكون ثمرة الحياة
طيبة هكذا .

وهناك أصل عظيم متعارف عليه بين هذه الطائفة وهو أن الكل واحد
والواحد كل ، ولا يوجد تضاد وثقائه بين صوفية العالم جملة ، ولا يدخل في هذا
من كان زيفا مظهره كالصوفية . وإذا كانت ألقاظ الشيوخ تختلف من حيث
العبارة فإن المعاني كلها واحدة . ومادام الأمر كذلك فإنه إذا لبس شخص الخرقة
من شيخ فإنهم يسمونها الخرقة الأصلية ، ويسمون الخرق الأخرى خرقة التبرك .
وإذا تأملت هذا الأمر من حيث معناه فإنه مادام الكل واحدا فإن جميع الأيدي
تكون واحدة ، وجميع الأنظار واحدة ، ويكون للخرق نفس الحكم . وكل من
يصبح متبولا عند شيخ يكون مقبولا لدى الجميع ، ومن يكون مردودا لدى واحد
يكون هكذا عند الجميع والعياذ بالله . وكل من يلبس خرقتين يكون كأنه
حصل على دليلين صادقين على أهليته ها خرقة المشايخ والتبرك على أيديهم .

واستمع إلى تحقيق طيب في هذا المعنى ، وعندما ندركه تماما لا تبقى أي

شبهة في أن جميع الشيوخ والصوفية الحقيقيين واحد، وليس لهم ثنائية بأى صفة.

اعلم أن اتفاق جميع الأديان والمذاهب، والمحقق لدى العقلاء، أن المعبود والمقصود جل جلاله واحد، والحق جل جلاله وتقدس أسماؤه واحد من كل وجه، وقطعا ليس هناك مجال للثنائية. وإذا كان هناك اختلاف في السالكين أو الطريق فإنهم عندما يصلون إلى الهدف يرتفع الخلاف ويتبدل كله بالوحدة؛ لأنه طالما بقى السالك شيء من صفات البشرية فهو لم يصل بعد إلى المقصود، وبظهر على حاله القلون في الطريق، فإذا وصل إلى المطلوب والمقصود لا يبقى فيه من هذا كله شيء. وبصير كله وحدة مجردة، ومن هنا يقول واحد من المشايخ «أنا الحق»، ويقول آخر «سبحاتى»، ويقول شيخنا «ليس في جيتى سوى الله».

المحقق إذن أنه إذا لم يصل السالك إلى المقصد؛ فإنه يصبح غير لائق لأن يصير شيخا، بل إنه يكون عندئذ محتاجا إلى مرشد ليدله على الطريق. وكل من يصل إلى مقصده يصبح جديرا بأن يصير شيخا. إذن فأقوال المشايخ أصبحت صادقة بالبرهان؛ لأن ما ذكره من أن الكل واحد، والواحد كل، قد أخبروا به عن الوصول إلى المقصد، ولا تبقى شبهة في هذا بعد ذلك؛ لأنه مادام الكل واحدا والواحد كل؛ فإن أيديهم وخرقهم تكون كلها واحدة. وكل من يقول إنه لا يجوز أخذ خرقه من شيخين؛ فإنه يخبر عن نفسه بأنه مازال في عالم الثنائية وأنه يراهم اثنين، ويعتبرهم اثنين، ولا يعرف شيئا عن أحوال المشايخ، وعندما تفتتح عينيه ويقع نظره على هذا العالم فإنه عندئذ يتحقق.

وربما يريد شخص من القول بأنه لا يجب أخذ خرقه ثانية، نية بطلان الخرق الأولى. هذا القول صحيح؛ فإن الخرق الثانية بهذه النية لا يكون أخذها صحيحا. وكل من يفعل مثل هذا يبطل الخرق الأولى التي ارتداها، ويصبح ارتداء الخرق الثانية حراما عليه، ويحرم بين الجميع من الخرقتين والعياذ بالله.

ولقد لبس الشيخ أبو العباس القصاب الخرقة من يد محمد بن عبد الله الطبري والطبري من يد أبي محمد الجريري، والجريري من الجنيد، والجنيد من سري السقطي، (ص ٥٦) والسقطي من معروف الكرخي، والكرخي من داود الطائفي، والطائفي من حبيب العجمي، والعجمي من الحسن البصري، والبصري من أمير المؤمنين علي رضي الله عنهم أجمعين، وعلي من يد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه [

ثم ذهب شيخنا أبو سعيد إلى زوايته . وعندما فرغوا من صلاة الفجر نظر جماعة المريدين فأروا الشيخ أبا العباس يرتدي ثوب الشيخ أبي سعيد، والشيخ أباسعيد يرتدي ثوب الشيخ أبي العباس فتعجب الجميع وسألوا أنفسهم كيف حدث هذا.. وأدرك الشيخ أبو العباس بفراسه مايجول بخواطهم فقال : حقا لقد كانت كل الهبات بالأمس من نصيب هذا الشاب المينى باركه الله . ثم التفت الشيخ أبو العباس إلى شيخنا وقال له : ارجع إلى ميهنه فسوف يرفعون هذا العلم على دارك بعد مدة قصيرة .

قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : فرجعت إلى ميهنه وفقا لأوامر الشيخ مع مائة ألف مكربة وفتوح . والتفت حولي المريدون، وظهرت أمور .

وعند ما وصل أبو سعيد إلى ميهنه توفي الشيخ أبو العباس في أمل .

قال شيخنا قدس الله روحه العزيز : عندما كنت في أمل، كنت جالسا ذات يوم بين يدي الشيخ أبي العباس القصاب، فدخل رجلان وجلسا أمامه وقالوا : أيها الشيخ لقد جرى بيننا حديث فقال أحدهما إن هوم الأزل والأبد أتم، وقال الآخر إن سرور الأزل والأبد أتم . فإذا يقول الشيخ ؟ فمسح الشيخ أبو العباس

وجبه يديه وقال : الحمد لله أن مقام ابن القصاب ليس ألما ولا سرورا « ليس عند ربكم صباح ولا مساء » ؛ فالألم والسرور صفاتك ، وكل ما هو صفاتك يكون محدثا ، وليس للمحدث طريق إلى القديم . ثم قال : إن ابن القصاب يطيع الله في الأمر والنهي (ص ٥٧) ويتابع طريق المصطفى في السنة . وإذا ادعى أحد أنه يسلك طريق الرجال فدليله هو هذا الذي قلت وليس سبيل العجائز من النساء بل منازل الأبطال . وعندما خرجا سألت من يكونان ؟ . فقال : أحدهما أبو الحسن الخرقاني والآخر أبو عبد الله الداستاني .

قال الشيخ : كنت في خدمة الشيخ أبي العباس القصاب يوما فقال في أثناء حديثه : نصيبك من التوحيد الإشارة والعبارة ، وليس لوجود الحق تعالى إشارة وعبارة . ثم التفت إلى وقال : يا أبا سعيد ، إذا سئلت أتعرف الله تعالى « فلا تقل أعرفه ؛ لأن هذا شرك ، ولا تقل لا أعرفه ؛ لأن هذا كفر ، ولكن قل : « عرفنا الله ذاته وألوهيته بفضله » .

وقال الشيخ : في يوم من الأيام قال الشيخ أبو العباس للجماعة أثناء حديثه ؛ إن أبا سعيد محبوب الملائكة .

وقد ذكر جدى - جد المؤلف - شيخ الإسلام أبو سعيد أنه قد تم للشيخ الكشف في سن الأربعين . ولم يكن في الإمكان سوى هذا ؛ لأن الأولياء الذين هم نواب الأنبياء لا يبلغون درجة الولاية قبل سن الأربعين . وهكذا كان المائة والعشرون ألف نبي ، فقد بلغوا النبوة في سن الأربعين « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة » ، ماعدا يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما وعليهما فقد جاءتهم النبوة والوحى قبل سن الأربعين كما قال سبحانه وتعالى في حق يحيى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » . وقال عن عيسى

« قالوا كيف نكلم من كان في المهد صيباً » . (ص ٥٨) وقد مارس الشيخ قدس الله روحه العزیز الرياضة والمجاهدة أربعين عاماً . ورغم أن الحال والكشف كان قد ظهر قبل ذلك ؛ إلا أنه قام بها من أجل تمام تلك الحال ودوامها ، كما جرى على لسانه المبارك في مجلس من المجالس عندما سئل عن هذه الآية :

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » قال : إن قالب آدم طرح فيما بين مكة والطائف أربعين عاماً ، ووضعت فيه أخلاط كثيرة « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه » ، وملأنا صدره بهذا الشرك والغرور والكبر والإنكار والخصومة والوحشة والغيبة والحديث عن النفس والغير « حين من الدهر » أي لمدة أربعين عاماً ، والآن « بلغ أشده وبلغ أربعين سنة » . وفي هذه السن نخرج من صدور الأجيال ما وضعناه في أربعين سنة لنطهرهم ، وتتم هذه المعاملات في أربعين سنة . وكل بيان يخالف ما ذكرت باطل ، كما أن كل من يمارس المجاهدة أقل من أربعين سنة لا يتم له الكشف ويعود إلى الحجاب ، وكل من يعود إلى الحجاب لا يتم له الكشف . وأنا أقول هذا الكلام لأعين سمع ورؤية وإنما أقوله عن تجربة .

وقد صدق هذا في حكايات الشيخ ؛ ففي الوقت الذي رأى فيه الشيخ أبو سعيد الأستاذ أبا علي الدقاق قدس الله روحهما العزیزة ، كانا جالسين معا يوماً ، فسأل الشيخ الأستاذ أبا علي قائلاً : أيها الأستاذ ، أيكون هذا الكشف على الدوام ؟ فأجاب الأستاذ : كلا . (ص ٥٩) فأخى الشيخ رأسه فترة ثم رفعها وقال مرة أخرى : أيها الأستاذ ، هل يكون هذا الكشف على الدوام ؟ . فأجاب الأستاذ ثانية : كلا . فأخى الشيخ رأسه ثانية ثم رفعها بعد مرور فترة وقال : أيها الأستاذ هل يكون هذا الكشف على الدوام ؟ . فقال الأستاذ أبو علي : إذا كان دائماً

فإن هذا يكون أمراً نادراً جداً. فأخذ الشيخ يصفق وهو يقول : هذه من تلك الحالات النادرة ، هذه من تلك الفوائد !

وكانت تعترى شيخنا بعد هذا حالات من القبض في بعض الأحيان ليس بسبب الحجاب ؛ ولكن بسبب القبض البشري ، فكان يطلب من كل شخص ويسأل كل فرد حتى يظهر البسط .

وقد روى أن الشيخ قدس الله روحه العزيز اعترته يوماً حال من القبض . فأخذ يطلب من كل شخص ، ويسأل كل فرد فلم يحدث البسط . فأمر الخادم بأن يخرج من الدار ويحضر كل من يراه . فخرج الخادم فرأى شخصاً يمر فقال له : إن الشيخ يدعوك . فدخل الرجل وحيا الشيخ . فقال له الشيخ : تحدث إلى . فقال الرجل : أيها الشيخ ، إن كلامي لا يليق لسمعك المبارك ، ولست أعرفه كلاماً يمكن أن أقوله لك . فقال له الشيخ : قل ما يتأتى لك . فقال الرجل : سأقول لك حكاية عن حالي ، ثم قال : في وقت من الأوقات قلت لنفسى إن الشيخ أباسعيد إنسان مثلاً ، وهذا الكشف الذى ظهر له هو نتيجة للمجاهدة والعبادة ، فلا تجبه الآن أنا أيضاً إلى العبادة والرياضة حتى تظهر لى تلك الحال . وأخذت أقوم بالعبادة وأنواع الرياضة والمجاهدة . ووفر فى نفسي (ص ٦٠) . أننى وصلت إلى مقام تجاب فيه دعواتى فى كل وقت ولا ترد بأى حال من الأحوال . وفكرت فى نفسى أن أسأل الحق تعالى أن يحيل الحجر ذهباً من أجل لاقضى بقية عمرى فى رفاهية وأتمم مرادى . وذهبت وأحضرت عدداً من الأحجار ووضعتها فى ركن الزاوية التى أتعبد فيها . واخترت ليلة عظيمة واغتسلت وأخذت أصلي طوال الليل . وعند الفجر ، وهو وقت إجابة الدعاء ، رفعت يدي وقلت فى عقيدة و يقين . صادق : يا إلهى ، اجعل هذه الأحجار ذهباً ... ! وعندما قلت هذا عدة مرات سمعت صوتاً من ركن الزاوية يقول : ما أغزر شاربه ! ، وعندما قال الرجل

هذه العبارة ظهر البسط للشيخ ، وسر كثيراً ، ونهض على قدميه ، وأخذ يهز أكامه وهو يقول : ما أغزر شاربه ! وظهرت حال طيبة وتحول ذلك القبض بسطا .
وكان الشيخ كلما تزايد القبض ذهب إلى قبر الشيخ أبي الفضل حسن في سرخس .

وقال السيد أبو طاهر الإبن الأكبر للشيخ قدس الله روحه العزيز : في يوم من الأيام كان الشيخ يعظ في مجلس ، وكان يعتريه قبض في ذلك اليوم . وبكى الشيخ في وسط المجلس وبكى جميع الحاضرين . وقال الشيخ : عندما يعتريني قبض أذهب إلى قبر الشيخ أبي الفضل ليتبدل القبض بسطا . فأعدوا الجواد . ثم ذهب الشيخ والناس في صحبته . وما أن دخلوا الصحراء حتى استولى السرور على الشيخ وتبدل القبض بسطا ، وأخذ الشيخ يتحدث بينما الجميع (ص ٦١) يصيحون ويصرخون وعندما وصلوا إلى سرخس تحول الشيخ عن الطريق الرئيسي ، وذهب إلى قبر الشيخ أبي الفضل حسن ، وطلب من القوال أن ينشد هذا البيت :

— معدن الجود والكرم هذا معدن السرور ،
قبلة الفاس الحرم ، وقبلتنا وجه الحبيب .

فأخذ القوالون ينشدون هذا البيت ، وأمسكوا بيد الشيخ وأخذ يطوف حول قبر الشيخ أبي الفضل وهو يصرخ . وكان الدراويش يطوفون عراة الرؤوس والأقدام وكانت أرجلهم تغوص في التراب . وعندما لاحت السكيفة قال الشيخ : سجلوا تاريخ هذا اليوم لأنكم لن تروا يوماً مثله مرة أخرى . وبعد ذلك كان كل مرید يعتزم الحج يرسله الشيخ إلى قبر الشيخ أبي الفضل ويقول له: يجب عليك أن تزور هذا القبر وتطوف حوله سبع مرات حتى يتحقق مقصودك .

وبعد أن فرغ الشيخ من هذه الرياضات تم له الكشف الكامل . وكان تلاميذه يقولون إنه لم يترك أى سنة ولا أدب من آداب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه دون أن يؤديها سواء في السفر أو الإقامة . واشتغل بالعبادة تماما بحيث كان إذا نام إنبعث من حلقه صوت يردد « الله ، الله ، الله » . ولم يكن أحد يعلم بما يقوم به الشيخ قدس الله روحه العزيز من الرياضة والمجاهدة ، وكان يخفي هذا الأمر عن الناس ولا يتحدث به ، ويجتهد في إخفائه إلا ما كان يستشهد به أثناء وعظه ، ويقول من أجل هداية المريدين وترغيبهم .

قال الشيخ يوما في مجلس من المجالس : كل ما يجب قوله قد فعلته . وكان جميع الأولياء قدس الله أرواحهم هكذا يخفون حالاتهم وكراماتهم عن الناس إلا ما ظهر منها دون تعمد . (ص ٦٢) وقد سئلت أن واحدا منهم ظهر شيء من كراماته دون قصد فدعا الله سبحانه وتعالى قائلا : يا إلهي ... لقد اطلع الناس على ما بيني وبينك ، فانزع الله روحى فليس لى قدرة على تحمل الناس ؛ لأنهم سوف يشغلوننى عنك . ومات في الحال . ومثل هذه الطائفة لا تصلح أن تكون قدوة للناس ؛ إذ أن من يصلح للقدوة لا يهتم بإظهار الكرامات . غير أنها إذا ظهرت منهم دون تعمد فإن هذا لا يؤثر فيهم ، وربما يظهرون كراماتهم في وقت من الأوقات بقصد المصلحة دون أن تكون مشقة الناس حجابا لهم . فهم مأمورون بوعظ الناس وهداية المريدين وإرشادهم وتهذيب أخلاقهم . وهذه الطائفة أكثر نصبا . ولهذا الطريق مقامات كثيرة . وقد بين شيوخ الصوفية ألفا وواحدا من هذه المقامات التي يطول شرحها . وهدفنا هو القول بأن المشايخ لا يمتهدون في إظهار الكرامات بل أنهم يسعون لإخفائها .

وهناك فرق بين الولي والنبي ، وهو أن الأنبياء أمروا بإظهار المعجزات ،

أما الأولياء فقد أمروا بكتمان الكرامات . وقد كان - أبو سعيد - لهذا السبب كثيرا ما يخفى مجاهداته ورياضاته وكراماته ، ولم يكن يطلع أحداً عليها . وقد بالغت في تصحيح ما وصلنى من الثقة وذوى العدل ، أما ما كان بينه وبين الله لا يمكن التحدث فيه .

وقد عاش الشيخ ألف شهر ، لأنه عمر ثلاثاً وثمانين عاماً وأربعة أشهر . وتوفى في مساء يوم الخميس الرابع من شعبان سنة أربعين وأربعمائة في مدينة ميهنة في صومعة داره ، ودفن في ضحى يوم الجمعة في الروضة المقدسة التي تواجه داره على نحو ما أشار به . أسأل الحق سبحانه وتعالى ألا يقطع بركات همته وأنفاسه عن كافة الخلق ، وأن يثبت قدمى وأقدام الجميع في متابعتة بحق محمد وآله أجمعين .

الباب الثاني

في أواسط حال شيخنا قدس الله روحه

العزیز وهو ثلاثة فصول

الفصل الأول

في الحكايات المشهورة عن كرامات شيخنا قدس الله روحه العزيز وثبتت صحتها

حكاية :

عندما فرغ الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز من الرياضة والمجاهدة وعاد إلى ميمنه ووصل هذا الحال والكشف إلى الكمال ، توجه إلى نيسابور. وعندما وصل إلى مدينة طوس أرسل قبله أحد الدراويش من قرية « باز » التي تقع على بعد فرسخين من المدينة وقال له : ينبغي أن تذهب إلى المدينة وتسال المشوق هل يأذن لنا في النزول بولايته ؟. ولم يكن الشيخ يقول لأحد قط « افعل هذا » أو « لاتفعل ذلك » . بل كان يقول : « ينبغي عمل هذا » أو : « لاينبغي عمل ذلك » .

وكان المشوق من عقلاء المجانين ، وصاحب حال كامل ، يقيم في طوس. وقبره موجود بها .

وعندما ذهب ذلك الدراويش ، أمر الشيخ باعداد جواده ، وذهب خلفه وفي رفقته جماعة الصوفية . وحين وصل إلى بعد فرسخ من المدينة في موضع يقال له « دو برادران » به هضبتان يمكن منهما رؤية المدينة ، توقف جواد الشيخ وتوقف الجميع معه . ولما وصل ذلك الدراويش عند المشوق وذكر له قول الشيخ

أقسم المعشوق وقال : اذهب وقل له يحضر . وعندما تلفظ المعشوق (ص ٦٦) بهذا القول في المدينة ساق الشيخ جواده من ذلك المكان ، وسار معه الجميع حتى التقى الدرويش به في الطريق ، وأبلغه قول المعشوق . وجاء الشيخ إلى المعشوق فاستقبله وعانقه قائلاً : أطمئن فإن هذه الطبول التي يدقونها هنا وهناك سوف يدقونها جميعاً على بابك أياماً عديدة .

وبعد ذلك رجع الشيخ من هناك ونزل في خانقاه الأستاذ أبي أحمد التي كانت مقر الأبي نصر السراج . واحتفى الأستاذ أبو أحمد بشيخنا وقام على خدمته ، واستبقاه في طوس عدة أيام ، وعقد له مجلساً في خانقاه . وعندما سمع أهل طوس أقوال الشيخ ورأوا كراماته الظاهرة ، أصبحوا من مريديه ، ووجد الشيخ قبولاً كبيراً .

وقد سمعت من الأمير الإمام عز الدين الأيلباشي « طول الله عمره » قوله : سمعت الأمير أبا علي يقول : عندما جاء الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز إلى طوس وكان يعظ في المجالس في دار الأستاذ أبي أحمد ، كنت لا أزال شاباً صغيراً . فذهبت مع والدي إلى المجلس ، وكان قد تجمع به خلق كثير بحيث لم يعد هناك مكان على الباب أو السطح . وبينما كان الشيخ يتحدث في المجلس ، وقد أجهش الناس بالبكاء دفعة واحدة ، سقط طفل صغير من حجر أمه بسبب تراحم التباء على السطح . ولما رآه الشيخ قال : اللهم احفظه . فظهرت يدان في الهواء وأمسكتا بالطفل ووضعتاه على الأرض دون أن يصاب بأذى . ورأى جميع أهل المجلس ذلك ، وانبعث الصياح من الخلق . وقد أقسم أبو علي على أنه رأى هذا بعينه .

حكاية :

قال عمى كمال الدين بن أبي سعيد : ذهبت إلى سرخس مع والدى السيد
أبى سعيد وجدى السيد أبى طاهر رحمة الله عليهما لتحية نظام الملك فقال لنا :
(ص ٦٧) عند ما جاء الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز إلى طوس كنت
ضغيرا ، أقف مع جماعة من الصبية على رأس حى المسيحين . وأقبل الشيخ مع
الجماعة ، ولما اقترب منا التفت إلى الصوفية وقال : قل لمن يريد رؤية سيد الدنيا
انظر فيها هو قد وقف هناك . وأشار إلينا . فأخذ كل منا ينظر إلى الآخر فى تعجب
لكى تبين من المقصود بهذا القول : فقد كنا جميعا صغارا لا نعرف شيئا . واليوم
مر على هذا الحادث أربعون عاما وقد عرفت الآن أنه كان يشير إلى .

حكاية :

حكى السيد أبو القاسم الهاشمى هذه الحكاية فقال : كنت فى السابعة عشر
من عمري عند ما جاء الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز إلى طوس ، وكان
والدى رئيسا لها ومريدا للشيخ ، يذهب إلى مجلسه فى خانقاة الأستاذ أبى أحمد
كل ليلة ويأخذنى معه . ولم أكن أجلس فى حضرة والدى قط . وكانت لى
معشوقة فى الخفاء كعادة الشبان . وذات ليلة أرسلت إلى تلك المرأة تقول : سوف
أذهب إلى عرس فلا تم حتى أراك عند عودتى . فجلست على السطح ، ومضى
الليل فى بطاء ، واستولى على النعاس ، فأخذت أقول لنفسى هذه الرباعية
حتى لا أنام .

« رباعية »

فى عيني بدل النوم — دمع !
ذلك أنفى أنعج — رؤيتك
يقولون لى نم حتى تراه فى النوم !
فيا أيها الحق من أين لى النوم ؟

وأخذت أردد هذا الشعر ولكن النوم غلبني ، وبقيت نائما حتى أذن المؤذن
لصلاة الفجر ، فصحوت من نومي ولم أر أحدا .

وفي اليوم التالي ذهبت مع والدي إلى مجلس الشيخ فسألوه عن الحجة في
طريق الحق ، فأخذ يقول كلاما في هذا المعنى ثم قال : انظر طريق البحث عن
آدمي تحبه لترى أية متاعب تكايدها ، (ص ٦٨) وأية حيلة تصنعها لكي تصل
إلى مقصودك أو لاتصل ، لتعرف كيف يمكن للسالك في طريق الحق أن يصل
إلى مقصوده . فهناك محبوب وعد هذا الشاب بالأمس ، وأشار إلى ، فظل بدون
نوم نصف الليل وأخذ يقول : في عيني بدل الف — وم دمع ! . ماهي
الشرطة الثانية أيها الشاب ؟

قال السيد أبو القاسم : فلم أقل شيئا من الخجل . فقالها الشيخ مرة ثانية :
فوقعت مغشيا على . ولما أفقت قال لي الشيخ : مادامت عيونك قد امتلأت
بالدمع بدلا من النوم ، فلماذا نمت حتى عجزت عن بلوغ مقصودك ؟ ثم قال
الرابعة كلها ، فصاح الخلق جميعا ، وغبت عن الوعي ، وأسقط في يدي . وقال لي الشيخ
يكفيك هذا القدر . وتملكت الجميع الأحوال فالتقوا بالخرق واشترى لهم
والدي غيرها .

وعندما جاء الشيخ إلى دارنا بعد ذلك ، رجاه والدي قائلا : إذا أردت
أن تشرب فاشرب من يدي أبي القاسم . ووقفت بجوار الشيخ وفي يدي الكوز
فشرب الشيخ من يدي مرتين وقال لي : سوف تكون رجلا طيبا ، ولم اقترف

حراما قط واحدا وثمانين عاما، فترة عمرى، ولم أشرب الخمر قط احتراما لقول
الشيخ، ولم أقم بخدمة مخلوق، ولم أسيء إلى أحد قط، وكنت صاحب هاتين
الكرامتين من كرامات الشيخ.

حكاية :

روى أن الشيخ أبوسعيد والشيخ أبا القاسم الجرجاني قدس الله أرواحهما كانا
قد جلسا معا على منصة واحدة في مدينة طوس، ووقفت جماعة من الدراويش
أمامهما. فتساءل درويش بينه وبين نفسه ما منزلة هذين العظمين؟ (ص ٦٩)
فالتفت الشيخ أبوسعيد إلى ذلك الدراويش في الحال وقال: «كل من أراد أن يرى
ملكين يجلسان معا على عرش واحد وهما متآلفان، قل له أنظر» فلما سمع الدراويش
هذا الكلام، رأى في الحال هذين الملكين، فقد رفع الحجب سبجانه وتعالى الحجاب
عن عينه حتى ينكشف أمام قلبه صدق كلام الشيخ ويعرف قدره ووجال بخاطره
خاطر يقول: هل لله تبارك وتعالى في الأرض اليوم أعظم من هذين
الرجلين؟ فالتفت الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز إلى ذلك الدراويش
وقال: قليل من الملوك في هذا الملك اليوم مثل أبي سعيد، أبي القاسم. سبعمون
ألفا لا بد أنون هذه المنزلة، وسبعمون ألفا لا يبلغونها. كان يقول هذا ويصيح.

حكاية :

بعد أن أقام الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز عدة أيام في طوس قصد
نيسابور، وكان السيد محمود المريد يقيم بها، وقد بلغ من عظمته أن الشيخ
أبا سعيد كان يرسل إليه المريدين، ويقول إنه سالك طيب. وفي يوم من الأيام قال
محمود هذا: رأيت في نومي أن جبل طوس الذى يقع ناحية نيسابور ينشق،
ويخرج القمر من وسطه، وينزل في خاتاه محلة «عدنى كويان». وفي هذه اللحظة
كان الشيخ يصل إلى المدينة، فاستقبلوه وأنزلوه في خاتاه عدنى كويان. وقال

السيد محمود : سيمضى وقت طويل قبل أن نعد طعاماً فعلينا أن نحضر سريعاً رأساً مشوياً من السوق ، وأعدت المائدة وقدموا الرأس المشوى فقال الشيخ : لقد شرعنا فى الأكل فليبارك الله لنا فيه . وعندما فرغوا من الطعام قال السيد محمود المريد : أيها الشيخ ، ما رأيك فى الحمام ؟ قال الشيخ : (ص ٧٠) ينبغي أن نذهب إليه . وذهب الشيخ مع الجماعة إلى الحمام . وعندما فرشوا سجادة الشيخ أحضروا له إزاراً نظيفاً ، ورفع السيد محمود العمامة عن رأس الشيخ وقبلها ووضعها أمامه ، فقال له الشيخ : بارك الله فيك . ولما أظهر محمود الطاعة لم تعدي هناك أهمية للآخرين . وأخذ الشيخ الإزار والتف به وذهب إلى الحمام . وأخلدوا إلى الراحة بقية يومهم . وفى اليوم التالى أعدوا للشيخ مجلساً فى محلة عدنى كويان ، وحين بدأ المجلس قالوا للشيخ : هنا رجل عظيم يدعى « أبو القاسم القشيري » يقول إن العبد يصل إلى الله بقدميه فماذا يقول الشيخ ؟ فقال الشيخ : كلا ، إنهم يقولون إن العبد يصل إلى الله بقدم واحدة . وذهب مريدو الأستاذ الامام إليه وأبلغوه هذا القول ، فقال لهم : ألم تسألوه كيف يكون ذلك ؟ وفى اليوم التالى سألوها الشيخ : لقد قلت بالأمس إنهم يصلون إلى الله بقدم واحدة فقال الشيخ : نعم ، واليوم أقول هذا نفسه . فسألوه : كيف أيها الشيخ ؟ قال بين العبد والحق قدم واحدة ، فلا تكاد تخرج عن نفسك قدماً واحدة حتى تصل إلى الحق . وعندما قال الشيخ هذا صاح طواف بيباب الحانقاه قائلاً : « دوننا وكل النعم » فقال الشيخ : استمعوا إلى قول ذلك العاقل واعملوا به ، فاخرجوا قليلاً ليكون الكحل أنتم . ثم قال :

« بيت »

— بالوفاق والخلق الحسن وعدم الغضب ،
يبقى العشق بيننا بلا التواء .

وحتى يريدو الاستاذ الإمام له هذه للحكاية . فقال الأستاذ : هو كذلك كما يقول الشيخ .

وكما خطر لأحد الاستفسار عن أمر كان الشيخ يوضحه له حتى يتبينه ، ثم يتابع الشيخ الحديث . وأقبل أهل نيسابور على الشيخ واتجهوا إليه . وكان الشيخ يقول الشعر في وسط الحديث ، (ص ٧١) وقيم الولاثم الفاخرة . كما كانوا يقيمون السماع بين يديه ، ومن ذلك أنكره جميع أئمة الفرق .

حكاية :

يقول السيد حسن بن المؤدب رحمة الله عليه : حينما تردد في نيسابور أن شيخ الصوفية قد أقبل من ميهنة ، وأنه يقوم بالحديث في المجالس ويخبر الناس بأسرارهم ، وكنت أحتقر الصوفية ، فقلت إن الصوفي لا يعرف العلم فكيف يتحدث في المجلس ؟ ولم يعط الله علم الغيب لأحد ، ولن يعطيه ، فكيف له أن يخبر بأسرار عباد الحق تعالى ؟ . وذات يوم ذهبت إلى مجلس الشيخ على سبيل الاختبار ، وجلست أمام منصفته وقد ارتديت ملابس فاخرة ، وعقدت شالا طبريا على عمامتي . وجلست بقلب مملوء بالإنكار والخلاف . وأخذ الشيخ يتحدث في المجلس . وعندما أنهى الحديث طلب ثوبا لواحد من الدراويش . فقدم الحاضرون له بعض الثياب . وحدثت نفسي أن أعطيه عمامتي ، ولكنني عدت وقلت لقد جاءني هذه العمامة هدية من آمل وقيمتها عشرة دنانير ذهبية فلن أعطيها . ثم طلب الشيخ عمامة . ففكرت أن أعطيه العمامة ، ولكنني عدلت عن هذه الفكرة مرة أخرى ، وعاودني نفس الخاطر الأول . وكان يجلس إلى جانبي أحد الشيوخ ، فسأل الشيخ : هل يقول الله سبحانه وتعالى كلاما للمعبد ؟ . فأجاب الشيخ : إنه يقول ، ولكنه لا يقول أكثر

من مرتين من أجل عمامة طبرية ، فقد قال لذلك الرجل الذى جلس إلى جوارك مرتين أن اعط هذه العمامة التى على رأسك لذلك الدرويش وهو يقول لن أعطيها لأن قيمتها عشرة دنانير وقد أحضروها لى هدية من أمل . قال حسن بن المؤدب: عندما سمعت هذا الكلام ارتعدت ونهضت ، وتقدمت إلى الشيخ وقبلت أقدامه، وأعطيت العمامة والملابس جميعها إلى ذلك الدرويش، وتخلّيت عن الإنكار والخلاف، وأسلمت من جديد، وبذلت كل ما أمتلك من مال ومتاع فى سبيل الشيخ ، ووقفت نفسى على خدمته .

وهكذا أصبح — حسن بن المؤدب — خادما لشيخنا وظل فى خدمته بقية عمره . وقبره بميمنة . (ص ٧٢) .

حكاية :

سمعت من الشيخ محمد الشوكافى خادم الشيخ ، ومن أخيه زين الطائفة عمر الشوكافى قولهما : سمعنا والدنا يقول : كنت شابا عندما أرسلنى أبناء الشيخ أبى سعيد ، قدس الله أرواحهم العزيرة ورحمهم رحمة واسعة ، من ميمنة للخدمة فى خانقاه الشيخ فى نيسابور ، فاشتغلت بخدمة الدراویش . وفى يوم من الأيام ذهبت إلى الحمام المجاور للخانقاه، وكان الشيخ يذهب إليه كثيراً، وعندما دخلت الحمام وحلقت شعرى وجلست، جاء شيخ وأراد أن يداكنى، فمنعته من ذلك، وقلت له: أنت شيخ، وأنا شاب، ومن الواجب على أن أقوم بخدمتك. فقال لى: دعنى أدلكك، وأروى لك حكاية. فتركته. وبدأ يحكى ، فقال: كنت شابا أملك حانوتا على مفترق الطرق فى هذه المدينة ، أقوم فيه بصناعة الحلوى . وعندما اشتغلت بهذا العمل فترة وتوفر لى رأس مال ، استهوتنى التجارة ، فنهضت من حانوتى ، وأعددت للسفر . ولم

أكد أخرج من المدينة حتى رأيت قافلة كبيرة متجهة إلى بخارى . فاستأجرت أنا أيضاً جملاً وسرت في صحبتهم . وعندما وصلنا سرخس وأقمنا بها يومين توجهنا إلى مرور كمادة القوافل . فتقدمتُ القافلة ، وقطعت جزءاً من الطريق ، ونمت حتى تصل القافلة . فلما لحقت بي ، نهضت وسرت معهم ، ومكثت أسير على هذا النظام حتى جاء يوم أقبل فيه الليل على غرة ، وكنت منهو كامتعباً وقد غلبني النوم ، فسرت في اتجاه من الطريق وتقدمت مسافة طيبة ونمت . وبقيت نائماً حتى جاءت القافلة وارتحلت وأنا لا أزال نائماً إلى أن أيقظني حرارة الشمس . فصحوت من نومي ، ونهضت ، فلم أر أثراً للقافلة في أي مكان . وكانت الرمال من حولي ، ولم أتين الطريق . فأسرعت مسافة ، ثم ضللت الطريق ، ووقعت في حيرة . وفكرت في نفسي أنني إذا سرت مسافة في هذا الطريق ، أو ذلك الاتجاه فلن أصل إلى أي مكان . والصواب يقتضي أن اجتهد مع نفسي ، واستحضر قلبي ، حتى يستقر رأيي على اتجاه أسير فيه . فأنجعت أمري ، واجتهدت ، وتخيرت اتجاهاً أخذت أسير فيه حتى جاء الليل . وكان الحر شديداً ، فأجهدتني العطش والجوع . ولما اعتدل الجو تماكنت نفسي قليلاً ، وقلت : من الأفضل أن أسير ليلاً . وفي تلك الليلة سرت حتى مطلع الفجر . وعندما أقبل الصباح نظرت من حولي ، فرأيت الصحراء كلها رمالاً وأشواك . ولم أر أثراً للعمران في أي مكان ، فتعطمت . وأخذت أسير على هذا النحو من العطش والجوع والعجز ، حتى اشتدت حرارة الشمس وتجاوز العطش مداه ، فسقطت ، واستسلمت للموت . ثم قلت لنفسي : لا ينفع في مثل هذه الحال غير بذل الجهود ، ثم يكون الاستسلام للموت بعد نفاذ جميع هذه الجهود . ولم تبق لي سوى حيلة واحدة ، وهي أن أبحث بين هذه الكتيان الرملية عن كتيب يكون أكثر ارتفاعاً ،

وأنحايلى على أن أرقاه ، وانظر فى أرجاء هذه الصحراء ، لعل أرى مكانا عامرا ، أو نبع ماء ، أو مأوى للبدو ، فإذا كان ذلك فهو المراد ، وإلا حفرت قبرى فوقها ، واستسلمت للموت . ثم نظرت فرأيت مرتفعاً كبيراً ، رفعت نفسى فوقه ، ونظرت إلى تلك الصحراء ، فرأيت سوادا من بعيد ، وامعنت النظر فوجدته عشباً . فقوى قلبى ، وقلت لنفسى : حيثما يوجد العشب يكون الماء ، وحيثما يكون الماء يمكن أن يوجد آدمى . وبذلك انبعثت فى القوة ، ونزلت وتوجهت إلى ذلك العشب . وعندما بلغت ذلك المكان (ص ٧٤) وجدته أرضاً صلبة تمتد خلال الرمال على مسافة مرمى سهم ، بهاعين يتدفق منها الماء الصافى ، ويغمر مساحة من الأرض حولها ، حتى نما فيها العشب واخضر . رفعت رأسى ، وشربت جزءاً من ذلك الماء ، وتوضأت ، وصليت ركعتين ، وسجدت شكراً لله على أنه أحيانى من جديد . وقلت لنفسى : ينبغى أن اقيم هنا ولا أرحل عن هذا المكان ، فربما يأتى إليه أحد فى طلب الماء ، وإلا فلا أقل من أن أستريح هنا بجوار الماء يوماً وليلة . ثم أكلت بعض العشب ، وابتعدت عن تلك العين ، وصعدت فوق الكتيبان ، ووضعت رأسى على الرمال كالثور ، واحطت نفسى بالأشواك لئلا يرانى أحد . وجعلت أنظر من خلال الأشواك خشية أن يفترسنى حيوان ، أو يظهر آدمى لا يخشى الله فيه لكفى ، ومازلت محتفياً بين الأشواك وأنا أنظر إلى أطراف الصحراء . ولما حل وقت الظهر ، ظهر سواد من بعيد ، وأتجه إلى هذه العين . وحين اقترب كان رجلاً . فقلت لنفسى « الله أكبر !! » لقد فتح باب خلاصى . ولما صار على مقربة ، وجدته رجلاً طويلاً ، أبيض اللون ، ضخماً الجسم ، واسع العينين ، تصل لحيته إلى وسطه ، وقد ارتدى مرقع الصوفية ، وحمل عصاً وبريقاً فى يده ، وطرح سجادة على كتفه ، ووضع قلنسوة الصوفية على رأسه ، واتامل خفاً . وكان

النور يشع من وجهه. وجاء إلى حافة الماء، وألقى السجادة على نحو ما يفعل الصوفية، وسحب أبريق الماء، وذهب خلف مرتفع واستنجدى. وعاد وجلس على حافة العين، وتوضأ، وصلى ركعتين، ورفع يديه ودعا دعاء. وأدى السنة، ثم أقام الصلاة وأدى الفريضة. ومشط لحيته. ثم نهض وألقى السجادة على كتفه، وحمل العصا والإبريق، واتجه إلى الصحراء. وكنت لا أشعر بنفسى (ص ٧٥) طيلة وجوده أمامي، لشدة هيئته، وانشغالي بطلعته، وحسن طاعته. وعندما غاب عن عيني، وعدت إلى وعيي لمت نفسي كثيراً وقلت ما هذا الذي فعلته! لقد كنت أتمنى من الدنيا جميعها آدمياً ليخلصني من هذه الصحراء المهلكة، فوجدت رجلاً له مثل هذا النور ومع ذلك لم أطلب منه أن يدلني على الطريق. ثم قلت: ليس هناك حل الآن سوى الصبر وربما يعود. وأخذت أنتظر حتى حل وقت صلاة العصر، فظهر نفس ذلك السواد من بعيد، فعرفت أنه نفس الشخص؛ ولما اقترب كان هو فعلاً. فأدى صلاة العصر في هذه المرة أيضاً.

وكنت قد صرت أكثر جرأة هذه المرة، فخرجت من بين الأشواك في بطة، ونزلت من ذلك المرتفع. وعندما فرغ من الصلاة، ورفع يديه بالدعاء، هم بالذهاب. فأمسكت بذيله وقلت له: أيها الشيخ، اعني بحق الله.. أنا رجل من نيسابور، وكنت قادماً إلى بخارى مع قافلة، وقد مضى على الآن يومان وأنا ضال، وقد ذهبت القافلة وبقيت وحدي في هذه الصحراء، ولست أعرف لى طريقاً. فأخني رأسه، ثم رفعها بعد لحظة، وأمسك يدي. ونظرت، فرأيت أسداً آتياً من تلك الصحراء. وجاء الأسد أمامه، وحياء، ووقف. فوضع فمه على أذن الأسد، وهمس فيها شيئاً، ثم أركبني عليه، ووضع شعر رقبته في يدي، وقال لى: احكم قدميك تحت بطنه،

فإذا ما وقف فانزل عنه وسرفى الاتجاه الذى يوجه وجهه إليه . فأغمضت عيني ، وسار الأسد . ومضت ساعة ثم توقف عن السير . فنزلت عنه ، وفتحت عيني (ص ٧٦) فوجدت طريقا . ولم أكّد أسير خطوات حتى وجدت القافلة قد نزلت بذلك المكان . فذهبت معهم إلى بخارى ، وحصلت على ربح طيب من المتاع الذى حملته معى إلى بخارى ، واشترت أمتعة تناسب نيسابور ، وعدت إلى حانوتي أصنع الحلوى مرة أخرى . ومضت عدة سنوات . وذات يوم ذهبت إلى محلة عدنى كويان لعمل ما ، فرأيت جمعا على باب الخانقاه . فسألت عما حدث . فقيل لى : لقد جاء رجل من ميهنة يقال له الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير ، وهو شيخ ، وزعيم للصوفية ، وله كرامات ظاهرة . وقد نزل بهذه الخانقاه ، وسيتحدث اليوم فى هذا المجلس ، وهؤلاء الناس يرغبون فى حضور مجلسه . وهذا هو سبب الازدحام . فقلت لنفسى فلا تدخل أنا أيضا لأرى ماذا يقول . وحين دخلت من باب الخانقاه كان هناك عمود على طرف الرواق ، فوقفت بجواره . وكان الشيخ قد جلس على المنصة وأخذ يتحدث . ونظرت إليه ، فرأيت فيه ذلك الرجل الذى أركبني على الأسد فى الصحراء . وكان يتحدث وهو يتجه إلى ناحية أخرى . وعندما سمعت صوته ، عرفته للمرة الثانية . وأردت أن أقول ذلك ، فالتفت إلى فى الحال وقال : إياك . . إياك ، ألم تسمع بأن ما يرى فى الصحراء لا يقال فى العمران ؟ . ولما قال هذا انطلقت منى صرخة ، ولم أشعر بنفسى ، ووقعت مغشيا على . وكان الشيخ قد عاد إلى الحديث وأتم المجلس . وعندما عدت إلى وعي كان الشيخ قد أنهى المجلس ، وذهب الناس وتفرقوا . وكان أحد الدراويش قد جلس ووضع رأسى على رجله ، فلما أفتت ونهضت قال لى : لقد أمر الشيخ بأن تدخل عليه . فتقدمت وانكبت

على قدمي الشيخ، فإلا طفتي كثير، ومنحني بركاته ، وأمر حسن بن المؤدب أن يحضر لي ملابس جديدة ، فخلع عني ملابس الخلوى ، (ص ٧٧) والبسني تلك الملابس ، ووضع في كمي طبقاً من السكر ، وقال لي : احمل هذا إلى صفارك ، وعاهدني على ألا تقول هذا الكلام لأحد مادمت حياً ، وألا تفشي السر. فوافقته، وعاهدته على ذلك . ولم أقل هذه الحكاية لأحد طيلة حياة الشيخ ، فلما رحل إلى دار البقاء قلنتها لك .

حكاية :

حكى السيد حسن بن المؤدب خادماً الشيخ الخالص هذه الحكاية فقال :
عندما جاء الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز إلى نيسابور في بداية حاله ؛ كان يتحدث في المجالس . واتجه نحوه الناس ، وأصبح له كثير من المريدين . وكان زعيم الكرامية في نيسابور في ذلك الوقت الأستاذ «أبو اسحاق الكرامي» ، ورئيس أصحاب الرأي والرافضة القاضي صاعد . وكان لهما أتباع كثيرون . وكانا ينكران الشيخ إنكاراً شديداً ، ويظهران العداء لجميع الصوفية . وكان الشيخ يقول الشعر فوق المنبر ، ويقيم الولائم الفاخرة بحيث كان ينفق على الوليمة الواحدة ألف دينار . كما كان يقيم السماع دائماً . وكان هؤلاء ينكرون ذلك على الشيخ إنكاراً شديداً ، بيد أن الشيخ لم يهتم بذلك واستمر في عمله . وقد اجتمع هؤلاء ، وكتبوا عريضة شهد عليها أصحاب الرأي . وجاء فيها أنه «قد جاء إلى هنا رجل من ميهنة ، يدعو إلى الصوفية ، ويتحدث في المجالس ، ويقول الشعر على المنبر ، ولا يتحدث في التفسير والاختبار ، ويأمر بالسماع ، ويرقص ، ويأمر الشباب بالرقص ، ويأكل الجوز

واللوز والطيور المشوية وألوان الفاكهة، ويطعمها للآخرين ، ويزعم بعد ذلك أنه زاهد. وليس هذا شعار الزهاد ولا الصوفية. وقد التف حوله الخلق، وضلوا الطريق، ووقع أكثر العامة في الفتنة. فإذا لم يتدارك — السلطان — هذا الأمر سريعا، ظهرت الفتنة» (ص ٧٨) وأرسلوا تلك العريضة إلى السلطان محمود في غزني. فكتب لهم خطا باعلى ظهرها، بأن يجتمع أئمة الفريقين الشافعية والحنفية لينظروا في امرأة، ويطبقوا عليه ما تقتضيه الشريعة. ووصل ذلك الأمر يوم الخميس، فسر أولئك المنكرون، وقالوا: غدا الجمعة، وفي يوم السبت نعقد مجلسا ونشئ الشيخ مع جميع الصوفية على مفترق الطرق. وقرروا هذا جميعا. وانتشر الخبر في المدينة، وغضب لذلك اتباع الشيخ وتآلموا. ولم يجرؤ أحد على أن يخبر الشيخ بهذه الحال، إذ أنه لم يكن من الضروري أن يحاط علما بشيء، لأنه كان يرى ويدرك كل ما يجري بفراسته وكرامته.

قال السيد حسن بن المؤدب: وحين فرغنا من صلاة العصر في ذلك اليوم، دعاني الشيخ، وقال لي: يا حسن، كم عدد الصوفية؟ قلت: مائة وعشرون، ثمانون. منهم مسافرون، والأربعون مقيمون. فقال: أقم لهم غدا مأدبة، ماذا ستعد لهم؟.. قلت: ما يشير به شيخنا. فقال: غدا يجب أن تضع أمام كل واحد رأس حل مشوية مع كثير من السكر المسحوق، لينثروه على مخ ذلك الحل. وأن تضع أمام كل واحد رطلا من الحلوى، وتحضر ماء الورد والبخور لكي نحمق العود، ونصب عليهم ماء الورد. وتحضر حبلا قوية القتل، وتضع المائدة في المسجد الجامع، ليرى أولئك الذين يغتابونا في الخفاء ماذا يطعم الحق سبحانه وتعالى. أعزاء حضرة عزته من حجب الغيب. قال حسن: ولما أشار الشيخ بهذا، كان

معروفا أنه لم يكن في الخزانة رغيف واحد . ولم أكن أعرف في نيسابور جميعها من اجترى عليه بطلب درهم واحد ؛ إذ أن الجميع كانوا قد تغيروا بسبب هذه الشائعات . ولم أجرؤ أن أقول للشيخ من أين أهىء هذا . فخرجت من عنده ، وكانت الشمس قد مالت إلى الغروب ، ووقفت متحيرة على رأس محلة عدنى كويان لا أدري ماذا أصنع حتى انقضى النهار ، واصفرت الشمس وغربت . وكان الناس يغلِقون حوانيتهم ، (ص ٧٩) ويتوجهون إلى منازلهم . وحانت صلاة العشاء وغم الظلام ، ورأيت رجلا في نهاية السوق يسرع عائدا إلى منزله ، فرآني واقفا ، فقال لى : يا حسن ، ماذا دهالك حتى جعلك تقف حائرا هكذا ؟ مرني بحاجة أو خدمة . فأخبرته بالقصة ، وبما أمر به الشيخ ، وقالت له انى لأعرف لهذا الأمر . مخرجا ، وسأظل واقفا هكذا حتى الفجر ، إذا دعا الأمر ، إذ لاسبيل أمامى لعودة . ففتح ذلك الشاب كفه فى الحال وقال لى : ادخل يدك فى كى وخذ مايئزمك ، وانفقه على نحو ما أشار الشيخ . فوضعت يدى فى كفه ، وأخذت حفنة من الذهب الأحمر . وارتاح قلبى وأثنت عليه واتجهت للعمل وأعددت كل ما أمر به الشيخ . وكان يدى كانت ميزاننا قاله الشيخ ، فقد أعددت هذا كله بحيث لم ينقص درهم ، ولم يزد درهم . واتممت ذلك كله فى تلك الليلة ، وذهبت فى الوقت المعين ، وأخذت الحبال ومددت المائدة فى المسجد الجامع على النحو الذى أشار به الشيخ . وحضر الشيخ مع الصوفية . واشتغل كثير من الناس بالنظر إلى هذا ، وحملوا الخبر إلى القاضى ضاعد والأستاذ أبى بكر أن الشيخ قد أعد ولية للصوفية فى المسجد الجامع . فقال القاضى ضاعد : اتركوهم لينعموا اليوم ويأكلوا الرؤوس المشوية فغدا سوف تأكل الغربان رؤوسهم . وقال أبو بكر اسحاق : اتركوهم يشعمون اليوم بطونهم لانهم سوف يشعمون المشنقة غدا . ووصل هذا الخبر إلى آذان الصوفية فاغتم

الجميع وتألوا . وعند ما فرغوا من الطعام قال الشيخ : يا حسن ، ينبغي أن تحمل سجاجيد الصوفية إلى مقصورة القاضي صاعد لانتا سوف نصلي خلفه . وكان القاضي صاعد خطيب المدينة . قال حسن : فحملت سجاجيد الصوفية إلى المقصورة وأنزلت خلف القاضي صاعد مائة وعشرين سجادة وصفتها صفيين بحيث لم يعد هناك مكان لأحد . ودخل القاضي صاعد وذهب إلى المنبر وخطب خطبة انكار ونزل . ولما قضيت الصلاة (ص ٨٠) نهض الشيخ ولم ينتظر السنة . وحين سار نظر القاضي صاعد خلفه ، وأراد أن يقول كلاما . فنظر إليه الشيخ باحتقار ، فأخى رأسه في الحال . وذهب الشيخ ، وذهب الجميع في خدمته . وعندما عاد الشيخ إلى الخاقا قال لى : اذهب إلى سوق الكرمانين تجد هناك بائع حلوى وضع كعكا نظيفا محشوا بالفستق ، فخذ منه عشرة أمنان من الكعك ، ثم دعه وسر حتى تجد بائع عنب ، فخذ منه عشرة أمنان من العنب ، وضعهما في فوطتين طبريتين ، واذهب بهما إلى الاستاذ أبى بكر اسحاق ، وقل له : ينبغي أن تفطر عليهما الليلة . قال حسن : فنهضت وذهبت إلى السوق الكرمانين ، ونفذت أمر الشيخ ، وذهبت إلى بيت أبى بكر اسحاق ، وأستأذنت ودخلت وسلمت عليه ، وأبلغته سلام الشيخ ، وقلت له : إن الشيخ يرجو أن تفطر الليلة على هذا الطعام . وعندما رآه تيرلون وجهه ، وعض أصابعه . وأظهر تعجبه ، وأجلسنى . ونادى حاجبه «أبو القسمك» وقال له : اذهب إلى القاضي صاعد وقل له اننى قد عدلت عن الموعد الذى كان بيننا غدا لنذهب ونناظر هذا الشيخ والصوفية وتؤذيه ، وأنت أعلم بهم . وإذا قال لك لماذا ؟ فقل له إننى نويت الصيام بالأمس ، واليوم حين وصلت إلى سوق الكرمانين فى طريقى إلى المسجد ، رأيت كعكا نظيفا على باب أحد حوانيت الحلوى ، فرغبت فيه ، وفكرت فى أنى بعد الصلاة سوف أبعث من يشتري لى كعكا من ذلك الحانوت لأفطر عليه الليلة . وحينما تجاوزته ، رأيت بائع عنب

فقلت أن العنب لطيف مع الكعك لأفطر عليهما . وحين عدت إلى المنزل كنت قد نسيت كل شيء عن هذا الأمر ، ولم أتحدث به لمخلوق . بل كان مجرد خاطر . والآن أرسل الشيخ إلى هذين الشئيين من نفس الموضعين قائلا افطر عليهما الليلة والشخص الذى يكون له مثل هذا الاطلاع على ضمائر الناس ، لا يسعنى إلا أن اتجنب مناظرته . (ص ٨١) وذهب الحاجب أبو القسمك ، وعاد برسالة — من القاضى صاعد — يقول فيها : لقد كنت أنا أيضا على وشك أن أبعث إليك بمن يخبرك بمثل ما أخبرتنى به ، فقد صلى — الشيخ — خلفى اليوم ، وعندما أنهى الفريضة نهض ولم ينتظر السنة وسار . فاتبعته بنظرى راغبا فى الاساءة إليه ، وأسأله ماذا يكون شعار الصوفية هذا الذى لا يؤدى السنة فى يوم الجمعة ؟ فنظر إلى الشيخ فى احتقار ، وذابت جراتى ، وتخيلت أنه صقر وأنى عصفور صغير ، وأنه سيفترسنى فى هذه الساعة . وبذات جهدا كبيرا لأنكلم ، ولكنى لم أستطع أن أقول شيئا . وقد أظهر لى اليوم هيئته وعظمته ، فلا شأن لى معه . ولقد كنت أنت صاحب رأى فى مخاطبة السلطان فى أمره ، والمسئول عن هذا ، والأصل فى ذلك ، وكنا نحن أتباع لك . وعندما انتهى الحاجب أبو القسمك من هذه الرسالة التفت أبو بكر اسحاق إلى وقال لى : اذهب وقل للشيخ إن القاضى صاعد ومعه ثلاثة آلاف رجل من أتباعه ، وأبا بكر اسحاق ومعه عشرون ألف رجل ، والسلطان ومعه مائة ألف رجل وسبعمائة فيل محارب ، قد اعتزموا جميعا محاربتك اليوم ، وأعدوا القلب واليمينه والميسرة والجناح ، وأرادوا أن يقهروك ، فترمتهم بعشرة أمان من الكعك ، وعشرة أمان من العنب ، وضربت اليمينه والميسرة والجناح بعضها ببعض .

والآن أنت أعلم بدينك ، ونحن أعلم بديننا « لكم دينكم ولى دين » .

قال حسن : فعدت إلى الشيخ ، وأخبرته بما حدث . فالتفت إلى المريدين وقال لهم : منذ الأمس وأنتم ترتعدون خوفاً ، وظننتم أنهم سيشحمون المشائق بدمائكم .. كلا .. إنهم يشحمون المشائق بدماء الأبطال ، مثل الحسين بن منصور ، الذى لم يكن له فى عهده نظير فى المشرق والمغرب فى علوم التصوف ، لا بدماء الجبناء من أمثالكم . ثم التفت إلى القوال وقال له : تعال ، انشد هذه الرباعية :

تعالى إلى الميدان والبس الدرع والكفانة
ولا تنباهى بنفسك وباه بى
وعش سعيداً سواء كان المصير
بارداً كالثلج أو حاراً كالنار . ١

(ص ٨٢) فردد القوال هذه الرباعية ، وصرخ الصوفية ، وظهرت الأحوال ، وأجرم ثمانية عشر شخصاً ولبوا ، وارتدوا الخرق . وفى اليوم التالى أقبل القاضى صاعد للسلام على الشيخ ، واعتذر له قائلاً : أيها الشيخ ، لقد تبت ورجعت عن ذلك . وكانوا يسمون القاضى صاعد « قمر نيسابور » لجمال وجهه ، فقال الشيخ هذه الرباعية .

قلت لئننى قمر نيسابور
فيا قمر نيسابور ، إن نيسابور لك
لك ماتملك وما تملكه نحن أيضاً
فها قلت لنا قيم العداوة بيننا

وعندما جرت هذه الرباعية على لسان الشيخ ، وقع القاضى على أقدامه ، وبكى ،

واستغفره ،وصفا الجميع من البغضاء والتشاحن ،ونهضوا مسرورين . وبعد ذلك لم يجرؤ أحد في نيسابور على أن ينتقص من قدر الصوفية .

حكاية :

كان في نيسابور سيدة يقال لها « ايشى نلى » ، وكانت زاهدة عابدة ، ومن أسرة كبيرة . وكان أهل نيسابور يتقربون إليها . وظلت لانقاد دارها طياء أربعين عاما . وكان لها مربية تقوم على خدمتها . ولما ذاعت شهرة الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور قالت ايشى لمربيتها يوما : انهضى واذهبى إلى مجلس الشيخ واحفظى مايقول لتحديثى به حين تعبدى . وذهبت المربية إلى مجلس الشيخ وكان الشيخ يقول كلاما لم تستطع المربية أن تحفظه ، ثم قال هذه الرباعية :

كان معي دافق ونصف دافق إلا حبة ،
وقد اشتريت قدحين من النبيذ إلا قطرة .
لم يبق على بربطنا لا « زير » ولا « بم » ،
فحتام تقول القلندرية والغم والغم ؟ !

وعندما عادت المربية سألتها ايشى عما قاله الشيخ ، وكانت لم تحفظ مما قاله سوى الرباعية ، فروتها لها ، فقالت ايشى : أيسكون هذا كلام العلماء والزهاد انهضى واغسلى فمك . (ص ٨٣) ففسلت المربية فمها . وكان من عادة ايشى أن تصنع للناس مرها للعين . ونامت في تلك الليلة فرأت في نومها شيئا خيفاً ، فاستيقظت

وقد رمدت عينها . وعالجتهما كثيرا ، ولجأت لجميع الأطباء دون جدوى . وظلت تصرخ وتألم عشرين يوما . ليلة . وذات ليلة نامت فرأت هاتفا يقول لها : إذا كنت تريد أن تشفى عينك فاذهبي واسترعى الشيخ . وفى اليوم التالى وضعت ايشى الف درهم فى كيس ، واعطته للمربية وقالت لها : احمله إلى الشيخ ، وعندما ينتهى من المجلس ضعيه أمامه ، ولا تقولى شيئا ، ثم عودى . وذهبت المربية إلى مجلس الشيخ ، ولما فرغ من المجلس سلمت عليه ، ووضعت كيس النقود أمامه . وكان من عادة الشيخ عندما ينتهى من المجلس أن يضع أحد المريدين أمامه رغيفا جافا ، وأعوادا من الخلال ، فكان الشيخ يأكل الخبز ، ويخلل أسنانه . ولما اقتربت المربية من الشيخ ، كان يخلل أسنانه ، فوضعت النقود أمامه ، وأرادت أن تعود . فقال لها الشيخ : تعالى ، واحملى هذا الخلال إلى سيدتك ، وقولى لها : اغسلى هذا الخلال فى الماء وضعيه فى عينك حتى تجدين الشفاء ، واخرجى من قلبك الإنكار والشك فى هذه الطائفة حتى تشفى بصيرتك أيضا . فقالت المربية هذا الكلام لايشى . ففعلت ما أمر به الشيخ ، وغسلت الخلال فى الماء ، ووضعت فى عينها ، فشفيت بقدرة الله فى الحال . وقامت فى اليوم التالى ، وأخذت كل ما تملك من الذهب والجواهر والملابس ، وأحضرتة إلى الشيخ ، وقالت له : أيها الشيخ ، لقد تبت واخرجت الإنكار والشك من صدرى . فقال لها الشيخ : باركك الله . ثم قال : قودوها إلى أم أبى طاهر لتلبسها الخرقة . وأمرها أن تختار خدمة هذه الطائفة ، فنهضت ايشى ، ولبست الخرقة ، وقامت بخدمة الدراويش ، وانفقت كل ما تملك فى سبيلهم .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا سعيد قدس الله روحه العزيز ذهب إلى نيسابور وأقام بها

عاما كان يعقد المجالس خلاله ويتحدث إلى الناس . وكان الاستاذ أبو القاسم القشيري (ص ٨٤) لم يعرف الشيخ بعد ، وكان ينكره . وفي خلال هذا العام كان سبعون رجلا من مريدي الاستاذ الامام قد ذهبوا إلى مجلس الشيخ ، ومن بينهم « أبونصر الحرصي » الذي كان يلح على الأستاذ الامام دائما في أن يحضر مجلس الشيخ ولو مرة واحدة ويستمع إلى حديثه ، حتى أجابه الاستاذ الامام إلى طلبه بعد عام وقال له : سأحضر غدا . وفي تلك الليلة ذهب الاستاذ الامام إلى دورة المياه كعادته ، وأخذ في الاستبراء من خارج الملابس .

[وهذه ليست سنة ؛ فالسنة أن تكون اليد من داخل الثوب لكيلا تكشف عن العورة حتى ولو كنت بمفردك ، وذلك وفق ماورد في الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم « واستحيوا من الذين يرونكم وأنتم لا ترونهم » . ولم يكن الاستاذ الامام من أولئك الذين تفوتهم هذه السنة سهوا .]

ثم صعد وأيقظ الجارية وقال لها : نظفي اللجام وأطراف السرج ، ثم شرع في الوضوء . وفي الفجر ذهب إلى مجلس الشيخ . وأخذ الشيخ في الحديث كعادته . وكان الاستاذ الامام ينظر إليه ، ويرى تلك السيطرة والاشراف على الخواطر فقال لنفسه : ان هذا الرجل ليس أكثر مني فضلا ، ونحن متساويان في المعاملة ، فمن أين وجد تلك المنزلة ؟ . فالتفت إليه الشيخ في الحال وقال له : أيها الاستاذ . انهم يتساءلون الآن عما حدث في ذلك الوقت ؛ فليس من السنة أن يدخل السيد الحجرة وهو يستبرئ ، ويوقظ الجارية قائلا لها انهضى ونظفي اللجام وأطراف السرج . وعندما سمع الاستاذ الامام ذلك القول ، غشى عليه وغاب عن الوعي ولما نزل الشيخ عن المنبر تقدم إلى الاستاذ الامام وعانق كل منهما الآخر (ص ٨٥) ، وتخلص الأستاذ الإمام من الإنكار والتخاصم ، وسارت الأمور بينهما .

حكاية :

روى، أنه عندما زال الإنكار عن باطن الأستاذ الإمام ، كان لا يزال ينكر السماع الذى يقيمه الشيخ ؛ ذلك أنه كان ينكر السماع فى البداية . ومر يوماً على باب خانقاه الشيخ ، وكانوا عندئذ يقيمون السماع فى الخانقاه ، وقد غمرت النشوة الصوفية ، وظهرت الأحوال ؛ فكانوا يرقصون والشيخ يوافقهم ونظر الأستاذ الإمام فى الخانقاه ، وجال بخاطره أنه فى المذهب لا نسمع شهادة الشخص الذى يرقص ويدور حول نفسه ، لأن ذلك يبطل العدالة. وفى اليوم التالى كانوا يرافقون الشيخ إلى وليمة ، وكان الأستاذ الإمام ذاهباً إلى مكان ما فتقابلا على مفترق الطرق، وتبادلا التحية ، فقال الشيخ : يا أستاذ ، متى رأيتنا فى صف الشهود ؟ فأدرك الأستاذ الإمام أن هذا جواب على ذلك الخاطر الذى خطر له بالأمس ، فتغلى عن ذلك أيضاً . وفى يوم آخر مر الأستاذ الإمام على باب الخانقاه وكان الشيخ قد أمر بالسماع، وقد تملكه حال من الوجد ، وطاب الوقت للجميع ، وأخذ القوال ينشد هذا البيت :

لا عار عليك إذا أصبحت مجوسياً من أجل صنم ،

لأنك إذا لم تصبح مجوسياً لا يكون الصنم حبيبك .

فأنكر الأستاذ الإمام ذلك البيت وقال لنفسه: لو أمكن تأويل جميع الأبيات على وجه من الوجوه ؛ فإن هذا البيت يكون من الأبيات التى لا يمكن تأويلها ، ومع هذا فالشيخ على هذا القدر من السرور . وقد جال هذا الخاطر فى نفس الأستاذ الإمام ولم يظهر عليه أحداً وسار . وبعد ذلك دخل الأستاذ الإمام على الشيخ يوماً ولما جلس التفت الشيخ إليه وقال : يا أستاذ !

— ألا يلحق بك العار إذا أصبحت مجوسيا من أجل ضم؟

وإذا لم تكن مجوسيا هل يكون الضم حبيبيك ؟

(ص ٨٦) قال الشيخ البيت هكذا على وجه الاستفهام . وعندما سمع الاستاذ الامام طريقة تفسير هذا البيت الذي لم يستطع أن يفسره برغم ماله من علم ودراية في التصوف ، وأنه كان قد فكر فيه كثيرا ؛ أقرب بأن السماع مباح للشيخ ، ومسلم به، وتاب وعزم على ألا ينكر على الشيخ أي حركة . وبعد ذلك ظل يذهب إليه كل يوم، أو يذهب الشيخ لديه .

حكاية :

كان الشيخ أبو أحمد صاحب مر الاستاذ الامام ، قدس الله روحيهما المميزتين ، رجلا عظيما جدا . وقد روى أنه ولد للاستاذ الامام ذات ليلة ولد، فأبلغوه الخبر سرا ، ولم يكن أحد من الدراويش قد علم بذلك ، ولم يكن الاستاذ قد اختار له اسما بعد . وأمسك شخص بحلقة باب الخاقاء ، فقال الاستاذ الامام : إنه الشيخ أبو سعيد . وفتحوا الباب فكان هو . فدخل وقال للاستاذ الامام : لقد علمنا أن الله وهبكم غلاما ، ونفى لنا أن نسميه ، وأتينا به باسما ، وسماه «أبو سعيد» . وأقام الاستاذ الامام ثلاث ولائم تعبيرا عن شكره لهذا الحادث ، كما أقام صهره السيد أبو عمر ، وكان رجلا عظيما ميسور الحال ، أربعين ولية أيضا شكرا لله .

حكاية :

قال السيد أبو بكر المؤدب إن الشيخ أبا سعيد كان يعظ في المجلس يوما ، وفي أثناء الحديث قال : لقد تأخر الاستاذ الامام . ثم عاد وقال : عجباً ، عجباً . ثم تحدث مرة أخرى وقال : إن قلبي مشغول على الاستاذ الامام ، لأنه

كان مريضاً بالأمس . وعندما قال الشيخ هذا دخل الأستاذ الامام من الباب ، فصاح الخلق ، والتفت الشيخ إليه وقال : يا استاذ ، إننا لم تغفل عنك بالأمس ، وسوف أقول حكاية أثبت بها عيادتي لك . ثم روى الشيخ هذه الحكاية :

كان أحد القرويين جالسا ذات يوم ، فاحضر له أحد مزارعيه خيارا ظهرا جدينا . فأحصى القروي أهل بيته وأعطى كل واحد خيارا . وأعطى واحدة لخادمه . ولم يبق له شيء . وأخذ الغلام يأكل الخيارا . ومالت نفس السيد إليها فقال : لغلامه : (ص ٨٧) اعطني جزءا من هذه الخيارا ، فأعطاه الغلام قطعة منها . وعندما ذاقها السيد وجدها مرة فقال له : أيها الغلام ، أنا كل خيارا على هذا القدر من المرامة بكل هذه اللذة ؟ . فأجاب الغلام : أى عذر لى حين أرد شيئا واحدا مرا وأنا آكل من يد الله أشياء حلوة سنين عديدة . ثم قال الشيخ :

أيها الاستاذ :

« قطعة من الشعر »

- كيف تألم من الحبيب لشيء من الأشياء ،
- والحب هكذا ، تارة سرور وتارة ألم وعناء .
- وإذا أذلك العظيم فليس ذلك الذل عيبا ،
- فإنه حين يعود ويلطفك يبرد كي الجفاء .
- وسيئة واحدة لا يمكن أن تنسيك مائة حسنة ،
- وإذا خفت من الشوك فلن تستطيع أكل البلح .
- ومن شأن الحبيب أن يغضب فعليك مداومة الاعتذار ،
- فليس من الممكن أن تجد حبيبا جديدا بين ليل ونهار ..

وحين سمع الاستاذ الامام هذا القول صرخ وغاب عن الوعي . ولما انتهى الشيخ المجلس وتفرق الناس ودخل للنزل ، إقترب مشايخ الصوفية من الاستاذ الامام وسألوه عما حدث بالأمس فقال : حدث أمر عجيب ؛ فبالأمس تكاسلت عن أداء الورد الذي تعودت أدائه ؛ وكنت مضطربا لذلك ، فقلت لنفسى : سوف أذهب إلى المسجد الجامع ، وأغتسل في الحوض ، وأذهب إلى قبور المشايخ وأؤدي هذا الورد . وعندما وصلت إلى المسجد الجامع ، نزلت إلى الحوض ، ووضعت السجادة والملابس على الطاولة ، وأخذت أصب الماء على رأسى ، فدخل رجل وسرق ثوبى ونعلى ، فنادت وحرقت ، وأخذت فى الشكوى والاعتراض فخرجت من الماء ، وذهبت عاريا إلى الخافاه ، ولبست ثوبا آخر ، وقلت يجب إتمام الأمر . وخرجت قاصدا الزيارة ، وعندما وصلت إلى باب المسجد الجامع ، عثرت قدمى بمحجر وجرحت ، ووقعت عمامتى عن رأسى ، وأقبل رجل واختطفها . وبقيت حائرا ، فرفعت رأسى إلى السماء وقلت : يا الهى ! .. إذا كنت لا تريد أبأ القاسم فإنه لا قبل له بصفعاتك وجراحك ، فالورد والزيارة كانا من أجلك ؛ فإذا كانا غير لازمين لك ، أبقيتهما ! ولم يعرف أحد فى الدنيا جميعها شيئا عن حالى . واليوم يقول الشيخ : (ص ٨٨) لقد كنت معك بالأمس ؛ فإذا كان قد اطلع على هذا السر فما أشد عارى لو أنه عرف عني ما حدث .

حكاية :

سمعت من السيد أبى الفتوح النضارى قوله : كان فى محلة عدنى كوريان . وكان بجوار زواية الشيخ ، فكانوا يذهبون إليه كل يوم عند العصر ، ويرشون الماء ، ويعدون المكان . وقد اعتاد الشيخ أن يجلس هناك ، ويجلس الشيوخ بين يديه ، ويقف الشبان من خلفهم . وكان المكان بهيجا طلقا طيبا . وذات يوم

كان الشيخ قد جلس كعادته فقال : هل تريدون أن تزوا جاسوسنا من جواسيس الله تعالى ؟ إذا كنتم ترغبون في ذلك ، فانظروا إلى هذا الرجل . فنظر الجميع ولم يروا أحدا . وفي الحال ظهر الأستاذ الامام أبو القاسم القشيري من نهاية الطريق ، فلما اقترب ، ألقى عليهم بالتحية ، ثم مضى . فنظر الشيخ خلفه وقال : إنه أستاذ ، إنه أستاذ حقا .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا القاسم القشيري فكر ذات ليلة وقال لنفسه : غدا أذهب إلى مجلس الشيخ أبي سعيد ، وأسأله ما الشريعة ، وما الطريقة ؟ ، وأرى بماذا يجيب . وفي اليوم التالي ذهب إلى مجلس الشيخ وجلس ، وبدأ الشيخ الحديث ، وقبل أن يتسأل الأستاذ الإمام سؤاله قال الشيخ : أيها الرجل الذي تريد أن تسأل عن الشريعة والطريقة ، اعلم أننا جمعنا العلوم كافة في هذا الشعر :

— جاءت رسالة من الحبيب أن أحسن العمل ، وهذه هي الشريعة .

— وقدم الحب من قالك وتجنب الفضول ، وتلك هي الطريقة .

وقد قال إمام الحرمين أبو المعالي قدس الله روحه العزيز : إن كل ما أفتناه في الكتب ، وصنفناه ، قد بينه سلطان الشريعة والطريقة الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز في هذا الشعر . (ص ٨٩)

حكاية :

روى السيد أبو الفتوح الفضائري رحمه الله عليه هذه الحكاية ، قال : طلبت السيدة قاطمة ابنة الأستاذ أبي علي الدقاق ، زوج الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري ،

من الأستاذ الإمام الإذن في الذهاب إلى مجلس الشيخ أبي سعيد ، فلم يمنحها
الأستاذ الإمام هذا الإذن. ولما تكررت الطلب ، قال لها : قد أذنت لك ، ولكن
تتكزى وتخفى ، وألقى قناعاً على رأسك بحيث لا يعرف أحد من أنت . ففعلت فاطمة
ما أشار به الأستاذ ، وجاءت إلى مجلس الشيخ ، وجلست بين النساء على السطح .
وعندما بدأ الشيخ الحديث استبهل بحكاية عن الأستاذ أبي علي الدقاق وقال : ها كم
جزءاً من أجزائه هنا ، وشطبية من شطائبه حاضرة . وعندما سمعت السيدة فاطمة
هذا القول ، تملكها حال ، وغابت عن الوعي ، ووقعت من السطح . فقال الشيخ :
يا إلهي ! لانكشف سترها . فظلت معلقة في الهواء حتى مدت النسوة أيديهن
ورفعنها إلى السطح . ولما عادت إلى المنزل ، أطلعت الأستاذ الإمام على ما حدث .

حكاية :

سمعت من زين الطائفة الشيخ عمر الشوكاني قوله : سمعت من الإمام أحمد
ابن مالك قوله : ذهب الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز يوماً إلى سوق
نيسابور ومعه الأستاذ الإمام وجماعة من كبار المتصوفة . وكان هناك حانوت وضع
على بابيه لفت مسلوق . فوقع نظر أحد الدراويش عليه ، وهفت نفسه إليه .
وأدرك الشيخ بفراسته ذلك ، فاستدار وقال لحسن بن المؤدب : اذهب إلى حانوت
بائع اللفت ، واشتر كل مالدیه منه ، واحضره . وكان هناك مسجد ، فدخل الشيخ هذا
المسجد ومعه الأستاذ الإمام وجماعة الصوفية . وذهب حسن إلى حانوت الرجل ،
وأحضر اللفت ، ودعى إلى الأكل ، فأخذ الدراويش يأكلون (ص ٩٠) والشيخ يوافقهم .
وامتنع الأستاذ الإمام ، وكان ينكر ذلك في نفسه لأن المسجد كان في وسط السوق ،
ومفتوحاً من الأمام . وبعد ذلك بأيام قليلة دعى الشيخ والأستاذ الإمام إلى

وليمة فاخرة . وكانت المائدة مجهزة بألوان كثيرة من الاطعمة ؛ إلا ذلك الطعام الذى كان يشبهه الاستاذ الإمام ، فقد كان بعيداً عنه ، وكان الحجل يمنعه من أن يمد يده إليه . فالتفت الشيخ إليه وقال : يا أستاذ عندما يعطونك إياه ترفضه ، وعندما يعطونه تزيدده ! فاستغفر الاستاذ على ما كان قد جال بخاطره ، وتنسبه .

حكاية :

روى الشيخ أبو نصر عن حسن بن المؤدب أنه قال : حدث يوما في نيسابور ، أن نزع الاستاذ الإمام عن أحد الدراويش خرقة ، وأساء إليه ، وطرده من المدينة ؛ لأن ذلك الدراويش كان ينظر إلى السيد اسماعيل الدقاق نظرة سيئة ، وكان إسماعيل هذا من أقارب الاستاذ الإمام . وكان الدراويش قد قال لاحد أصدقائه : ينبغي أن تقيم لنا وليمة الليلة ، وتدعو إليها إسماعيل ، حتى يقضى الليل في صحبتنا ؛ لنستمتع بمجاله ، ونضج وجدا ، فقد احترقنا شوقاً إليه . فنفذ ذلك الصديق رغبة الدراويش ، وأعد الوليمة ، ودعا القوالين والسيد اسماعيل . وفي اليوم التالى بلغ الخبر الاستاذ الامام ، فزاع عن الدراويش خرقة ، وسبه ، وطرده من المدينة . وحلوا هذا الخبر إلى زاوية الشيخ ، فغضب الدراويش . وقال الشيخ لحسن بن المؤدب : ينبغي أن تعد لنا الليلة وليمة فاخرة ، وتدعو إليها جميع أهل المدينة ، والاستاذ الامام ، وأن تشعل شموعا كثيرة . قال حسن : فذهبت وهيات كل ما أمر به الشيخ ، ودعوت الاستاذ الامام . وأحضرت أهل المدينة . وجاء الاستاذ الامام ، فأجلسه الشيخ معه على المنصة ، (ص ٩١) وجلس الصوفية فى ثلاثة صفوف أمام منصة الشيخ ، فى كل صف مائة رجل . ومددنا المائدة ، وكان السيد أبوطاهر يقوم بالخدمة عليها . وكان عندئذ لا يزال شابا أمرد ، بارع الجال ، يرتدى سترة موشاة ، وروح ويفدو

على المائدة كالشمعة المضيئة . وعندما حل ميعاد الخلوى، وضعت شراب اللوز أمام الشيخ والامتاذ الإمام ، وبعد أن شربا عدة كؤوس ، كفا أيديهما . وقال الشيخ .
يا أبا طاهر تعال ، واحل هذه الكأس ، واذهب بها إلى ذلك الدرويش —
مشيراً إلى أبي على الترشيزي — واشرب نصفها ، واسقه النصف الآخر . فحمل
السيد أبوطاهر كأس شراب اللوز ، وذهب أمام ذلك الدرويش ، وركم على ركبتيه
في احترام شديد ، وشرب نصف الكأس ، وسقاه النصف الآخر . وفعل أبوطاهر
هذا مرة أخرى ، فصرخ ذلك الدرويش ، ومزق ثوبه ، وخرج من زاوية الشيخ
ملبياً وهو يجرى ويصرخ .

وقال الشيخ للسيد أبي طاهر : يا أبا طاهر ، قد وقفتك على خدمة ذلك
الدرويش ، فاذهب إليه ، واحل عصاه وإبريقه ، وسر خلفه ، وقم بخدمته ، واتبعه حيثما
ذهب حتى يصل إلى الكعبة . فحمل السيد أبوطاهر عصا الدرويش وإبريقه ، وسار
خلفه . ونظر أبو على فرأى السيد أبوطاهر يتبعه ، ولما وصل إليه سأله : إلى أين
تذهب ؟ فأجاب أبوطاهر : لقد أرسلني والذي لخدمتك ، وحدثه بالامر . فرجع
أبو على إلى الشيخ وقال له : أيها الشيخ ! بحق الله ارجع أبوطاهر من خلفي .
فدعا الشيخ أبوطاهر ، فأدى التحية لذلك الدرويش وذهب . وعندما انصرف
أبو على التفت الشيخ إلى الامتاذ الإمام وقال له : أيها الامتاذ .. الدرويش الذي
يمكن إخراجه من المدينة ، وإرساله إلى الحجاز بنصف كأس من شراب اللوز ،
فيم الغضب عليه ، وانتزاع خرقة ، والإساءة إليه ؟ لقد فعلنا هذا من أجلك ،
فقد كان هذا الدرويش مصاباً بحب ولدنا أبي طاهر منذ أربع سنوات ، ولم

نمكن نظهر ذلك، (ص ٩٢) ولو لم يكن الأمر متعلقاً بك لما قلته لأحد .
منهض الأستاذ واستغفر ، وطاب الوقت ، وظهرت الاحوال للصوفية .

حكاية :

روى أنه عندما زال انكار الاستاذ الامام شيخنا ، رجاء قائلاً : ينبغي أن
تعقد مجلساً في خانقاه مرة كل أسبوع . فأجابه الشيخ ، وكان يعد المجلس هناك
بؤدا في الأسبوع وحل ميعاد مجلس الشيخ يوماً ، وكانوا قد صفوا المقاعد ، وأخذ الناس
في الحضور ، والجلوس ، ودخل الشيخ عبد الله باكوا للسلام على الأستاذ
الإمام . وبعد السؤال قال الشيخ عبد الله : ما هذا ؟ فقال الأستاذ الإمام إنه من
أجل الشيخ أبي سعيد ، سيحدث في المجلس فاجلس لتستمع إليه . فقال عبد الله
إنني أنكره ، أي لا أعتقد فيه ، فقال الأستاذ الإمام : لقد قلت أنا أيضاً
ما تقول الآن ، ولكن عندما عرفت الحقيقة أصبحت مريداً له . ثم قال له : انتبه
فإن هذا الرجل مشرف على الخواطر . فلا تطاد تصنع حركة أو تفكر في شيء .
إلا ويظهره في الحال . ثم دخل الشيخ أبو سعيد ، وارتقى المقعد ، وقرأ المقرئون .
القرآن ، وقام الشيخ بالدعاء ، وبدأ في الحديث . فنفخ الشيخ عبد الله بقمه في الخفاء ،
وقال لنفسه في صوت منخفض : كثير من الأنفاس في الريح . ولم يكذب كلامه
حتى التفت الشيخ إليه وقال : في الريح معدن الانفاس ، قال هذه الكلمة وعاد
إلى الحديث . فقال الأستاذ الإمام للشيخ عبد الله : ماذا فعلت ؟ قال : قلت هكذا .
فقال له الأستاذ : ألم أقل لك لا تقل شيئاً لأن هذا الرجل مطلع على كل ما تصنع
وتفكر فيه ؟

وعندما حى الشيخ في الكلام ، وظهر عليه الانفعال ، قال الشيخ أبو عبد الله

لنفسه لما شاهد حال الشيخ: لقد وقعت متجرداً في كثير من المواقف، (ص ٩٣)
ورأيت كثيراً من المشايخ، وقعت بخدشهم، وأمضيت أكثر من تسعين عاماً في
خدمة المشايخ، فما السبب في أن يظهر كل هذا على هذا الرجل ولا يظهر على ؟
فالتفت إليه الشيخ في الحال وقال له: أيها السيد :

« بيت »

— أنت هكذا وحظك هكذا ،
وأنا كذلك وحظي كذلك .

وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ثم مسح وجهه يديه، ونزل عن المقعد، وتقدم
إلى الأستاذ الامام وعبد الله باكو . ولما جلسوا قال الشيخ للأستاذ: قل لهذا السيد
اجعل قلبك سعيداً . فقال الشيخ عبد الله: سأكون سعيداً عندما تأتي إلى خانقاهي
كل خميس . فقال الشيخ: لقد وقعت عليك أنظار كثير من العظماء والمشايخ ،
وسوف آتى من أجل هذه الانظار ، لامن أجلك أنت . وحين قال الشيخ هذا
القول ، بكى الناس وصاحوا ، وتحلى الشيخ أبو عبد الله عن إنكاره ، وعم
الصفاء الجميع .

وكانت حالهم هكذا، فساروا على جادة الصدق، ولم تكن هذه الرعاية بينهم
رياء ولا نفاقاً، فلا جرم أن ظهر الصفاء والسرور من تلك الكلمة الغايظة التي
صدرت عن صدق، بعيدة عن المداينة في طريق الدين . وفي عهدنا هذا لا تظهر
ذرة من الصفاء من ألف كلمة تقولها في اداف ورعاية، لأنها مزوجة بالرياء والنفاق
والمداينة. أسأل الحق تعالى أن يوقظنا من نوم الغفلة قبل الموت، وأن يكرمنا
بمتابعة الصدق، بشروط المشايخ المتقدمين .

حكاية :

روى أنه عندما زال ذلك الإنكار والتحكم عن الشيخ عبد الله ، كان يذهب كل وقت للسلام على الشيخ، ويتحدث معه ، ولكنه كان ينكر السماع والرقص على الشيخ أبي سعيد ، ويجهر بذلك أحيانا ، حتى رأى في منامه ذات ليلة أن هاتفا يصيح (ص ٩٤) به قائلا : « قوموا وارقصوا لله سبحانه وتعالى » فاستيقظ وقال : لاحول ولا قوة إلا بالله، لقد أظهر الشيطان لى هذه الرؤيا السيئة. ونام مرة أخرى فرأى الهاتف يقول : « قوموا وارقصوا لله » فاستيقظ وقال : لاحول ولا قوة إلا بالله ، ثم ردد الذكر ، وقرأ سورتين أو ثلاث من القرآن ونام . ورأى الرؤيا نفسها ، فأدرك أن هذا لا يمكن أن يكون سوى هاتف من عند الله . واستيقظ عند الفجر ، وذهب إلى الخانقاه لزيارة الشيخ ، فرآه يقول من داخل المنزل « قوموا وارقصوا لله » . فززع الشيخ عبد الله الإنكار من قلبه .

وحدث في الوقت نفسه أن ذهب الشيخ عبد الله باكوا إلى الشيخ أبي سعيد ، وكان الشيخ يجلس متكئا على أربع وسائل ، فأنكر عليه ذلك ، فقال له الشيخ : لا تنظر إلى الخلق بالأربع وسائل ، بل بالخلق والطبع . وعندما وضع الشيخ هذه المسألة بهذه العبارة الموجزة ، زال الإنكار عن الشيخ عبد الله وتاب قائلا : لن أعترض على الشيخ مرة أخرى .

حكاية :

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني قدس الله روحه العزيز: عندما جاء الشيخ أبو سعيد إلى نيسابور، كان والدى ينكره إنكارا شديداً؛ بحيث لم يكن أحد يستطيع أن يتحدث عنه في حضرته. وذات يوم قال لى والدى ، بعد أن فرغ من

صلاة الفجر: البس ملابسك لكي تذهب لزيارة الشيخ أبي سعيد ؛ فعجبت لذلك . كثيرا . ثم ذهبنا إلى خانقاه الشيخ . ولما دخلنا من باب الخانقاه قال الشيخ : ادخل يا خليل الله عند حبيب الله ؛ (ص ٩٥) فعجبت لهذا الكلام أيضاً . ودخل والدى ، وكان الشيخ وحيداً فى الصومعة ، فنادى المريدون قائلاً: تعالوا وارفعونى .

وكان الشيخ فى أواخر عمره ينهض بصعوبة ، بسبب كثرة الرياضة التى قام بها فى أوائل عهده ، وتعليقه نفسه من أقدامه . وكثيراً ما كان يجلس على المنصة: ويدلى قدميه ، ويعتمد يديه عليها ، حتى ينهض دون معونة أحد .

وأسرع اثنان من المريدين ، وأمسكاه ، فعانق الشيخ والدى ، وجلسا يتحدثان . برهة . ولما مضى بعض الوقت ؛ دخل الاستاذ الإمام . وتحدثوا بعض الوقت ، ثم نهض الاستاذ الإمام وانصرف . وأتبع والدى الاستاذ الإمام بنظره ، فوضع الشيخ قدمه على أذن والدى وأسر له شيئاً ، فقبل والدى فخذ الشيخ ؛ فازدادت تعجباً من هذه الحركة . ثم نهض والدى وخرجنا .

ولما وصلنا إلى المنزل قلت لوالدى: لقد عجبت اليوم ثلاث مرات ، الأولى: أنك كنت تنكر الشيخ أبا سعيد ، وفى الفجر أمرتنى أن أنهض لنذهب لزيارته.. والثانية: أننا عندما ذهبنا إلى الشيخ قال : ادخل يا خليل الله عند حبيب الله . والثالثة: أنه حين أنصرف الاستاذ الإمام نظرت خلفه ، فهمس الشيخ فى أذنك ، . فقبلت فخذ . فقال والدى: رأيت بالامس فى نومى أننى أذهب إلى مكان عزيز مبارك ، وموضع طيب ، فتظّرت الشيخ أبا سعيد يتحدث فى مجلس فى ذلك المكان ، وكان هناك خلق كثيرون يستمعون إليه . ولشدة ما كنت عليه من الانكار للشيخ ، حولت وجهى عن ذلك المكان ، فسمعت هاتفاً يقول لى : أتحمول وجهك عن شخص فى منزلة حبيب الله فى الأرض ؟ . فلما سمعت هذا

أجسنت بالغيرة، وقلت لنفسي: (ص ٩٦) : إذا كان هو في منزلة حبيب الله ، فإذا تكون منزتي ؟. فسمعت الهاتف يقول: أنت بمنزلة خليل الله . فاستيقظت ولم يبق في قلبي شيء قط من الانكار للشيخ ، وظهر في قلبي في مقابل كل شك ألف محبة . واليوم ذهبنا لزيارة الشيخ فقال : ادخل يا خليل الله عند حبيب الله ؛ فأوضح أنه بفراسته وكرامته مطلع على ما رأيت في نومي أمس . ولما نهض الاستاذ الامام أخذت أنظر خلفه وأنا أقول لنفسي: إذا كان الشيخ في منزلة حبيب الله ، وأنا في منزلة خليل الله ، فإذا تكون منزلة الاستاذ الامام ؟ فوضع الشيخ فمه على أذني وقال: إنه في منزلة كلیم الله . فتعجبت من قول الشيخ ، ومن أشرف خاطره على ضماير عباد الله سبحانه وتعالى ، وأحنيت رأسي وقبلت فخذ الشيخ . فقلت لو الذي : كيف يمكن معرفة حال هذه المنازل ؟ . فروى لي والذي هذا الحديث الذي ورد باسناد صادق عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « علماء امتي كأنياء بني إسرائيل » . وبعد ذلك كنت أذهب دائماً مع والذي للسلام على الشيخ .

حكاية :

روى عن عميد خراسان أنه قال : إن سبب حبي للشيخ أبي سعيد وأبنائه بيعته أني عندما ماجئت إلى نيسابور لأول مرة ، كنت فارساً أدعى محمد الحاجب . وكنت كلما مررت بباب زاوية الشيخ عند الفجر ، ورأيت الشيخ بها أصبح ذلك اليوم مباركا . وذات ليلة قلت لنفسي: غدا أذهب للسلام على الشيخ ، وأحمل له معي شيئاً . وأعددت ألف درهم من الدراهم التي كان الواحد منها في ذلك الوقت يساوي تسعة عشر، أي أن الثلاثين منها تساوي ديناراً . ولففت الألف درهم

فى لفافة من الورق ، حتى إذا ما جاء الصباح ، ذهبت لتحية الشيخ ، ووضعت النقود أمامه . وكنت عندئذ وحيدا بالمنزل ، ولم أطلع أحدا على ذلك . ثم عدت وفكرت فى نفسى أن هذا المبلغ كثير وتكفى خمسمائة درهم . (ص ٩٧) تقسمت النقود إلى نصفين ، ووضعت خمسمائة درهم خلف الوسادة ، وحملت الخمسمائة الأخرى إلى الشيخ ، وسلمت عليه ، وأعطيتها لحسن بن المؤدب . فقال حسن للشيخ بصوت منخفض : لقد أحضر الحاجب محمد بعض النقود . فقال الشيخ : باركه الله ، ولكنه لم يحضر المبلغ تاما ؛ فقد ترك النصف خلف الوسادة . إن حسن مدين بألف درهم ، فليعطها له حتى يطمئن . قال العميد : عندما سمعت هذا دهشت ، وأرسلت خادما فأحضر بقية النقود ، وأعطاهما لحسن . ثم قلت للشيخ . أيها الشيخ ، تقبلنى . فأخذ الشيخ يردى وقال : لقد قبلناك ، فاذهب مصحوبا بالسلامة . قال العميد : بعد ذلك لم أتعرض لأذى ، وسلمت من كل مكروه ، وكنت إذا بذلت شيئا بذلته عن طيب خاطر . ولم أمس بسوء بعد ذلك ، وكان شأنى فى ارتفاع دائما . وحين غادرت الشيخ أتبعنى بنظرة قاتلا : ما أكثر المهام التى تقع على عاتق هذا الرجل .

حكاية :

قال أبو سعيد الخشاب الذى كان خادم الشيخ الخاص إن الشيخ قدس الله روحه العزيز خرج يوما من خانقاه محلة عدنى كوبان ليذهب إلى الحمام . وكان عميد خراسان يسير ممتطيا جواده ، ولم يكن قد أصبح عميدا بعد ؛ بل كان خاجيا يدعى محمد الحاجب . ولما وقعت عينه على الشيخ ، ترجل عن جواده

وسلم وقال للشيخ : هل تأذن لي في أن أقول شيئا ؟ . فقال له الشيخ : تكلم ..
 فقال العميد : أريد أن يمنحني الشيخ مكانا من قلبه . فقال الشيخ : قد منحناك ..
 فمظله العميد ومضى . وذهب الشيخ إلى الحمام وهو يقص على هذا الحديث . ولم
 أستطع أن أمنع نفسي فقلت : أيها الشيخ ، كيف تحدث إليك ذلك الرجل هكذا
 وأجبتة إلى طلبه ، وأى مكان يكون له ؟ . فقال : إن له مع الله سرا ، فلا عجب
 أن يجد ما يريد . ومنذ ذلك الوقت أخذ شأنه يرتفع حتى أصبح بعد أمد قصير
 عميدا لخراسان . وقال السيد الشيخ أبو الفتح : كنت أقف يوما بين يدي
 الشيخ ، (ص ٩٨) وكان عميد خراسان في ذلك الوقت أحمد الدهستاني ، وكان
 له حاجب يدعى محمدا . فحضرا يوما لزيارة الشيخ . وتقدم الحاجب محمد ، وكان
 شابا جميلا ، ودخل وأدى التحية ، فقال له الشيخ : ادخل يا عميد خراسان . فقال
 الحاجب محمد : هالك عميد خراسان يدخل ، وكان أحمد الدهستاني يسير خلفه ،
 فقال الشيخ : إنه ليس عميد خراسان ، بل أنت . إنه كلب وستمرقه السكلاب ،
 ولم يحفل الشيخ بالعميد أحمد الدهستاني . وماهى إلا أيام حتى قتل أحمد الدهستاني ،
 ومزق إربا ، وأصبح الحاجب محمد عميدا لخراسان . وظل ستين عاما يأخذ خراج
 خراسان ، ويدير أمورها بكفاءة . وكان يباهى بذلك دائما ويقول : لقد نصبتني
 الشيخ أبو سعيد عميدا لخراسان .

حكاية :

قال السيد أبو الفتح بن عباس : ذهبت مع والدي إلى اصفهان عند نظام
 المالك ، رحمة الله عليه ، وعندما دخلنا عليه دعا له والدي ، فقال نظام المالك : أيها

السيد الامام ، لقد وجدت ما وجدت بفضل الشيخ أبي سعيد . فقال له والدي : كيف ؟ فقال : ذات يوم كنت أركب جوادى فى نيسابور ذاهبا إلى محلة عدنى كويان ، فلحق بى رجل وقال لى : إنهم ينادونك . فقلت : من الذى ينادينى ؟ فقال : هم ينادونك هنا . فسرت ودخات إلى الخانقاه فرأيت الشيخ أبا السعيد فسألت عن حالى ورحب بى ، وكنت قد ذهبت عند الشيخ قبل ذلك — كما فى الحكاية التى ورد ذكرها فى موضعها — وأمسك يدي وقال لى : سوف تكون رجلا عظيما . فأدبت له التحية ورجعت . وفى اليوم التالى ذهبت إلى مجلس الشيخ ، وكان هناك حجر متوار عند الباب فجلست عليه بحيث لم يكن الشيخ يرانى ، وأخذ الشيخ يتحدث ، وعندما أنهى المجلس قال : إن على حسن ديننا . وكنت ألبس حزاما كمادة الشباب الأرعن ، (ص ٩٩) فخلت الحزام وأعطيته له . فقال الشيخ لحسن : أحضر هذا الحزام . فقدم حسن الحزام للشيخ ، فأخذه ووضع أصبعه فى حلقة وأداره عدة مرات وقال : لن يمضى وقت طويل حتى يفقدوا أمانك أربعة آلاف حزام من الذهب . واليوم استعرضت أربعة آلاف رجل فى خدمتى يرتدون أحزمة ذهبية ؛ فكل ما أدركته إنما هو من بركات الشيخ أبى سعيد .

حكاية :

كان فى مرو شيخ يقال له محمد الختنى ، وكان واحدا من شيوخ ماوراء النهر ، وعندما اعتزم يفرأخان قتل صوفية ماوراء النهر ، جاءت جماعة من شيوخهم واختفوا فى مرو وكان محمد الختنى هذا من بين هؤلاء . ولم يكن قد رأى شيخنا ؛ إذ أنه كان فى نيسابور حين جاء الختنى إلى مرو . وكان فى مرو إمام يدعى أبا بكر الخطيب من تلاميذ الإمام القفال ؛ وكان قد رأى الشيخ

عنده . وفى يوم اعتزم أبو بكر الذهاب إلى نيسابور فى مهمة ، فجاهد محمد الخنسى هذا وقال له : سمعت أنك تقصد نيسابور ، ولى حاجة هناك . فقال له أبو بكر : ماهى ؟ . قال : أريد أن تسأل الشيخ أبا سعيد هذا السؤال دون أن يعلم أننى طلبت إليك ذلك أو تحدته عنى . وهو : هل تمخى الآثار ؟ . قال أبو بكر : فقلت له لا أستطيع أن أتذكره فاكتبه لى على ورقة ، فكتبه وأعطاني الورقة . وذهبت إلى نيسابور ، وتزلت فى رباط القوافل ، فرأيت اثنين من الصوفية يدخلان من الباب فى الحال ويسألان : من السيد أبو بكر الخطيب ؟ قلت : أنا . فاقترنا منى وقالوا : إن الشيخ أبا سعيد يقرئك السلام ويقول لك إننا غير مطمئنين لنزولك فى رباط القوافل وينبغى أن تحضر إلينا . فقلت لهما : انتظرا حتى أذهب إلى الحمام (ص ١٠٠) واغتسل ثم أحضر . ومحبرت من ذلك السلام وتلك الرسالة ، إذ اننى كنت أعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يكون أحد قط قد أخبره بمعدى بهذه السرعة ، وإنما أدرك ذلك بفراسته وكرامته . وذهبت إلى الحمام سريعا واغتسلت . وعندما خرجت من الحمام رأيت الدرويشين يقفان على بابه ومعهما العود وماء الورد . وذهبت فى محبتهما إلى الشيخ ، ولما وقع نظره على قال :

بيت من الشعر العربى

أهلا بسعدى والرسول وحبذا وجه الرسول لخب وجه المرسلى

فسلمت عليه : فرد السلام وقال : إذا كانت رسالته شيخك خفيفة عليك فإن كلامه عزيز لدينا ، ومنذ غادرت مرو ونحن نعد للمنازل واحدا واحدا . قال أبو بكر الخطيب : فشعرت بالانهيار ، ثم قال الشيخ : هات ما عندك لترى

ماذا قال ذلك الشيخ . قال أبو بكر الخطيب : لقد نسيت كل العلوم في تلك اللحظة لهيبة الشيخ ، وقلت له : إنني لا أذكره ، وقد كتبته على ورقة ، وهي في الثوب الذي كنت أرتديه في السفر . فقال الشيخ : أنت الذي حفظت المؤلف والمختلف لم تستطع أن تحفظ سؤال الشيخ ؟ فانهرت أكثر ، وقال الشيخ : إذا قلته لك ، هل تذكره ؟ قلت : الأمر للشيخ ، قال إنه : هل يمكن أن تمحي الآثار ؟ قلت : هو كذلك . فقال الشيخ : إذا اجبتك الآن على هذا السؤال وجب عليك أن تعود في الحال ، فاذهب واقض شغلك ، وعندما تحين عودتك سأنبئك بالجواب . قال أبو بكر الخطيب : وكنت اختلف إلى الشيخ كل ليلة طوال إقامتي في نيسابور ، وكان الشيخ يحثني بي كثيرا ويكرمني . وعند العودة ذهبت إلى الشيخ وقلت له : أجبني على سؤال الشيخ . فقال : قل له : « لا تبقى ولا تذر » إن العين لا تبقى فكيف يبقى الأثر ؟ قال أبو بكر الخطيب فأخبرت رأسي وقلت : فليتفضل الشيخ بإيضاح ذلك . فقال الشيخ : إنه لا يتأتى في بيان عالم (ص ١٠١) . فاحفظ هذا الشعر :

« رباعية »

لقد بكت عيناي وأصبح جسدي كله دموعا
وفي عشقك ينبغي أن تكون الحياة بغير جسد
لم يبق مني أثر ! فإذا يكون عشقك هذا ؟
وما دمت قد صرت أناكل المعشوق ، فمن العاشق ؟

فقلت فليتفضل الشيخ بكتابة هذا . فأمر حسن بن المؤدب فكتبه وأعطاه

لى . وعندما وصلت إلى مرو حضر محمد الخنقى فقلت له : لقد أرسلتنى إلى سلطان وضعت جميع أسرار العالم أمامه على طبق. وحدثته بكل ماجرى ، وأعطيته الورقة ، وعندما قرأها صرخ وسقط مغشيا عليه ، فحملناه من ذلك المكان إلى منزله بمعونة رجلين ، ثم توفى رحمة الله عليه بعد أسبوع من ذلك .

حكاية :

روى أنه عند ما كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، كان هناك أمام من أصحاب أبي عبد الله الكرام يدعى أيبا الحسين التونى ، ينكر شيخنا ، وبلغ من إنكاره له أنه كان يلعبه إذا ذكر أمامه ، ولم يذهب إلى محلة عدنى كويان حيث توجد زاوية الشيخ طوال إقامة الشيخ في نيسابور . وذات يوم قال الشيخ : أعدوا الجواد لنذهب لزيارة أبى الحسين التونى . فاعترض الصوفية والمريدون اعتراضا شديدا وقالوا : أیذهب لزيارة رجل لا يمكن الحديث عنه أمامه ، وإذا سمع اسمه لعنه ؟ . وركب الشيخ ، وذهب المريدون فى محبته . وفى الطريق خرج رافضى من منزله ورأى الشيخ مع الصوفية فأخذ يلعبه . وأراد الصوفية أن يسيثوا إليه ، فقال لهم الشيخ : هونوا عليكم فرجما رحمة الله بسبب هذه اللعنة . فقال الجميع : كيف يرحم الله شخصا يلعب مثلك ؟ . فقال الشيخ : معاذ الله ، إنه لا يلعبنى ؛ وإنما يظن أننى (ص ١٠٢) على باطل وهو على حق ؛ فهو يلعب ذلك الباطل من أجل الله . وكان الرجل واقفا يسمع كلام الشيخ ، فسقط فى الحال على أقدام الشيخ وقال له : أيها الشيخ ، لقد تبنت وأنت على حق وأنا على باطل ، فاعرض على الإسلام لأسلم من جديد . فقال الشيخ للمريدين : أرايتم أى أثر

يكون لعنة تاملونها من أجل الله ؟ . وعندما اقتربوا أرسل حسن بن الثؤدب درويشا قبلهم ليخبر الإمام أبا الحسين أن الشيخ قادم لتحيته . فأبلغ الدرويش أبا الحسين ذلك ، فلحن الشيخ وقال : ماذا يريد منا ؟ ينبغي أن يذهب إلى كنيسة المسيحيين . فلما سمع الدرويش ذلك عاد إلى حزن وأخبره بما قال . وتصادف أن كان اليوم يوم أحد ، وكان الشيخ قد علم بما حدث بنفسه ، وسأل حسن : ماذا حدث ؟ فأعاد عليه حسن ما سمعه . فقال الشيخ . لتنفيذ الآن ما أمر به الشيخ . واتجه إلى كنيسة المسيحيين وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، لتنفيذ الآن ما يأمر به الشيخ . وعندما وصل إلى الكنيسة كان المسيحيون قد اجتمعوا وأخذوا في الصلاة . ولما رأوا الشيخ تجمعوا حوله ، وأخذوا ينظرون إليه ليروا لأى أمر أتى . وكانوا قد اصطفوا أمام المحراب ، وعلقوا صورة عيسى ومريم على الحائط ، واتجهوا إليهما وأخذوا يسجدون لهما . فنظر الشيخ إلى تلك الصور وقال : « أنت قلت للناس أتخذوني وأمى إلهين من دون الله » ، إذا كان محمد ودين محمد حقاً فاسجدوا لله في هذه اللحظة . ولما قال الشيخ هذا وقعت الصورتان على الأرض في الحال بحيث كان وجهاهما إلى الكعبة . وعندما رأى المسيحيون ذلك صرخوا ، وخلص أربعون منهم الزنار ، وأسلموا (ح ١٠٣) ، واغتسلوا ، ولبسوا المرقعات . فالتفت الشيخ إلى جماعة الصوفية وقال : كل من يسير وفق إشارة الشيوخ يكون هكذا ، وهذا كله بركة إشارة ذلك الشيخ . وأبلغوا أبا الحسين التوني بما حدث للشيخ وما قاله ، فتملكه حال وقال : أحضروا الحفة وضعوني فيها ، واحملوني إلى خانقة الشيخ أبي سعيد . فأجلسوه في الحفة : ولما وصل إلى خانقة الشيخ قال : أخرجوني من الحفة ، فأخرجوه منها ، ودخل من باب الخانقاه متكئاً على الاكتاف

ونحو يصيخ ويعمرخ حتى وصل إلى منصة الشيخ، وسقط أمام الشيخ، وظهرت الأحوال للجميع، ومزق أبو الحسين ثوبه، وواقفه الشيخ والصوفية، واستغفر عما كان قد فعله، وأصبح من مريدى الشيخ .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور، كانت جماعة من الدراويش يملكون بالسوق يوما، وكان القوالون قد حضروا من طوس وأقاموا السماع هناك، فلما عاد الدراويش إلى الخانقاه قالوا للشيخ: لقد وصل القوالون من طوس، وهم يقيمون السماع في السوق، ويريد الاستماع إليهم. فقال الشيخ لحسن بن المؤدب: اذهب إلى سوق نيسابور، وانظر من أجل جها هناك، وقل له: لقد وصل المقرئون من طوس، ويريد الصوفية أن يستمعوا إليهم، فهى لهم أسباب الطعام ليستريح الجميع الليلة. فخرج حسن وطاف بسوق نيسابور، ثم رجع إلى الشيخ وقال له: لقد طفت جميع نيسابور فلم أر من هو أجل وجها من الشيخ. ولما سمع الشيخ هذا القول، (ص ١٠٤) رفع عباءة عن ظهره وقال له: احمل هذه إلى حانوت أبي جعفرنا وقل له: يقول الشيخ اعطنا خمسين ديناراً لنهى بها طعاماً الليلة حتى يستريح مقرئو طوس، ويتفرغوا للمجاهدة، ويطمئن قلبك من أجلهم. قال حسن: فذهبت إلى حانوت أبي جعفر وفق إشارة الشيخ وحدثته بالأمر. فقال أبو جعفر: هل تعطى دليلاً على أنه جرى على لسان الشيخ قوله «أبو جعفرنا»؟ فقلت له: سوف أكون مسئولاً على ذلك يوم القيامة. فأخرج خمسين ديناراً ولقها في ورقة وأعطاهما لى. ثم أعطاني عباءة الشيخ قائلاً: زدها له. ولما ذهبت ووصعت ما أعطاه لى أمام الشيخ، دخل أبو جعفر فى أثرى وأحضر خمسين ديناراً

أخرى، ومن خلفه غلام يحمل طعاماً مغطى، ووضعها أمام الشيخ وقال : إن بإيعنته مع حسن كان حسب ما أشرت به ، وما أحضرته الآن تعبير عن شكرى لقولك : «أبو جعفرنا» ، فسوف تكون هذه الكلمة معيني يوم القيامة .

حكاية :

وأيضاً عندما كان الشيخ أبو سعيد في نيسابور ، كان حسن بن المؤدب خادم الشيخ الخاص قد اقترض مالا وأتفقه على الدراويش ، وأخذ يؤجل قضاءه، والفرقاء يطالبون به . وفي يوم حضر الجميع إلى باب خانقاه الشيخ ، فقال الشيخ لحسن : قل لهم ليدخلوا . فأدخلهم حسن . وعندما دخلوا ، حيوا الشيخ . ومر صبي على باب الخانقاه وهو ينادى على « ناطف » فقال الشيخ : احضر ذلك البائع . فأحضره حسن . وقال له الشيخ : زن كل مالدريك . فوزنه، ووضعها أمام الدراويش ، فأكلوه . وقال الصبي : أريد المفقود فقال الشيخ : سوف تأتى . ومرت ساعة ، وطالب الصبي بالثمن مرة أخرى ، فأجابه الشيخ بنقس الجواب . (ص ١٠٥) فقال الصبي : إن أستاذى يضربنى من أجله ، قال هذا وأجهش بالبكاء . وفي الحال دخل رجل من باب الخانقاه ، ووضع صرة من الذهب أمام الشيخ ، وقال له : لقد أرسلنى فلان إليك ، وهو يريد أن تذكره بدعائك . فقال الشيخ لحسن : خذه ، وقسمه على الدائنين . فأخذ حسن الذهب ، وأعطى الجميع نقودهم ، كما أعطى لذلك الغلام ، ثم الناطف ، دون أن يبقى شيء . وأيلزم شيء . وقال الشيخ : لقد كان هذا المال مقيداً بدموع ذلك الغلام .

حكاية:

قال حسن بن المؤدب : كان للشيخ محب في نيسابور اسمه أبو عمرو وحسكو ، وكان رجلا موسرا ، يعمل بالتجارة في نيسابور . وذات يوم دعاني وقال لي : لقد أصبحت مريدا للشيخ بكل كياني ، وإنتى أرجو منك أن ترجع إلى في كل ما يلزم الشيخ ، ولا تجش مهما كان كثيرا . قال حسن : وفي يوم من الأيام أرسلنى الشيخ إليه سيم مزارات لقضاء أمور مختلفة ، فأداها جميعها . وفي المرة الثامنة ، وكانت الشمس تميل إلى الغروب ، قال لى الشيخ : يا حسن ، اذهب إلى أبي عمرو ، واحضر ماء ورد وكافورا وعودا . فذهبت وأنا خجل من الذهاب إليه مرة أخرى ، لأنه كان على وشك أن يفلق حانوته . ووقفت عينه على من بعيد فقال : يا حسن ، ماذا حل بك حتى وقفت مترددا هكذا ؟ قلت له : أيها الأستاذ ، أنا خجل لكثرة ما جئت إليك اليوم . فقال : ماذا يريد الشيخ ؟ إنتى فى خدمته . قلت إنه يريد ماء ورد وكافورا وعودا . ففتح الحانوت ، وأعطانى ما طلبت وقال لى : مادمت تخرج من الرجوع إلى فى مثل هذه الأشياء الحقيرة ، فإنتى سأهبك غدا رباطا وحماما بألف دينار ، حتى تستطيع أن تنفق من ريعهما ، وترجع إلى فيما هو أعظم من ذلك . قال حسن : فسررت ، وقلت لنفسى : لقد تخلصت من ذل السؤال . وعدت إلى الشيخ فى سرور بالغ وقد أحضرت العود وماء الورد . فنظر الشيخ (ص ١٠٦) إلى مستنكرا وقال : يا حسن ، أخرج وطهر باطنك من حب الدنيا حتى أتركك تجالس الصوفية . قال حسن : فخرجت ووقفت على باب الخانقاه حاسر الرأس ، عارى القدمين ، وبكيت كثيرا ، ومرغت وجهى فى التراب ، ورجعت . ولم يقل الشيخ لى شيئا فى تلك الليلة . وفى اليوم التالى خرج إلى المجلس ، وكان قد تمود أن يلتفت كل

يوم أثناء الحديث إلى أبي عمرو حسكو ، فلم ينظر إليه في هذا اليوم .

ولما فرغ الشيخ من المجلس جاء أبو عمرو حسكو إلى وقال: يا حسن ماذا حدث حتى أن الشيخ لم ينظر إلى اليوم ؟ قلت لا أعلم ، وحدثته بما جرى بالأمس . فذهب أبو عمرو إلى منصة الشيخ وقبلها وقال له : يا عزيز الدهر... إن حياتي دهن لفنة منك، وأنت لم تنظر إلى اليوم قط !. ماذا حدث مني لأستغفر وأطلب العذرة عنه ؟. فقال له الشيخ : لقد أنزلت صقر عزتنا من أعلى عليين إلى أسفل سافلين وقيدته بألف دينار . وإذا كنت تريد أن يصفو قلبنا لك فادفع الألف دينار لترى كم نساوى في ميزان همتنا . فذهب أبو عمرو ، وأحضر صرتين في كل واحدة خمسمائة دينار نيسابوري ، ووضعها أمام الشيخ . فقال الشيخ: يا حسن ، ارفع هذه ، واشتر بقرا وخرافا ، وافرى البقر ، وزعفران الخراف وعطرها ، واحضر كثيرا من شراب اللوز ، واشعل الشمع في النهار ، واحضر كثيرا من العود وماء الورد ، وهيء المائدة غدا في « بوشنك » ، وهي قرية جميلة جدا بجوار نيسابور ، وناد في المدينة أن كل من يريد طعاما بدون منة في الدنيا ، أو أذى في الآخرة فليأت . قال حسن : فأعددت هذا كله ، وبعت مناديا في المدينة ، فجاء أكثر من ألفي شخص إلى بوشنك .. وجاء الشيخ ومعه جماعة الصوفية ، وأجلس الخواص والعوام على المائدة ، (ص ١٠٧) وأخذ يرش عليهم ماء الورد بيده المباركة ، ويمحق العود والناس يتناولون الطعام . وحدث أحد منكرى الشيخ نفسه قائلا: ما هذا الإسراف الذي يفعله هذا الرجل ؟ وإشعال ألف شمعة في النهار إسراف ولاشك ، فمر الشيخ من بين الناس جميعا ، ووقف أمام ذلك الرجل وقال له: أيها الرجل ، انزع الانكار والتعكم من صدرك ، فإن كل ما تفعله من أجل الله لا يكون إسرافا ؛ أما إذا

أنفقت درهما واحداً من أجل نفسك ، فإن هذا هو الأسير افتد . فسقط الرجل على أقدام الشيخ ، وأصبح من مريديه ، وجعل كل أمواله تحت تصرف الشيخ . قال حين : وعندما فرغوا من الطعام ، وفدت الأموال ، رفعت الموائد ، وعدت إلى المدينة . ولما جاء الليل واولى الشيخ إلى فراشه ، ناداني قائلاً : يا حسن ، انظر ماذا بقي بالخزانة فأنا لا أستطيع النوم . فبحثت في الخزانة فلم أجد شيئاً ، فعدت إليه وقلت : لا أجد شيئاً قط . فقال : ابحث جيداً : فبحثت مرة ثانية فلم أجد شيئاً ، وقلت : أيها الشيخ ، إنني لا أجد شيئاً ، ثم بحثت مرة أخرى ، فوجدت رغيفاً ، فحملته إليه . فقال لي : اذهب واخرجه لكي ننام . فأخرجته ونام الشيخ .

وهكذا كان شأن الشيخ جميعاً يخرجون كل ما يأتينهم من رزق ، فيفسدوا اليوم ، دون أن يبقوا منه قالوا : أو كثيراً للغد ، وفقاً لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي ذهب إلى زاوية بلال الحبشي رضي الله عنه ، فرأى نصف رغيف جاف على كوز مكسور ، فقال له : يا بلال ، ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، لقد كان رغيفاً جافاً أفطرت بنصفه أمس ، وأبقيت النصف الآخر لهذه الليلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقللاً »

حكاية :

وأيضاً عندما كان الشيخ في نيسابور كان كثير من المريدين يجيئون إليه ، ومنهم المذهب وغير المذهب . وكان أحد القرويين قد تاب (ص ١٠٧) وأخذ يختلف إلى الخانقاه دائماً ، وكان له حذاء دق فيه قضباناً من الحديد ، بحيث أنه كلما دخل إلى الخانقاه ، أحدث الحذاء صوتاً يتألم منه الدراويش . فحدث الشيخ ذلك

الدرويش وقال له : ينبغي أن تذهب إلى « درمون » (وهو واد يقع بين جبلي طوس ونيسابور وعلى الطريق بينهما ، وهناك نهر ينبع من هذا الوادي ويصب في نهر نيسابور) ، وعندما تصل إلى ذلك الوادي وتسير قليلا تجد حجرا ، فينبغي أن تصلى عليه ركعتين ، وتنتظر هناك حتى يأتي إليك صديق من أصدقائنا ، فيبلغه سلامنا . وذكر الشيخ لذلك الدرويش كلاما كثيرا قائلا : قل له لأنه صديق عزيز علينا ، وقد عاشرنا سبع سنوات . فسار ذلك الدرويش بشوق كبير ، وأخذ يفكر طوال الطريق قائلا لنفسه : أنا ذاهب لزيارة ولي من أولياء الحق ، إلى واحد من الرجال الأربعين الذين هم مدار العالم ، وقوام أمر بني آدم ، وقد يقع نظره المبارك على ، فتصلح أمور ديني ودنياي ببركته . وعندما وصل إلى ذلك المكان الذي مر ذكره ، توقف برهة ، ثم ظهرت أصوات طرقات شديدة اهتز لها الجبل . ونظر الدرويش مرة أخرى ، فرأى حية سوداء هائلة ، لامثيل لها في الضخامة ، حتى لقد امتلأ بها الفراغ بين الجبلين . فلما وقع عليها نظر ذلك الدرويش ، لم يبق فيه روح ، ووهنت أطرافه ، بحيث لم يعد يستطيع الحركة مهما حاول . وجاءت الحية ، (من ١٠٩) واقتربت من ذلك الحجر ، ووضعت رأسها عليه ، وتوقفت . وعندما تمالك الدرويش نفسه ، ورأى الحية قد وضعت رأسها على الحجر في تواضع ولم تتحرك ، قال لفرط ذهوله وخوفه : لقد بعث لك الشيخ بسلامه . فمرغت الحية وجهها في التراب ، وأظهرت تواضعها . ولما رأى الدرويش ذلك ، أدرك أن الشيخ كان يقصدها برسائله فأبلغها ما قاله الشيخ ، فأزداد تواضعها وعندما أتم الدرويش كلامه ، تراجعت الحية . ولما غابت عن نظره ، نزل من الجبل وسار قليلا ، ثم جلس ، وأخذ حجرا وانتزع القضبان الحديدية من حذائه ، وسار في

هبطوه حتى وصل إلى الخاقاه . ولما دخلها لم يشعر به أحد ، وألقى النخبة في صوت خافت سمعه الدراويش بصعوبة . وعندما رأى الصوفية تغير حاله أرادوا أن يعرفوا أى شيخ هذا الذى تركت صحبته لنصف يوم فى نفس ذلك الدراويش من الأثر ما لم يتحقق له بالرياضة والمجاهدة سنين طويلة ، فسألوه : من ذلك الذى بشك الشيخ إليه ؟ فذكر لهم القصة . فتعجب الجميع ، وسألوا الشيخ عن ذلك . فقال الشيخ : لقد رافقتنا هذه الحية سبع سنوات ، وكان كل منا يرتاح إلى الآخر .

وقصارى القول أنه لم ير أحد من ذلك الدراويش حركة غليظة بعد ذلك اليوم ولم يسمع منه صوتا عاليا ، ولم يبق فيه شيء من هذا ، وأصبح مؤدبا مهذبا بلفتة واحدة من الشيخ .

حكاية :

قال الأستاذ عبد الرحمن مقرى . شيخنا إن الشيخ كان يتحدث يوما فى مجلس فى نيسابور ، وكان فى المجلس رجل علوى ، فقال لنفسه : نحن نملك التسبب وهذا الشيخ يملك العزة والدولة . فالتفت الشيخ إلى ذلك العلوى فى الحال ، وقال له : أيها السيد ، يلزم أفضل من هذا وذاك . ثم التفت إلى الجمع وقال : اتعلمون ماذا يقول هذا السيد ؟ إنه يقول . نحن نملك التسبب ، وهنا توجد الدولة والعزة . اعلموا أن كل ما أدركه محمد عليه السلام إنما أدركه بالنسبة لا بالنسب لأن أبا جهل وأبا لهب كانا أيضاً من ذلك النسب . وأنتم قد قنعتم من ذلك العظيم بالنسب ، أما نحن فقد أسلمنا إليه أنفسنا فى النسبة ، والآن لا تقنع بذلك ، فلا جرم أن جعل الله لنا نصيبا من تلك الدولة والعزة التى كانت لذلك العظيم ، وأوضح أن الطريق إلى حضرتنا يكون بالنسبة لا بالنسب .

حكاية .

قال جدى شيخ الإسلام أبو سعيد رحمه الله عليه ان الشيخ أبا سعيد كان يتحدث يوماً في مجلس في نيسابور، وكان في ذلك المجلس عالم فاضل، فأخذ يفكر في نفسه قائلاً: إن هذا الكلام الذى يقوله الشيخ لا يوجد في أسباع القرآن السبعة. فالتفت الشيخ إلى ذلك العالم في الحال وقال له : أيها العالم ، إن هذا الكلام الذى نقوله في السبع الثامن . قال العالم : أى سبع ثامن أيها الشيخ ؟ . فقال الشيخ : السبع السابع هو : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك » ، والسبع الثامن هو : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » . أتظنون أن كلام الله عز وجل محدود ومعدود؟ إن كلام الله ليس له نهاية ؛ لأن المنزل منه على محمد هو هذه الأسباع السبعة ، أما الذى يوصله إلى قلوب عباده ؛ فإنه لا يدركه عد ولا حصر ، كما أنه لا ينقطع أبداً ، ففي كل لحظة يصل منه رسول إلى قلوب العباد ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، ثم قال الشيخ :

(ص ١١١)

« بيت »

— أنت لي راحة روحي معاينة لا خبراً ،

ومتى كانت المعاينة ، فبم يفيد الخبر ؟

ثم قال: ورد في الخبر أن اللوح المحفوظ من الاتساع بحيث لا يستطيع الجواد العربى أن يصل من أحد أطرافه إلى الآخر في أربعة آلاف عام ، وأدق من شعرة الشارب ، وفيه نبأ جميع الخلق من لدن آدم إلى يوم القيامة .

حكاية :

وأيضا عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، كان له كثير من المنكرين أحدهم القاضي صاعد الذي مر ذكره . ورغم أنه لم يكن ينكر الشيخ علانية ، فقد كان بينه وبين نفسه لا يخرج عن أصحاب الرأي الذين ينكرون كرامة الأولياء ، بل إنه كان زعيمهم في هذا . وذات يوم قالوا للقاضي صاعد إن أباسعيد يقول إذا أحل لجميع الناس الدماء ، فإننا لآنا كل إلا الحلال . فقال القاضي صاعد: سوف اختبر هذا الرجل اليوم . وأمر باحضار حملين ممتلئين متشابهين ، ودفعوا ثمن أحدهما من مال حلال ، وثمن الآخر من مال حرام . وزينوها على صورة واحدة ، وقاموا بشيها حتى صارا في لون واحد ، ووضعوهما على طبقين متشابهين . وقال القاضي - لخدمه - سأذهب لتحية الشيخ ، وبعد ساعة من وصولي احضروا هذين الحملين خفي ، وضعوهما أمام الشيخ أبي سعيد . لأرى هل يفرق بكرامته بين الحلال والحرام أم لا . وحمل الخدم الحملين وساروا بهما ، وعندما وصلوا إلى مقترق الطريق ، خرج عليهم غلمان سكارى من الأتراك ، وضربوا خدام القاضي ، وسلبوا الحمل الحرام . وبعد ذلك دخل غلمان القاضي من باب الخاقاه ، (ص ١١٢) وأحضروا حملا واحدا ، ووضعوه أمام الشيخ . فنظر القاضي إليهم غاضبا . وعندئذ التفت إليه الشيخ وقال : أيها القاضي ، الميتة للكلاب والكلاب للميتة ، والطعام الحرام للحرام ، والحلال للحلال ، فلا تفض . فتخلى القاضي عن إنكاره للشيخ ، وانتزع الإنكار من قلبه ، وأخذ يعتذر ، وعاد إلى الاعتقاد في الشيخ .

حكاية :

روى أن تاجرا في نيسابور أحضر للشيخ حزمة من العود وألف دينار

بسابورى . فأمر الشيخ حسن بن المؤدب أن يعد وليمة ، وأن ينقى عليها الألف دينار كعادته . ثم وضعوا موقداً وقال لهم الشيخ ضعوا العود فيه حتى يكون لجيراننا نصيب من رائحته الطيبة . وأمرهم أن يوقدوا كثيراً من الشموع فى النهار . وكان هناك محتسب جبار متشدد فى ذلك العهد ، ينكر الشيخ والصوفية . فدخل من باب الخانقاه وقال للشيخ : ماهذا الذى تفعله ؟ ليس من الصواب إيقاد الشموع فى النهار وإطلاق البخور . إن أحداً لم يفعل هذا من قبل . فقال الشيخ : لم نكن نعرف أن هذا خطأ ، فاذهب واطفىء الشموع . فتقدم المحتسب نحوها ليطفئها ، ونفخ فيها ، فهبت النار فى وجهه وشعره وملابسه ، وكاد يحترق . فقال الشيخ :

« بيت »

- كل من يطفىء الشمع الذى يوقده الله ، يحترق شاربه !

فندم المحتسب على قوله وتاب .

حكاية :

(ص ١١٣) كان فى نيسابور درويش يحب الدنيا ، ويفرط فى جمع المال والادخار . وذات ليلة دخل لص منزله ، وسرق كل ما فيه ، ماعدا المرقع الذى كانت فيه نقوده . وفى اليوم التالى ذهب الدرويش إلى مجلس الشيوخ حزينا منهارا ، ولم يسكن قد أخبر أحداً بذلك ، فالتفت إليه الشيخ أثناء حديثه . وقال له :

« بيت »

- أجل يا حبيبي ، لقد كنت ليلة أمس فوق سطحك ، -

قلت « لص » ، لم يكن « الصل » ، بل كنت أنا .

فصرخ الدرويش، وتقدم إلى الشيخ، ووضع أمامه ما تبقى من القود، فقال له
الشيخ: هكذا ينبغي أن يكون كل شيء للجميع.

حكاية:

كان الشيخ أبو القاسم الروباهي من كبار الصوفية في نيسابور، وزعما لعشرة
من مشاهير الصوفية من مريدي الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري. وعندما
وصل الشيخ إلى نيسابور، حضر هؤلاء العشرة إلى مجلسه، وانخرطوا في خدمته
وأصبحوا من مريديه.

قال أبو القاسم الروباهي: لقد ظلت أمداً طويلاً أطلب من الله سبحانه
وتعالى أن يبين لي درجة الشيخ أبي سعيد، وأخذت أتضرع من أجل هذا ليال
عديدة، حتى رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم في نومي ذات ليلة، وفي أصبعه خاتم
به فص من الفيروز، وقال لي: أريد أن تعرف درجة الشيخ أبي سعيد؟ قلت: نعم
يا رسول الله. فأراني أصبعه وقال: إنه كالفص من الخاتم. فارتعدت واستيقظت
من النوم. وفي اليوم التالي (ص ١١٤) جلست في مجلس الشيخ، فالتفت إلى
وقال: كيف كان الحديث عن ذلك الخاتم؟ ولما سمعت قوله، سقطت على
أقدامه قدس الله روحه العزيز.

حكاية:

رأيت بخط السيد أبي البركات مكتوباً جاء فيه: سمعت هن السيد اسماعيل
ابن عياس أنه قال: كان أبو عثمان الحبري من مشايخ نيسابور يقيم في محلة
«ملقاباد»، وكان مريداً لشيخنا، فأعد للشيخ مجلساً في زاويته بملقاباد، وطلب
إليه أن يتحدث فيه مرة كل أسبوع، فأجابه الشيخ إلى طلبه. وقال أبو عثمان الحبري

رأيت في منامى ذات ليلة أن الشيخ يتحدث في زاويتي ، وكان صاحب الشرع المصطفى صلوات الله وسلامه عليه جالسا على الجانب الآخر من المنبر ، ولم يكن الشيخ يلتفت إليه . وجال بخاطري إنه لأمر عجيب ألا ينظر الشيخ إلى صاحب الشرع ، فالتفت إلى الشيخ في الحال وقال لي : « ليس هذا وقت النظر إلى الأغيار ، هذا وقت الكشف والمكاشفة » .

ولما اختتم الشيخ المجلس التفت إلى صاحب الشرع وقال : « وتعد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لأن أشركت ليخبطن عملك » وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ثم مسح وجهه بيديه ونزل عن المنبر . فاستيقظت وبقيت حائرا .

حكاية :

قال أبو بكر محمد بن أحمد الواعظ السرخسي : بعد وفاة الشيخ أبي سعيد قدس الله روحه العزيز ، نظمت قصيدة في تلك الحادثة الكبيرة ، وقلت فيها هذين البيتين :

— من قال بأن للحق مكانا ،
التبس عليه الأمر ، لأنك في مكان مكين .
— ومن أجل الناس أظهرك الحق في مكان ،
لأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا ما وراء إدراكهم .

(ص ١١٥) وعندما أنشدت هذه القصيدة على ضريحه المقدس في حفل من أبنائه ومريديه ، قال الشيخ عبد الصمد بن الحسين الصوفي السرخسي ، وكان من خاصة مريدي الشيخ وأصحابه العشرة : هذان البيتان صدق . فاستمع إلى هذه الحكاية . ثم قال على قبره الطاهر في حضور الجميع : كنت في خدمة الشيخ في نيسابور ، وذات ليلة رأيت الشيخ في نومي جالسا في مكان لم يكن من عادته

الجلوس فيه . وعندما قالت له : ما هذا أيها الشيخ ، لماذا لم تجلس في مكانك . قال لي : أنا في مكاني ، فقلت مرة أخرى : لماذا لم تجلس في مكانك أيها الشيخ ، لعله خير ؟ فقال الشيخ : ليس لي مكان ، لانتحت ولا فوق ، ولا عن يمين أو شمال ، ولا في أي جهة من الجهات ، ولكننا نتخذ مكانا لتقضي حوائج الخلق بنا وتنصلح أمورهم بسببنا . فاستيقظت من نومي مشغولا بذلك . وفي الفجر كنت في مجلس الشيخ ، وعندما خرج من صومعته وجلس على المنبر كعادته ، أطرق لحظة ، ثم رفع رأسه وقال : تعال يا عبد الصمد وقص الرؤيا التي رأيتها فيها بالأمس . فعجبت لأنني لم أكن قد ذكرت هذه الرؤيا لأحد . وأدريت فمي من أذن الشيخ وأخذت أقصها ، وأنا أحاول ألا يسمعي أحد . ولم أكد أبدأ حتى صاح الشيخ : ارفع صوتك لسمع الناس أننا نجلس هنا من أجلهم وإلا لما كان لنا مكان . وظهرت على الجميع أحوال . والآن ورد هذان اليتيمان على اسانك بعد وفاته (ص ١١٦)

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : وقفت يوما بين يدي الشيخ في نيسابور ، بعد أن فرغ من المجلس وفرق الناس ، وكانت قد تجمعت على قروض كثيرة ، فكنت لذلك مهموما ؛ إذ كانوا يطالبونني بها ، ولم يكن هناك معلوم . وكان يلزم لي أن يتكلم الشيخ في هذا الأمر ، ولكنه لم يفعل . وأشار الشيخ إلي قائلا : انظر خلفك ، فلما نظرت رأيت سيدة عجوزاً تدخل من باب الخانقاه . وتقدمت إليها ، فأعطتني صرة من الذهب وقالت لي : احمل هذه المائة دينار إلى الشيخ ، واطلب إليه أن يذكرنا بدعائه . فأخذتها مسروراً ، وقلت لنفسى الآن أوفى الدين . وحماتها ووضعتها أمام الشيخ ، فقال لي : لاتضعها هنا ، بل احملها واذهب بها

إلى مقابر الحيرة، وهناك تجد أربع قباب نصف محطمة، وشيخا نائما في ذلك المكان، فأبلغه سلامنا، وأعطه صرة الذهب، وقال الله عندما تصلك هذه تعال إلينا لنعطيك غيرها .

قال حسن : وذعبت فرأيت شيخا ضعيفا نائما، وقد توسد طنبورا . فأيقظته، وأبلغته سلام الشيخ، وأعطيته الذهب . فصرخ الرجل قائلا : قدنى إلى الشيخ . فسألته عن حاله فقال: أنا رجل مهنتى كما ترى قنخ الطنبور . وفى شبابى كنت محبوبا من الناس جميعا، ولم يكن يجتمع فى هذه المدينة اثنان إلا وكنت ثالثهما . وكان لى تلاميذ كثيرون ، وعندما تقدمت بى السن انفضوا من حولى ، ولم يعد هناك من يدعونى . والآن وبعد أن ضاقت فى وجهى سبل العيش ، طردتنى زوجى وأبنائى قائلين إننا لا نستطيع الاحتفاظ بك ، فدعنا الله . ولم أعرف لى مكانا، فحُت إلى هذه المقبرة ، (ص ١١٧) وجعلت أبكى فى ألم . وناجيت الله تعالى قائلا : يا إلهى ! إننى لا أجيد حرفة ، ولا أملك شبابا ولا قوة ، وقد طردنى الجميع ، واليوم طردتنى زوجى وأبنائى أيضا ، والآن بقيت أنا وأنت ، وسوف أطربك ليلا لتمنحنى القوت فى الصباح . وأخذت أنفخ فى الطنبور وأنا أبكى ، حتى عجزت عند الفجر ، فاستسلمت للنوم حتى هذه الساعة إلى أيقظتنى فيها .

قال حسن : فقدته إلى الشيخ ، وكان لا يزال جالسا فى المسكان الذى تركته فيه ، فسقط ذلك الرجل على أقدام الشيخ ، وتاب . وقال له الشيخ : أيها الرجل ، إن تأوهاتك فى المقبرة لم تذهب سدى ، فامض وغن لله أيضا ، وكل من هذه النقود . ثم التفت إلى وقال : يا حسن ، إن كل من لم يخطئ فى حق الله يتحقق له ما يطلب ، وسوف يتحقق طلبك أنت أيضا .

قال حسن : وعندما فرغ الشيخ من المجلس فى اليوم التالى . جاء رجل

وأعطاني مائتي دينار لأحملها إلى الشيخ. ولما قدمتها له، قال لي: اقض بها دينك، فأفقتها في هذا الأمر .

حكاية :

وأيضاً قال حسن بن المؤدب : في وقت من الأوقات ؛ تراكت على ديون كثيرة في نيسابور ، كنت قد استدتها من أجل الصوفية . وأخذت أصبر لأرى ما يأمر به الشيخ . وذات يوم أدى الشيخ صلاة الفجر وقال لي : يا حسن ، احضر لي دواة وقطعة من الورق . قلت لله أكبر ، وأحضرت الدواة والورقة ، ووضعتهما أمام الشيخ فكتب :

« بيت »

— تريد أن تذهب إلى مرو وإلى هراة ،
وحينما تذهب ستجد بقرتين وحمارا .

وقال لي : خذ هذه الورقة ، واخرج من باب الخاقاه ، وقف على الجبلين ، واعطها لمن يتقدم إليك . قال حسن : وعندما خرجت تقدم إلى شاب ، فسلمت عليه (ص ١١٨) وأبلغته تحية الشيخ ، وأعطيته الورقة . فقبلها وقربها من عينه ، وكان الظلام حالكا فلم يستطع القراءة ، فذهبتنا إلى باب الحمام ، ودخل الشاب الحمام ، وقرأ الورقة ، فإذا بها عن حاله . فقال لي : قدنى إلى الشيخ . فقدمته إليه ، وسلم عليه ، ووضع أمامه مائة دينار ذهبي ، وناجحة من المسك ، وحزمة من العود . فقال له الشيخ : اطمن فسوف يتحقق مقصودك هنا . وخرج الشاب وقال لي : تعال معي . فذهبت معه إلى رباط القوافل ، فأعطاني مائة دينار أخرى ، وقال لي : وف بها ديون الشيخ ، وإذا تحقق مقصودي هنا ، فسوف أعطيك مائة أخرى . فسأنته عن أمره ، فقال : كان لي منذ ثلاث سنوات شريكان ، أحدهما في « بلغار » ، والآخر

في « نهرواله » ، وقد جاءني بالأمس رسول من مرو يخبرني أن أحد شريكي جاء إليها ، فعزمت على السفر إلى مرو ، وفي الليل جاء آخر وأخبرني أن الشريك الثاني قد وصل إلى هراة . وأخذت أفكر طوال الليل : هل أذهب إلى هراة أو إلى مرو ؟ وفي السحر خطر لي أن أذهب إلى الشيخ عند الفجر ، وأحمل إليه مائة دينار ، ومقدارا من العطر الزكي ، وأسأله هل أذهب إلى مرو أو إلى هراة ؟ ثم أعمل بمشورته . وقد جئت في الفجر ، فاستقبلتني وأعطينتني تلك الورقة . والآن قال لي الشيخ إن مقصودي سيتحقق هنا ، وسوف انتظر لأرى ماذا يحدث . قال حسن وفي الظهر رأيت ذلك الشاب فقال لي : لقد وصل شريكي الذي كان قد جاء إلى هراة . وفي العصر خرجت إلى السوق فرأيتته مرة أخرى ، وأسرخ نحوى قائلا : لقد وصل شريكي الآخر من مرو ، وكنت قادما في طلبك . لقد تم مرادى هنا كما قال الشيخ . ثم أعطاني مائة دينار أخرى . فعدت إلى الشيخ فقال لي : وف الديون بهذه الثلاثمائة دينار ، ولا تشك بعد الآن ؛ (ص ١١٩) لأن ما يأكله هؤلاء القوم لا يرق إليه شك ، فالحق تعالى هو الذي يقضى دينهم .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب: مضت أيام لم يحضروا خلالها لحما إلى الخاقان ؛ لاني لم أكن أملك ثمنها ، وكان القصابون يطالبونني بشمن ما كنت قد أخذت من اللحم . وذات يوم كان الشيخ يتحدث في المجلس فقال لي : انهض يا حسن ، واذهب إلى ذلك الشاب — وأشار بأصبعه إلى رجل — وقل له اعطني ذلك المسكوك الذهبي هي المعقود في حزامك فهو يساوي أكثر من دينار. فذهبت إليه وقلت : أيها الشاب ، قال الشيخ : أعط ذلك المسكوك الذهبي المعقود في حزامك

للدراويش فهو يساوي أكثر من دينار . ولما سمع الشاب ذلك بكى ، وفتح الحلقة ، وأعطاني الدينار . فأحضرتة إلى الشيخ ، فقال لى : اذهب إلى سوق الحدادين ، وهناك تجد قصابا علق حملا رضيعا مزينا ، فاشتره منه ، واذها معا إلى « بشوله » . وألق بذلك الحمل في الحفرة ، لتأكله حيوانات تلك المقبرة . فذهبت وأنا أنكر هذا طوال الطريق ، لأنه مضت عدة أيام لم يدخل اللحم فيها الخلقاء ، على حين يبعث الشيخ بالحمل إلى الكلاب . وعندما ذهبت إلى ذلك المكان ، رأيت ما ذكره الشيخ . واشتريت ذلك الحمل ، وأعطيت القصاب الدينار ، وأخذته معى ، وألقيت بالحمل إلى الكلاب . وقف الخلق ينظرون إلى عملي هذا في استنكار ، ووقف القصاب يبكي ، وقال لى : قدنى إلى الشيخ . فقدته إليه ، فسقط على أقدامه تائبا . وقال الشيخ : يا حسن ، منذ أربعة شهور وهذا الشاب يتجشم المتاعب فى تربية هذا الحمل ، وأمست مات الحمل ، فأسف على إلقائه . ونحن نخشى أن تصل تلك الميتة إلى أفواه الخلق ، فإكل منها مسلم . (ص ١٢٠) وقد حقق هذا الرجل مقصوده وتمتعت الحيوانات أيضا بأكل الدسم ، فلماذا تشك أنت ؟ إن هؤلاء الدراويش أطهار لا يأكلون إلا الطاهر . فنهض ذلك الشاب وقال للشيخ : لدى كبش حلال غير مطهى ، وقد وهبته للصوفية . فقال الشيخ : كان ينبغي هذا لكى تنعم الكلاب بأكل الدهن ، ويصل ذلك الرجل إلى مقصوده ، وتحصل أنت على لحم حلال .

حكاية :

عندما كان الشيخ أبو سعيد فى نيسابور ، كان مؤذن مسجد المطرز يقرأ القرآن على المئذنة ذات ليلة . وكان فى ناحية المسجد رجل تركى مريض ، فاستطاب صوت المؤذن ، وتأثر به حتى بكى . ولما طلعت الشمس ، أرسل شخصا واستدعى

المؤذن وقال له : هل كنت تقرأ القرآن على هذه المئذنة أمس ؟ قال نعم ، فقال له اقرأ مرة أخرى . فقرأ المؤذن خمس آيات ، وأعطاه التركي ديناراً . وأخذ المؤذن الدينار ، وخرج وجاء إلى مجلس الشيخ ، وكان الشيخ يتحدث . وفي أثناء الحديث دخل اثنان من رعاة الكلاب ، وطلبا من الشيخ إحساناً ، فالتفت الشيخ إلى المؤذن وقال له : أعط ذلك الدينار الذي أخذته من التركي إلى هذين الرجلين . وقال المؤذن لنفسه : لقد أعطاني التركي الدينار على انفراد ، ولم يكن هناك أحد معنا ، فمن الذي أخبر الشيخ ؟ فقال الشيخ : لا تفكر كثيراً لأن ماء الحمام يليق للبالوعة . فسر المؤذن ، وأعطاهما الدينار .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : دعاى الشيخ يوماً وقال لى : اخرج من الباب ، (ص ١٢١) واتجه يمينا ، ومد يدك لـكل من يأتى أمامك قائلاً : ضع كل ما تملك هنا . فخرجت وفق إشارة الشيخ ، ورأيت مجوسياً فاقتربت منه ومددت يدي فقال المجوسي : أسلم أولاً ، فقدني إلى الشيخ . فقدته إليه ، فقال له : أيها الشيخ ، اعرض على الإسلام . ثم أسلم ، أسلم كل ما يملك للشيخ .

حكاية :

ذات يوم فى نيسابور ، استدعى الشيخ قدس الله روحه العزيز حسن بن المؤدب وقال له : ينبغي أن تذهب إلى الشحنة ، وتطلب إليه أن يعيد مائدة للدرأويش . وكان شحنة المدينة منكر للصوفية . قال حسن : فذهبت إليه ، وأخذت أقول لنفسى طوال الطريق إنه ليس بنيسابور من هو أكثر منه ظمأ ، وأشد إنكاراً للشيخ ، فكيف يتحقق هذا ؟ وعندما ذهبت إليه ، رأيته يضرب رجلاً

بالعصا ، والناس ينظرون إليه من بعيد . وبقيت خائرا . ونجاة وقعت عين الشحنة على فقال : ماذا يفعل ذلك الصوفي هناك ؟ وجاء شخص وسألني لماذا تقف هنا ؟ فاقتربت من الشحنة ، وأبلغته سلام الشيخ ، وقلت له : إن الشيخ يأمرك أن تقيم مأدبة للصوفية . فأخذ يسخر مني ، ثم رفع يده ، وأخذ كيسا من الفضة ، وألقاه إلى قائلا : لعل الشيخ يريد أن يقيم مأدبة بمال حرام ، قل لشيخك إنني أخذت هذه النقود من هذا الرجل بعد ضربه بالعصا . فحملت النقود ، وذهبت إلى الشيخ ، ووضعتها بين يديه ، فقال الشيخ : خذها (ص ١٢٢) لتهيء بها المأدبة . وعندما حان الموعد ، وضعت المائدة . فمد الشيخ يده ، وأخذ يتناول الطعام والجميع يشاركونه وهم مستنكرون . وفي اليوم التالي كان الشيخ يتحدث في المجلس ، فنهض شاب وجاء بين يدي الشيخ ، وبكى ، وقبل أقدامه وقال له : ساعحنى لاننى خنتك ، وقد نلت جزاء خيائتى . فقال الشيخ : أى خيانة حدثت ؟ يجب أن تحدث الدراويش بها . فقال الرجل : دعانى والدى عند وفاته ، وأعطانى كيسين من النقود قائلا : أعط هذه النقود للشيخ بعد وفائى ، لينفقها على الدراويش . فلم أنفذ وصيته ، وقلت لأن أنفقه على نفسى أولى من أن أعطيها للشيخ ، لانها ميراث حلال لى . وقد قبض على الشحنة بتهمة الكذب ، وعاقبنى ، وضربنى مائة عصا ، وأخذ منى الكيس . وكنت هناك عندما جاء خادمك وأبلغه رسالتك ، وأعطاه الشحنة النقود ، فهذه النقود مال حلال لك ، وها أنا قد أحضرت الكيس الثانى . ووضع الكيس أمام الشيخ قائلا : ساعحنى على ما فعلت . فأجابه الشيخ : اطمئن أيها الشاب ، فقد وصل إلينا مالنا ، ووصل إليك مالك ، فأنصرف . ثم التفت الشيخ إلى الدراويش وقال : إن كل ما يصل إلى هذه الجماعة لا يكون إلا حلالا . وبلغ الخبر الشحنة ، فجاء

إلى الشيخ في الحال، وتاب وأقلع عن الظلم، وأصبح من مريدى الشيخ، والمعتقدين في هذه الطائفة، وبذلك تخاص الناس من ظلمه .

حكاية :

(ص ١٢٣) روى أنه عندما كان الشيخ في نيسابور قال رجلان معروفان أحدهما للآخر : ينبغى أن نمتحن الشيخ ، لنرى هل يدرك بكرامته ماستقوم به أم لا ؟ . وقالوا : لنذهب إليه ، ونأخذ منه شيئا ، ونقر به ونرى ماذا يقول في ذلك . ولفقا حكاية ، وجاءا إلى الشيخ وقالوا له : هناك بجوارنا فتاة يتيمة ، وقد عقدنا قرانها على رجل ، وطلبنا لوازما من جميع الناس . واليوم تم جهازها ، وسنزفها الليلة إلى زوجها ، ونريد أن نقودها إلى منزل زوجها بنور الشيخ ، حتى تكون أيامهما مباركة . فدعا الشيخ حسن بن المؤدب وقال له : يا حسن ، احضر شمعتين كبيرتين وأعطهما لهما ، لأنهما أعدا مفرة كبيرة . ولما سمع الرجلان هذا الكلام ، سقطا على الأرض ، وقبلا قدمى الشيخ ، وتابا وأصبحا من ملازمى خدمته .

حكاية :

روى أن الشيخ مرض يوما فأحضروا طبيبا لعلاج . وكان الطبيب مجوسيا . وعندما تقدم إلى الشيخ ، وأراد أن يحس نبضه ، قال الشيخ : يا حسن ، احضر مقص الأظافر ، وقلم أظافره وقص شاربه ، ولفهما في ورقة ، وأعطها له ؛ لأنه ليس من عادتهم أن يتخلصوا من هذه الأشياء . واحضر ماء ليفسل يديه . وأخذ الطبيب ينظر في حيرة ، ولم يجرؤ على مخالفة الشيخ . قال حسن : وعندما نفذت أوامر الشيخ ، وضع الطبيب يده على يد الشيخ ، فقلب الشيخ يده ، وأمسك بيد الطبيب واحتفظ بها بعض الوقت ثم أطلقها . ونهض الطبيب ليمضي ، وظل إلى أن بلغ باب الخانقاه

ينظر خلفه . فصاح فيه الشيخ : لماذا تنظر خلفك هكذا ؟ ألم تتركك لتذهب ؟
فرجع الجومسى ، وأسلم على يد الشيخ ، وأسلم معه جميع أقاربه .

حكاية :

(ص ١٢٤) كان الشيخ أبو صالح الدنداني مريدا . خاصا للشيخ ، يقدم له
الخلل ، ويحلق له شاربه . وقد قال أحد الدراويش للشيخ أبي صالح هذا : علمنى
حلاقة الشارب ، فضحك أبو صالح وقال له : أيها الدراويش ، يلزم لك علم سبعين
علما لتتعلم كيف تحلق لصوفى . إن هذا العمل ليس سهلا . وقد قال الشيخ
أبو صالح : لم يكن قد تبق للشيخ فى أواخر أيامه إلا سن واحدة ، وعندما كان
يفرغ من الطعام كل ليلة ، كان يأخذ منى عودا من الخلل ، ويحركه حول السن .
وعندما يغسل يديه بمخله بالماء . وذات ليلة عندما أخذ الشيخ الخلل ، جال
بخطرى ، كما هى عادة البشر فى الاعتراض على الآخرين ، أنه ليس للشيخ أسنان ،
وهو فى غير حاجة إلى الخلل ، فلماذا يأخذه منى كل ليلة ؟ فرفع الشيخ رأسه ،
ونظر إلى وقال : عملا بالسنة ، وطلبا للرحمة ، لأن الرسول يقول : رحم الله المخللين
من أمتى فى الوضوء وفى الطعام » . فاستولى على الخجل وبكيت .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ أبو سعيد فى نيسابور ، أرسل السيد « عليك »
الذى كان مريدا للشيخ وأثيرا لديه ، ومعه السيد حسن بن المؤدب ، لأداء مهمة
فى مينة . قال السيد عليك : عندما وصلنا إلى نوقان ، قال لى حسن : تعال لنذهب
لرؤية السيد المظفر ، وكان رجلا عظيما . فقلت له : لقد أرسلنا الشيخ إلى مينة ،
فلن نذهب إلى مكان آخر . وألح على حسن دون جدوى . وذهبنا إلى مينة

وأخرجنا المهمة التي أمرنا بها الشيخ . وفي طريق غودقيل، وصلنا إلى نوقان ، فقال حسن : سأذهب إلى السيد المظفر ، فينبغي أن يتوافق ، وإلا ذهبت وحدي ، فوافقت . ولما جلسنا إلى السيد الامام المظفر (ص ٥٢٥) بدأ الحديث . وكان حسن يصني إليه وقلبه يميل إلى البقاء عنده . وأتم السيد الامام المظفر الحديث ، ثم أخذ في حديث آخر ، ودار بمحمد حسن أن يبقى هناك . ولما أكمل السيد الامام المظفر حديثه قلت له : لقد انتهيت من حيث بدأ شيخنا ، فجل السيد لإمام المظفر ورجع حسن إلى نفسه ، ونهضنا وخرجنا . وقال حسن : أي خاطر ذلك الذي طرأ لي .. ! ولكنك لم تكذب تقول ذلك الكلام حتى تخلصت منه ، وأدركت خطئي . ثم عدنا إلى نيسابور ، وذهبنا إلى الخاقان ، فلما رأانا الشيخ ، التفت إلى حسن بن المؤدب وقال له : لو لم يفهم « عليك » ذلك الرجل قالملاً جيبك بالاحاديث . فسقط حسن على الأرض واستغفر .

والمشايخ

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، مرض السيد أبو منصور الورقاني وزير السلطان طغرل . ولما ساءت حاله ، دعا الشيخ أبا سعيد والاستاذ الامام أبا القاسم القشيري وقال لهما : لقد أحببتكما ، وانفقت الكثير من مالي من أجلكما ، ولي الآن حاجة إليكما ، وهي أن تحضرا جنازتي ، وتقيما على قبري ، حتى أخرجكما من قوة من عهد السؤل . فعاهده كلاهما على ذلك . وعندما لحق برحة الله تعالى ، ذهب الشيخ والاستاذ الامام للوفاء بهذا العهد . ولما وصلا إلى المقابر ، لم يكن القبر قد تم حفره بعد . فقال الاستاذ الامام للشيخ : إن القبر لم يحفر ، والشمس شديدة الحرارة ، فانتظر حتى أرد الناس . فالتقى الشيخ سجدته فوق القبر وجلس . وعندما استكمل القبر ، ودفنوا السيد أبا منصور ، وأغلقوا القبر ، نهض

الشيخ وقال : لقد تم كل شيء ، ثم مضى . ولما لحق : بالاستاذ الامام سألته : ماذا فعلت بالوصية التي أوصى بها ؟ فأجاب الشيخ : (ص ١٢٦) لم تكن هناك حاجة لشيء . وسمع الناس ذلك ، ففسأءلوا عن تلك الوصية . فقال الاستاذ الامام : كيف تمت أيها الشيخ ؟ فقال الشيخ : لقد جاء الرسولان وسألا ، فقال أحدهما للآخر : ألا ترى من الذي يجلس على القبر ؟ قالا هذا وانصرفا ، فلما ذهبا ذهبت أنا أيضاً .

حكاية :

كان إبراهيم ينال ، الأخ الأصغر للسلطان طغرل ، ظالما جدا ، وشحنة على نيسابور . وكان أهل نيسابور يطلبون من الشيخ الدعاء عليه ، فلم يفعل ، وكان يقول : سوف يصبح رجلا طيبا . وفي يوم من أيام الجمعة ، كان الشيخ يتحدث في المجلس ، فجاء إبراهيم ينال إلى مجلس الشيخ ، وبكى كثيرا . وحين انتهى المجلس جاء أمام منبر الشيخ ووقف . فقال له الشيخ : ماذا تريد ؟ . فقال إبراهيم : أريد أن تقبلني . فقال الشيخ : لا أستطيع . فقال : إنني في حاجة إلى ذلك . فقال الشيخ : لا أستطيع . فكرر ذلك للمرة الثالثة . فنظر إليه الشيخ في حدة وقال : ستزول عنك النعمة . فقال : ليكن . فقال الشيخ : سوف تقتل . قال : ليكن . قال الشيخ : لن تكون أميرا . قال : ليكن . فقال الشيخ : أحضروا الدواة وورقة . فأحضروها . فكتب الشيخ — هذه العبارة — « إبراهيم منّا ، كتبه فضل الله » . فأخذ إبراهيم ينال الورقة وقبلها ، ووضعها في حافظته وخرج . وذهب في نفس الليلة إلى العراق ، وجلس على العرش في همدان ، وأعلن عصيانه . فذهب إليه السلطان طغرل ، وحاربه وأمره . فأرسل إليه رسالة قال فيها : إنني أعلم أنك سوف تقتلني ، ولبي حاجة عندك وهي أنه عندما تفعل ذلك ، ستجد ورقة

بخط أبى سعيد فى حافظى ، وأرجو أن تضع هذه الورقة فى يدى عندما أدفن ، فلقد
تنبأ لى الشيخ بذلك ، وسوف تكون هذه الورقة شفىعى .

حكاية :

(ص ١٢٧) روى أن الشيخ كان قادما من مكان فى نيسابور مع جماعة من
الصوفية . ووصل كمادته إلى رأس محلة عدنى كوبان . وكان هناك قصاب على
رأس الحى ، فلما اقترب منه الشيخ والصوفية ، قال لأمه وزوجه : ها كم جماعة من
المخرفين ، انظروا إلى رؤوسهم ورقابهم ، أنها تشبه ذيول الحيوانات . وقال كثيرا
من السباب القبيح بصوت منخفض لم يسمعه مخلوق . وأدرك الشيخ هذا بفراسته ،
فقال : يا حسن ، احضر ذلك القصاب . فذهب حسن إليه وقال له : إن الشيخ
يدعوك ، فخاف الرجل وجاء وهو يرتعد . وأرسل الشيخ صوفيا إلى حسن ، وقال :
اذهب به إلى الحمام . فذهب به حسن ، وعاد إلى الشيخ ، فقال له : اذهب إلى
السوق ، واشتر كرابا سارقيا ، وزوجا من الأحذية ، وعمامة من الكتان الطبرى ، واذهب
بها إلى الحمام . وخذ معك اثنين من الصوفية ، ليدلكا هذا الرجل . فأرسل حسن
اثنين من الصوفية إلى الحمام لخدمته ، وذهب سريعا إلى السوق ، وأحضر ما أمر به
الشيخ . وقال الشيخ للصوفية : خيطوا ثوبا وسترة على عجل . فلما خاطوها ، قال
الشيخ لحسن : اذهب وألبس كذلك الرجل ، واعطه مائة دينار ، وقل له : أعد
ما كنت تقول ، وحين تنفذ نقر ذلك تعال إلينا لنعطيك غيرها . فذهب حسن
ونفذ أوامر الشيخ . فبكى القصاب ، ووقف نفسه على خدمة الشيخ ، وصار
من مريديه .

حكاية :

قال : العالم أبو بكر الشوكاني إن والده العالم محمد قال : عندما كنت أطلب العلم في نيسابور كان الشيخ قدس الله روحه العزيز بها . (ص ١٢٨) وكنت إذا ما فرغت من الدرس كل يوم ، ذهبت إلى خدمة الشيخ ، ومكثت عنده حتى أؤدي صلاة العصر ، ثم أعود إلى المدرسة . وبقيت هكذا حتى جئت الشيخ يوما ، فرفع طرف السجادة ، وأخرج من تحتها قبضة من الزبيب وقال لي : لقد جاء الصوفية فتوح فقرقوه ، واحتفظنا لك بنصيبك منه ، اكل واحد سبع ، سبع ، سبع ، سبع . وكان لي زميل واحد في المدرسة ، ولكن الشيخ قال سبع ثلاث مرات . وقدمت تحية للشيخ وانصرفت . وفي الطريق عدت الزبيب فوجدته ثلاث سبعات . وعندما وصلت إلى المدرسة ، كان قد حضر من العراق شقيق لزميلي ، وجلس في حجرتي . فسألت عليه ، وسألته عن حاله ، وقسمت الزبيب ، فأخذ كل منا سبع حبات كما قال الشيخ .

حكاية :

قال السيد الإمام أبو علي الفارمدى قدس الله روحه العزيز : كنت في بداية شبابي طالب علم في مدرسة « سراجان » في نيسابور . ومضت مدة ، وذاع في المدينة خبر فواد أن شيخا جاء من ميهنة ، وهو يعقد المجالس ويتحدث فيها ، وقد ظهرت كراماته بين الناس ، واعتقد فيه أهل نيسابور ، وأئمة المذاهب ، فذهبت لأراه . وعندما وقعت عيني على جماله ، أصبحت له عاشقا ، وزادت محبة هذه الطائفة في قلبي . وكنت أترقب طوال اليوم حتى يخرج الشيخ إلى المجلس لأراه ، وصرت من ملازميه في الخفاء بحيث ظننت أن الشيخ لا يعرفني ، إلى أن جاء يوم كنت أجلس فيه في حجرتي بالمدرسة ، فأحسست بشوق شديد لرؤية الشيخ ، ولم يكن من عادة

الشيخ أن يخرج في ذلك الوقت ، فأردت أن أصبر فلم أستطع . ونهضت وخرجت ، ولما وصلت إلى مفترق الطرق ، رأيت الشيخ (ص ١٢٩) يسير مع جمع كبير ، فسرت خلفهم دون وعي . وكانوا يصحبون الشيخ إلى دعوة ، وعندما وصلوا إلى دار المضيف ، دخل الشيخ ، ودخل الجميع معه . فدخلت أنا أيضاً ، وجلست في ركن بحيث لم يرني الشيخ . وعندما انشغلوا بالسماع ، انتشى الشيخ ، وظهر عليه الوجد ، ومزق ثوبه . وحين انتهى السماع ، تناول الشيخ الثوب ، ومزقه أمام الجميع ، وفصل كُتْمًا وشريطاً ونادى قائلاً : يا أبا علي الطوسي ، أين أنت ؟ . فلم أجب ، وقلت لنفسى إن الشيخ لا يعرفني ، ولم يرني ، وربما كان من مريديه من يدعى «أبو علي الطوسي» . ونادى الشيخ مرة أخرى ، فلم أجب أيضاً . وقال الجميع : لعل الشيخ يقصدك بهذا القول . فنهضت وتقدمت إليه ، فأعطاني السكم والشريط ، وقال لي : أنت منابذة هذا السكم والشريط من الثوب . فأخذت السكم وقبلته ، وجعلت أذهب دائماً إلى خدمة الشيخ ، وأجد توفيقاً كبيراً . وعندما رحل الشيخ عن نيسابور ، ذهبت إلى الأستاذ أبي القاسم القشيري وحدثته بحالي فقال لي : اذهب يا بني واطلب العلم . فانشغلت بتحصيل العلم نحواً من ثلاث سنوات ، حتى جاء يوم أخرجت فيه القلم من الحبرة ، فوجدته أبيض . ثم تكرّر هذا ثلاث مرات ، فنهضت وذهبت إلى الأستاذ الإمام وحدثته بالامر ، فقال لي : ماذا العلم قد كف يده عنك ، فكف يدك عنه ، واذهبواشتغل بالمعاملة . فذهبت وأخذت متاعاً من المدرسة ، وذهبت إلى الخاقاه ، واشتغلت بخدمة الأستاذ الامام . وذات يوم ذهب الأستاذ الإمام إلى الحمام وحده ، فذهبت وصببت عدة أباريق (ص ١٣٠) من الماء في الحمام . وخرج الأستاذ الإمام وصلي وقال : من الذي صب الماء في الحمام ؟ فقلت لنفسى ربما كان

ما صنعتته مجافيا للأدب ، فالتزمت الصمت . فقال ذلك مرة أخرى ، فلم أجب أيضا .
وعندما سأل للمرة الثالثة قلت : أنا . فقال : يا أبا علي ، إن ما لم يدركه أبو القاسم
في سبعين سنة أدركته أنت بدلو من الماء . وبقيت في خدمته أمدا مشغولا
بالمجاهدة . وذات يوم ظهرت لي حال تحيرت في أمرها ، فأخبرته بها ، فقال لي :
يا أبا علي ، إن سلوكي ليس أعلى من هذا ، وكل ما هو أعلى من ذلك لا أستطيع
معرفة . فقلت لنفسى أنا في حاجة إلى من يرشدني إلى الطريق ، ويرفعني إلى مقام
أعلى من هذا . وأخذت تلك الحال في الازدياد . وكنت قد سمعت بأبي القاسم
الجرجاني ، فنهضت وتوجهت إليه في طوس . ولم أكن أعرف مكانه . ولما وصلت
إلى المدينة ، سألت عنه ، فقيل إنه يجلس في مسجد بمحاة « رودبار » بين مريديه ،
فذهبت إلى ذلك المسجد . وكان الشيخ أبو القاسم جالسا هناك ، فصليت ركعتين
وتقدمت إليه ، وكان قد أحنى رأسه ، فرفعها وقال : تعال يا أبا علي ، ماذا بك ؟
فسلمت عليه ، وأخبرته بما حدث لي . فقال : باركك الله ، ولتبدأ من الآن ، وإذا
وجدت التربية الواجبة وصلت إلى مقام عظيم . فقلت لنفسى : هذا شيخى ، وأقمت
في خدمته . وبعد أمد طويل ، أقبل على الشيخ أبو القاسم ، وعقد لي عهده ، وأخذ
شأنى بعد ذلك في الارتفاع .

ورغم أن هذا الشرح بعيد عن غرض الكتاب ؛ فقصدا هو حادثته مع
الشيخ أبي سعيد وقصة إعطائه الخرقه ، لكن مادام قد خاض في ذكر بداية حاله
فلم نشأ أن نترك ذلك الحديث .

قال السيد الإمام أبو علي الفارمدى : عندما كنت لدى الشيخ أبي القاسم
(ص ١٣١) اشتغلت بالرياضة والمجاهدة ، ولم يكن الشيخ أبو القاسم قد أجاز لي

عقد المجالس، وبعد أمد وصل الشيخ أبو سعيد إلى طوس، وذهبت إليه فقال لي :
يا أبا علي ، سوف يأذنون لك بالحديث سريعاً مثل البيغاء . ولم يمض وقت طويل
حتى أذن لي الشيخ أبو القاسم بعقد المجالس ، وبعد مدة وجيزة فتح علي
في الحديث .

حكاية :

قال السيد الإمام أبو نصر العياشي السرخسي : كنت في نيسابور لتعلم الفقه ،
واحتملت المتاعب مدة في طاب العلم على يد السيد الإمام أبي محمد الجويني .
وأجدت الخلاف ومذهب التعليق . وسمعت أن الشيخ أباسعيد جاء من «مينه» .
ويعقد المجالس ، فذهبت إلى مجلسه على سبيل المشاهدة والاختبار . ولما وقع عليه
بصري ، تعجبت لهيبته ولباقته . وعندما أخذ في الحديث ، أثر في كلامه حتى أنني
قلت لنفسي : ليس لي حيلة في الله وطريق الله الذي يتحدث عنه هذا الرجل ، رغم
كل ما بلغت من علم . وعلى أيضاً أن أسلك هذا الطريق . وعندما طأن بنفسي
هذا الخاطر ، قال الشيخ على المنبر : يجب البدء . فعجبت لكلام الشيخ ، وتساءلت
لم قال ذلك ، وظننته من قبيل المصادفة . وعندما انشغل الشيخ بالحديث مرة
أخرى ، جال هذا الخاطر بنفسى ثانية ، فقال الشيخ : لا ينبغي تأجيل هذا الأمر .
فلما تكررت كرامة الشيخ ، ارتفعت الشبهة . (ص ١٣٢)
وحينما أنهى الشيخ المجلس ، ونهضت وذهبت إلى المدرسة لأحضر أمتعي ، وأنقطع
لخدمة الشيخ ، ذهب رجل إلى السيد محمد الجويني ، وأخبره بالأمر . فجاء إلى في الحال
وقال : إلى أين تذهب ؟ فحدثته بالأمر ، فقال لي : إنني لا أمنعك عن خدمة
الشيخ ، ولكنك ذهبت إلى مجلسه ، ورأيت مبلغ اطلاعه وهيبته ، وحسن حديثه

وكراماته، وسوف ترى لم يكثر من ذلك حينما تزداد به علما. وإذا كنت تظن أنك سوف تستطيع أن تكون أباسعيد آخر فأنت مخطيء، لأنك لا تعرف ما قام به من رياضة ومجاهدة . ونحن نعلم ماذا صنع حتى أدرك هذه الدرجة ؛ ولو أن مائة رجل قاموا بنفس الرياضات التي كابدها ، ما أعطاهم الله ما أعطاه . وستترك علمك طمعا في هذا ، وسوف تفقد علمك دون أن تدرك منزلته . فلما تمعنت قوله، رأيت أن الأمر كما يقول . وظلت على اعتقادي في الشيخ ، وواصلت تحصيل العلم ، وكنت أذهب إلى خدمة الشيخ ، وأفيد من خدمته كثيرا ، وكان الشيخ يتلطف في حقي كثيرا .
حكاية :

قال الأستاذ إسماعيل الصابوني: كان النوم قد استولى على ذات ليلة ، ولما حان وقت النهوض لأقضي ورداً. تعودت أدائه ؛ أحسست بترائح . وكنت قد وضعت كوزا بجوار الفراش ، فأوقعه قط . وتحيرت ، وتراخيت مرة أخرى ، ثم استغرقت عيني في النوم . وسقط حجر من السطح على (طشت) كان في وسط الدار ، ففزع أهل بيتي وصاحوا : لص . فاستيقظت ، ثم أخذت في قراءة الورد . وفي اليوم التالي ذهبت إلى مجلس الشيخ ، فالتفت الشيخ إلى أثناء الحديث (ص ١٣٣) وقال : عندما ينام المرء طوال الليل ، ويتأخر في النهوض ، يسلط قط على فأر ليسيلا ماء الكوز حتى يتبدد نومه ، ويؤمر بإلقاء حجر في وسط داره ، فيقال لص ؛ إنه لم يكن لصاً ؛ بل كان رسولنا إليك ، ليوقظك من النوم ، حتى نتحدث إلينا ساعة .

« بيت »

— أيها الحبيب ذوالوجه الجميل ، لقد كنت فوق سطحك بالأمس ،
فقلت « لص » ، إنه لم يكن لصاً ، بل كنت أنا .

ولما قال الشيخ هذا الكلام بكيت . وأدركت أن الشيخ لا يغفل عنا في أى حال من الأحوال .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح إن الشيخ موسى حدثه بأن الشيخ أبا سعيد قال له يوماً في نيسابور : تقدم وصل ركعتين لفتدى بك ، واقرأ كل حمد في القرآن . قال الشيخ موسى : فعجزت ؛ إذ كيف أستطيع أن أقضي هذا . وتقدمت بحكم إشارة الشيخ ، وعندما كبرت جرى على لساني كل حمد في القرآن . ولما انتهينا من الصلاة قال الشيخ : يا موسى لقد كنت عاجزاً عن شكر الله ففقت عني بذلك ، أحسن الله إليك .

حكاية :

قال أبو بكر مكرم : كان في نيسابور حاكم يحاسب الشيخ دائماً . وذات يوم أحضروا للشيخ سبطاً من العود ، وألف دينار . فقال الشيخ لحسن : أعد بعض الـ « زيره با »^(١) والحلوى ، وضع صفت العود في النار دفعة واحدة ، حتى يصل نصيب من رائحته الطيبة إلى جيراننا أيضاً . وأعدوا وليمة فاخرة . وأقبل هذا الحاكم ليحاسب الشيخ وقال له : هل ترى أي إسراف يكون هذا في مثل هذا الوقت من الضيق والشدة ؟ . وأخذ يلومه (ص ١٣٤) ويزجره ، فلم يجبه الشيخ . وغضب الصوفية لذلك . ورفع الشيخ رأسه ونظر إليه ، وقال له : ادخل . فدخل الحاكم خطوتين . فقال الشيخ . تقدم أكثر . فتقدم خطوتين آخرين وبقي هكذا . ثم رجع في عسر ، وجلس في مسجد بجوار الخانقاه . فأرسل إليه الشيخ دروشاً ليقوم بمساعدته ، وظل مريضاً هكذا لمدة عامين ونصف ثم توفي بعد ذلك . ومن هنا قال العلماء والعظماء إنه لا ينبغي الجرأة والتناول على الشيوخ والصوفية ، ولا ينبغي الذهاب إليهم إلا في الوقت المحدد ، وفي أدب واحترام ؛ إذ أنهم تملكهم أحوال فإذا كانوا في حال من القبض ونظروا

(١) نوع من الطعام .

إلى أحد في قسوة ، يحل به الدمار والعياذ بالله .

حكاية :

قال السيد إسماعيل بن مكرم : كنت أسير في طريق نيسابور يوماً ، وكان الشيخ أبوسعيد يتقدمني ، فسلمت عليه ، ورد على رداً طيباً . وأخذت أسير خلفه وأنا أنظر إلى أقدامه وركابه ، وقالت لنفسى ليت الشيخ يأذن لى فأقبل قدمه . فأمسك الشيخ بعنان جواده حتى وصلت إليه ، وأخرج قدمه من الركاب ، وقربها منى ، فقبلتها ، ثم ساق جواده وذهب .

حكاية :

ذكر رشيد الطائفة عبد الجليل أنه كان بنيسابور رجل صوفي ، محب للشيخ ، لا يملك من متاع الدنيا سوى كرمه . وجاء يوماً ليدعو الشيخ والصوفية ليأكلوا من كرمته ، فاعتذر الشيخ بأنه لا يستطيع . وكرر الطلب عدة مرات فلم يجبه الشيخ . وبعد إلحاح شديد ، ركب الشيخ إليه ومعه الصوفية . ولم يكن لدى الرجل سوى قليل من الكرم ، والصوفية كثير ، فأكلوا العنب كله . وأخفى الدراويش عنقودين من العنب في سجادة ، (١٣٥) ووضعها في الكرمة بحيث لم يظهر منهما شيء . وعندما أتى الدراويش على العنب كله ، نظر الرجل إلى الكرمة فلم يجد شيئاً . وقال له واحد من الدراويش : بارك الله لك . فقال لنفسه لقد مضت بركة هذا العام . وحين انصرف الشيخ ، ورأى الرجل الكرمة خالية ، غادرها وأغلق الباب ساخطاً ، ولم يعد إليها طيلة ذلك الشتاء . ولم يذهب أيضاً إلى مجلس الشيخ . وفي السنة التالية عندما حل موعد إعداد الكرم ، وأخذ الناس يصلحون كرماتهم ، أحس

الرجل بالخطأ ، وقال لنفسه : يجب أن أعر الكرمه ، ومادمت ساخطا عليها فلن يتحقق غرضي ، وإذا كنت قد أذبت فقد أذبت في حق نفسي . ثم نهض وذهب إلى الكرمه ، وأخذ يطوف بها ، فرأى سجادة جديدة في ركن من أركانها ، ولما قس فيها ، رأى عنقودين طازجين من العنب أوراقيهما خضراء . فسر بهما وقال : يجب أن أحمل هذا العنب إلى السلطان لينعم على وعلى أطفالي . ثم وضع العنب في (طبق) وحمله إلى السلطان سوري . فسر به السلطان ، وأمر بأن يملأ الطبق ذهباً ويعطى له . وفرح ، وعرف أن ذلك كان بسبب مقدم الشيخ المبارك ، وندم على ما فعل ، وأخذ عشرة دنائير من ذلك الذهب ، وجاء إلى الشيخ ليستغفره عما كان قد تملكه من السخط ، ولما وقع نظر الشيخ عليه قال له : لو لم يأكل السلطان سوري من كرمك ؛ لفاتك حير حير . فسقط ذلك الدرويش على أقدام الشيخ ، وتاب عما مضى ، وعاد إلى محبته للشيخ . (ص ١٣٦) .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، وكان يقيم تلك الولاثم الفاخرة ، جاء مقرر دعى وقال له : أيها الشيخ ، أريد أن أعتكف معك أربعين يوما . ولم يكن ذلك المسكين قد علم بما زاوله الشيخ من الرياضة في البداية . وكان يظن أن الشيخ قد عاش على هذا النحو طيلة عمره ، فقال لنفسه : فلأجبر الشيخ على الجوع ، وأفضحه أمام الخلق ، وأصل أنا إلى القمة . وعندما قال الدعي هذا الكلام للشيخ ، قال له الشيخ : باركك الله ، وألني سجادته . وألقى ذلك الدعي سجادته بجوار الشيخ ، وجلس الاثنان . وكان ذلك الدعي يأكل قليلا ، كما هو شأن المعتكفين ، أما الشيخ فلم يكن يأكل قليلا أو كثيرا ، وكان يقيم الولاثم الفاخرة في مقره . وبينما كان الشيخ يزداد نضارة وصحة كان ذلك الدعي يزداد كل يوم ضعفا ونحولا ، وكان يرى تلك الولاثم الشهية

فينطوي على نفسه. وكان، من الضعف، ينهض لصلاة الفريضة بصعوبة، وندم على هذا التحدي، وأدرك أنه لم يكن يعرف شيئاً. وعندما تمت الأربعون يوماً قال له الشيخ: لقد نفذت لك رغبتك، والآن يجب أن تفعل ما أقول. فقال الدعى: الأمر للشيخ. فقال الشيخ: نأكل أربعين يوماً، ولا نذهب إلى دورة المياه. واتفقا على هذا. وأمر الشيخ بأن يحضروا طعاماً شهيماً، وأخذوا كلان. وأقبل الدعى على الطعام بمجوع أربعين يوماً، واستوفى نصيبه منه. ومررت ساعة، وشعر بحاجته إلى الذهاب إلى دورة المياه، وكان الشيخ ينظر إليه في مكون. ولم يستطع الصبر ساعة واحدة، فسقط على أقدام الشيخ تائباً عن كل ما فعل. فقال الشيخ: بسم الله، اذهب الآن إلى دورة المياه، وافعل ما تريد، (ص ١٣٧) واجلس معي حتى نفد ما اتفقنا عليه. وجلس الدعى مع الشيخ أربعين يوماً كاملة، وكان يذهب إلى دورة المياه كلما أراد، ولم يذهب الشيخ إليها أربعين يوماً كاملة، وكان يأكل ويرقص ويقيم السماع كعادته. ولما شاهد الدعى تلك الحال، استغفر لما صدر عنه، وأصبح مريداً للشيخ.

حكاية:

كان في نيسابور محتسب من أصحاب أبي عبد الله الكرام، وكان منكرراً للشيخ. وذات يوم أخذ عدة أثواب يعطيها للغاسل ليغسلها. وفي الطريق مر بمجلس الشيخ، وكان الشيخ يتحدث، فقال المحتسب لنفسه: سوف أعود الآن، وأقول له ما يجب أن يقال لهؤلاء. وذهب وأعطى الأثواب للغاسل، وأعطاه درهماً. فقال له الغاسل: اعطني أكثر، لأن هذا ثمن الغاسول والصابون، وقد تنازلت عن أجر الغسل. فلكه المحتسب عدة لكيات، فبكى الرجل، ورجع المحتسب. وتصادف أن الشيخ

كان لا يزال يتحدث، فدخل من باب خانقاه الشيخ وقال له: أيها الشيخ ، إلى متى النفاق والتظاهر بالورع ؟. فقال الشيخ : ماذا يجب أن نفعل ياسيدى المحتسب؟ فقال : يجب ألا نتحدث في المجلس ، وألا نقول الشعر . فقال الشيخ : أنا سنفعل ما تريد، ولكن يجب ألا يفعل السيد المحتسب أيضا ما فعل وقت الفجر، يأخذ الملابس، ويحملها إلى الغاسل، ويعطيه درهما، فيقول له أعطني ثمن الغاسول والصابون كاملا فقد تنازلت عن الأجر، فيضربه بالدرة حتى يتألم ذلك الشيخ ! إذا كان يلزمك غسل ملابسك فأحضرها، وأعطاها لحسن ليغسلها ويعطرها ويبعث بها إليك، حتى لا يتألم منك مسلم، ولا تحصل على معصية . وعندما سمع المحتسب هذا الكلام خجل ، وسقط على أقدام الشيخ ، وتاب عن إنكار وتحكمه .

حكاية :

(ص ١٣٨) قال السيد أبو الفتوح العياضى : سمعت من السيد حسين بن عباد الويشى قوله : كنت في مجلس الشيخ في نيسابور، وكان الشيخ يتحدث، وفكرت في والدتي وبلدى سرخس . وفي الحال التفت إلى الشيخ وقال :

بيت من الشعر العربى

لتعجل على أم عليك حفية تنوح وتبكي من فراقك دائما

فخرجت من المجلس، وتوجهت إلى سرخس ، فوجدت والدتي في مرض الوفاة ووصلت وأدركتها ، وتوفيت في اليوم التالى . وأدركت أن هذا كان السبب في قول الشيخ « لتعجل » .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث يوما في مجلس في نيسابور، وكان في المجلس تاجر، كان قد فكر في نفسه أن يقود الشيخ إلى منزله ، ويقدم إليه شيئا من الحلوى « والزيره با » . وفي أثناء المجلس التفت الشيخ إلى هذا التاجر وقال له : أيها الرجل أعط الحلوى و« الزيره با » أتى أعدتها لنا إلى حمال ، ومره أن يسير بها في الطريق، ويضعها حيث يدركه التعب. فذهب الرجل ، وأعطى الحمال وعاء الحلوى، وظل يسير حتى أدرك الحمال التعب . وكان ذلك أمام باب منزل ، فاتجه إليه وطرق الباب. فخرج شيخ وقال له: إذا كان معك « زيره با » وحلوى بالسكر فادخل. فقال التاجر إن هذا لمن أعجب كرامات الشيخ . ثم سأله : كيف عرفت ان معي « زيره با » وحلوى ؟. فقال الشيخ : مضت عدة أيام لم نجد فيها طعاما ، ودعا طفل لنا في المهد قائلا : يا إلهي امنح أبى وأمى وإخوتى « زيره با » وحلوى بالسكر ، فاستجيب دعاؤه . وقد عرف الشيخ أبوسعيد بذلك فأرسلها لنا .

حكاية :

(ص ١٣٩) قال الشيخ أبو الحسن السنجارى : سمعت الشيخ أبا مسلم الفارسي يقول: عندما توفي الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في نيسابور، ذهبت إلى ميهنه لزيارة الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قدس الله روحه العزيز وأرواحهم ، وكان ذلك في بداية أمره . ولما وصلت ميهنه ، ذهبت إلى الشيخ في المسجد ، وكان الشيخ هناك ، فأكرمنى ، وقال لأحد الدراويش : انظر هل يوجد شيء ليأكله ؟. فذهب الدراويش وعاد يقول : لم أجد شيئا . فقال الشيخ : يا فقير ما أفقرك . وأقمت عنده يوما ، ولما عزمت على العودة ، طلبت من الشيخ

أن يكتب لى شيئا بخطه المبارك، ووضعت أمامه ورقة، فكتب بخطه :

« بيتان من الشعر العربى »

نقش غيم المهجر عن قمر الحب وأشرق نور الصبح فى ظلمة العتب
وجاء نسيم الاعتذار مخففا فصادفه حسن القبول من القلب

فأخذت الورقة وودعت الشيخ . وعندما كنت أذهب للعودة قال الشيخ :
« وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » . ورجعت وجئت إلى فارس، ومررت على
هذا مدة طويلة . وفى وقت من الأوقات ذهب درويش من أصحابنا يدعى محمد
بن كوهيان لزيارة الشيخ أبى سعيد فى خراسان، فقلت له : عندما تصل إلى الشيخ ، بلغه
سلاى ، وقل له : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » . وذهب ذلك
الدرويش، وزار الشيخ . وعندما رجع قال لى : عندما وصات إلى نيسابور كان الشيخ
أبو سعيد هناك ، ولما ذهبت للسلام عليه وقلت : « السلام عليكم » قال :
وعليك السلام ، « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » .

حكاية :

قال الأستاذ الإمام إسماعيل الصابونى : عندما كن الشيخ فى نيسابور كنت
ذاهبا لزيارته يوما ، وفى الطريق سألت نفسى : ماتلك الأخبار التى كنت قد
قرأتها مع الشيخ عند أبى على زاهر فى سرخس ؟ (ص ١٤٠) وفى أى جزء
هى ؟ وأخذت أفكر فى هذا . ولما دخلت على الشيخ وسلمت ، نهض وضمنى إلى
صدره . ثم جلست فقال : يا أستاذ ، ما الخبر الأول من الجزء الأول من تلك
الأخبار التى سمعناها عند أبى على زاهر فى سرخس ؟ فقلت : لا أدرى مادمت لم أطلع

على هذا الجزء، فقال الشيخ : أول حديث هو «حب الدنيا رأس كل خطيئة» .
ثم قال الشيخ : ما الحديث الثاني ؟ قالت : لا أذكر ، فقال : الحديث الثاني هو
«دع ما يريك إلى ما لا يريك» . ثم قال : ما الثالث ؟ قلت : لا أذكر ، قال
الشيخ : الحديث الثالث هو «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد» .
قال الأستاذ اسماعيل الصابوني : عندما قال الشيخ هذه الأحاديث تذكرت
أنها كذلك كما قال ، وعرفت أن تلك الخواطر التي طافت بنفسي في الطريق قد
أظهرها لي الشيخ بكرامته كأنما يقول : هذا هو ما كنت تفكر فيه وأنت قادم
إلينا . وأيقنت أن الشيخ يقف على أسرارنا تماماً .

حكاية :

قال الشيخ اسماعيل السناوي : جاء الشيخ إلى نيسابور ، ولم أكن أترك مجلسه
أبداً ، وكان يردد فيه كثيراً من الشعر ، وطالما أنكرت عليه هذا . وذات يوم
نظر إلى الشيخ أثناء المجلس وقال : أنا أقول لك هذه : «قد عشقنا وكلنا يفنى»
فزال عني ذلك الإنكار . وفي اليوم التالي ذهبت إلى مجلس الشيخ ، وكان المقرء
يقراً : «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الإيمان» ، وردد الشيخ هذه الكلمة «ما كنت تدري» ، فتملكني حال واحتلت
كثيراً لأمنع نفسي من الاعتراض على الشيخ . (ص ١٤١) ولما عدت إلى
المزلة اتبعتني حتى ، فقلت لنفسي : سأبعث بشيء للشيخ . ولما فارقتني الحمى في اليوم
التالي ، ندمت على هذا الخاطر . وبعد أن مضت عدة أيام ، ذهبت إلى مجلس الشيخ
ومعى قماش قد أخفيت . وفي المجلس طلب أحد الدراويش لباساً ، فنظر الشيخ إلى
وقال : الحمد لله ، إذ اصطحبت معك هذا القماش للدرويش ، ولن نندم على ذلك

كما ندمت في ذلك اليوم . فتملكتني الحيرة ، وأعطيت القماش وجميع ملابسي للدرويش .

حكاية :

وأيضاً حدث عندما كان الشيخ في نيسابور؛ أن كان جمع من الصوفية يسرون بصحبته ، وكان اليوم سبتاً . وكان هناك رجل يهودى يسير إلى المعبد ، وقد ارتدى طيلسانا وملابس حسنة ، فرأى الشيخ من بعيد يسير مع الجماعة . ووهب الله تعالى لليهودى البصيرة ليرى عزة الشيخ وذل نفسه ، فمر من أمام الشيخ لفرط خجله . وسار الشيخ خلف اليهودى ، وظل يتبعه حتى بلغ اليهودى زقاقاً ، ولم يجد طريقاً ، فاضطر للتوقف . ولحق به الشيخ ، ووضع يده المباركة على مفرقه وقال :

« بيت »

— لا ينبغي للراعي أن يقول : برد ،

إذا أراد أن تطيب له الغربية والنير في الليل .

أيها المسكين ، أطل الله بقاءك ، كيف أنت بدونه ، وكيف ستكون؟ وعندما قال الشيخ هذا ورجع ، صرخ اليهودى ، وأخذ يجرى خلفه وهو يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » ولما أدرك الشيخ سقط على أقدامه ، وجاء معه إلى الخانقاه ، وأصبح من مجاوريه .

حكاية :

(ص ١٤٢) روى أنه عندما كان الشيخ أبو سعيد في نيسابور ، كان كثير من اليهود والمسيحيين يسمون على يده ، كما كان كثيرون يسمون أيضاً على يد

أئمة نيسابور ، وبخاصة الشيخ محمد الجويني الذي كان شيخ ذلك العهد . وكان له وكيل يهودي ، طالما عرض عليه الإسلام ، فلم يستجب . وذات يوم قال له : إذا أسلمت أعطيتك ثلث مالى . فقال اليهودي : لا أبيع ديني بالدنيا . وألح عليه في ذلك قائلا : إذا أسلمت أعطيتك نصف مالى . فقال : لا أبيع ديني بالدنيا . وفي المرة الثالثة قال له : إذا أسلمت أعطيتك ثلثي مالى . فلم يقبل أيضا . فيئس الشيخ أبو محمد الجويني منه . وتصادف أن مر يوما بمحلة عدني كوبان ، وكان هذا الوكيل في صحبته . وكان الشيخ أبو سعيد يتحدث في المجلس في ذلك اليوم ، فدخل الشيخ أبو محمد إلى المجلس ، وقال الوكيل اليهودي لنفسه : فلأدخل أنا أيضا إلى المجلس ، وأسمع كلام هذا الرجل ، وأرى ماذا يقول حتى جعل الناس يتزاحمون هكذا للاستماع إليه ، وأعرف سر مايلقاه من قبول لدى الناس . ولا يبدو على مايجعل الشيخ يظن أنني يهودي . وعندما دخل أبو محمد ، دخل الوكيل خلفه ، وجلس مختفيا خلف عمود . ولما بدأ الشيخ في الحديث التفت إلى ذلك العمود الذي يجلس الوكيل خلفه وقال : أيها الرجل اليهودي ، اخرج من خلف العمود . ولم يستطع اليهودي أن يمنع نفسه من الاستجابة إليه ، فنهض دون وعي ، وتقدم إلى الشيخ ، فقال له : قل (ص ١٤٣) أيها اليهودي . فقال الرجل ماذا أقول ؟ . قال الشيخ قل هذا :

« بيت »

- كنت مجوسيا وأصبحت الآن مسلما ،

وكنت سىء العهد وأصبحت عبدا طائعا .

فقال اليهودي هذا البيت . ثم قال له الشيخ : اذهب إلى السيد الإمام أبي محمد

ليملك الإسلام ؛ وقل له إنك لم تعرف أن الأمور موقوفة على أوقاتها فإذا دخل الوقت لا يحتاج إلى ثلث المال ولا إلى نصفه ولا إلى ثلثيه ؛ لأن الأمور متوقفة على الوقت ، فإذا ما حان الوقت لا يلزم إعطاء ثلث المال أو نصفه أو ثلثيه . فسر الشيخ أبو محمد وتاب عن تلك الرغبة .

حكاية :

كان أبو نصر الشيرازي رجلا ثريا من مشاهير التجار في نيسابور ، يملك أموالا طائلة . وعندما ارتفع شأن شيخنا أبي سعيد قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، وأصبح جميع أهلها يعتقدون فيه ، صار أبو نصر أيضا من جملة المعتقدين في الشيخ ، وأخذ يدعو إلى الاعتقاد فيه . وكما ذهب إلى الشيخ ورأى كراماته الظاهرة ازداد اعتقاده . وذات يوم ذهب الشيخ مع جماعة الصوفية إلى الحمام في محلة عدني كوبان ، وكان من عاداته أن يتردد كثيرا على ذلك الحمام ، وفي ذلك اليوم كان يرتدى عباءة صوفية ، وقد عقد على رأسه عمامة فخمة أحضرها له أحد المريدين . ولما دخل الحمام كان هناك حلاق . وأسرع صاحب الحمام ، وأحضر للشيخ إزارا نظيفا ، وقدم له خدماته ، وأظهر كثيرا من التواضع ، وجلس على قدميه حتى نزل الشيخ الحمام . وعندما رأى الحلاق ما قدم صاحب الحمام للشيخ من تقدير وتبجيل ، ورأى الجميع يشاركون صاحب الحمام ذلك ، سأل صاحب الحمام ، (ص ١٤٤) بعد أن نزل الشيخ مع الصوفية إلى الحمام : من هذا الرجل الذي كان يتزين ؟ . فقال صاحب الحمام : إنه الشيخ أبو سعيد شيخ الصوفية ، وصاحب الكرامات العظيم . وكان الحلاق من أولئك الذين ينكرون هذه الطائفة فقال :

إذا كان حقاً من أصحاب الكرامات فليعطني هذه. العبادة الصوفية التي يلبسها ، وهذه العمامة ، لأنني تقدمت إلى عروس ، وهم يريدون مني الصداق وأسباب العرس ليزوجوها لي ، وأنا لا أملك شيئاً. ومضت ساعة ، وحان الوقت لكي يخلق الشيخ شعره ، وتقدم الحلاق لذلك . فقال له الشيخ : أيها الفتى خذ عنى هذه الأشياء الثلاث ، أولاً : عندما تخلق لشخص اغسل يدك وسترتك ، ثانياً : عندما تخلق الشعر ابدأ من اليمين ، ثالثاً : أن ترفع الشعر والقذارة التي وقعت على السترة حتى لاتقع عليها عين شخص . فنفذ الحلاق جميع أوامر الشيخ . ولما فرغ الشيخ من الخلاقة قال لحسن بن المؤدب : أعط تلك العبادة الصوفية والعمامة لهذا الفتى حتى يتأهب للزفاف . فسقط الشاب على أقدام الشيخ وبكى كثيراً .

قال حسن بن المؤدب : فتقدمت وأعطيته العبادة وأنا أفكر في أن الشيخ لا يملك ثياباً غيرها ، وأنه قد خلعها على الحلاق وسبقى عارياً في الحمام . وعندما أعطيته العبادة عدت إلى الحمام وأنا مشغول حائر . وقال الشيخ : يا حسن لن نقول لك ما لم يقل لنا ، فسر واذهب إلى باب الحمام ، فإن أبا نصر الشيرازي في انتظارك قال حسن : فخرجت ورأيت أبا نصر الشيرازي على باب الحمام ، وقد لف طاقم في سجادة صلاة ، وسألني : يا حسن ، هل الشيخ في الحمام ؟. قلت : نعم ، وقد أعطى ملابسه (ص ١٤٥) للحلاق وبقي عارياً هناك . فقال أبو نصر : سبحان الله ، لقد كنت أقرأ القرآن هذه الساعة فاستولى على النوم ، فرأيت في نومي شخصاً اقتراب مني وقال لي : انهض لأن الشيخ في الحمام ، وقد منح ثيابه لشخص ، وبقي عارياً ، فاذهب واحمل إليه ثوباً. ولما استيقظت قلت إن هذا لا يمكن أن يكون إلا وهماً ، وعدت إلى قراءة القرآن . واستولى على النوم مرة أخرى ، ورأيت نفس الشخص

وقال لى نفس الكلام ، فلم أصدق مرة أخرى. ثم غلبنى النوم ، فسحبت الوسادة ونمت ثانية. ولما استولى على النوم، جاء الشخص نفسه وصاح فى قائلا: يا أبانصر أنت تدعى محبة الشيخ وأقول لك ثلاث مرات احمل ثوبا إليه لأنه عار فى الحمام فمتعافل ؟ إنك إذا توانيت حل بك الدمار . فتفترت من شدة الخوف وأعددت الثوب وأحضرتة . وجلس أبونصر على باب الحمام ، ودخلت أنا وكان الشيخ يتوضأ ، فأتهم وضوءه، فتقدمت لمساعدته، وخرج الشيخ من الحمام ولبس الثوب . وكان أبونصر يحمل ألف دينار ذهبي، فقال له الشيخ: ينبغي أن تعطى هذه النقود لصاحب الحمام ، ولا يجب أن تقل عن هذا لأن صبيه سيتزوج ، كما أن الاستاذ سيعد الحلوى أيضا . فأعطينا النقود لصاحب الحمام . وسار الشيخ وفى صحبته أبونصر حتى جاء إلى الخانقاه، ووقف أبونصر نفسه لخدمة الشيخ، وأتفق كل ما يملك من مال وعقار فى سبيله، وظل فى خدمته طيلة إقامته فى نيسابور. ولما رحل الشيخ عنها إلى ميهته أعطى جيبته الصوفية الخضراء للشيخ أبى نصر الشيرازى (ص ١٤٦) وقال له: ينبغي أن تكون خليفة لى ، وأن تدق على فى ذلك المكان . فذهب أبونصر إلى شروان وفق إشارة الشيخ، وبنى خانقاه لا تزال قائمه إلى اليوم، وتعرف باسمه، ووضع خرقة الشيخ فى تلك الخانقاه، وأصبح شيخا وزعيما لصوفية تلك الولاية . ولا تزال خرقة الشيخ باقية فى تلك الخانقاه ، وعندما يخرج الناس من المسجد يدخلون إلى الزاوية لزيارة تلك الخرقة. وعندما يظهر قحط أو وباء، يخرج الأولياء تلك الخرقة إلى الصحراء، ويقومون بالدعاء ، فيكشف الله سبحانه وتعالى بلفظه وعنايته وبركة الشيخ ذلك البلاء عنهم . ويسمى أهل الولاية تلك الخرقة « الترياق الأكبر » . وقد أقيمت فى تلك الولاية أربعائة خانقاه معروفة بفضل بركة الشيخ قدس الله روحه العزيز .

حكاية :

جمعت هذه الحكاية بـ روايات كثيرة صادقة ؛ فقد رواها البعض عن السيد أبي طاهر الخاتوني ، والبعض عن السيد حسن بن المؤدب ، وآخرون عن السيد أبي الفتح رحمة الله عليهم . وهي أنهم كانوا يقيمون السماع يوما في خانقاه الشيخ في نيسابور . وظهر حال للسيد أبي طاهر أثناء السماع ، فتقدم إلى الشيخ مليا ، وأحرم للبحج . وعندما فرغوا من السماع ، عزم السيد أبو طاهر على السفر إلى الحجاز ، وطلب الإذن من الشيخ . فقال الشيخ للجماعة : سنرافقه نحن أيضا . وقال العطاء والمشايخ وما حاجة الشيخ إلى هذا؟ فقال الشيخ : لاسعى إلى تلك الجهة . (ص ١٤٧) وصاحب الشيخ كثير من الصوفية . وعندما خرجوا من نيسابور ، قال الشيخ : لو لم نسر ما استطاع أولئك الأعزاء تحمل ذلك الألم . ونظر الجميع إلى بعضهم متسائلين لمن يقول هذا الكلام . ولما وصلوا إلى الحى والمقر ، أخبر رجل الشيخ أبا الحسن الخرقانى قدس الله روحه العزيز أن الشيخ أبا سعيد فى طريقه إليه وسوف يصل غدا ، فسر كثيرا . وكان للشيخ أبى الحسن ولد اسمه أحمد ، يعزه كثيرا . وكان أحمد هذا قد طلب يد فتاة ، وتحدد موعد الزفاف فى الليلة التى يصل فيها الشيخ إلى خرقان . وفجأة قتل أحمد ، وفصلت رأسه عن جسده ، ووضعت على باب صومعة أبيه . وعندما حان وقت الصلاة ، خرج الشيخ أبو الحسن من الصومعة ، فعثرت قدمه برأس ولده . فنادى ابنه ليحضر مصباحا . فأحضرت زوجته المصباح . ورأى الوالد رأس ولده فقال : ياروح أبيك !.. ماذا فعلت !.. وماذا لم تفعل !؟ وفى الحال أحضر بعض الناس ، ففسلوا أحمد ، وكفنوه ، وتركوه حتى يصل الشيخ . وتأخر الشيخ . وعند الضحى رأى الشيخ أبو الحسن درويشا قادما فسأله عن الشيخ ، ولماذا

تأخر؟. فقال الدرويش إنهم تأخروا لأنهم ضلوا الطريق أمس وإلا لوصلوا في نفس الليلة. فصاح فيه الشيخ أبو الحسن قائلاً: صه، إنهم لا يضلون الطريق؛ بل كانت هناك بقعة محرومة من السعادة، ظمأى إلى أقدامهم، فتضرعت إلى الله أن ابعث إلى بأقدام الحبيب، حتى أفر بذلك غداً على البقاع الأخرى، فحقق الحق سبحانه وتعالى مطالب تلك البقعة، وأرسل الأعزة ليسكوا بعنان ذلك العظيم، ويقودونه (ص ١٤٨) إلى تلك البقعة؛ لينعموا عليها بحضوره، وفصلوا رأس ابننا عن جسده في غيبته. وعندما سمع الدرويش ذلك، عاد وأخبر الشيخ بالأمر. فقال الشيخ «الله أكبر». وأدرك الدرويش أن ما نقوه به الشيخ على باب نيسابور، كان إشارة إلى هذه الحادثة.

ولما وصل الشيخ إلى خرقان، وذهب إلى الخاقاه، كان هناك مسجد، وكان الشيخ أبو الحسن فيه، فنهض وتقدم للملاقة الشيخ في منتصف المسجد، وتعاقبا. وقال الشيخ أبو الحسن: لقد كان يلزم ذلك الجرح مثل هذا البلم، وكانت روح أحمد تليق قربانا لهذا المقدم. ثم أمسك الشيخ أبو الحسن بيد الشيخ ليجلس مكانه، فلم يفعل. وجلسا كلاهما في وسط المسجد. وتحدث الشيخ أبو الحسن إلى الشيخ، وقرأ المقرئون القرآن، وبكى الجميع وصرخوا. ثم أعطى أبو الحسن الخرقاني خرقته للمقرئين، وقال: لقد حان وقت الصلاة، والأحبة في انتظار. فأخرجوا النعش، وصلوا عليه، ودفنوا أحمد، وظهرت الأحوال في المقبرة. واختلف الصوفية الغبراء مع المقرئين قائلين لقد أعطانا الخرقه لنزقمها. وأخبر خادم الشيخ أبي الحسن سيده بذلك فقال: سلموا لهم هذه الخرقه وسأعطيكم خرقه أخرى لتمزقوها. وأعدوا مكاناً للشيخ أبي سعيد ليختل فيهِ. وأخذ الشيخ أبو الحسن يوصي أهل بيته واحداً واحداً (ص ١٤٩) ويقول لهم: إن هذا الرجل معشوق الحضرة

الإلهية، ومطلع على الصدور، فاحترسوا حتى لا تحدثوا فضيحة. وظل الشيخ أبو سعيد في هذه المرة ثلاثة أيام عند الشيخ أبي الحسن لم يعقد خلالها مجلساً قط . وكان أبو الحسن يعرض عليه أن يتحدث فيقول له: لقد أحضرنا لنسمع فتحدث أنت . وقال أبو الحسن للشيخ : أنت من أحتاج إليه ، ولقد طلبت من الله تعالى أن ابعث إليّ واحداً من أحبائك ، حتى أفضي إليهم بهذه الأسرار . يوماً كنت أسيخاً ضعيفاً لا أستطيع القدوم إليك ، وكنت أنت قوياً عزيزاً؛ فقد أحضروك إلينا ، ولم يتركوك تذهب إلى مكة ، فأنت أعز من أن يبعثوا بك إلى هناك ، وأحضروا لك الكعبة هنا لكي تطوف بها .

وكانت أم أبي طاهر ترافق الشيخ في هذا السفر ، وقد ذكرت أن الشيخ أبا الحسن كان يأتي كل صباح إلى باب المنزل ، ويسلم عليها ، ويقول لها : خذي حذرك فأنت تتحدثين إلى من اختاره الحق ، لم تبق هنا بشرية ولا نفس ، هنا الحق ، هنا الحق . وكان يأتي في منتصف النهار إلى خلوة الشيخ ، ويرفع الستار ويقول: هل تأذن لي بالدخول ؟ فكان الشيخ أبو سعيد يقول له ادخل . وكان أبو الحسن يقسم على الشيخ أن يظل كما هو، ثم يدخل ويجلس على ركبتيه بين يديه ، ويقول له : إنني أشعر بالآلام يعجز الأنبياء عن تحملها ، وإذا أطلقت نفساً واحداً منها ؛ لما استطاعت السماء والأرض أن تحتمله . ثم يضع رأسه على وسادة أبي سعيد ويقول كلاماً خافياً ويكيان معاً . وكان الشيخ أبو الحسن يضع يده تحت ثوب الشيخ ثم يضعها على صدره وهو يقول: إنني أنزل يدي بما بقي من نور . (ص ١٥٠) وذات يوم جاء قاضي تلك الناحية لتعزية الشيخ أبي الحسن . وكان الشيخ أبو سعيد هناك فقال : فلأذهب وأسلم عليه . وقال له الشيخ أبو الحسن

أذهب وكن على حذر . فذهب القاضى ، وسلم على الشيخ ، ورآه جالسا بين أربع وسائد مثل السلطان ، وقد جالس درويش عند قدميه واحتضنها ، وأخذ يدلكهما . فقال القاضى لنفسه : أين يوجد الفقر هنا ؟ وكيف يمكن أن يكون هذا الرجل من الفقراء مع مثل هذا التنعم ؟ إنه ملك وليس بصوفى أو درويش . وعندما جال هذا الخاطر فى نفسه ، رفع الشيخ رأسه عن الوسادة وقال : أيها الفاضل ، من كان فى مشاهدة الحق هل يقع عليه اسم الفقر ؟ فصرخ القاضى صرخة ، وفقد الوعى ، فأخرجوه . وقال له أبو الحسن : لقد قلت لك احذر لأنك لن تقوى على نظرتك . فقال الرجل : لقد تبنت ، ثم فقد الوعى مرة أخرى ، وظل هكذا يوما وليلة . وبعد ذلك دخل الشيخ أبو الحسن على الشيخ أبى سعيد وقال له : أيها الشيخ ، لقد نظرت إلى القاضى نظرة هيبية ، فانظر إليه نظرة رحمة حتى يفيق . فأجابه الشيخ إلى طلبه ، وتلطف إلى القاضى قبل أن ينصرف .

وقال الشيخ أبو الحسن للشيخ : إننا نرى الكعبة تطوف حولك كل ليلة ، ولست فى حاجة إلى الذهاب إليها ، فعد لأنك أحضرت لكى تدركنا . وقد حججت الآن وعبرت بادية هموم أبى الحسن ، وسمعت تلبية ضراعتك ، وذهبت إلى عرفات صومعتك . ورأيت رجم نفسه ، وقدم أبو الحسن القربان لجمالك ، وصليت على يوسفه ، وسمعت تأوهات أحزان المحترقين ؛ فعد لأنك لو لم تفعل ذلك لما بقى أبو الحسن ، فأنت معشوق العالم . وقال الشيخ : سنذهب إلى بسطام ونقوم بالزيارة ثم نعود . فقال أبو الحسن : لقد قمت بالحج ، وسوف تقوم بالعمرة . (ص ١٥١)

وذهب أبو سعيد بعد ثلاثة أيام إلى بسطام . وعندما وصل إليها وجد مرتفعا يمكن رؤية قبر بايزيد البسطامى قدس الله روحه العزيز من فوقه . ولما وقعت عين الشيخ على القبر توقف ، وطأ رأسه ساعة ، ثم رفعها

وقال : كل من فقد شيئاً يعطى له هنا . ثم زار بسطام . ويقول حسن بن المؤدب :
عندما وقف الشيخ على قبر بايزيد كنت واقفا خلفه ، فطأ رأسه ساعة أمام القبر
ثم رفعها وقال : هنا مكان الأطهار لا مكان الأشرار .

وأقام الشيخ في بسطام يوماً وليلة ، ورجع من هناك إلى دامغان ، وظل
فيها ثلاثة أيام ، ثم أخذوا أهبة الطريق . وكان في خدمة الشيخ مائة رجل . أقاموا
في رباط حتى رحلوا عن هذه الناحية ، كما كان معه أيضاً كثير من
الشيوخ . وبعد أن قضوا صلاة العصر ، أقاموا السماع حتى الليل ، وكان القوال
ينشد هذه الرباعية :

لقد انبعث صوت ، تأمله . . إنه صوت حبيبي
فأنا أعرف من الذي يتألم لألمي
ها هو وعلى وجهه ثلاثمائة وردة حمراء

فلأنهض ولأقطفها لأن قطاف الورد صناعتي
وكان للشيخ جوادان يركب أحدهما ويحمل متاعه على الآخر ، فأرسل للقوال
يقول له لك أحد الجوادين . وعندما أدوا صلاة العشاء طلب الشيخ الجواد وقال
للسيد أبي طاهر : ادع الصوفية إلى « صلاة » ، وهي قرية بجوار خراسان .
وركب الشيخ وقال للصوفية : اتبعونا غدا . وذهب هو وحسن بن المؤدب في صحبته
(ص ١٥٢) ومعهما صاحب الركاب ودرويش . ولما وصلوا إلى بوابة المدينة
وجدوها مغلقة . وكان المفتاح في قصر أمير المدينة ، وقال لهم الحارس يلزم جواز
المروور وإحضار المفتاح من قصر الأمير . ولم يكسب الشيخ يسمع ذلك حتى صاح
في حسن بن المؤدب قائلاً : انزع القفل . ونزع حسن القفل ، فسقط طرفه ، وفتحت
البوابة ، وخرجوا . ولما وصلوا إلى الصحراء ، كان القمر لا يزال مختفياً ، والظلام سائداً .

قال حسن بن المؤدب : وكان الخوف يملأ قلبي فقال الشيخ : يا حسن ، قل شيئاً
فقلت هذه الآيات :

« شعر عربى »

وعد البدر لى بالزيارة ليلاً فإذا ما وفى قضيت نذورى
قلت ياسيدى ولم تؤثر الليلى على بهجة النهار المنير
قال لا أستطيع تغيير رسمى هكذا الرسم فى طلوع البدور
فاندمج الشيخ فى السماع ، وأخذ يصرخ حتى مضت ساعة من الليل ، ثم هدأ ،
وطلب الطعام . لم يكن معنا شئ . وبدت قاعة من بعيد فقلت : لأذهب وأحضر
بعض الطعام . وذهبت وطرقت باب القلعة . وجاء رجل إلى السور وقال : ماذا تريد؟
فقلت : هل من طعام ؟ فربط ثلاثة أرغفة فى شال عمامة وأدلاها ، فأخذتها وأسرعت
حتى لحقت بالشيخ ، فقال : ماذا أحضرت ؟ فقلت : أحضرت هذا ، وكسرت رغيفاً
وأعطيته كسرة منه ، فأخذ لقمات ثلاث وأكلها وقال : دع الباقي لك . وعندما بلغ
الليل منتصفه قال : لنم ساعة . فقلت : الأمر للشيخ .

وانتهينا ناحية من الطريق (ص ١٥٣) ونزل الشيخ عن جواده . ولم يكن مع
أحدنا سجادة صلاة لينام عليها ، فسحبنا غطاء السرج ، وألقيناه على الأرض ، فوضع الشيخ
كففيه عليه ، ووضع رأسه على حجرى ، وقدمه على ذيل الدرويش ، واستراح بعض
الوقت . ثم طلع النهار فذهبنا إلى قرية ونزلنا فى قصر كبيرها . وقال الشيخ : قل لكبير
القرية سيصل ضيوف الليلة . وحانت صلاة العشاء ، ووصل الدراويش . وكان كبير
القرية قد أعد لهم وليمة فاخرة ، وأمضوا الليلة فى ذلك المكان . ولم يقل الشيخ شيئاً
سوى هذه العبارة : « لقد تعبتم وتألّمتم » . وفى اليوم التالى أدوا الصلاة ، وفرغوا من

الأوراد ، ثم طلعت الشمس ، فجلس الشيخ والجميع بين يديه ، وألقت إلى السيد أبي طاهر وقال له : لقد جئنا معك حتى هنا ، وقد تم مرادنا ، ولن نسعى أبعد من هذا ، فما رغبتك ؟ قال السيد أبو طاهر : مادام مراد الشيخ قد تم فقد تم مرادى أيضا .

وأخذ الشيخ يسأل الجماعة واحدا واحدا قائلا : من يريد الذهاب من هنا ؟ ومن يريد العودة معنا ؟ ولم يكن هناك حرج على أحد فكان كل واحد يقول ما يريد . ثم قال الشيخ لمن أراد الذهاب إلى مكة : البسو أحذية مرتفعة ، وأعد لهم معدات الطريق ، وسيرهم مسرورين .

ودعا الشيخ كبير القرية وقال له : نريد مكنائطيا . وكان له بستان جميل فأقام فيه مأدبة دعا إليها الشيخ والصوفية ، وأمضوا اليوم هناك في بهجة ، وفي اليوم التالي رحلوا عنه . واجتازوا قريتين يقال لهما « ارزيان » و « نوشاباد » ليصلوا إلى صحراء « سبزوار » لأن الشيخ كان قد اعتزم ألا يعرج على « بسطام » و « خرقان » في عودته . وعند القرية الثانية استأجروا الدواب ، ودفعوا بعض الأجر ، وأعدوا معدات السفر على أنهم سوف يقضون أربعة أيام أو خمسة في الصحراء ، (ص ١٥٤) وكان مع الشيخ جمع كبير .

وعلم الشيخ أبو الحسن بعودة الشيخ ، ولما كان يخشى ألا يمر بخرقان ، فقد أرسل إليه ثلاثة من الدراويش ، وصلوا هذه القرية عند صلاة العشاء .

وكان الإتفاق قد تم على أن تأتي الدواب في وقت السحر ، ويسيروا إلى الصحراء ، ونام الدراويش جميعا على هذه النية . وفي الليل ، سمع حسن طرقا منخفضا . وفتح الباب ، فرأى الدراويش الثلاثة ، فرحب بهم وأجلسهم . وسأل الشيخ : من الطارق ؟ فأجاب حسن : دراويش خرقان . فقال : ماذا يقولون ؟ قال حسن : لم أسألهم ، فقال الشيخ : أحضر ضوءا . فأشعل حسن شمعة ووضعها أمام الشيخ

وقال له الشيخ : ادعهم . فتقدم الدراويش وسلموا عليه ، وأبلغوه سلام الشيخ أبي الحسن ، فقال الشيخ : وعليه منا السلام ، ثم قال : بم يأمر الشيخ ؟ قالوا : لقد أقسم أنك لن تمضي ما لم تره . فقال الشيخ أبو سعيد : سأفقد أمره . ثم قال الحسن : اعطهم شيئاً ليأكلوا فقد جاءوا من بعيد ، وابتعث بائنين منهم ليطمئن الشيخ ، واستبق واحداً ليذهب معنا . وإذا حضر أصحاب الدواب في الليل ، فاعتذر لهم وأعطهم الأجوالة . فقال حسن : لقد جاءوا ، وأعطيهم الأجوالة ، ولم أطلب منهم الأجر ، وتركتم لهم نفقات الطريق في الأجوالة ؛ لأن الشيخ لم يأمرني بشيء في هذا الأمر . وكان الصوفية يحملون ما حدث ، ويظنون أنهم سائرون إلى الصحراء في اليوم التالي .

وتوجه الشيخ إلى بسطام وخرقان ، وجاء فارس فاضل من بسطام ، فركب الشيخ معه . وكان مسروراً جداً في ذلك اليوم ، وأخذ ينشد الشعر العربي . وقد ذكر ذلك الفارس أنه قد جرى على لسان الشيخ في ذلك اليوم (ص ١٥٥) أكثر من ألف بيت . وعارض الدراويش حسن في الطريق وقالوا : يلزم لنا شيء ، نأكله ، فقال : لا دخل في الجوال ، وقد أعطيتهم لأصحاب الدواب ، ظالوا : هل تركت لهم الأجر أيضاً ؟ فقال حسن : نعم ، لأن الشيخ لم يأمرني بشيء في هذا الأمر . وظلوا يجادلون في هذا حتى مر بهم الشيخ ، فسألهم : ماذا حدث ؟ . فقال حسن : إن الدراويش يقولون لماذا اعتذرت إلى أصحاب الدواب مادمت قد تركت لهم الأجر والنفقات . فقال لهم الشيخ : كان يجب الاعتذار إليهم ، لأن الحق تعالى كان قد أظهر لهم فضلاً ولكن هذا الفضل لم يتم ؛ إذ كانوا يريدون أن يصحبوكم . ويسيروا معكم ، فلما لم يتم لهم هذه النعمة ، أصبح كل ماسوى ذلك لاقية له ، فكان لابد من الاعتذار إليهم . وكان الشيخ مسروراً جداً طوال اليوم الذي توجه فيه إلى بسطام وقال : كل من أضاع وقتاً في القدوم إلى هذا المكان ، ووجهه بحرمة هذا المكان لله تعالى ، يرد إليه

وقته . وزار الشيخ بسطام ، ثم توجه إلى خرقان ، وأقام عند أبي الحسن يومين أو ثلاثة . وذات مرة سأل الشيخ أبو الحسن الشيخ أبوسعيد : هل هناك عروس لولايتكم ؟ فقال الشيخ : نعم ، وهناك كثير من النظارة لهذه العروس لأنها أظهر عروس ، ولكن بين هؤلاء النظارة عرش يتجلى فيه واحد فقط . وصرخ الشيخ أبو الحسن وقال : لقد كان كسرى يرى جميع أحواله في كأس الوهم .

وذات يوم . كان الشيخ أبو الحسن والشيخ أبوسعيد قد جلسا معا ومعهما جماعة من العطاء فالتفت إليهم الشيخ أبو الحسن وقال : في يوم القيامة يحضرون جميع العطاء ، ويضعون لكل واحد مقعدا تحت العرش ، (ص ١٥٦) ويسمع نداء يكلم الخلق عن الحق ، ويضعون مقعداً للشيخ أبي سعيد ليتكلم عن الحق بالحق .

وبعد أن مضت ثلاثة أيام طلب الشيخ أبو سعيد الإذن بالرحيل في اليوم الرابع ، فقال الشيخ أبو الحسن : اذهبوا من طريق « جناشك » لأن هذا الطريق به بعض القرى ، فيكون ذلك أيسر على الدراويش . وبعث ثلاثين درويشا ليقوموا بخدمة الشيخ حتى يصل إلى نيسابور ، وليحدثوه عن أحوال الشيخ في كل منزل . وخرج الناس وأبناء الشيخ أبي الحسن دفعة واحدة لتوديع الشيخ . وفي وقت الوداع قال الشيخ أبو الحسن للشيخ أبي سعيد : إن طريقك على البسط والفتح ، وطريقي على القبض والحزن ، فاهنأ الآن وعش سعيداً ، ولنحتمل نحن الآلام والمهموم ، فكل منا يقوم بمهمته . ثم أرسل الشيخ أبو الحسن من الرجال بقدر ما يستطيع في صحبة الشيخ ، ليعودوا إليه بأخباره في كل منزل ينزل به حتى « جاجرم » .

وفي اليوم التالي لرحيل الشيخ ، كانوا ينظفون المكان في خانقاه أبي الحسن ،

ويرفعون الأغطية ، فوجدوا في المكان الذي كانت به زاوية حسن بن المؤدب ورقة مطوية تحت الفراش ، وفيها شيء . فحملوها إلى الشيخ أبي الحسن قائلين : لقد وجدنا هذه في ذلك المكان . فسألهم : ماذا بها ؟ قالوا : لا نعرف ، فقال لهم انظروا إليه . فوجدوه ذهباً . فسألهم : في زاوية من وجد هذا ؟ قالوا : في زاوية حسن بن المؤدب خادم الشيخ أبي سعيد . فقال : زنوه ، فلما وزنوه وجدوه عشرين ديناراً . فقال لهم ، قدروه جيداً لنعرف مقدار الدين . فوزنوه ثانية فوجدوه عشرين ديناراً . فقال الشيخ أبو الحسن : لننققه فإن ماله مالنا ، ومالنا ماله . ورأى أبو سعيد قرية في الطريق ، فنزلوا بها . وذهب الشيخ إلى الحمام ، وكان من عادته عندما يذهب (ص ١٥٧) إلى الحمام أن يأمر للحارس بشيء ، وكان حسن يحتفظ معه ببعض النقود لهذا الأمر . ولما أراد إعداد النقود ، لم يجد تلك الورقة التي تركها في خرقان ، فاستولى عليه الاضطراب . ولما رأى الشيخ ذلك سأله عما حدث ، فأخبره بالأمر ، فقال الشيخ : حينما أنفق هذا المال فقد أنفق من أجلنا . وفي اليوم التالي وصل الخبر من خرقان عما وجدوه هناك ، ومقاله الشيخ أبو الحسن بشأن ذلك ، فقال الشيخ أبو سعيد : هو كما قال الشيخ أبو الحسن .

وظل مريدو الشيخ أبي الحسن في خدمة الشيخ أبي سعيد حتى جازم كما أمرهم شيخهم . ولما وصلوا إليها أعادهم الشيخ أبو سعيد وقال لهم : سنذهب من هنا إلى نيسابور ، فبلغوا سلامنا للشيخ ، وقولوا له : كن بقلبك معنا . وعندما وصل الشيخ أبو سعيد إلى ولاية « كوروني » صادفتهم قرية ، فأرادت الجماعة أن ينزلوا بها ، فسأل الشيخ : ما اسم هذه القرية ؟ قيل : « كلف » ، فقال الشيخ : لا ينبغي النزول بها . ثم ذهبوا إلى قرية أخرى فسأل الشيخ عن اسمها فقالوا : « دربند » فقال : لا ينبغي النزول بها . ووصلوا إلى قرية ثالثة فسأل الشيخ

ماذا يسمون هذه القرية؟ قيل: « خدشاد » (١)، فقال: ينبغي أن يكون المولى سرورا، وزلوا في ذلك المكان. وكانت هناك خانقاه خالية، فتقدم خادمها واستقبلهم كما هي العادة، وقام على خدمتهم، وذبح لهم الخراف، وقال: سأشوى لكم الكبد أولا حتى ينضج الطعام. وأعدت المائدة. وقال الشيخ: يجب أن يكون أكل الكبد أول خطوة (ص ١٥٨) وعندما قال الشيخ هذا الكلام، عظمه الخادم وقال: أبقى الله الشيخ، فقد قطعت القلب مع الكبد. فسر الشيخ وقال: إذا قطع القلب يكون طيبا، فأبو سعيد يطلب القلب. وأمضوا اليوم هناك، وفي اليوم التالي قصدوا نيسابور.

وعندما وصلوا نيسابور، كان بعض الصوفية يقولون: منذ رحل الشيخ إلى خرقان انقطعت أحاديثه ومقالاته وأحواله.

وكانوا يقولون ذلك الكلام؛ لأنه عندما ذهب الشيخ إلى خرقان لم يتحدث قط؛ بسبب أن الشيخ أبا الحسن كان قد قال له: أنت من احتاج إليه، وقد دعوت الله تعالى أن ابعث إلى واحد من أجابك أحدثه بأسرارك؛ فلما بعث شيخنا لهذا الأمر، تخلى عن الحديث. والدليل على هذا أنه حينما وجد الشيخ أبو الحسن، كان شيخنا يرفض الحديث، ويقول له: تحدث أنت، فقد أحضرنا لنستمع.

ولما لم يكن الدراويش مطلعين على هذا الأمر؛ فقد كانوا يقولون هكذا. ولما علم الشيخ بمقالة الدراويش قال: « اشتاقت تلك التربة إلينا، فلما التقينا فبينما في تلك التربة ». وقد قال الشيخ هذا القول رداً على ذلك الاعتراض. وفي الحقيقة أنه عندما نتأمل هذا القول يتضح لنا ذلك.

هذا ما وصلنا عن ذهاب الشيخ إلى خرقان، وعودته إلى مدينة نيسابور.

(١) « سرور المولى »

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح رحمة الله عليه إن مجيء الشيخ من نيسابور إلى ميهنة آخر مرة ؛ كان بسبب أن اثنين من مريديه اختصما . (ص ١٥٩) وكان من عادة الشيخ أن يصمت إذا تشاجر اثنان ، حتى يخرجوا ما يصدر بهما ، ثم يتحدث ويجمع بينهما ، فإذا قال كلمته ثم الصلح .

وكان أبناء الشيخ وأحفاده جميعا معه في نيسابور منذ أمد بعيد . وكانوا يبدون الرغبة في الذهاب إلى ميهنة . فلما وقع النزاع بين الدرويشين ، وأصلح الشيخ بينهما ؛ قال لأبي طاهر : أنهض وهبي شتون الصغار لنذهب إلى ميهنة ؛ فقد ضاق صدري . فنهض أبو طاهر واقترض قرضا كبيرا ، وهيا جميع الأمور ، وأعد أربعين حمارا وأربعين رحلا لأربعين درويشا بحيث يتعهد كل درويش رحلا ، ويحافظ عليه . وكلف ثمانية من الدراويش لاستطلاع الطريق . وأمدهم أهل نيسابور بالكثير ، طامعين في أن يتمتعوا برؤية الشيخ أكثر بعد أن يذهب أبناؤه ، وتقل مشاغله .

وفي اليوم الذي سیر الشيخ فيه أبناءه ، ركب هو جوادا ، ووضع على ظهره عباءة ، وفوق رأسه مزدوجة ، وتقدمهم إلى بوابة « شوخنان » ، ووقف هناك حتى مرت جميع الركائب أمامه واحدة بعد الأخرى . وأخذ يسأل عن صاحب كل رحل ، ويوصيه بالحذر ، حتى مروا عليه جميعا . وكان آخر شخص مرأمامه هو السيد أبو الفتح . قال السيد أبو الفتح : كنت حينئذ في الثامنة عشرة ، وجئت بين يدي الشيخ فسألني : أين دابتك ؟ (ص ١٦٠) فقلت سأذهب مترجلا . فقال الشيخ : بلغ سلامنا لو الدتك ، وقال لها اكرمي الاولاد ، وسوف نكون معكم بعد أربعين يوما إن شاء الله ، فقبلت أقدام الشيخ ومضيت . قال السيد أبو الفتح : لقد شهدت بنفسى

هذا الجزء من القصة حتى هذه المرحلة . ولما جاء الشيخ إلى ميهنه ، سمعت بقيتها من خواص خدمه . وقال السيد أبو الفتح : لم يأت معنا والدى السيد أبو طاهر ، ورجع مع الشيخ من مكان الوداع ، وذهبا إلى مدينة نيسابور .

وعندما وصل الشيخ إلى الخانقاه ، لم يتحدث في المجلس في ذلك اليوم ؛ لأن الوقت لم يكن مناسباً . وفي اليوم التالي أخذ مكانه في المجلس ، وكان من عادة أبناء الشيخ أن يجلسوا على يمينه فوق المنبر ، كما كان من عادة الشيخ أن يخرج من زوايته مع طلوع الشمس . وفي هذا اليوم خرج الشيخ ، ووقعت عينه على مكان أبنائه فقال : أبنائنا ، أكبادنا ، لا أستطيع النظر إلى مكانهم بدون حضورهم . وكان أبو طاهر قد اقترض قرضاً ، فقال له الشيخ : يجب أن تعمل على رد القرض لنلحق بهم . وعندما نفوه الشيخ بهذا ، ضاق صدر المريد ، وكذلك أهل نيسابور ؛ إذ كانوا لا يودون فراق الشيخ . وبعد ذلك قضى الدين ، وأخذوا أهبة الطريق ، ودفع الشيخ القروض في الموعد الذى كان قد حددته من قبل ، واستقامت الأمور .

وعندما هيا الشيخ جميع الامتعة ، واستقر عزمه على الذهاب ، جاء عظماء نيسابور وأتمتها ودرأوشها ليتوصلوا إليه أن يبقى بينهم دون جدوى .

ولما آن موعد الرحيل ، أقبل الشيخ أبو محمد الجوينى والاستاذ (ص ١٦١) الامام اسماعيل الصابونى للشفاعة . ووصل الاثنان إلى باب الخانقاه ، وأخذ كل منهما يطلب إلى الآخر أن يتقدم أولاً ، وفي النهاية أمسكا ببعضهما ودخلا معاً . وكان الشيخ قد جلس في مواجهة الباب ، ولما دخلا وسلما عليه ، أجلس أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وقرب الثلاثة رؤوسهم بعضها إلى بعض ، وأسروا بينهم بعض الحديث ، ولم يعرف أحد قط ماذا دار بينهم . وتحدثا كثيراً ، وتشفعا كثيراً لعل الشيخ يعدل عن رأيه ويؤجل السفر ، فلم يقبل الشيخ . وبعد أن طال

الحديث قال الشيخ : حقا إن هنا كثيرين محتاجون إلينا، وهناك أيضا كثيرون، وقد سلمت نفسى هنا حتى فاضت اليد بالخير. فقالا : أيها الشيخ إن ميهنة قرية صغيرة جدا، وقد قصرنا فى حقك . فقال الشيخ : أنا الذى قصرت فى حقك، فنجلا، وأدركا أن الشيخ لا يريد البقاء، فودعاه ورجعا. وانجز الشيخ أعماله وذهب.

وكان بجوار الخانقاه دكان، وعندما كانوا يهبطون جواد الشيخ، خرج ووقف على باب الخانقاه، وقال لل دراويش : لقد تركنا هذه البقعة كما وجدناها، ولم نفعل بها شيئا قط . ثم قال هذا البيت :

— حط طائر على رأس جبل ثم طار ،

فانظر ماذا على الجبل أو نقص منه ؟ !

فقال جميع المريدين : لقد ازدانت هذه البقعة بجمالك ، ووجد الجميع الراحة فى ظلك، فعين واحدا يتولى أمر الخانقاه، ليجد الغريب الراحة بها . فقال: افتحوا الخانقاه، وأعدوا كل شئ : ومن أتاه رزق منكم فليحمله معه . أنا لم أترك لكم شيئا معلوما ، والله تعالى يرزقكم بكل ما تحتاجون إليه .

وكان الأمر كما قال الشيخ، فلم يكن لهذه الخانقاه رزق معلوم قط ، ومع ذلك فقد كان روادها أكثر دائما من الخانقاهات (ص ١٦٢) الأخرى فى نيسابور، وكانت عامرة دائما ، واكثر بركة وفتوحا من جميع الخانقاهات ، بفضل أنفاس الشيخ وهمة المباركة . وظلت هكذا حتى غزا الغز مدينة نيسابور فخرّبوها .

وعندما ساق الشيخ جواده، وسار مسافة ، قال لدرويش كان يسير فى ركابه :

هناك عظم فوق الخائقاء فعد وألقى به بعيداً . وسمع جميع أئمة نيسابور وشيوخها
- الذين كانوا في وداع الشيخ - منه هذا اليت :

- إن المكان الذي أراك فيه ،
أذهب إليه واعتكف به .

ثم ودع الشيخ الجميع ، وسار صوب « عقبة رشك » . وعثر جواده في حطام
صندوق ، فضغطت فخذ الشيخ تحت كتف الجواد وجرح . ففرشوا له ثوبا ، وأناموه
عليه ، وأمسك أربعة افراد بأطراف الثوب ، وانزلوا الشيخ إلى عقبه ، ووضعوه في
هذا المنزل الوعر . وكان احد الدراويش قادما من مدينة طوس ، فلما رآه الشيخ
استدعاه وسأله : من أين جئت ؟ . فقال : من طوس . فقال الشيخ : وإلى أين
تذهب ؟ . قال : إلى نيسابور . فقال له : اذهب إلى خائقاء الصوفية ؛ وبلغ
الدراويش سلامنا ، فقد نصحونا كثيرا بعدم الذهاب ، وقل لهم إن الجواد قد عثر
في الطريق ولكنه لم يسقطنا ، وأنتم سوف تنسبون إلينا الكرامات . وحملوا
الشيخ من عقبه إلى طوس على الايدي أيضا ، لأنه لم يكن يستطيع ركوب الجواد .
وكان الأستاذ أبو بكر من ولادة الأمر في طوس ، فقال لأهل قرية يقال لها
« رفيقان » : سأعفيكم من الخراج هذا العام لتصنعوا محفة للشيخ تحمله إلى ميهنه .
وصنعوا المحفة ، وحملوا الشيخ فيها إلى ميهنه ، وظل مريضا عدة أيام ثم تماثل
للشفاء .

حكاية :

(ص ١٦٣) حكى عن أبي الفضل محمد بن احمد النوقاني أنه قال : كان

الشيخ أبوسعيد قادما من نيسابور إلى ميهنه . وعندما بلغنا الجبل ، كان في صحبتنا رجل فقال لنفسه : ماهؤلاء الناس الذين يأكلون الكعك والحلوى والأطعمة الطيبة ويزعمون أنهم صوفية . فاطلع الشيخ بكرامته على سر ذلك الرجل . ولكيلا يحدث له شر بسبب ما أضمر في نفسه من اعتقاد في حق هذه الطائفة ، أو يتطرق للخلل إلى دينه ، دعاه الشيخ وقال له : اذهب خلف هذا الجبل وزودنا بالأخبار . فمض الرجل ، وذهب إلى حيث أشار الشيخ ، فرأى حية ضخمة ، فخاف وفر عائدا إلى الشيخ ، فسأله : ماذا رأيت ؟ فحدثه الرجل بما رأى . فقال الشيخ : لقد كانت هذه الحية رفيقة لنا سنين طويلة . فنجل الرجل وسقط على أقدام الشيخ ، وتاب عن ذلك القول .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ أبوسعيد قادما من نيسابور إلى ميهنه ، نزل بمنزل في الطريق ، وتناول الدراويش شيئا من الطعام ، وناموا . وعندما حان وقت الصلاة ، وأذن المؤذن ، توضأ الدراويش ، وأدوا السنة . وأقام المؤذن الصلاة ، فوقف الجميع وانتظموا في الصفوف ، ماعاد درويش كان لا يزال نائما بسبب مشقة الطريق . ولما استيقظ ، كان الجميع قد شرعوا في صلاة الفرض ، فمنعه الخجل من أن يقوم وظل نائما ، وانتظر حتى يتفرق الجمع . وكان هناك لص قد دخل ليسرق شيئا ، ولما رأى الدراويش قد انشغلوا في الصلاة ، وابتعدوا عن أمتعتهم ، ورأى الملابس ملقاة ، تقدم (ص ١٦٤) ليسرق منها شيئا . ولما توسط الأمتعة ، كان ذلك الدراويش مستيقظا ، فرفع حجرا وقذفه به . فأدرك اللص أن شخصا يراه ، وفر هاربا ، ولم يستطع

أن يسرق شيئاً . وكان الجميع يجهلون هذه الحال ؛ لأن ظهورهم كانت للأمتعة أثناء الصلاة . وعندما سلعوا ، ورأوا الدرويش نائماً ، أنكروا عليه ذلك قائلين : انظروا إلى هذا الذى لم يؤد الصلاة . فقال الشيخ : كان يجب ألا يصلى حتى يحرس ملايسكم إلى أن تنتهى الصلاة . ولم يفهموا قول الشيخ . ولما اقتربوا من الأمتعة ، واطلعوا على حقيقة الأمر ، أدركوا أن الشيخ قد قال ما قال عن طريق كرامته ؛ أى أنه كان يقول لهم : لو لم يظل ذلك الدرويش نائماً لسرق اللص الملابس ، وبقي الجميع دون ثياب . فتأبوا عن ذلك الانكار .

حكاية :

روى عن جدى شيخ الإسلام أبى سعيد رحمة الله عليه أنه قال : كان الشيخ أبوسعيد يتحدث يوماً فى المجلس فقال خلال حديثه « العلماء ورثة الأنبياء » وسوف أقول لكم كلاماً بحكم هذا الخبر . ثم قال : فى هذه الساعة يأتى إلى ميهنة رجل يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله . أى أن كلام المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى قاله فى حق أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه سنقوله نحن أيضاً بحكم ميراث النبوة . ومرت ساعة وقال الشيخ : يا أباطاهر أنت خادم للدراويش فقم واستقبل يميانا . فقام السيد أبو طاهر وقام معه جماعة من الدراويش ، وذهبوا للاستقبال . وأقبل درويش من نهاية الحى ، يرتدى ثياباً ملوثة بمزقة . ويحمل على كتفه قربة وكوزاً . وكان الشيخ جالساً على المنبر . ولما رأى « يحيى » الوافد من ما وراء النهر الشيخ ، جعل يحبه حتى وصل إلى دكان على باب روضته المقدسة . وكان منبر الشيخ على هذا الدكان ، فلما وصل إليه (ص ١٦٥)

دعاه الشيخ للجلوس ، فجلس ، وأخذ الدراويش وجميع أهل المجلس ينظرون إليه في
ذهول . وعندما أنهى الشيخ المجلس قال : ينبغي أن يغتسل . فسادوا يحى إلى
شاطىء النهر ليغتسل ، وأمر الشيخ بإحضار ثوب ليلبسه ، وأقام لدى الشيخ ثلاثة
أيام . وكان يجلس بين يديه كل يوم ، والشيخ ينظر إليه أثناء الحديث ، ويقول
كلما آخر ، ويحيى يقوم بتحيته . وفي اليوم الرابع نهض وقال للشيخ : أيها الشيخ
إننى أفكر فى المسير ، يعنى الحج ، فقال له الشيخ : على بركة الله ، أبلغ سلامنا
لتلك الحضرة ! فحيا الشيخ ، ومضى وهو يتراجع إلى الخلف ، حتى لم يعد يرى
الشيخ ، فاستقام فى السير . وأشار الشيخ للجميع ولأبنائه أن يخرجوا لوداعه ، ففعلوا .
وقال السيد أبوبكر المؤدب الذى كان يؤدب أبناء الشيخ ، لقد قال لى الشيخ :
اصحب الأبناء ، واجتهد أن تسير معه وتنال تلك السعادة . فأسرعت ولحقت به ،
وسرت معه ، وكنت آخر من ودعه ، ثم رجعت . وفى السنة التالية فى نفس
الفصل ، وفى نفس الموعد ، قال الشيخ أثناء المجلس : انهضوا واستقبلوا يحيانا . فخرج
السيد أبوطاهر مع الجميع إلى البوابة الاستقبال ، فرأوا يحى آتيا ، وعلى كتفه نفس
القربة والكوز . وعند ما رأى أبناء الشيخ حياهم ، وجعل يحى حتى مثل بين
يدى الشيخ . وكان الشيخ على منبره فوق الدكان ، فقبل يد الشيخ ، وقبل الشيخ
رأسه . ولما جلس قال الشيخ : يا يحيى ، لا يمكن التخلي عن فتوح تلك الحضرة ،
فحدث الجماعة عنها ، وأقدم . فرفع يحيى رأسه وقال (ص ١٦٦) أيها الشيخ : لقد
ذهبنا وسعدنا ورأينا ووجدنا ولم يكن الحبيب هناك . فصرخ الشيخ وقال : قل هذا
مرة أخرى ، ففعل . وصرخ الشيخ ثانية ، وقال : قل مرة أخرى ، فقال يحيى مرة
ثالثة . فصرخ الشيخ ثم التفت إلى الجماعة وقال : ليس هناك صدق أعظم من صدق

هذا الرجل فاستمعوا إليه . ثم قال : يا محبي لا ينبغي أن يكون هذا الفتوح دون شكر ؛ فليكن شغلنا أن نشكر هذه الليلة ، فأعدوا الزبيب والجزر المثل وحلوى من القانيد المزعفر . فنهض حسن بن المؤدب والسيد أبو طاهر ويحيى ثلاثتهم وساروا وهم يفكرون في أنه من المتعذر أن تتوفر مثل هذه الأشياء بميمنة ، وهناك ما يزيد على المائة شخص . قال حسن : عندما وصلنا إلى بداية السوق ، كان هناك شخص يقول لآخر : هاك خادم الشيخ والصوفية الذين تبحث عنهم . فتقدم شاب وسلم علينا ، وقال : كنا قادمين من بوشنج هراة مع قافلة كبيرة ، فسطا علينا لصوص ، ونذرت أن أعطى صوفية ميمنة حملا من الزبيب إذا نجحت من أيديهم ، فتعالوا وخذوه . فذهبنا معه . وجاء رجل آخر وسلم علينا ، وقال : لقد نذرت أنا أيضا أن أعطى خمسة دنانير ذهبية . فأخذنا الزبيب والقانيد والذهب ورجعنا . وقبلنا السيد حوية رئيس ميمنة ، وكان مريدا للشيخ ، فسالنا . من أين أنتم ؟ فحدثناه بقصة الشكر . فأعطانا هو الآخر مائتي مَن^(١) من الخبز . وعدنا إلى الشيخ بعد ساعة ، وهيانا المأدبة وفق ما أشار به ، وعم السرور الجميع . وأقام يحيى هناك ثلاثة أيام ، ثم رجع إلى ماوراء النهر .

حكاية :

(ص ١٦٧) كان الشيخ عمرو البشخواني رجلا عظيما . على جانب كبير من الفضل ، وقد جاور في مكة ثلاثين عاما .

قال : طبقا للخبر الذي يقول : « اليد اليمنى لا على البدن واليد اليسرى لأسفل البدن » لم تصل يدي اليمنى تحت السرة طيلة ثلاثين عاما ، ولم تصل

(١) وزن يساوي ثلاثة كيلو جرامات .

يدى اليسرى أعلى السرة إلا لسنة . وله أعمال فيها احتياط أمثلتها كثيرة .

قال : عندما وصلت شهرة الشيخ أبي سعيد من خراسان إلى مكة . قال أهل الحرم من المشايخ : ما أحوجنا إلى شخص يخبرنا بأحواله ، لنعرف أى رجل هو . ثم قالوا : ينبغي لهذا الأمر رجل ناضج ، عالم ، متصوف ، من ذوى الأحوال . واتفق الجميع على الشيخ أبو عمرو ، ثم طلبوا منه الذهاب إلى ميهنة ، واستطلاع الاخبار عن أحوال الشيخ .

فسار الشيخ أبو عمرو حتى وصل إلى مدينة طوس ، ثم غادرها إلى ميهنة ، وكان قد اغتسل سبع مرات ، فقد كان يغتسل من كل خاطر دينوى يطوف بقلبه . ولما اقترب من ميهنة ، كان الوقت ظهرا ، وقد أذن للصلاة . وأدت الجماعة السنة ، وكان المؤذن ينتظر إشارة الشيخ لقيم الصلاة . وقال الشيخ للمؤذن : هناك شخص قادم فانتظر لنعرف من أين ، وإلى أين ، وليدرك صلاة الجماعة .

وكان الشيخ عمرو قد خلع نعليه حين صار على بعد فرسخ من ميهنة . فقال الشيخ لأبنائه : اخلعوا نعالكم ، واذهبوا لتستقبلوا شخصا لم يصل إلى ميهنة من هو أعز منه . فخرج الدراويش وأبناء الشيخ لاستقباله .

ودخل الشيخ أبو عمرو ، وصلى السنة ، وحى الشيخ ، وقضيت الصلاة جماعة . واختلى الشيخ به ثلاثة أيام وليال ، وتحدثا كثيرا . وبعد ذلك (ص ١٦٨) استأذن الشيخ أبو عمرو فى العودة ، فقال له الشيخ : ينبغي أن تذهب إلى بشخوان ، وتكون نائبا لنا فى هذه الولاية . فرجع أبو عمرو إلى بشخوان عملا بإشارة الشيخ . وعندما حان وقت الوداع ، أعطاه الشيخ ثلاثا من الخلال ، كان قد قلمها بنفسه ، وقال له : إذا أرادوا أن يبتاعوا منك واحدا من هذه الخلال الثلاث بعشرة دنانير فلا تبعه ، وإذا طلبوه بعشرين دينار فلا تبعه أيضا ، وإذا أرادوه بثلاثين ديناراً ،

وهنا أمسك الشيخ . وودع الشيخ أبو عمرو والشيخ أبوسعيد ورحل . ولما وصل بشخوان نزل في الخانقاه — وحيث توجد الآن خانقاه كانت هناك حجرة جعلوها خانقاه — وتقرب إليه أهل بشخوان ونسا . وكان يقيم في كل خميس خاتمة في هذه الخانقاه ، وكان مريدوه وأهل القرية يتجمعوا هناك ، كما كان جميع المعارف من القرى القريبة من بشخوان يظهرون له محبتهم . وقد ألتوا حين تنتهى الخاتمة ، أن يطلب أبو عمرو كوزا من الماء ، ويفسل فيه واحدا من الخلال التي أعطاهها له الشيخ . وكانوا يحملون ذلك الماء إلى مرضى الولاية ، فيمن الحق تعالى عليهم بالشفاء ببركة هذين الشيخين .

وفي ذلك الحين كان في بشخوان رئيس مصاب بمرض القولون . وذات ليلة آلم ذلك الداء رئيس بشخوان ولم يهدأ الألم ، فجاء شخص إلى الشيخ أبي عمرو وقال له : يقال إن لديك خللا تغسله ، فيجد المرضى في مائة الشفاء ، فأعطني قليلا منه لآحله إلى الرئيس . فبعث إليه الشيخ أبو عمر بقدر من الماء ، ولما شربه وجد الشفاء . وفي اليوم التالي ذهب الرئيس إلى الشيخ أبي عمرو وقال له : من المعروف أن لديك ثلاثا من الخلال (ص ١٦٩) فبعتني واحدا . فقال الشيخ : بكم تشتريه ؟ فقال الرئيس : بعشرة دنانير . فاجاب : إنه يساوى أكثر . فقال : بعشرين دينارا . فقال لأبيع . فقال : بثلاثين دينارا . فقال إنه يساوى أكثر . فصمت رئيس ميهنه ولم يزد على ذلك . فقال الشيخ أبو عمرو : لقد توقف شيخنا ابو سعيد عند هذا . وأخذ منه الثلاثين دينارا ، وهدم تلك الحجرة ، وبني بذلك المبلغ الخانقاه الموجودة الآن . وظل الرئيس يحتفظ بالخلال طيلة حياته . ولما أشرف على الوفاة ، أوصى بأن يكسروا ذلك الخلال ، ويضعوه في فيه ويدفونه به . أما الخلالان الآخران اللذان كانا في حيازة الشيخ ابى عمرو فقد

أوصى عند وفاته بأن يدفنوها معه ، فدفنا مع الشيخ أبي عمرو في قبره المبارك
تنفيذا لوصيته .

حكاية :

كان السيد أبو القاسم الزراد من مريدي الشيخ ، وقد قام بكثير من الاسفار
والرياضات . قال : خرجنا من الكوفة قاصدين الحجاز مع جماعة من المشايخ .
وعندما خرجنا قال البعض : نسير على التجرد . وقال البعض الآخر : نسير على
التوكل . وقلت لنفسي : يا أبا القاسم كن يقظا ومسرعا تريد . وعزمت على ان
أرجع كل خطوة لأخطوها على اليقظة ، وتركت البادية على هذا العزم . ولما
عدت ، كنت أقضي الليل واقفاني مسجد الشيخ ، وأودى الصلاة خلفه ، بحيث اضع
وجهي وراء قدميه . وحينما اقبل الليل ، توضأت ، فألقيت نورا في باطني ، وسررت
لذلك سرورا عظيما . وفي وقت السحر توضأت مرة ثانية ، وتضاعف ذلك النور ،
فازددت سرورا ، وقلت لنفسي : لقد وجدت ما كنت أبحث عنه . وعند الفجر
خرج الشيخ من الخلقاه ، فتقدمت إليه على نية (ص ١٧٠) أن أحدثه بما حدث لي
في الفجر ، فقال : هل تقول أم نقول نحن ؟ قلت : ليتفضل الشيخ فقال : ليس
ذلك الشيء هو الذي يرون به الطريق ، إنما هو من بركة الوضوء ؛ لأن الرسول
صلى الله عليه وسلم قال : « الوضوء على الوضوء نور » فذلك هو نور الوضوء
فلا تغتر . فعدت إلى وعي ، وتبت عن ذلك التمسك .

حكاية :

عندما خرج آل سلجوق من نور بخارى ، وجاءوا إلى خراسان ، واستقروا في
بلورد وميهنه ، تجمع حولهم كثير من الناس ، واستولوا على أكثر خراسان ، بسبب

غفلة مسعوء ، سلطان ذلك العهد ، عن الملك ، وانشغاله بالملاذات والمفاصد .

وتلك قصة مشهورة ، وليس غرضنا ذكرها ، وإنما الغرض هو ذكر شيخنا ؛ لأن
في شرح هذه القصة طولا للكتاب ، وبعداً عن الغرض .

وأرسل السلطان مسعود إليهم رسولا يتهددهم ، فكتبوا له رسالة يقولون فيها
إن الأمر لله وهو يفعل ما يريد . وعرف الشيخ ذلك بكرامته . ولما جاء الإخوان بغيري
وطغرل لزيارة الشيخ في ميهنه ، وكان جالسا مع جماعة من الصوفية في روضته ،
تقدما إلى منبره ، وساما عليه ، وقبل يده ، ووقفا بين يديه . فأخى الشيخ رأسه
إلى الأمام لحظة ثم رفعها وقال بغيري : لقد منحناك ملك خراسان ، ومنحنا
طغرل ملك العراق . فحياه الاثنان ورجعا . وبعد ذلك قاد السلطان مسعود جيشه
وذهب لقتالهما . وحين وصل إلى ميهنه ، أقام على باب القلعة . وذهب الشيخ والناس
(ص ١٧١) إلى القلعة . وكان في ميهنه خلق كثير بحيث علق البائع أربعين ميزانا في
رباط القوافل . كما كان بالقلعة واحد وأربعون رجلا من مهرة الرماة الذين يصيبون
الهدف دائما ، ولا يخطئون قط ، فأهلكوا وجرحوا كثيرا من مشاهير جيش السلطان .
قال حسن بن المؤدب : ذات ليلة بعد أن أدينا صلاة العشاء ، قال لي الشيخ :
اذهب إلى « بادنه » ، وهي قرية صغيرة على بعد فرسخين من ميهنه ، وبلغ
سلامنا إلى السيدة العجوز « فلانة » ، وقل لها ابعتي بذلك القدر من الزيت الذي
تحتفظين به لنا .

قال حسن : فأنزلوني عن حائط القلعة بحبل ، وتسالت من بين — العدو —
بحيث لم يرني أحد . وذهبت إلى بادنه ، وأحضرت الزيت . وفي وقت السحرة
إلى أسفل القلعة ، ورفعوني إليها بحبل ، وذهبت بالزيت إلى الشيخ . وصلى الشيخ الفجر

ثم خرج وجلس على مقعد، وأمر بأن توضع المواقد في وسط القلعة. ووضعت الآنية فوقها، وصبوا في كل أناء جزءاً من الزيت. وأخذ الزيت يغلي دون أن يعرف أحد ما غرض الشيخ من ذلك. وظل القتال مستمرا، ثم عرض الصلح، وقبله الفريقان. وخرج رئيس ميهنة من القلعة، فأنعى عليه السلطان. ثم دخل الرئيس، وأخرج الرماة الواحد والاربعين من القلعة، وأصدر السلطان أمره بقطع اليد اليمنى لكل منهم. فكانوا يتقدمون، ويضعون أيديهم المقطوعة في الزيت المغلي، والشيخ يبكي ويقول: لقد قطع مسعود يد ملكه. وبعد أن أصدر السلطان أمره بهذا العقاب رحل إلى مرو. وعلم آل سلجوق بمجيئه إليها، فذهبوا إلى هناك، (ص ١٧٢) وقاتلوه وانتصروا عليه، وبذلك انتقل الملك من أسرة مسعود إلى آل سلجوق. وجلس چغرى على العرش في خراسان، وملك طغرل العراق على نحو ما قال الشيخ.

وقد جرى عل لسان الشيخ في مجلس من المجالس قوله: جاء الأمير طغرل إلى ميهنة يوما، ونزل في هذه الصحراء. وكانت وسادته سرج جواده، وفراشه لبس السرج. وأرسل شخصا إلى هذه القرية يقول: نحن أناس غرباء، وقد نزلنا ضيوفا عليكم في هذا المكان، فابعثوا إلينا ببعض الدقيق. ولما أحضروا له الدقيق، أخذه وذهب إلى سرخس. وكان في سرخس جماعة من أتباعه فقال لهم: نأخذ منكم أولا، فسكان ينزل كل من يتقدم إليه، ويستولى على جواده. وقد اتقاد له الآخرون.

وفي ذلك الوقت بعث إليه سوري برسالة يقول فيها: ما هذا الذي تفعلون؟ إنكم بذلك تضطروننا للحضور، والقبض عليكم. فأرسلوا إليه رسولا يقول له:

ليس الأمر لنا أو لكم ، إنما الأمر لله عز وجل ، وسوف يسكون ما أراد الله .
فقلنا : سوف يكون لهذا الرجل العزة في الدنيا . والآن تم له الأمر واستولى
على جميع خراسان .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : كان الشيخ يسوق جواده يوما في أحد الطرق ،
وكنت أسير مسكاً بركابه كهاذي ، فسمعت الشيخ يقول لنفسه بصوت منخفض :
إنني شيخ ضعيف ، ولا قدرة لي ، فاشملي بفضلك ، واعف عني . ولم يكده الشيخ
يقول هذا حتى عثر جواده ، ووقع عن الجواد ، ولكنه لم يصب (ص ١٧٢)
بأذى . فقال : الحمد لله « وكان أمر الله قدرا مقدورا » وسجد شكرا لله
وقال : الحمد لله أننا سقطنا خلف الجواد . قال حسن : أدركت حينئذ أن
الشيخ كان يتضرع إلى الله من أجل هذا ؛ لأنه كان قد توقع هذا البلاء
قبل أن يحدث ، فأخذ يتضرع حتى سهل الأمر ، ومر بسلام .
حكاية :

قال جدى شيخ الإسلام أبو سعيد : سمعت والدى النيد الشيخ أباطاهر يقول :
كان لأمى خال مسن في ميهنه يدعى « شبوي » وكان شيخا معمرًا ، قصير
القامة ، كثيف اللحية ، فقيرا ، يعول كثيرا من الأولاد ، ومشغولا دائما
بكسب قوته ، ولم يكن يترك مجلس الشيخ قط . وكان شيخنا كثير التألم والبكاء .
وذات يوم اعتراه حال في مجلس الشيخ . ولما أنهى الشيخ المجلس ، وانصرف
الناس ، جلس في وسط المكان كصيد علق من حلقه . فقال له الشيخ أبو سعيد :
أيها الشيخ ، ماذا ألم بك ؟ فقال : لا أعرف . فقال الشيخ : ينبغي أن تعرف .
وفي اليوم التالي قال الشيخ : اربطوا وسط الشيخ شبوي ، وارفعوا أكمامه ، وأعطوه

مكنسة ليكنس المسجد وينظفه . وأخذ شبوي المكنسة ، وذهب إلى المسجد . وكان رئيس ميهنة السيد حمويه عند الشيخ ، قال : لقد خطر لى أنه لو فعل هذا العمل شاب لكان أكثر لياقة . وأدرك الشيخ ذلك بفراسته فقال لى : أيها السيد ، إن هذا الشيخ يرغب فى أن يكون صوفيا ، وإذا لم ينالك الطريق فلن يصل إلى مقصوده . فبكى شبوي وقال : أيها الشيخ ، إننى رجل مسن ضعيف كثير الأولاد فارحمنى . فأخنى الشيخ رأسه (ص ١٧٤) ثم رفعها بعد برهة وقال : أترك تلك المكنسة فقد تم الأمر . وقال والدى السيد أبوطاهر : وفى وقت الظهر أرادوا حمل قمح الصوفية إلى الطاحون ، ولم يكن الأمر مستتباً فى ذلك الوقت ؛ إذ كانت فتنة التركان فى بدايتها ، فسألت الشيخ : من الذى أبعث به إلى الطاحون ؟ . فقال الشيخ شبوي . فبعثت به مع عدد من الدراويش . ولما ذهبوا إلى الطاحون ، وأخذوا يطحنون القمح ، جاء التركان إليها ، وطرقوا الباب ، فلم يفتحوا لهم . ووقف الشيخ شبوي خلف الباب ، وأغلقه بظهره . فأطلق أحد التركان سهمه ، فاخترق الباب ، ودخل فى ظهر الشيخ ، وخرج من صدره ، فاستشهد فى الحال . وحملوه على حمار ، وأحضره إلى ميهنة ، ووضعوه على باب منزل الشيخ أبى سعيد . ولما رأى الشيخ لحيته البيضاء وقد تخضبت بالدماء ، بكى وأخذ يقول : « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » ثم أقبل على جنازته . وفى اليوم التالى عقد الشيخ مجلسا على قبر شبوي .

قال رئيس ميهنة السيد حمويه : لقد خطر لى أثناء مجلس الشيخ ، لما إذا كان مقتل هذا الشيخ ؟ فأدرك الشيخ أبو سعيد ذلك بكرامته ، والتفت إلى وقال أيها السيد :

« رابعة »

لماذا تجميل النظر في الميدان
وفيه جراح الفيلة وأنفاس الأفاعي
وكل من ينزل إليه يسلم القلب والروح
فماذا يريد الأعزل من الطواف بقصر السلطان

وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ثم مسح وجهه بيديه ونزل عن المنبر .

حكاية :

روى أنه كان في ما وراء النهر جماعة من الصوفية والشيخوخ العظام ،
يعقدون المجالس دائماً ، ويقولون أقوالاً طيبة في الطريقة . وكان لهم مقدم
(ص ١٧٥) له كثير من المريدين ، ولكل مرید منهم محب من أهل الدنيا ،
وقد أعد لهم جميعاً مكثاً في قصره . وقد اعتادوا حين يؤدون صلاة العشاء ،
ويفرغون من الأوراد ، أن يجلسوا على السجاجيد ، ويقضون الليل في التفكير حتى
يطلع النهار . وعندما ينتهون من صلاة الفجر ، كان الشيخ يبدأ الحديث ، ويجيب على كل
مشكل ، أو خاطر خطر لهم في تلك الليلة ، ويقول ما ينبغي قوله . وكان خادم ذلك
الجمع رجلاً يدعى عمران ، وكان سالكا متحمساً . وذات ليلة أخذ عمران يقول
لنفسه : إنه لأمر عجب حقاً ، إذا طلبته يقول : أيها الوضع إلى أين تسرع ؟ أنظن
أنك تلحق بي ؟ . وإذا لم أطلبه يقول : « وسارعوا » . وإذا طلبت غيره يقول :
« مشرك » . وإذا تحولت عنه يقول : « مرتد » . وامضى الليل في هذا التفكير
حتى طلع النهار . وفي الفجر بدأ الشيخ الحديث ، وأجاب على مشأكل المريدين . ولما وصل

إلى عمران، نهض وعرض مشكلته فقال: تراءى لشخص طلب، فقضى عمره فى الطاب تارة، وفى المجاهدة تارة، وأفنى أكثر عمره فى الخدمة، ولم يظهر لذلك الطلب الذى لاح له مكان أو معنى؛ فما سبب ذلك؟ فأتى الشيخ ولم يعرف جواباً لذلك المشكل. وفكر كثيراً، وفى النهاية رفع رأسه وقال: يا عمران، انتظر حتى يوم الجمعة عندما يحضر الشيوخ، (ص ١٧٦) فيتحدث كل منهم فى هذا الأمر، فربما يتضح الجواب. وفى يوم الجمعة اجتمع شيوخ الولاية، وعرض عمران عليهم ذلك المشكل. وقال كل شيخ قولاً، ولكن الجواب لم يتضح، ولم يجد السائل شفاءً، وتضاربت جميع الأقوال. وانتهى اليوم ولم يجب أحد على سؤال عمران، وصمت جميع الشيوخ. وصرخ السائل قائلاً: لقد أفنيت عمرى فى هذا الجنون، واليوم رأيت عظماء طريقتكم، فمزقت حجبى، وأظهرت دأى، لأعرف طبيب طريقتكم، فتركته. ونى لهذا الداء، وقد تمرق حجابى. فتعالى الصباح من الجميع، وأمضوا تلك الليلة وهم جالسون يفكرون فى ذلك الأمر، وظلوا فى حيرة حتى الصباح. ولما طلع النهار، قال كل شخص ما تراءى له فى تلك الليلة، فلم يجد السائل الشفاء أيضاً، ولم يتضح أى حل. وقال كبيرهم: ليس لدينا دواء لهذا الداء. إن دواءه عند رجل ظهر فى خراسان يدعى الشيخ أباسعيد بن أبى الخير، فاذهب إلى هناك، واطلب شفاء ذلك الداء، ولن تنفرق حتى يصلنا جواب المشكل. فنهض عمران، واتجه إلى الطريق، وأخذ يسير دون وعى؛ حتى أنه لم يفكر فى طعام. ولم تقبل تلك الجماعة الصادقة الطلب أن ينشغلوا بشيء، ما لم يرتفع ذلك للمشكل من الطريق. وعندما وصل عمران إلى ميهنه، كان الوقت صباحاً، وكان الشيخ يتحدث فى المجلس. فلما اقترب عمران، ورآه الشيخ، رفع رأسه وقال من أعماقه: ادخل يا عمران

فقد جلسنا اليوم من أجلك . فحياء عمران ووقف بعيدا . وقال الشيخ : أدخل يا عمران فقد جئت من مكان بعيد . فتقدم عمران إلى الشيخ ، فقال له : أيها الدرويش ، ليست جميع الأحوال متشابهة ؛ فأنت إما أن تطلبه أو تطلب منه . وقد طلب منه أكثر من مائة وعشرين ألفا من الرسل ، ولو لم يأت محمد إلى الدنيا لما طلبه أحد . لقد كان محمد أول طالب له ، والله تعالى (ص ١٧٧) شكره في ذلك المعنى فقال : « مازاغ البصر وماطغى » فإذا طلبته ؛ فالطلب رد ، والسبيل سد ، والمطلوب بلاحد . وإذا طلبت منه ، فلا يتم لك مامضى حتى تقول كلامه ، وتجلس مع أحبائه ، وتسرع إلى تلبية ندائه . وقد ترك الآخرين في غفلة ، وتركك على بابه . وجعل الآخرين ينشغلون بطلب الغير ، وجعلك مشغولا به وبأحبائه . فقال عمران : أيها الشيخ ، أليس هو الكريم ؟ فقال الشيخ : إنه "الكريم الذي يعطى قبل السؤال ، ويعفو قبل الاعتذار" . عد يا عمران فإن الجماعة في انتظارك ، فحياء عمران ورجع . وسأل سائل الشيخ : وما حالنا نحن المذنبين ؟ فقال الشيخ : أيها الشاب ، إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله وملائكته يترحمون على المقرين على أنفسهم بالذنوب » . وأخذ عمران يسير حتى وصل إلى الشيوخ ، فوجدهم قد جلسوا على حلهم في انتظاره . فأخبرهم بما كان من الشيخ ، فاستمعوا إليه ، ونهضوا وتوجهوا صوب ميهنه ، وسجدوا على الأرض تعظيما للشيخ .

حكاية :

روى أن درويشا خرج من العراق وجاء إلى الشيخ . ولما وصل ميهنه كان

الشيخ في قرية « بادنه » على بعد فرسخين من ميهنه . فلم ينتظر الدرويش في ميهنه وتوجه إلى بادنه . ولما مثل بين يدي الشيخ ، قبل قدميه ، وسار في ركابه . وفي الطريق سأل : أيها الشيخ ، ماحق الشيخ على المريد ، وماحق المريد على الشيخ ؟ فلم يجبه الشيخ في تلك الساعة . وعندما وصلوا ميهنه ، وخرج الشيخ في اليوم التالي ليتحدث في المجلس ، قال لذلك الدرويش : ينبغي أن تسير الآن (ص ١٧٨) إلى غزنين ، وتذهب إلى فلان ، وتطلب منه مائة دينار ذهبي ، ومنين من العود ، من أجل الصوفية . فنهض الدرويش في الحال ، واتجه إلى الطريق ، وأبلغ رسالة الشيخ ، وأخذ المائة دينار والعود ورجع . ولما وصل إلى مدينة هراة ، ذهب مع درویش هروی إلى الحمام . وكان في الحمام غلام جميل ، فتطلع إليه ذلك الدرويش ، وأخبر الهروي بالأمر . فقال الهروي : يلزمنا شيء لنحضره إلى المنزل ونختلي به . فأعطاه الدرويش دينارين . ورتب الهروي الأمر ، وأحضر الغلام . وجاء الدرويش ، وأكلوا شيئاً واختلوا به . وعندما أراد الدرويش أن يقصد الغلام ، رأى الشيخ أباسعيد يدخل من الزاوية ، ويصيح فيه ، فصرخ الدرويش ، وفقد الوعي . وعندما عاد إلى رشده ، نهض وتوجه إلى ميهنه . ولما وصل إليها ، كان الشيخ يتحدث في المجلس . فأسرع الدرويش إليه ، ولما رآه الشيخ قال له : حق الشيخ على المريد هو أن تذهب إلى غزنين متى أشار إليك بذلك ، لصالح الدراویش . وحق المريد على الشيخ هو أنه إذا وقعت في خطأ في الطريق ، منعك عما لا يليق . فحجل الدرويش واستغفر .

حكاية :

قال السيد «عليك» : كنت في نيسابور، واشتقت لرؤية الشيخ ، فأسرعت بالخروج منها ، وسرت حتى أتيت ميهنه في يوم وليلة . وعندما اقتربت من المدينة رغبت في أن أتوضأ ، وأذهب إليها بوضوئي . ولما وصلت إلى نهر بجوار ميهنه ، رأيت درويشاً مقبلاً . ولم أكّد (ص ١٧٩) أنزع نعلي حتى قال لي الدرويش : إن الشيخ يطلب منك أن تحضر هكذا . قال السيد عليك : فذهبت إلى الشيخ عاري القدمين ، وكان قد جلس على دكان في الروضة ، فقال : أحضروا مقعداً حتى يضع نعله المنزع فوقه . فأحضروا مقعداً ، ووضعوه أمام الشيخ ، ووضعوا النعل فوقه . وقال الشيخ : أحضروه ، فخلعوه إليه . وقبل الشيخ النعل ، روضعه فوق رأسه ، وأمسك به ، ومسح وجهه فيه وقال : كل من يخطو خطوة في هذا الطريق يكون عظيماً . ثم قال : لقد أحضرناك قبل أن تفكر في الحضور إلينا .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا سعيد كان يعظ في المجلس يوماً . وحضر أحد الادعياء إلى المجلس ، وجلس خلف عمود ، وأخذ ينظر إلى الشيخ . ورآه جالساً على المنبر بين أربع وسائل ، وقد بدت كراماته واضحة للعيان . وأخذ الدعوى يشاهد حال الشيخ في الخفاء ، وينسکر عليه ذلك . فالتفت الشيخ إليه قال : أيها الرجل الذي يجلس خلف العمود ، انزع الانكار من قلبك وتقدم إلينا . فخرج الرجل من خلف العمود وهو يصيح قائلاً : أي إله هذا . فرد عليه الشيخ قائلاً : لا تخطئ ، بل قل : أي انقياد هذا . فصرخ الناس جميعاً ، وتاب الرجل ، وأصبح من مريدي الشيخ .

حكاية :

قال السيد أبو الفتوح: عندما كنت بخدمه الشيخ . وكنت أشاهد حاله ، وأسمع عن الرياضات التي مارسها ، وأتصور أن هذه الحال ثمرة لتلك المجاهدات ، فكرت في أن أمارس الرياضة في الخفاء . وقلت لنفسى : فلا مارس الاحتياط في اللقمة أولا ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى (ص ١٨٠) قال للرسول : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » ، ولما كان العمل الصالح نتيجة للقمة الحلال ؛ فإن من صالحى أن آكل من كسب يدي ، ولا آكل من طعام الصوفية . وم أكن أعرف طريقا للكسب ، أو أجيد عملا . وكان بجوار الشيخ رجل طحان يدعى « ميرد » . فذهبت إليه في الخفاء ، وتعلمت منه نسج المكاتل . وفي ظهر كل يوم ، عندما كان الشيخ يخلد إلى الراحة وقت القيلولة ، وبناء الصوفية أيضا . كنت أخرج في الخفاء إلى الصحراء ، وأحضّر مقدارا من الخوص . وأقوم بنسجه ، وأبيعه وأشتري بثمرته شعيرا . أطحنه على الرحى ، وأصنع منه خبزاً . وأخذت أصوم دائماً ، وعند الافطار أجلس على المائدة مع الصوفية ، وأخرج رغيف الشعير من كمي ، وأكل منه في الخفاء ، وأنا أحاول دائماً أن أبتعد عن مكان الشيخ على المائدة ، حتى لا يطلع على هذه الحال . وأخذت أكثر من الوضوء والصلاة ، وأنا أظن أنه لا يوجد شخص قط يطلع على هذا السر . ولم يحدثني الشيخ في هذا الأمر قط ، حتى جاء الوقت الذي ترك فيه الشيخ ميهنه إلى نيسابور . وحين وصل إلى طوس ، كان بها سيد يقال له السيد « أبوطالب الجعفرى » يحبه الشيخ كثيراً ، ولا يتناول طعامه إلا معه . وعندما غادر الشيخ طوس إلى نوقان وفي رفقته السيد أبوطالب ،

حدث أن كانا جالسين يوما على المنبر يتناولان الطعام ، وكان في طوس زاهد ، فلما سمع بمقدم الشيخ إلى نوقان جاء لتحيته . ولما دخل عليه وحياء ، أجابه الشيخ دون أن يلتفت إليه . فتألم الزاهد كثيرا لأنه أهين أمام الناس ، وخرج حزينا من عند الشيخ . فقال السيد أبو طالب للشيخ : أيها الشيخ ، إنك لم تلتفت إلى زاهدنا . فقال الشيخ (ص ١٨١) لاحتاجة بنا إلى زاهد ، لاحتاجة بنا إلى زاهد . ثم قال : ياسيد ، لاتتحدث إلى القرائين لأنهم غمازون ، والله لا يأخذ الناس بأقوالهم ، ولكنه لا يتركهم بأقوالهم . ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء القوم يشقون على الخلق . ثم التفت إلى وقال : إذا ذهبت إلى الآخرة فلا تقل إنني مرید شیخی ، لأنك تسير في طريق الزهد ، وتعمل عملا دون متابعة الشيخ . قال السيد أبو الفتح : عندما تفوه الشيخ بهذا سقطت على الأرض منشيا على من هول ذلك الكلام ، واخذت استغفر الشيخ حتى ساعحنى وقال لى : ارجع عن ذلك . فقلت: رجعت. وسألنى الجميع عما حدث ، فقصصت عليهم قصتى . وتعجبوا كثيرا؛ إذ أن أحدا قط لم يقف على تلك الحال ، باستثناء الشيخ الذى أدركها عن طريق كرامته .

حكاية :

كان السيد ابو القاسم الحكيم زجلا عظيما في سرخس ، محترما من الجميع ، له كثير من المريدين . وعندما وصل صيت الشيخ إلى مدينة سرخس ، أراد أهلها أن يتعرفوا مكانة الشيخ . وكانوا قد جلسوا يوما ، واخذوا يتحدثون عنه ، فقال واحد منهم إنه رجل عظيم ، وقال آخر إنه يملك دارا خلف الجبل — أى أنه

قروى والقرويون ليس لهم شأن . وكان يحيى التركى رجلا عظيما فقال : ليس
اسمك أن تتحدثوا عنه دون علم ، وسوف اذهب إلى ميهنه لأراه ، واعرف أى رجل
هو . ثم توجه إلى ميهنه . وخرجت الجماعة لوداعه وقالوا له : تأمله جيدا لتعرف
اى رجل هذا الذى يصل صيته إلينا دائما . وجاء يحيى إلى ميهنه ، ولما وصل
إليها كان الوقت فجرا ، وكان الشيخ على المنبر . فلما دخل يحيى من باب المسجد ،
ووقع عليه نظر الشيخ ، قال له : مرحبا يا يحيى ، هل جئت لترانا ؟ (ص ١٨٢) ينبغي
عليك الآن أن تتأملنا جيدا ، ماذا قال لك دراويشك فى تلك الساعة التى أتيت
إلينا فيها ؟ قال يحيى : ليقول الشيخ . فقال الشيخ : لقد قالوا لك تبين أى رجل هو .
ثم قال الشيخ : اذهب وقل لهم إنى رأيت رجلا ليس لكيسه رباط ، وليس فى خلقه
خصوصة فصرخ يحيى وغاب عن الوعى . وعندما عاد إلى رشده ، نهض مسرورا ،
وذهب إلى أبى القاسم ، وذكر تلك الحال للجماعة ، فسروا جميعا ، وتوجهوا إلى
ميهنه ، وانخرطوا فى خدمة الشيخ .

حكاية :

روى أن الشيخ قصد مدينة مرو . وكان السيد على الخباز خادما الصوفية
هناك ، وكان الشيخ أبو على سياه شيخ الجماعة . وعندما سمعا بوصول الشيخ قال
أحدهما للآخر : سيصل ذلك الطائر ويلتقط الحبة من أمانى وأمامك . وتحدثا ساعة
ثم قالوا : يجب إعداد الترتيبات اللازمة ، والذهاب لاستقباله . وهى الشيخ أبو على
من الترتيبات ما يليق لتعظيم الشيخ ، بالدرجة أنه اشترى من أجل كلاب البلد حمارين
ممتلئين وذبحهما . ولما سأله الخادما ماذا ذبحت الحمارين ؟ قال : عندما يحضر

مثل ذلك العظيم ، فلا أقل من أن تنعم كلاب البلد أيضا . ثم خرجا لاستقبال الشيخ . وكان الشيخ يرغب في أن ينزل في رباط عبد الله المبارك ، فقال الشيخ أبو علي سياه : نحن نخدم في كل سنة ألف بومة على أمل أن ينزل لدينا صقر ، والآن نزل ذلك الصقر فان ندعه ينزل في مكان آخر . وقال الشيخ : المروءة واجبة . (ص ١٨٣) والكل صقور ، ولا يوجد يوم . فقال الشيخ أبو علي : لو لم يبين الشيخ لنا خطأنا لحل بنا الدمار . ودخل الشيخ المدينة ، ونزل في الخانقاة ، ثم صعد على المنبر ، ووقف الشيوخ بين يديه ، بينما اصطف الشباب أيضا . وبدأ الشيخ الحديث ، وشعر السيد على الخباز بالغيرة . ثم دخل أبو علي سياه ، ونظر إلى رجاله ، ورأى شيخنا واقفا على المنبر في عظمة وهيبة ، فقال لنفسه : لو رآه الناس على هذه الحال ، وسمعوا كلامه ، لذهبت ولا يتنا ، وانفض عنا أهل مرو . فالتفت الشيخ إليه في الحال وقال له : أيها السيد ، اخرج إلى هذا السوق ، فهم يطهون هناك « شاباطيا » طيبا ، فاحضر واحدا طيبا مثل وجهك . فخرج على الخباز سريعا وأحضر الشاباطي . فأخذه الشيخ ، والتفت إلى الشيخ أبي علي سياه وقال له : لقد بنا لك مدينة مرو وولايتها بهذا الشاباطي ، ومنحناه لك أيضا . وأعطاه الشاباطي ، وخرج في الحال ، ولم ينتظر قط . وألحوا عليه كثيرا لينتظر فترة ، إذ كانوا يعدون المائدة ، فلم يقبل . وذهب إلى رباط عبد الله المبارك . ووضع السيد على الخباز المائدة في الصحراء ، ولما فرغوا من الطعام ، رجع الشيخ إلى ميهنه .

حكاية :

قال والدي - والد المؤلف - نور الدين المنور : سمعت من السيد أبي

الفتح أن الشيخ أبا سعيد كان يعظ يوما فوق دكان الروضة . وفي أثناء الحديث قال : يهب نسيم من الخلد الأعلى ، ولا يكون ذلك إلا في أقدام الدراويش . وانشغل بالحديث . ثم قال مرة أخرى : يهب نسيم من الخلد الأعلى ولا يمكن أن يكون ذلك إلا في أقدام الدراويش . (ص ١٨٤) ثم قال ذلك للمرة الثالثة . فنهض السيد حسن بن المؤدب وجماعة من الصوفية ، لأنهم أدركوا أن هناك دراويشا على وشك الوصول . وأخذوا يسرون حتى وصلوا مدخل القرية . وكان الشيخ قد أشار عليهم أن يتجهوا إلى اليمين ، فساروا وفق إشارة الشيخ ، فوجدوا الدراويش قادمين من ناحية مرو . وعندما رآهم الصوفية ، عاقبهم وعادوا معهم . ولما وصلوا إلى مكان الشيخ ، قال لحسن : احضر نعالهم ، فأحضر حسن النعال إلى الشيخ ، فأخذها ووضعها على رأسه وقال :

« بيت »

— هذه هي التي ينبغي أن يحملها الإنسان ويضعها على رأسه ،
وهذه هي التي تجعل الكبير أمامها صغيرا .

وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ومسح وجهه بيديه ، وختم المجلس . وانطلق الصياح من الخلق .

حكاية :

قال السيد أبو بكر المؤدب : كنت في خدمة الشيخ في مهبته . وفي يوم من أيام الربيع ، سقط مطر كثير وسيل قوى . وعندما حدث هذا ، خرج شيخنا وقت العصر وقال : يجب أن نصلي صلاة الاستسقاء . وخرج إلى الصحراء . وسرت

مع الشيخ حتى شاطئ النهر . وقال الشيخ : انزلوا إلى الماء . فقفز الجميع في الماء . وبقيت واقفا لخدمة الشيخ ، ومعى ملابس نظيفة ، وأخذت أنظر إليه . وفي أثناء ذلك ، جاء حسن بن المؤدب من خلفي ، ووضع رأسه بين ساقى ، وحملني حتى شاطئ النهر ، وألقاني في الماء . وتجاوز عمق الماء رأسي ، ولم أكن أعرف السباحة . وحمل الماء عما متى ونعلى ، وبلل جميع ثيابي ، (ص ١٨٥) وفقدت الوعي ، ولم أشعر بنفسى أو بالدنيا . وأخرجوني من الماء وخفضوا رأسي ، فخرج الماء من حلقي . وقال الشيخ : ينبغي صلاة الجنائزة . فأحضروني ، ووضعوني أمام الشيخ . وأخفى الشيخ وجهي بسجادة ، وأصطفت الجماعة ، وكبر الشيخ على أربع تكبيرات ، وصلى صلاة الجنائزة . ثم جلس عند رأسي ، ورفع طرف السجادة عن وجهي ، وقال : يا أبا بكر ، قم بعد الموت وتحدث . وعندما قال هذا نهض ، وأركبوه حمارا . وذهبت معه وحول وسطى مئزر ، وتركت الجمع في ذلك المكان . وذهب الشيخ إلى الدار ، ولم يخرج للمائدة في تلك الليلة . وفي اليوم التالي ، جلس على المنبر ليتحدث . وقبل أن يبدأ الحديث ، قال لحسن بن المؤدب : انهض . فنهض حسن . وقال له الشيخ : ينبغي أن تذهب إلى بلخ ، فتذهب في اثني عشر يوما ، وتعود في اثني عشر يوما ، وتظل في بلخ يوما واحدا ، فتعود إلى هنا بعد خمسة وعشرين يوما . وسوف يأتي أبو عمرو خشكويه من نيسابور إلى بلخ ، فبلغه سلامنا ، وقل له : نريد ثلاثة أمتان من العود ، وقرضا قدره مائة دينار من أجل الصوفية ، وخذها وأحضرها إلينا . فذهب حسن بن المؤدب . وعندما وصل « زردك » ، وكان ذلك في وقت غارة التركان ، فقبضوا على حسن ، وضربوه ، وهزأوا به ، وقالوا له أنت جاسوس ، وقيدوه بالاغلال يوما

وليلة، وصلبوه. قال حسن: وقد أحدثت على نفسي بسبب البرد والعناء، وتضرعت إلى الشيخ في منتصف الليل وقالت: أيها الشيخ، انقذنى . فلما قلت هذا . خرج قائد التركان من مقره في الحال، وفك القيد عن يدي، وبعث بي إلى خيمة، وأحضروا لي ماء ساخنا لاغتسل، وبعثوا إلى بنيابي لارتديها . (ص ١٨٦) وقادني القائد إلى خيمته، وقال لي: أيها الجاسوس، عند من تعمل ؟ فقلت : أنا تلميذ لزاهد ميهنه الشيخ أبي سعيد . فقال لي : صفة . فوصفت له الشيخ . فقال القائد : إن هذا الشيخ كما وصفت ،لأنني رأيته في نومي الآن، وقد سحب سيفه، وقال لي : أترك هذا الرجل وإلا أهلكتك . خفت وخلصتك ، فذهب حينما تريد . فذهبت إلى بلخ، وكان أبو عمرو خشكويه قد ذهب إلى غزني، فرجعت إلى ميهنه بعد الخمسة والعشرين يوما التي أشار إليها الشيخ . وكان الوقت فجرا، والشيخ على المنبر، فقال للجماعة : لقد جاء حسن ، فاخرجوا لاستقباله . واستقبلني أبناء الشيخ وجماعة المتصوفة في الصحراء. وجئت بين يدي الشيخ، فقال لي : مرحبا يا حسن ، هل تقول أم تقول نحن ؟ قلت : ليتفضل الشيخ . فقال : لقد كنا نعرف أنك لن ترى أبا عمرو ، ولكنك ذهبت . وقبض عليك التركان في الطريق، وقيدوك، وتألّت، ولجأت إلينا فخلصناك. ثم ذهبت إلى بلخ، ولم تر أبا عمرو. قال حسن : فقلت أيها الشيخ، مادمت قد عرفت أن هذا سوف يحدث. فلماذا أردت لي أن أتألم ؟ فقال الشيخ : يا حسن ، إننا لم نستطع أن نفرق بذلك الذي ألقي أبا بكر في الماء في ذلك اليوم، فكانت تلزم عصا التركان لتعاقبه . قال حسن : وقد كانت كل هذه التعبئة من أجلي .

حكاية :

روى أن الشيخ أباسعيد ذهب في وقت من الأوقات إلى سرخس ، ونزل في خانقاه الشيخ أبي الفضل حسن . وكان خادم الخانقاه في ذلك الوقت يسمى أبا الحسن (ص ١٨٧ ، ولم يكن للخانقاه رزق معلوم . قال الخادم : قلت لنفسى أيجيء شخص بهذه المرتبة ، وجمع بهذه الكثرة ، وليس لدى شيء أطعمهم أياه ! . وعندما جالت هذه الأفكار بخاطري ، دعاني الشيخ وقال لي : يا أبا الحسن ، اذهب إلى حانوت فلان الصراف في السوق ، وقل له إن أباسعيد يقول لك أرسل ثلاثين ديناراً . فذهبت إلى الصراف ، وقلت له إن الشيخ يطلب ثلاثين ديناراً . وعندما سمع الصراف ذلك ، أعطاني في الحال ثلاثين ديناراً نيسابوريا ، وأمرني بالعودة . وفي اليوم التالي قال لي الشيخ : يا أبا الحسن ، اذهب إلى الصراف ، وخذ منه ثلاثين ديناراً أخرى ، وانفقها . ففعلت . وفي اليوم الثالث قال لي : اذهب إلى للصراف ، وخذ منه ثلاثين ديناراً وحدها ، وعشرة دنانير وحدها ، وانفق الثلاثين ديناراً ، واستأجر بالعشرة دنانير حماراً حتى نيسابور . فذهبت إلى الصراف وقلت له : أعطني ثلاثين ديناراً وحدها ، وعشرة دنانير وحدها . فقال الصراف : ما هذا ؟ إنك لم تقل مثل هذا القول كل يوم . فقلت له : إن الشيخ ذاهب إلى نيسابور ، وإذا كنت ستطلب النقود منى غداً ، فانهض واطلبها من الشيخ الآن قبل أن يرحل . فجاء الصراف معي إلى الشيخ ، وكان الصوفية قد أعدوا الركائب وربطوا الأحمال ، ووقف الصراف أمام الشيخ ، فلم يقل له الشيخ شيئاً ، وركب حصانه وسار . وأخذ الصراف يسير خلفه حتى بوابة المدينة . فلما خرج الشيخ من البوابة ضاق قلب الصراف . وعندما وصلوا إلى طريق نيسابور

رأيت قافلة قادمة منها، وكان هناك رجل يسير أمام القافلة ، فلما اقترب من الجماعة حياهم ، وسأل : من هذا ؟. فقالوا له إنه الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير . فتقدم الرجل إلى الشيخ، وحياه . (ص ١٨٨) فرد الشيخ تحيته ، وقال له على الفور: أعط تلك المائة دينار ، إلى الصراف . فأخرج الرجل صرة من الذهب ، وأعطى الصراف المائة دينار ، فأخذها . وقال له الشيخ : هل وصلتكم نقودك ؟ قال : أجل . فقال له الشيخ : اذهب . فقال الصراف : إني لن أتحمول عنك حتى تتقبلني . فقال له الشيخ : لقد تقبلتك . وانصالح أمر الصراف . ورجعنا من صحبة الشيخ .

حكاية :

كان القاضي سيف من جماعة القضاة والأئمة الكبار في سرخس ، ينكر جميع أصحاب الرأي، والصوفية، والشيخ أبوسعيد إنكاراً شديداً . وكان قاضياً لولاية سرخس ، يتمتع بمكانة كبيرة، وحرمة تامة ، عندما كان شيخنا بهذه المدينة . وقد عرض أموالا كثيرة على بعض الناس ، ليقوم أحدهم بالقضاء على الشيخ ، ولكن واحدا منهم لم يجرؤ على التفكير في هذا الأمر . وكان الشيخ يجهل ذلك . وقبل رجل هذا العمل يوما . فأعطاه القاضي مائة من النقود . وفي يوم من الأيام قرروا إهلاك الشيخ ، وكان يعقد مجلسا في ذلك اليوم ، كما كان هذا اليوم نفسه موعد انعقاد مجلس القاضي . وأخذوا ينادون من فوق المآذن أن القاضي سيف سيعقد مجلسا في المكان الفلاني فاحضروا . ولما سمع الشيخ صوت المنادى قال : توضأوا لنصلي على القاضي صلاة الجنازة . فتعجب الناس لأن القاضي سيف في صحة جيدة، وسوف يتحدث في المجلس : بينما الشيخ يقول توضأوا لنصلي عليه

صلاة الجنائزة. وبعد أن قال الشيخ هذا ، استمر في الحديث . وفي ذلك الوقت كان القاضي سيف يقتل في الحمام ليذهب للحديث في مجلسه . وقبل ذلك بعدة أيام (ص ١٨٩) كان أحد المزارعين قد أقسم يمينا بالطلاق وخالفه ، فأصدر القاضي حكمه بالتفريق بينه وبين زوجته ، وحبس قتره ، وأخذ منه النفقة ، ومؤخر الصداق ، وأمر بجلده . وكان المزارع قد أتى إلى المدينة ، وأحضر منجلا لحداد ، فسنهله ، وأخذه وسار عائداً إلى قريته . ورأى القاضي خارجا من الحمام بمفرده ، ولما كان قلبه مملوءا بالحق على القاضي ، فقد ضرب به بالمنجل ، وطعنه في بطنه طعنة تمرقت لها أحشاؤه ، وهلك في الحال . وانطلق الصباح معلناً قتل القاضي ، وكان الشيخ لا يزال يعظ في المجلس ، فتعجب الناس كثيرا لما سبق من قول الشيخ . وقال الشيخ : يا إلهي ! . لقد حكم علينا ، فمن كان هو بالنسبة لنا ؟ . وحكما عليه فمن كان هو بالنسبة لله ؟ ! .

حكاية :

قال الشيخ عمر الشوكاني إن السيد محمد والد الإمام مالك الشوكاني كان يملك أيام شبابه قباء وقلنسوة . وذات يوم كان الشيخ أبو سعيد جالسا ، فمر عليه مرتديا القباء والقلنسوة . وراه الشيخ فقال : إن ذلك الشاب وديعة في هذا القباء . فأخبروه بذلك ، فقال : إن الأمر كما ذكر الشيخ ، فمنذ أمد بعيد وهذا الأمر يُلح على ويؤلئى . ولم يمض وقت كثير حتى تاب ، وحول قصره الكبير إلى خاقاه ، وأنفق أموالا كثيرة في سبيل الصوفية والشيخ . واستضاف في خاقاته في شوكان أربعين صوفيا ينفق عليهم من ماله . كما شيد القبة العالية والمنارة الموجودتين في المسجد الجامع في شوكان ، وملا مخزنا فوق قصره بالقمح ، وأخذ يخرج منه على

نواحي البناء والتعمير . وكان يقول لنفسه إن هذا القمح لن يكفي لهذه الأمور .
 وتمت العارتان والقمح لازال باقيا ، فتعجب كثيرا (ص ١٩٠) لأنه كان على
 يقين من أن ما أخرجه منه أضعاف ما كان قد اختزنه . وبعث برجل إلى الخزن
 وقال له : اخرج القمح الذى بالخزن لتعرف مقداره . فذهب الرجل إلى الخزن ،
 وكان فيه قمح كثير ، فازدادت دهشته لأن القمح الموجود به أكثر مما كان قد
 اختزنه من قبل ، علما بأنه أخرج من أجل العبارة كميات كبيرة . وأخذ الرجل يخرج
 القمح ، فنقد صبره وسأله : ما مقدار ما تبقى من القمح فى الخزن ؟ فقال الرجل :
 ياسيدى ، لا يزال الخزن مملوءا بالقمح . ولم يستطع - السيد محمد - إخفاء
 هذه الكرامة . وكان قد عين مؤدبا لتعليم أولاده ، فذهب إلى ذلك المؤدب ، وهو
 المقرئ عبد الملك بن شادان من أهل طوس ، وحدثه بالأمر . فبكى المؤدب
 وقال له : إن هذا ليس بالأمر الغريب ؛ فهو من كرامة ذلك الشيخ الذى أصبحت
 مريدا له ، وأرشدك إلى هذا الطريق ، وأمرك بهذه الخدمة . ولو أنك لم تقل هذا
 الأمر ، ولم تخبر به أحدا ، لبقى ما فى الخزن حتى يوم القيامة ، مهما أخرجت منه أنت
 وأولادك ، بفضل بركة الشيخ ، ونظرة الطاهر قدس الله روحه العزيز .

حكاية :

سمعت أيضا من الشيخ عمر الشوكانى أن الشيخ كان ذاهبا يوما إلى مدينة
 طوس عن طريق « سرداوه » ، لينزل بقرية « رفيقان » . وأرسل درويشا قبله
 ليخبر أهل القرية بقدمه ، وليرى ما إذا كانت بها خاتقاء يمكن أن ينزل بها .
 ولما وصل الدرويش لم يجد هناك خاتقاها ، إذ كان جميع أهل القرية من قاطعى الطريق .
 وكان فى تلك القرية معلم صالح ، أدى فريضة الحج ، يتفق من النقود التى يتقاضاها

من الصبية لقاء تعليمهم . وعندما علم المعلم بوصول الشيخ ، تقدم لخدمته ، وأرجع معه الدرويش وقال له : إن جميع الناس هنا مفسدون ، من قاطعى الطريق ، ولا توجد خائفاه . (ص ١٩١) وأموال أهل القرية جميعا حرام . وأنا الرجل الوحيد الصالح فى قريتي ، ومالى حلال . ولن تجد شخصا آخر يملك درهما واحدا حلالا ، أو فيه فحشة من صلاح . ولما خرجا إلى الصحراء ، وقطعا مرحلة طيبة ، لحقا بالشيخ . فقال له المعلم : ياسيدى الشيخ . لقد جئت لأننى سمعت بوصولك سالما ، والناس فى هذه القرية اصوص مفسدون ، وليس فى القرية جميعها درهم واحد حلال إلا أموالى التى أخذها من تعليم القرآن للصبية . وليس بالقرية خائفاه ، ولن تجد فيها شخصا صالحا سواى ، فأنا رجل صالح ، أدبت فريضة الحج . وأريد الآن أن ينزل الشيخ فى منزلى . فقال له الشيخ : سأنزل فى دار رئيس القرية . فقال المعلم : إنه هو نفسه أسوأ من الجميع . كما أنه يشرب الخمر دائما ، ولا يوجد فى منزله فراش طاهر يمكن أن يجلس الشيخ عليه ، فلم يهتم الشيخ بذلك . ورجع المعلم ، وقال لرئيس القرية إن الشيخ قادم ، وسوف ينزل بدارك . وعندما سمع الرئيس هذا ، أمر بأن يجمعوا فراش المنزل ويطهروه . وأخذ يفكر فى أنه لا يملك شيئا حلالا ليقدمه للشيخ . وكانت له أم عجوز فسألته : ماذا دهالك حتى أنك مهموم هكذا ؟ فقال لها : إن الشيخ أباسعيد قادم من ميهنة ، وسيحل ضيفاعلى ، ويشرفنى مثل هذا العظيم . وكما فكرت فى جميع ممتلكاتى ، لأجد بينها شيئا واحدا حلالا ، لا قيم له به مادية . وأنا مهموم حائر لهذا السبب . وكانت والدته سيدة ضالحة ، فخلعت من يدها سوارين ، ووضعتها أمام ولدها وقالت له : خذ هذه فهى (ص ١٩٢) ميراث حلال لى عن والدتى ، وقد وزعتها هى أيضاً عن والدتها . وسوف يأتى الشيخ إلى منزلك بفضل هذه

اللقمة الخلال . فأخذها الرئيس ، وقد أثرت فيه كلمات والدته ، وأنفقها على ضيافة الشيخ والصوفية . ولما رأى الشيخ وسمع كلامه ، تاب على يديه . كاتاب أكثر أهل القرية . وكان الرئيس يضع في حسابه أن ينفق على الصوفية من ثمن السوارين بحيث لا يحتاج لشيء أو يبقى شيء . وعندما نفذ المال ، عزم الشيخ على الرحيل ، وأمر بإعداد جواده . وألح عليه الرئيس أن يبقى يومين أو ثلاث ، فلم يقبل ورحل . وبعد مضي فترة اشترى نظام الملك قرية رفيقان وأوقفها على أبناء الأستاذ أبي أحمد البزني كانوا أحفاد الشيخ من ناحية أمهم . وهكذا بقيت القرية ببركة لفظ الشيخ

حكاية :

سمعت أيضاً من السيد عمر الشوكاني أنه كان في قرية « ازجاه » درويش يدعى حمزة يعمل في صناعة السكاكين . وكان ^{من ياحدب} مريداً للشيخ أبي سعيد ، ورجلاً طيباً للغاية ، وعاشقاً محترفاً باكياً ، وسالكا متحمساً . وكان في كل يوم يعقد فيه الشيخ مجلساً ، يخرج من ازجاه في وقت السحر ، بحيث يصل إلى المجلس في الوقت الذي يخرج فيه الشيخ من صومعته ليعظ . وإذا ما أنهى الشيخ وعظه ، عاد إلى قريته . ولم يكن يترك مجلساً قط من مجالس الشيخ . وكان رجلاً كثير الأولاد ، رقيق الحال ، يعطف عليه الشيخ . وفي يوم من الأيام كان قادماً إلى مجلس الشيخ في ميهنة ومعه دينار ذهبي ربطه في رباط . ولما وصل إلى مشارف ميهنة قال لنفسه : لو أنني حملت هذا الدينار معي ، وطلب شخص من الشيخ شيئاً ، فسيعرف الشيخ أنني (ص ١٩٣) أحمل ذهباً . ثم قال : من الأفضل لك يا حمزة أن تحفيه خلف الحائط . وأخني الدينار . وذهب إلى مجلس الشيخ . وعندما وصل الشيخ إلى

منتصف الحديث، التفت إليه وقال: يا حمزة، أنهض وارفع الدينار الذى أخفيتـه خلف الحائط، لأن هناك لصا يسرقه . فنهض حمزة ، وذهب إلى المكان الذى أخفى فيه الدينار ، فوجد رجلا يحفر الأرض ، وقد أوْشك أن يسرق الدينار . فتقدم حمزة ، وأخذ الدينار، وجاء به إلى الشيخ، ووضعـه أمامه . وبعد هذا لم يعد قادرا على البعد عن الشيخ ، فحمل أمتعته وأولاده، وجاء إلى ميهته ، وظل فى خدمة الشيخ طيلة حياته . ولما توفى الشيخ ، رجع إلى ازجاء ، وقبره بها ، وهو قبر عظيم ومبارك .

حكاية :

كان نظام الملك رحمه الله عليه قد شيد خانقاها فى اصفهان . وعين الامير سيد ابن محمد ، وكان علويا فاضلا ، خادما لها . وكانت العادة المتبعة أن يجتمع العلماء والصوفية وأصحاب الحاجات وأرباب الإدارات من جميع الأطراف فى تلك الخانقاه كل عام . وعندما يأتى شهر رجب، يستدعى نظام الملك سيد بن محمد هذا ، ليمرض عليه حاجة كل فرد ، ويأمر لكل منهم بما يليق له من عطاء أو صلة أو إدرار . ثم يعود الجميع إلى منازلهم ، وقد قضوا حوائجهم ، يأخذون فى الدعاء له بالخير . وفى سنة من السنين جاء شهر رجب ، ولم يحقق شخص مقصوده . وانتهى شهر شعبان ، ولم يقض نظام الملك حاجة أحد . وأقبل شهر رمضان أيضا ولم يستدع نظام الملك واحدا من هؤلاء الجمع ، ولم يتكلم فى شأنهم . وأخذ الجميع يتحدثون فى هذا الأمر ، (ص ١٩٤) ويقول كل منهم قولا . وقالت جماعة إن نظام الملك ملّ هذا ، وقالت جماعة أخرى ربما أوقع شخص بنا عنده . ولما

انتهى شهر رمضان، وشوهد هلال شوال، أرسل نظام الملك في تلك الليلة رجلا إلى سيد بن محمد وقال له : عند ما تنتهي من العشاء ، احضر إلينا عشرة أشخاص من كبار الصوفية والأئمة ؛ لأن هناك أقوالا وأمورا نريد أن نتحدث فيها .

قال سيد بن محمد: وحين فرغنا من العشاء ، أخذت عشرة أشخاص من الشيوخ، وذهبت إلى نظام الملك ، وأنا أفكر فيما سوف يحدث ، ولما دخلت عليه ، رأيته جالسا في المحراب، وقد أوقد شموعا أمامه . وسلمت عليه ، فرحب بي كثيرا وقال : اعلموا أنني كنت مشغولا في أوائل شبابي بطلب العلم ، ولم أوفق في هذا الأمر على نحو ما كنت أرجو ، فقلت لو الذي : ينبغي أن تبعث بي إلى مرو لآتمكن من الدراسة هناك . فقبل والدي، وأرسل معي غلاما وحمارا، وقال لي: عندما تصل إلى ازجاء ، اطلب من رؤساء القوافل أن يترثوا يوما من أجلك . واذهب إلى الشيخ أبي سعيد في ميهنة ، وقدم له الطاعة ، واصغ لما يقول لك ، وتذكره ، وسر على نحو ما يأمر بك به ، وأطلب منه أن يدعو لك . وعندما وصلت القافلة إلى ازجاء طلبت إليهم التوقف يوما حتى اذهب وأحيي الشيخ ، فأجابوني إلى طلبي. ووصلت إلى مشارف ميهنة عند الفجر . ولما وقعت عيني عليها رأيت الصحراء كلها زرقاء من كثرة الصوفية ذوى الأردية الزرقاء الذين خرجوا إليها وجلست جماعة في كل مكان . وتعجبت ، وتساءلت ماذا عساه حدث حتى خرج كل هؤلاء الناس وانتشروا هكذا في كل مكان ؟ وعندما وصلت ، ووقعت عيونهم على : نهضوا (ص ١٩٥) وتقدموا إلى ، وأخذوا يسمون على واحدا واحدا ، ويعاتقوني . وسألتهم : ماذا حدث ؟ ولأى سبب خرجتم ؟ فقالوا : أبشر ، فعندما أدينا صلاة الفجر قال لنا الشيخ : كل من يريد أن يرى شابا سوف تدين له الدنيا

وينال ثواب الآخرة، فليخرج ويستقبله في طريق ازجاءه . فخرجنا جميعا لتحييتك . فتأثرت لهذا القول ، وبكيت . وسرت مع الجمع حتى وصلت إلى الشيخ . وقادوني إليه على هذا النحو ، فعظمته . وسلمت عليه . وقبلت يده . فنظر إلى وقال : مرحبا . بارك الله فيك يا بني ، سوف نعلم إليك سيادة الدنيا ، فاعمل فإن العمل يطلبك . ولن يعود عليك شيء . من هذا الطريق الذي تسير فيه ، ولكن سرعان ما يحقق طلبه العلم منك الكثير . ثم قال : هل تعاهدني على أن تعز هذه الطائفة ؟ . فعاهدته على النحو الذي جرى به لفظه المبارك ، أن أكون ترابا لإقدامهم . وأخى الشيخ رأسه وأنا واقف بين يديه في احترام ، ثم رفعها وقال لي : ألا تزال واقفا يا بني ؟ . قلت ياسيدي الشيخ ، أريد أن أسأل سؤالا . قال : سل . قلت : ياسيدي الشيخ ، هل يوجد لهذا الأمر دليل حتى أعمل على تداركه ؟ . قال الشيخ : أجل فالوقت الذي ينالون فيه مطالبهم منك يكون نهاية عمرك . ثم بكى نظام الملك وقال : أيها الاعزاء ، لقد كان حسن - يقصد نفسه - يعزم كل يوم منذ أول شهر رمضان أن يحقق مقاصد الجميع ، ويمنحهم الارادات والمعاشات المقررة في كل عام ، ولكن الحق سبحانه وتعالى لم يمنحني التوفيق . والآن مضت ثلاثة أيام لم أنهض فيها من هذا المكان ، وأخذت أتعبد وأتضرع إلى الله كل ليلة حتى الصباح ، وأطلب منه تعالى أن يهينني (ص ١٩٦) التوفيق مرة أخرى ، حتى أقضى حاجات الجميع ، وأنا أعلم أن هذا نهاية عمري ، على نحو ما ذكر الشيخ بلفظه المبارك . والآن عندما تؤدون صلاة العيد في الغد . عليك ياسيد بن محمد أن تأخذ الجميع إلى الخزانة ، وتعرض حاجة كل فرد ، حتى يتحقق مقصود الجميع ، وتجدد رسائل الإدراة إلى الديوان ، فلم يبق لحسن من العمر ما يكفي لأن يصل كل شخص

إلى بلده . قال سيد بن محمد : وفي اليوم التالي أدينا صلاة العيد . ورحل السلطان ، وبقي نظام الملك ثلاثة أيام ، ورفعت إليه حاجات الخلق وفق ما كان قد حكم ، وأخذت النقد ذهباً من الخزانة ، وجددت رسائل الإيرادات . وفي اليوم الرابع رحل نظام الملك خلف السلطان ، وعندما وصل إلى نهاوند اغتاله الملاحده خذلهم الله ، وبقي الجميع محرومين من شفقتة رحمة الله عليه .

حكاية :

قال السيد أبو علي الفارمدى قدس الله روحه العزيز : عندما ذهبت إلى خدمة الشيخ أبي القاسم الجرجاني ، وأمرني بالرياضات المختلفة ، وأصبحت مهذباً مؤدباً ، آخى بيني وبين أبي بكر بن عبد الله ، وبعث بنا نحن الاثنين إلى الشيخ أبي سعيد في ميهنة . ولما وصلنا إليها ، وأدينا السنن والفرائض ، ذهبنا إلى الشيخ . فأمر حسن بن المؤدب أن يحضر إزاراً . وأعطاه لي ، وأمرني الشيخ بتنظيف الغبار عن الحائط بهذا الإزار . وأمر أبا بكر بن عبد الله بتنظيف أحذية الدراويش . وبعد أن أقمنا عنده ثلاثة أيام تودى هذه الخدمة ، أمرنا في اليوم الرابع بالعودة إلى خدمة الشيخ أبي القاسم ، وذهبنا إلى الشيخ أبي القاسم . ومضت مدة على هذا النحو ، ومات كل من الشيخين . (ص ١٩٧) وانكشف لي الأمر ، والنف حولي المريدون ، وصادفت قبولا عظيماً ، وذاع صيتي وشهرتي في العالم . ولم يحدث هذا بالنسبة للشيخ أبي بكر ، فلم تنتشر شهرته بين الناس بهذا القدر ، ولم يسر ذكره . وذات يوم قال الشيخ أبو عبد الله : لقد أمر الشيخ أبو سعيد الشيخ أبا علي بإزالة الغبار عن الجدار بالإزار ، ليزيل طوال عمره إزار الكلام غبار المعصية عن جدران قلوب عباد الحق ، وأمرني بتنظيف أحذية الدراويش ، لا ظل طيلة عمري في المؤخرة . لا يعرفني أحد . أو يذكرني أحد .

حكاية :

كان الأمير مسعود من الأمراء والسلاطين الكبار . ولم يكن هناك من حكام الاطراف من هو أعظم منه . وذات يوم احتاج الشيخ إلى قرض من المال للاتفاق على الدراويش . فأرسل حسن بن المؤدب إلى — الأمير مسعود — يقول له : إرع الدراويش بشيء من المال . ولما ذهب حسن إليه وأبلغه رسالة الشيخ ، لطفه كثيرا وقال له : سوف أريح قلب الشيخ من هذه الناحية . ولما ذهب إليه حسن مرة أخرى قال إنه سوف يدفع . وذهب إليه عدة مرات ، فكان يكرر الوعد ، حتى تجاوز الأمر الحد . فكتب الشيخ هذا البيت على ورقة ، وأعطاهما لحسن ليوصلها إلى مسعود :

« بيت »

- إذا لم تنفذ ما وعدتنا به ،
فلن تنجو من يدنا ولو كنت أسدا .

وسلم حسن الورقة إلى مسعود . فلما قرأها غضب وقال : ما هذا ؟ وطرده حسن من أمامه ، وأعادته خائبا . وجاء حسن إلى الشيخ ، وذكر له ماسم . وكان من عادة مسعود أن يقتنى كلابا غورية ، تمزق كل من تمسك به في الحال . وكانوا يقيدونها في النهار ، (ص ١٩٨) ويتركونها حول خيمته في الليل . ولم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب من الخيمة . وحين رجع حسن إلى الشيخ متألما ، وذكر له تلك الحكاية ، لم يقل الشيخ شيئا . وفي تلك الليلة ، خطر لمسعود أن يتجول حول خيام خدمه وحشمه ، جريا على عادة الملوك ؛ ليرى ماذا يقولون ، وماذا يفعلون

ونَهَضَ في منتصف الليل، وارتدى قميصاً، وأسدل شعره حتى لا يعرفه أحد. وكان جميع خواصه وغلماؤه وحراسه قد ناموا، فخرج من الخيمة. وولما سار عدة خطوات، رآته الكلاب ولم تعرفه، فجرت خافقه. وصاح فتنبه غلماؤه، ربه: جوامن هنا وهناك. ولما اقتربوا منه، كانت الكلام قد مزقته وقضت عليه

حكاية :

روى الشيخ عبد الصمد بن محمد الصوفي السرخسي مريد الشيخ الخالص هذه الحكاية فقال: كنت قد غبت عن مجلس الشيخ مدة، وأسفت على ما فاتني من القوائد. وعندما وصلت إلى ميهنة، كان الشيخ يتحدث في أحد المجالس، فلما وقع بصره عليّ قال: يا عبد الصمد لا تأسف فلو أنك غبت عنا عشر سنوات فإننا لا نقول إلا كلمة واحدة. وتلك الكلمة يمكن كتابتها على هذا الظفر — وأشار إلى الأصبع الأكبر من اليد اليمنى — وهي: «اذبح النفس وإلا فلا». وعندما قال الشيخ هذه الكلمة، صرخت وغبت عن الوعي.

حكاية :

روى أنه جاء وقت في ميهنة لم يتناول الصوفية لها لعدة أيام. ولم يكن حسن يستطيع إحضاره، لأن جميع القضاة كانوا يطالبونه بأثمان لحومهم. وذات يوم نهض الشيخ، وسار الجميع في رفقته حتى (ص ١٩٩) خرج من البوابة المؤدية إلى طريق مرو، وأصبح على هضبة زعقل بصحراء مرو (وقد سبق ذكرها من قبل، فعندما كانت تعترى الشيخ حال من القبض كان يذهب إلى ذلك المكان). ولما اعتلى الشيخ الهضبة. وقف وتريث برهة. وظهر غزال في الصحراء، وظل يتقدم حتى اقترب من الشيخ، وسقط على الأرض. فامتلات عنقه الشيخ بالدمع، وأخذ

يردد : لا ينبغي !. لا ينبغي ! ، والغزال يتمرغ في التراب . والتفت الشيخ إلى الصوفية وقال لهم : هل تعرفون ماذا يقول هذا الغزال ؟ . إنه يقول : أتيت لتجعلنى فدية للدرأويش ، ففسد قلوبهم . وأنا أقول له لا ينبغي ذلك ؛ لأن لك صفارا ، وهو يلح . ثم بكى الشيخ والصوفية ، وارتفع صياحهم ، وظهرت الأحوال . وظل الغزال يتمرغ في التراب . فأرسله الشيخ إلى حانوت القصاب ، قائلا لحسن : قل له : يذبحه بسكين حاد ، ويسمى عليه لقيم المراد للصوفية هذه الليلة . وذهب حسن وفق إشارة الشيخ ، وأعد الأمر ، وتمتع الدراويش بلحم ذلك الغزال .

حكاية :

قال السيد أبو علي الفاردمدى : فى وقت من الأوقات خرجت من طوس إلى ميهنة مع جمع كبير فى رقعة الشيخ أبى سعيد . وفى الطريق وصلنا إلى جبل . وتقدمت إلينا حية كبيرة ، فخفنا وهربنا . وتوقف الشيخ على صهوة جواده ، وتقدمنا اقتربت الحية منه ، ترجل . وأخذت الحية تتمرغ فى التراب بين يديه ، وكنت أقرب الجميع إلى الشيخ . ومرت فترة ثم قال لها الشيخ : لقد تجشمت المتاعب فعودى . وعادت الحية وأتجهت إلى الجبل . وتقدم الجميع إلى الشيخ وسألوه قائلين : ماهذا أبها الشيخ ؟ (ص ٢٠٠) فقال الشيخ : لقد وافق أحدنا الآخر عدة سنوات فى هذا الجبل ، ورأى كل منا كثيرا من الفتح على يد الآخر . والآن عرفت أننى أمر من هنا ، فجاءت وجددت العهد « حسن العهد من الإيمان » . ثم قال الشيخ : كل من لديه خلق يتحقق له كل شئ بالخلق ، مثل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان طريقه الخلق ، فلا جرم أن ارتدت النار عنه بالخلق .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث يوماً في أحد المجالس ، فمضى درويش وطلب منّا من اللحم . وكان في مجلس الشيخ رجل تركي ، فقال أنا أعطيه له . وعندما أنهى الشيخ المجلس ، تقدم الدرويش إلى الشيخ وعظمه ، فقال له الشيخ : أيها الدرويش ، ماذا ستفعل باللحم ؟ . فقال : سأصنع منه حساء (شوربة) ^(١) فقال الشيخ : لماذا قلت : (شوربة) فأشعلت الفتنة في نفسك ! . وبعد ذلك أعطاه التركي اللحم ، فحمله الدرويش إلى منزله . ورأى رجلاً غريباً يجلس مع زوجته ، فقد صوابه ، ولم يستطع أن يمالك نفسه ، واستل سكيناً ، وقتل الرجل والمرأة في الحال ، وترك اللحم . وفر هارباً .

حكاية :

رأيت مكتوباً بخط الإمام مالك رحمه الله عليه . جاء فيه : اعترت سيده حال في مجلس الشيخ ، فألقت بنفسها من سطح مرتفع . وأشار الشيخ ، فبقيت معلقة في الهواء . ومدت النسوة أيديهن وجذبنها إلى السطح ، ونظرن فوجدن أن ذيلها تعلق في مسمار صغير .

حكاية :

رأيت بخط أشرف بن أبي اليمان رحمه الله عليه أنه كان هناك صديقان من منكرى الشيخ ، أحدهما خياط والآخر نساج . وكانا عندما يلتقيان ، يقولان إن أمر (ص ٢٠١) هذا الشيخ لا يعتمد على أصل . وذات يوم قال أحدهما للآخر : إن هذا الرجل يدعى الكرامة ، فلنذهب إليه نحن الاثنين ، فإذا عرف عمل كل منا

(١) شور ، فتنة ، اضطراب

عرفنا أنه على حق ، وأن ما يفعله يعتمد على أصل . ثم ذهبوا إلى الشيخ . وعندما وقع بصره عليهما قال :

« بيت »

— فوق الفلك رجلان محترقان ،
أحدهما خياط والآخر نساج .

ثم أشار إلى الخياط قائلاً : هذا لا يحيط إلا قباء الملوك ، وأشار إلى النساج وقال : وهذا لا ينسج إلا « الكلیم » الأسود . وعندما سمع الرجلان ذلك تملكهما الخجل ، وتابا عن إنكارهما .

حكاية :

قال السيد عماد الدين محمد بن العباس رحمه الله : كنت في السابعة من عمري عندما سمعت والدي يقول : قالت السيدة « ناهك » ابنة السيد حمويه رئيس ميهنة : كان الشيخ أبو سعيد يتحدث يوماً في مجلس ميهنة . وكان في ذلك اليوم يرتدى عباءة حمراء وعمامة بيضاء ، وقد احمر وجهه وهو يتحدث . فأخذت أنظر إليه وأنا أقول لنفسي إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق في الدنيا شخصاً مثل الشيخ . وعندما جال هذا بخاطري ، النفث الشيخ إلي وقال : تنبهي لما تفكرين فيه ، وإذا أردت أن تعرفي فانظري لثري ، وأشار إلى تلك الشجرة التي تقع على باب روضته المقدسة . فنظرت ورأيت شاباً يقف تحت الشجرة ، أسود ، ضامراً ، هزلاً على عكس صورة الشيخ . وكان ينظر إلى الشيخ جيداً ، وينصت إلى أقواله ، فنظرت إليه وأنا أقول لنفسي : أي مكانة لهذا الشاب حتى يشير الشيخ إليه ؟ . وأخذت

أفكر في هذا . فقال الشيخ : تنبهى وعودى إلى رشدك ، فتنبّهت . وقال الشيخ :
إن ذلك الذى ترينه شعرة واحدة منه أعز على الله من الدنيا والآخرة ، فلا يغرنك
اللوث .

حكاية :

قال السيد الإمام عماد الدين محمد أيضاً : فى يوم من الأيام كان الشيخ
أبوسعيد يتحدث فى مجلس . فدخل السيد الإمام حسن السمرقندى ، وسمع كلام
الشيخ ، وقال لنفسه : أى كلام هذا الذى يقوله الشيخ ؟ فالتفت الشيخ إليه فى
الحال وقال : لقد قرأت الصحيح خمس عشرة مرة ، فما هو آخر خبر قرأته فى
الصحيح ؟ . وكان السيد الإمام حسن قد قرأ الصحيح خمس عشرة مرة ، ولكنه
رغم إطالة التفكير ، عجز عن أن يتذكر ذلك الخبر . فقال الشيخ : « كبتان
خفيفتان على اللسان ، ثقيتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن » سبحان الله وبحمده ،
سبحان الله العظيم ، فحجل السيد الإمام ، وانهارت كبرياؤه . وعندما خرج قال :
لقد حفظت الصحيح خمس عشرة مرة ، وقرأته مزاراً ، ولكننى حاولت كثيراً فلم
أستطع أن أتذكر هذا الخبر .

حكاية :

قال السيد عماد الدين محمد أيضاً : سمعت رَجْدَى الأستاذ أبا بكر النوقانى يقول
فى يوم من الأيام كان الشيخ أبوسعيد والسيد حمويه وأنا جالسين فى مسجد
الشيخ فى ميهنة . فدخل شاب من الأتراك وسأل : من كبير ميهنة ؟ . فأشار الشيخ
إلى السيد حمويه ، فقال له الشاب : اعرض على الإسلام . فقال السيد حمويه

للشيخ : اعرض عليه الاسلام . وقلت أنا : لاتتمهلوا وحرروه من قيده . فقال لى
الشيخ : اعرض عليه الإسلام أنت . فعرضته عليه ، وأسلم الشاب . وسألته ماذا حدث
لك ؟ فقال : لقد كنا أخوين ذاهبين إلى تاجر في طبرستان ، ورأيت فى نوى
هاتفا يقول لى : انهض واذهب إلى ميهنه ، واسلم على يد كبيرها . فاستيقظت
وأخذت أفكر فى هذا الكلام . وراق الإسلام لقلبي ، (ص ٢٠٣) وظهر لى أن
ذلك الحلم كان حقيقة ، فقلت لأخى : أنت أدرى بالمال . وتركت الجميع وسرت
وجئت إليكم ، وأسلمت على هذا النحو . فالتفت الشيخ إلى وقال : لقد حسبنا فى
عداد العلماء ، وغرامة ذلك أن تعلمه قدرا من القرآن لتصح صلاته . فعلمت الشاب
حتى سورة « الضحى » . ولما عاد السيد حوويه إلى منزله ، أرسل بكل ما كان
يلبسه من الملابس ، من عمامة ودراعة وقميص وإزار وحزام وحذاء وجورب ، إلى
الشيخ قائلا : انفق هذه من أجل تطهير الشاب . وأمر الشيخ حسن بن المؤدب
ببيعها ، وإقامة مأدبة لل دراويش ، وطهروا ذلك الشاب ، وأصبح من خيرة الرجال .

حكاية :

قال السيد عبد الكريم خادم الشيخ الخاص : كان أحد الدراويش قد
استوقفنى لأكتب له بعض حكايات الشيخ ، فأقبل شخص وقال لى : إن الشيخ
يدعوك ، فذهبت إليه . ولما اقتربت منه سألتنى : ماذا كنت تفعل ؟ فقلت : لقد
طلب منى أحد الدراويش بعض حكايات الشيخ ، فكنت أكتبها له . فقال الشيخ :
يا عبد الكريم ، لاتكن كاتباً للحكايات ، ولكن كن بميث يحكون
الحكايات عنك .

وفى هذا الكلام عدة فوائد ، أولا : أن الشيخ أدرك بغرسته ماذا كان

يفعل السيد عبد الكريم . ثانياً : كيف يكون تأديبه له . ثالثاً : أنه لم يرغب في أن يكتب حكايات كراماته فيحملونها إلى أطراف العالم ويصبح مشهوراً على نحو ما ذكرت في بداية الكتاب من أن الشيوخ كانوا يخفون أحوالهم .

حكاية :

كان في قرية ازجاه درويش يدعى حمزة السكان . وكان مريداً للشيخ ، يحضر إلى ميهنة في كل يوم يعقد فيه الشيخ مجلساً ، ثم يعود عندما ينهى الشيخ المجلس ، ماعدا يوم الخميس ، إذ كان عندما ينتهى المجلس يظل في ميهنة حتى يوم الجمعة ويمضى اليوم في خدمة الشيخ ، ويعود بعد أن يؤدي الشيخ صلاة (ص ٢٠٤) الجمعة ، وكان حمزة هذا رجلاً طيباً ، حياً ، وإن كان يبدو جباناً . وفي ذلك الوقت كان لجماعة الصوفية زاوية في مسجد دار الشيخ ، يقيمون بها. وذات يوم جاء حمزة هذا عند الظهر ، ودخل المسجد ، وأحدث ضجة ، وفتح باب المسجد في خشونة كبيرة ، بحيث تألم الدراويش جميعاً واضطربوا . وكان الشيخ قد اطعم على هذا الأمر ، فخرج من صومعته ، ولم يكن من عادته أن يخرج في مثل هذا الوقت ، وشمل الاضطراب الجميع ، وشكوا حمزة إلى الشيخ قائلين إنه تسبب في إقلاقهم . فأمرهم الشيخ باستدعائه . وكان قد ذهب إلى السوق ، فذهبوا إليه وأحضره . وقال له الشيخ : يا حمزة ، إن الدراويش يشكون منك ، فأنت تبدد أوقاتهم ، ولا تتمسك بالعقل . فهم تجيب ؟ فقال حمزة : أيها الشيخ ، ماداموا لا يستطيعون تحمل متاعب حمزة فلينزعوا ثياب الجمالين ، لأن ثياب الجمالين هذه إنما هي من أجل من يتحملون . فتمسكت الشيخ حال من البسط ، وصرخ قائلاً : قل ذلك ثانية يا حمزة . فكرر حمزة قوله . فصاح الشيخ مرة أخرى وقال : قل مرة أخرى

فقال حمزة . وصرخ الشيخ ، وأمر بإحضار السكر . فأخضر حسن طبقا من السكر ووضعه أمام الشيخ ، فأخذ ينثره بيده المباركة على رأس حمزة ، وهو يصيح قائلا : « من لم يطق احتمال الأذى فعليه أن ينزع ثوب الحمالين » .

حكاية :

روى أنه عندما جاء الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز إلى ناحية « باورد » أراد أن يمر من هناك . وكان في باورد لص قد تاب ، فجاء إلى الشيخ وقال له : أيها الشيخ : ماذا يحدث لو أنك أقمت في باورد بضعة أيام ، ليطمئن الناس إليك . فقبل الشيخ ، وأقام هناك ثلاثة أيام (ص ٢٠٥) . وكان هذا العريف يعطى حسن دينارا كل يوم ويقول له انفق على طعام الدراويش . وكان حسن ينفق الدينار والدراويش يعترضون على ذلك ، ويقول كل منهم قولا ، ويتساءلون أهو مال حلال ؟ وكان الشيخ كعادته لا يقول شيئا . وبعد مضي ثلاثة أيام عزم الشيخ على الرحيل وقال أمام الجميع : أين العريف ؟ نادوه ، ففعلوا . وعندما دخل الرجل سألته الشيخ : من أين كانت النقود التي انفقها على طعام الدراويش ؟ فأجاب : كان قد بقي لي من ميراث جدتي قلادة بها ثلاث حبات من الذهب ، وقد وصلت إلى عن طريق الميراث الحلال . وكنت انفق كل يوم حبة من هذه الحبات . وقد نفدت الحبات اليوم ، وعزم الشيخ على الرحيل . ولما سمع الناس كلامه ، زال شكهم ، وازداد اعتقادهم في الشيخ .

حكاية :

كان للسيد الإمام أبي عاصم العياضي ولدان . فقال له أخوه أبو نصر العياضي

أرسلهما إلى الشيخ — يقصد أبا سعيد — لينا لبركته، ويدعو لهما . فذهبا إليه .
ولما اقتربا من الشيخ ، ووقع بصره عليهما ، قال من بعيد: « وصل، وفهمت، أنبتهما
الله نباتا حسنا » .

* * *

اعلم أن حكايات كرامات الشيخ أكثر من أن (ص ٢٠٦) يحتملها هذا
الكتاب . ولما كنا قد اشترطنا على أنفسنا الإيجاز والاختصار ؛ فقد اقتصرنا
على هذا القدر ، بعد أن بذلنا في تصحيح الأسانيد وصدق الرواية أقصى ما يمكن
أن نبذله من الجهود ، وقمنا بأدق الاحتياط والاستقصاء . وكل ما يذكر أكثر
من هذا ، يخرج بنا عن حد الاختصار ، وينتهى إلى السأم والملل . وإذا طالع شخص
عشر هذا المقدار ، طلباً للفائدة ، فسوف يتم مقصوده .

أسأل الحق سبحانه وتعالى التوفيق في الاستماع إلى الحق ، وأن يكرمنا
بالصدق ، وأن يبقى يركة أنفاس ذلك العظيم وأوقاته وأحواله حتى قيام الساعة ،
بحق محمد وعترته الطاهرين .

الفصل الثاني

في الحكايات التي تتأني منها فائدة ، وبعض حكايات الشيوخ التي جرت
على لفظ الشيخ المبارك من أجل الفائدة

حكاية :

روى أن الشيخ أباسعيد قدس الله روحه العزيز كان في دورة المياه يوماً .
وعندما كان مشغولاً بالاستبراء ، دعا حسن بن المؤدب ، وقال له : تعال ، وأخلع عني
هذا الثوب ، وهيء بعض الحلوى للدراويش . فذهب حسن وفق إشارة الشيخ ،
وقال له : أيها الشيخ ، ماذا كان يحدث لو أنك تريثت حتى تفرغ من الوضوء ؟ .
فقال الشيخ : لا يجب أن يقطع الشيطان الطريق .

وقد أظهر الشيخ له بهذه المسألة الدقيقة أنه إذا خطر له خاطر رحمني
بعمل شيء فإنه ينبغي التعجيل فيه .

ولا تغتر بجياتك ؛ لأن المشايخ الكبار ، مع ماتهم من الكشف ، والأنبياء
مع كمال أحوالهم ، لم يكونوا في مأمن من مكر الشيطان . قال تعالى : « وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته » .

حكاية :

كان في عهد الشيخ قدس الله روحه العزيز درويش يقوم بكل المهام الخشنة ، وأينا وجد عمل شاق قام به . وفي وقت من الأوقات كان يزيل الوحل ، وكانت يده ورجلاه ملوثة به ، فخرج من عمله على هذا الحال، وجاء إلى الشيخ ، وقال له: أيها الشيخ ، إنني لا أستطيع أن أقوم بكل هذه الأعمال الشاقة من أجل الله ، (ص ٢٠٨) وإنما أطمع في أن يثنى الشيخ عليّ ، ويشجعي بثنائه. فسر الشيخ من صدق الدرويش وقال له : سأفعل هكذا . وبعد ذلك أخذ الشيخ كما رأى الدرويش يقوم بعمل أثني عليه . وكان - الدرويش - يسربلك الثناء ، ويستمد منه القوة .

حكاية :

عندما كان الشيخ في طوس ، كان قد جلس يوما مع السيد الإمام أبي الحسن الرواقى ، وأخذما يتحدثان. وكانت هناك مشكلة اعترضت الشيخ ، فتحدثا فيها، حتى حل إشكال الشيخ . وقال الشيخ : إن الله يهيء لنا الأمور . ثم قال : « الحمد لله رب العالمين » . وسأله السيد أبو الحسن الرواقى: أيها الشيخ ، إذن فهو الله الذى يهيء أمورنا ؟ فقال الشيخ : لا ولكن تدخلوا في أعمالكم ، وقولوا لقد فعلت كذا ، وسأفعل كذا ، وينبئ أن أفعل كذا ، والله يهيء لكم الأمر . قولوا هانحن أولاء ؛ وإن كان لادخل لنا في عملنا ؟

حكاية :

كان السيد الإمام المظفر حمدان يقول في نوقان يوما : أنا والشيخ أبوسعيد مثل مكيال من الذرة ، الشيخ أبوسعيد حبة منه ، والباقي أنا . وكان أحد مريدى

الشيخ أبي سعيد في ذلك المكان ، فلما سمع هذا القول ، أخذ الحماس ، ونهض وأسرع إلى الشيخ ، وأخبر بما سمع من السيد الإمام المظفر . فقال له الشيخ : اذهب وقل للسيد الإمام المظفر إنه هو تلك الحبة أيضاً . أما أنا فليست شيئاً .

حكاية :

كان الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز في طوس ، وعندما عزم على الرحيل ، خرج معه الأستاذ أبوبكر لوداعه . وحاول الشيخ كثيراً أن يعيده ، فلم يستجب له . وقال له الشيخ : يجب أن تعود . فقال الأستاذ : أيها الشيخ ، لن أعود دون أن (ص ٢٠٩) تدلني على الطريق . فقال الشيخ : أنهض من طريق التدبير ، واجلس في طريق التقدير .

حكاية :

توفي للشيخ ابن صغير ، وكان الشيخ يحبه كثيراً . وعندما حملوه إلى المقبرة ، وضعه الشيخ في القبر بيده . ولما خرج من القبر ، أهرم الدمع من عينيه ، وأخذ يقول لنفسه هذا الشعر بصوت منخفض :

(شعر)

— ينبغي أن ترى الشر وتتخيله خيراً ،
وأن تتجرع السم وتتخيله قنداً .
— لقد جمعت ، ولم أكن أعرف ،
أن الوهق يصبح أقوى بال جذب .

ثم توفي للشيخ ابن صغير آخر فقال : لقد طلب منا أهل الجنة تذكارات ، فأرسلنا لهم نفحتين من عطرنّا حتى نصل .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، قال يوماً : ينبغي إعداد الجواد ، فأعد .
وخرج الشيخ ، وفي رفقته عدد كبير من الصوفية ، ووصلوا إلى قرية على باب نيسابور .
وسأل الشيخ : ماذا يسمون هذه القرية ؟ قالوا «باب الحبيب» . فنزل الشيخ بها ،
وأَمْضَى اليوم فيها مع الجماعة . وفي اليوم التالي سأله الصوفية : أيها الشيخ ! هل
نرجل ؟ فقال : إن الشخص يسير طويلاً ليصل إلى باب الحبيب ، ومادامنا قد
وصلنا إلى هنا فإلى أين نذهب ؟ وأقام في ذلك المكان أربعين يوماً ، وظهرت
كثير من الكرامات ، وتاب أكثر أهل القرية على يد الشيخ ، وأصبحوا من
مريديه ، وجاءوا إلى نيسابور في رفقته .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد قد احتجم يوماً ، فقال لحسن : يا حسن ، كيف ترانى ؟ .
فقال حسن هذا البيت :

— عندما يحتجم الناس تسيل منهم الدماء ،

وعندما تحتجم أنت يسيل منك العشق .

وقال الشيخ للفصاد : امسك يدي واربطها . وربطوا يد الشيخ ولم تنزف ثانية .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز يتحدث يوماً في مجلس
في نيسابور ، فدخل السيد أبو علي بن سينا من باب خانقاه الشيخ ،
ولم يكن أحدهما قد رأى الآخر قبل هذا (ص ٢١٠) ، ولو أنه حدثت
بينهما مكاتبات . وعندما دخل السيد أبو علي بن سينا من الباب ، التفت إليه

الشيخ وقال: لقد جاء حكيم . ودخل السيد أبو علي وجلس ، واستمر الشيخ في الحديث ، وأنهى المجلس ، وذهب إلى المنزل ، وذهب معه أبو علي بن سينا ، وأغلقا الباب عليهما ، واختليا معا ثلاثة أيام وليال ، وتحدثا أحاديث لم يعرفها أحد . ولم يدخل عليهما إلا من سمحا له ، ولم يخرجوا إلا لصلاة الجماعة .

وبعد ثلاثة أيام رحل السيد أبو علي بن سينا . وسأله تلاميذه : كيف وجدت الشيخ ؟ . فقال : إنه يرى كل ما أعرف . وسأل مريدو الشيخ الشيخ قائلين : أيها الشيخ ! كيف وجدت أبا علي ؟ . فقال : إنه يعرف كل ما أرى .

وقد مال أبو علي إلى شيخنا ، وكان يأتي إليه كثيرا ، ويرى كراماته . وذات يوم دخل من باب دار الشيخ ، وكان الشيخ قد أمر بإعداد الجواد لزيارة « اندرزن » وهو موضع يحوار نيسابور ، يقع على الجبل ، حيث كان يوجد غار إبراهيم وصومعته ، فقال الشيخ : إننا نعتزم القيام بزيارة . فقال أبو علي : سنسير في محبتك . وسارا ومعهما جمع كبير من الصوفية ، ومريدو الشيخ ، وتلاميذ أبي علي . ووجدوا في الطريق الذي كانا يسيران فيه نائبا ملقى على الأرض فقال الشيخ : ارفعوا هذا الناي . فرفعوه ، وأعطوه له . وأمسك الشيخ بالناي ، ووصلوا إلى مكان به حجر صلد ، فوضع الشيخ الناي على ذلك الحجر ، وثبته فيه . وعندما رأى أبو علي ذلك ، سقط على أقدام الشيخ ولم يعلم أحد ، ماذا كان يحول بضمير أبي علي حتى أبدى له الشيخ هذه الكرامة . (ص ٢١١) .

أما السيد أبو علي فقد أصبح مريداً للشيخ هكذا ، بحيث لم تكن تمضي أيام قلائل حتى يأتي لزيارته . وبعد ذلك كان يورد في كل كتاب يؤلفه في علم الحكمة فصلا وافية في إثبات كرامات الأولياء ، وحالات المتصوفة . وألف ، كما هو معروف ، مؤلفات منفردة في بيان مراتبهم ، وكيفية سلوك جادة الطريقة والحقيقة .

حكاية :

عندما أصبح السيد حسن بن المؤدب مريدا للشيخ واقطع لخدمته في نيسابور ، بذل كل ما كان يملك من مال في سبيل الشيخ . وكلفه الشيخ بخدمة الدراويش ، وأخذ يتعمله بالترقية ، وأمره بممارسة الرياضة ، ومخه على تأدية شروط هذا الطريق ، وكان ما يزال بعد في باطن السيد حسن شيء من الشعور بالسيادة . وذات يوم ناداه الشيخ وقال له : يا حسن ، ينبغي أن تأخذ خلعة ، وتذهب إلى سوق الكرمانين ، وتشتري ما تجده من الكرش والكبد ، وتضعه في الخلعة . وتحملة على ظهرك ، وتحضره إلى الخانقاه .

وأخذ حسن الخلعة ، وذهب وفق إشارة الشيخ ، وكان هذا الأمر شديدا عليه ، وذهب مضطرا إلى سوق الكرمانين ، واشترى كل ما وجد من الكرش والكبد ، ووضعها في الخلعة ، وحملها على ظهره ، وأخذت الدماء والأقذار تسيل عليه . وكان يشعر بالحجل من أن يراه على هذه الحال الناس الذين كانوا يرونه إلى عهد قريب بالملابس الفاخرة ؛ فقد كان من الصعب عليه أن يتخلى عن سيادته . وهذه طبيعة الناس جميعا ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة » . وكان هدف الشيخ من هذا الأمر أن يخرج من رأسه ما بقي من السيادة وحب الجاه .

ولما حمل حسن الخلعة ، وأحضرها على هذا النحو من (ص ٢١٢) سوق الكرمانين إلى خانقاه الشيخ في محلة عدني كويان - وكانت في النصف الأيمن لسوق نيسابور - ودخل من باب الخانقاه ، ووقف أمام الشيخ ، أمره الشيخ بأن يحملها إلى بوابة الحيرة ، ويغسلها ، ويطهرها ، ويعيدها . وكانت - بوابة الحيرة - في النصف الأيسر لسوق المدينة . وذهب حسن إلى بوابة الحيرة على هذا النحو ونظف تلك

الأجزاء وأعادها . ولما دخل الخانقاه ، لم يكن قد بقي فيه من السيادة وحسب الجاه شيء . فدخل على الشيخ حراً مسروراً . فقال له الشيخ ينبغي الآن أن تحمل هذه إلى المطبخ ، لتكون طعاماً للصوفية الليلة . فحملها حسن ، وأعد كل شيء ، وأنهمك الطباخ في إعدادها . وأدرك الشيخ أن حسن تحمل مشقة كبيرة في تلك الرياضة ، فناداه وقال له : ينبغي لك الآن أن تغتسل ، وترتدى ملابس نظيفة كعادتك ، وتذهب إلى سوق الكرمانين ، ثم تذهب من هناك إلى بوابة الحيرة ، وتسأل جميع من بالسوق عما إذا كانوا قد رأوا شخصاً يحمل مخلاة على ظهره . فذهب حسن وفق إشارة الشيخ ، وأخذ يسأل كل حانوت في السوق من أوله إلى آخره . ولم يقل له أحد لقد رأيت هذا الشخص ، أو لقد كان ذلك الشخص أنت . ولما رجع حسن عند الشيخ قال له : يا حسن ، إنك أنت الذي كنت ترى نفسك ؛ وإلا لما كانت لأحد القدرة على رؤيتك . ونفسك هي التي كنت تضعها في عينيك ، ويجب عليك أن تقهرها وتسحقها سحقاً ؛ لأنك لن تتخلص منها ما لم تحطمها . وعليك أن تشغلها بالحق فلم تعد لها طاقة على نفسها ، أو على الخلق . وعندما شاهد حسن تلك الحال ، تخاض من قيد الظن وحسب السيادة ، وتحرر من هذا كله . وقام الطاهي بطهي الكرش والكبد . وأعدت المائدة في تلك الليلة ، وجلس عليها الشيخ والصوفية . وقال الشيخ : أيها الأصدقاء ، كلوا فأنتم اليوم تأكلون سيادة حسن .

حكاية :

(ص ٢١٣) جاء شخص إلى الشيخ يوماً وقال له : أيها الشيخ ، لقد جئت لتطلعني على شيء من أسرار الله . فقال له الشيخ : عد غداً . فرجع الرجل ، وفي

ذلك اليوم كان الشيخ قد أمر فأمسكوا فأرا، ووضعوه في صندوق صغير، وأحكوا غطاءه . ولما عاد الرجل في اليوم التالي قال : أيها الشيخ ، حدثني بما وعدتني به . فأمر الشيخ بأن يعطوه ذلك الصندوق ، وقال له: حذار ، ولا تفتح هذا الصندوق . فأخذ الرجل الصندوق ، وعاد إلى منزله وقد تملكته الرغبة في أن يعرف أى سر في هذا الصندوق ؟ . ومهما حاول أن يتنع نفسه لم يستطع الصبر . وفتح غطاء الصندوق فقفز الفأر وهرب . وجاء الرجل إلى الشيخ وقال له : أيها الشيخ ، لقد طلبت منك سرّاً من أسرار الله تعالى فأعطيني فأرا . فقال الشيخ : أيها الدرويش ، لقد أعطيتك فأراً فلم تستطع أن تخفيه ، فكيف تخفى سر الله الذى أحذثك به ؟ .

حكاية :

كان الشيخ قدس الله روحه يدعو كل مريد يريد أن يؤهله ليكون من جملة تلاميذه ويقول له : افعل ثلاثة أمور ، الاول : حافظ على كل ما يحصره هذا السيد إلى الدار من الثقل والاوزام ، ولا تنصرف فيها على نحو ما تفعله النساء مع الغزال والنساج دون أمر أزواجهن ؛ لأن البركة تزول بسبب ذلك . والثاني : لا تترك بيت العنكبوت في الدار ؛ لأن الشيطان يستوطن فيه ، وجلساؤنا ليسوا من جلساء الشيطان . والثالث : كل طعام تنوى طهيه ، وكل شئ تضعه في القدر ، سواء أكان من اللحم أو الحبوب ، اغسله أولاً بالماء ثم ضعه . وتذكر هذه الأمور الثلاثة لكي توفق .

حكاية :

في وقت من الأوقات كان الشيخ يتوضأ . وأرسل درويشا ليحضر الماء ، فتأخر الدرويش . وأخذت جماعة الدراويش يعترضون على ذلك التأخير وينكرونها

(ص ٢١٤) قائلين : إن الطريق قريب فلماذا تأخر ؟ . وكان الشيخ يرى شكهم ، فلما رجع الدرويش قال لهم : إن الماء الذي يلزم لوضوئي لم يكن قد خرج بعد من العين ، وكان هذا الدرويش ينتظر خروجه ، فلما خرج ، أخذه وأحضره . فلا تشكوا .

حكاية :

كان السيد الإمام أبو بكر الصابوني زميلا للشيخ في مدرسة مرو . وعندما بلغ الشيخ تلك الدرجة التي يتفها ، جاءه السيد الإمام أبو بكر وقال له : أيها الشيخ ، لقد كنا زميلين في مدرسة واحدة وتعلمنا معا ، فأوصلك الحق تعالى إلى هذه الدرجة العظيمة ، وبقيت أنا هكذا في العلم ، فما سبب ذلك ؟ . فقال الشيخ : هل تذكر اليوم « القلاني » الذي أملى علينا فيه الاستاذ ذلك الحديث « من حسن إسلام المرء تركه مالا بعينه » وكتبناه نحن الأئمين ، ماذا صنعت به عندما ذهبت إلى المنزل ؟ . فقال : حفظته وانشغلت بأمر آخر . فقال الشيخ : إنني لم أفعل هذا ، فعندما ذهبت إلى المنزل ، انتزعت من أمامي كل مالي منه بد ، وأبعدته عن فكري ، أما ما لم يكن منه بد ، فقد أخذت به ، وأسليت فكري إليه . وذلك هو ما أمر به الحق ؛ فقد ورد في الخبر « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . أنا بذلك اللازم فآلزم بدك . لا إله إلا الله فاتخذوه وكلا » .

حكاية :

سئل الشيخ : من أظرف شخص في سرخس ؟ . فقال : أظرف شخص في مدينتكم هو لقمان . فقالوا : أيها الشيخ ، لا يوجد في مدينتنا من هو أكثر منه

اضطرابا وقذارة . فقال الشيخ : لقد أخطأتم، إن الظريف يكون طاهرا . والطاهر هو الشيء الذى لاصلة بينه وبين أى شيء آخر . ولا يوجد من هو أكثر اقتطاعا ولا طهارة من لقمان (ص ٢١٥) لأنه ليس له علاقة بشيء قط .

حكاية :

قيل للشيخ : إن فلانا يسير على الماء . فقال : هذا أمر سهل ، فالخفاف والصعوبة يسيران أيضا على الماء . وقيل له : إن فلانا يطير فى الهواء . فقال : إن الغراب والبوضة يطيران أيضا فى الهواء . وقيل له : إن فلانا ينتقل من المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة . فقال : إن الشيطان أيضا ينتقل من المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة ، ومثل هذه الأشياء لا قيمة لها . إنما الرجل (الذى يكون جديرا بهذا الاسم) هو الذى يعيش بين الناس ، ويقوم وينام ويتعامل معهم ، ويختلط بهم ، ولا يغفل لحظة واحدة عن ذكر الله .

حكاية :

فى يوم من الأيام كان المؤذن يؤذن لصلاة الفجر ويدعو للصلاة ، وقد أوشك الوقت أن ينتهى والشيخ لم يخرج من داره ، وذهب المؤذن إلى باب الشيخ ، وأذّن عدة مرات حتى انتهى الوقت . فخرج الشيخ ، وأقام المؤذن الصلاة ، وقضيت الصلاة . وجلس الشيخ ، وسأله الشيوخ والدرابيش قائلين : أيها الشيخ ، ماذا حدث حتى أنك خرجت متأخرا اليوم ؟ فقال الشيخ : لقد أمسكت الدنيا بأذيالى وأخذت تقول لى إن لكل شيء نصيبا منك ، وينبى أن يكون لى أنا أيضا نصيب . واجتهدت كثيرا فى الخلاص منها والحمت عليها فلم تتركنى . وعندما أوشك وقت الصلاة أن ينتهى ، شغلته بالمفضل حتى ترك أذيالى . وبعد ذلك أقبلت الدنيا على السيد المفضل وأولاده ، ولم يكن لأحد من أبناء الشيخ نصيب من الدنيا

سوى الكفاف ، باستثناء أبناء السيد المفضل ، فقد كانوا جميعا ذوى مآل وثروة .
وكان أكثر أبناء الشيخ إهتماماً بالدنيا هم أبناء السيد المفضل .

حكاية :

(ص ٢١٦) ذهب الشيخ أبو سعيد إلى طوس مرة ، فطلب أهلها منه أن يعظ ، فأجابهم إلى طلبهم . وفى وقت الفجر ، وضعوا منصة فى خانقاة الأستاذ ، وأخذ الناس يتوافدون ويجلسون . وعندما إعتلى الشيخ المنصة ، قرأ المقرئون القرآن ، تكاثرت الناس بحيث لم يعد هناك مكان لأحد ، فنهض المعرف وقال : غفر الله لكل من يتحرك من مكانه خطوة . فقال الشيخ : « صلى الله على محمد وآله أجمعين » . ومسح وجهه بيديه وقال : لقد قال كل ما كنت أرغب قوله ، ومأقاله جميع الرسل ، فقد قال « غفر الله لكل شخص يتحرك من مكانه خطوة » . ونزل الشيخ عن المنصة ، ولم يقل أكثر من هذا فى ذلك اليوم .

حكاية :

قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : لقد تكلم مائة من الشيوخ فى التصوف ، فقال أولهم مأقاله آخرهم . وإذا كانت العبارات قد اختلفت ؛ إلا أن المعنى واحد . وهو « التصوف ترك التكلف » . وليس هناك تكلف أكثر من نفسك ، فعند ما تنشغل بنفسك تعجز عنه .

وقال الشيخ : قال الشيوخ والمرشدون : كل ما يلىق للخلق لا يلىق لله ، وكل ما يلىق لله لا يلىق للخلق .

وكان الشيخ يقرأ القرآن يوما فلما انتهى الوقت ، أخذ يقرأ كل آية من آيات الرحمة ، ويترك كل آية من آيات العذاب . فقال له شخص : أيها الشيخ ، ليس هذا نظام القرآن . فقال الشيخ :

(شعر)

— أعطى الخمر أيها الساقى ، وأنت أيها المطرب أعزف على العود ،
كى أشرب الخمر اليوم ، فقد حان وقت الطرب والسرور .
— لقد تهيأت لنا الخمر والمال والحسان الجميلات ،
لا يوجد هنا غم ، وإن يوجد فهو نصيب قلوب الأعداء !

ثم قال : إن البشرى والمغفرة كلها من نصيبى ، أما العذاب فمن نصيبهم .
فماذا أصنع والعيب عيبهم وظهر الشك على ذلك الدرويش ، فقال الشيخ : « ذلك
رغم أنف أبى الدرداء » . وقد ردد الشيخ هذا القول كثيرا .
* قال الشيخ : قال الشيخ أبو بكر الواسطى : (ص ٢١٧) « تعلق الخلق
بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون » .

* وقال الشيخ : طلب سائل من شيخ أن يعظه ، فقال له : كل شيء من العلام
إلى الثرى ذرة فى قدرته ، وكل علم لا يصل إلى ذرة من وجود الله . والكلام
فى الشيء الذى هو ليس بشيء محال ؛ لأن العبارة لاتصل إليه .

* قال الشيخ : وقيل لذلك الشيخ مرة أخرى : حدثنا . قال : « ماسوى الله
فليس له حقيقة فمادا نُكَلِّم » .

* قال الشيخ : قال سهل بن عبد الله : « قبيح لمن يلبس الخرقة وهم الأرزاق
فى قلبه » ، فهو لا يعرف أن « أرزاق العباد على الله لا يقوم بها إلا فضله » .

* قال الشيخ : كنت عند أبى العباس القصاب فى طبرستان ، وعندما
كان الدراويش يأتون إليه كان لكل منهم حاجة وأمنية ، فكان يقول : يا
الهي ، يلزم لكل شخص حاجة ، ولا تلزم لي حاجة ، ويلزم لكل شخص
وجود ولا يلزم لي وجود ، وإنما يلزم لي العدم .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد يتحدث يوما في مجلس في نيسابور ، وعندما اندمج في الحديث ، قال في وسط كلامه : « ليس في الجبة سوى الله » . وأشار بأصبعه إلى الجبة التي كان يرتديها ، فخرج أصبعه منها حيث مس صدره المبارك . وقد حدث ذلك في حضور كثير من الشيوخ مثل أبي محمد الجويني . والأستاذ الأمام أبي القاسم القشيري ، والأستاذ إسماعيل الصابوني ، وكثير من كبار الشيوخ الآخرين . ولم يستطع واحد منهم الاعتراض على هذا القول ، وطالب الوقت للجميع بحيث غابوا عن أنفسهم . وخاع جميع الشيوخ الخرق مواضع الشيخ ، وخرجوا في وسط المكان . وعندما أنهى الشيخ حديثه ، ونزل عن المنبر ، مزقوا جبة الشيخ ، وخرق (ص ٢١٧) جميع الشيوخ . واتفق الشيوخ جميعا على ألا يمزقوا مقدار الذراع من الكرباس الذي يحمل علامة أصبع الشيخ ، وأن يحتفظوا به ؛ لكي يزوره الصادر والوارد في كل وقت .

وفي ذلك - الذراع - في حوزة السيد الشيخ أبي الفتح وأبنائه . وكان الناس الذين ينجثون إلى مبيته من جميع أنحاء العالم لزيارة الشيخ ، عتلا يفتنون من زيارته قبره المقدس ، يزورون تلك المنطقة مع غيرها من آثار الشيخ ، ويزورون أثر ذلك الأصبع . وقد ظلت في مكانها حتى فترة غلبة التبر ، ثم ضاعت مع الآثار المباركة الأخرى إبان تلك الغارة .

حكاية :

كان في نيسابور دروش يقال : « حمزة التراب » لكثرة تواضعه . وذات يوم كتب رقعة إلى الشيخ ، ووضعها ، لثلة تواضعه بكلمة : « تراب اقدم » . فكتب الشيخ هذا البيت على ظهر الرقعة وأرسلها إليه :

« بيت »

— إذا كنت قدصرت ترابا ، فقد أصبحت ترابا لترايك ،
وعندما أصبحت ترابا لترايك ، صرت طاهرا .

وقد ذكر جدى - جد المؤلف - شيخ الإسلام السيد أبو سعيد أن بعض
الناس يعتقدون أن الأشعار التى جرت على لسان الشيخ من قوله ، ولكن الأمر
ليس كذلك ، لأنه كان مستغرقا هكذا في حضرة الحق بحيث لم تكن له قدرة على قول
الشعر ، إلا هذا البيت الذى كتبه على ظهر رقعة حمزة ، وهذه الرباعية الأخرى التى
قالها الشيخ :

« رباعية »

يا حبيبي ! لا توجد بأرض خاوران شوكة
ليس لها شأن معي ومع حالي
ومع لطفك ورقة جمالك
لا عار على في بذل مائة ألف روح

أما الاشعار الأخرى كلها ، فقد كانت مما حفظه الشيخ عن المشايخ .

حكاية :

(ص ٢١٩) قال الشيخ : سمعت هذا البيت من أبي القاسم يشراسين فقد
قال لى يوما ، يا أبا سعيد :

« بيت »

- يلزم رجل محترق الكبد ، ضاحك ،
وليس مثل هذا الرجل كثير .

* كان الشيخ مسترسلا في الحديث يوما وقد جلس إليه كثير من الشيوخ والصوفية فبكى واحد من القوم بصوت مرتفع حتى تألم الجميع كثيرا لبكائه . فنظر الشيخ إلى ذلك الرجل نظرة قاسية وقال له : « إن شئت أن تقول كما قلت فاقعد كما قعدت ، فإن من ثبت نبت ومن صبر ظفر » . ثم قال : « سمعت أن عقبة بن عامر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تم فجور العبد ملك عينيه فبكى بهما ما شاء » . ثم قال :

(شعر)

لو أن دونك بحر الصين معترضا . . . خلعت ذاك سرا با ذاهب الأثر
ولو دعيت وفيما بيننا سقر . . . لهون الشوق خوض النار في السقر

* وقال شيخنا أيضا : دخل رجل على الشيخ أبي الفضل حسن يوما وقال له : أيها الشيخ ، رأيتك في نومي أمس ميتا ، ومحمولا على نعش . فقال الشيخ أبو الفضل : لقد رأيت هذا الحلم لنفسك ، فهم لا يموتون أبدا « فمن عاش لله لا يموت أبدا » .

حكاية :

روى أن درويشا كان يتوضأ يوما ، فدخل الشيخ إلى دورة المياه . وكان الدرويش يغسل يده ويقول « اللهم أعطني كتابي يميني » . فقال له الشيخ : لتصنع به ماذا أيها الدرويش ؟ وماذا ستقرأ في ذلك الكتاب ؟ لا ينبغي أن تقول مثل هذا القول ، فليس لك قدرة عليه . فقال الدرويش : وماذا أقول إذن أيها الشيخ ؟ فقال له : قل « اللهم اغفر وارحم ولا تسأل » .

حكاية :

(ص ٢٢٠) كان « بابا حسن » إمام الشيخ في الصلاة ، وقد كان أمام الصوفية

على عهد الشيخ . وذلك يوم كان يؤدي صلاة العجر ، ولما قرأ الفاتحة قال :
« تباركت ربنا وتعاليت ، اللهم صل على محمد » ثم سجد . وعندما فرغ من الصلاة
قال له أبو سيد : لماذا لم تصل على آل محمد ولم تقل « اللهم صل على محمد
وآل محمد ؟ » . قال بابا حسن : يا شيخ ، إن الصوفية يختلفون في هل تجوز الصلوات
على آل محمد في التشهد والفاتحة أم لا . ولم أقل ذلك احتياطا من أجل ذلك
الخلاف . قال الشيخ : إنني لأسير في موكب لا يكون فيه آل محمد .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، وقد أنكره الناس في جميع الجهات ، كان
الأستاذ الإمام أيضا من أولئك المنكرين . فلما جاء إلى مجلس الشيخ ، زال عنه
ذلك الإنكار ، وإن كان يرأوده أحيانا ، نتيجة لضعف الطبيعة البشرية . وفي يوم
من الأيام كان الأستاذ الإمام يرافقه الشيخ والصوفية إلى أحد الأحياء .
وجاء كلب غريب إلى ذلك الحى ، فبعت كلاب الحى دفعة واحدة ، وهجمت
على الكلب ، وجرحته ، وأخرجته من الحى . فحبب الشيخ عنان جواده وقال :
إن أبا سيد غريب في هذه المدينة ، فلا يليق أن يصنع معه ما صنع مع الكلب .
فزال الإنكار والشك عن الأستاذ الإمام ، وصفت نفسه تماما .

حكاية :

كان السيد عبد الكريم خادم الشيخ الخاص من أهل نيسابور ، قال : كنت
صغيرا عندما أحضرني أبي لخدمة الشيخ أبي سيد . فلما عاد والى بوقت بين
يدى الشيخ ، وقع بصره على قصة ملقاة في الرواق ، (من ٢٢١) فأشار الشيخ
إلى أن أحضرها ، فحملها إليه ، فقال لى : بم نسي هذه في لتكم ؟ . قلت :

قشة . فقال : اعلم أن الدنيا والآخرة قشة في هذا الطريق ، إذا لم ترفعهما عنه فلن تصل إلى مقصودك ؛ لأن سيد العالم عليه السلام قال : « أدناها أمانة الأذى عن الطريق » . ثم قال : كل شيء لا يكون لله يكون حقيرا ، وكل شخص لا يكون لله يكون وضيعا . وحيثما يكون وجودك تكون النار ، وحيثما تنفى تكون الجنة .

حكاية :

كان مريد من مريدى الشيخ قادمًا من العراق إلى ميهته لزيارة الشيخ . وكان قد أحضر له ملابس ثمينة ، وأخذ يقول لنفسه طوال الطريق : إني أحمل هذه الملابس الجميلة اللطيفة للشيخ ، وسوف يسر الشيخ سرورا عظيما بهذه التحف . ولما أصبح على بعد فرسخ من ميهته ، قال الشيخ : أعدوا الجوادى فأعدوه وركب الشيخ ، وسار الجميع فى صحبته حتى وصلوا إلى الصحراء . فترايدت آمال الدرويش ، وظن أن الشيخ خرج لإستقباله من أجل تلك الملابس ، وإزداد حب الدنيا فى قلبه نتيجة لهذا الظن . وأقبل على الشيخ ، وقبل أقدامه . وقال له الشيخ : هات الثياب التى أحضرتها من أجلنا . فأحضرها الدرويش فى الحال . وأمر الشيخ بتمزيق الثياب جميعها ، وعلقوا على كل شوكة قطعة منها . فلما رأى الدرويش ذلك تأثر كثيرا وانهار .

وقد أراد الشيخ بهذه الحركة أن يظهر للدرويش أن الدنيا لا قيمة لها عنده ، وأن ما كان يجرده من وراء هذه الملابس إنما كان كله حيا فى الدنيا ، ولا يليق لهذه الطائفة التهالك على الدنيا ، (ص ٢٢٢) ولا النظر إلى التقى . وبعد ذلك زهد الدرويش فى الدنيا ، ولما بلغ ميهته أقام على خدمة الشيخ . وتعهده الشيخ برعايته ، وأصبح من أعزة هذه الطائفة .

حكاية :

وصل درويش إلى ميهنه يوما وأمرع إلى الشيخ وقال له : أيها الشيخ ، لقد سافرت كثيرا ، وتحملت المشقة ، ولم استرح أو أرى الراحة قط . فقال له الشيخ : لا عجب في ذلك ؛ فقد كنت تبحث في هذا السفر عن مرادك ، ولو أنك لم تسافر وتخلت عن وجودك لحظة ؛ لاسترحت ، واستراح بك الآخرون . فوجود المرء سجنه ، وإذا خرج من هذا السجن استراح .

حكاية :

كان هناك سيد في طوس يقال له السيد حمزة يملك قصرا على بوابه «رودبار» . وكان الشيخ يحبه كثيرا ، كما كان هو أيضا مريدا للشيخ . وكلما ذهب الشيخ إلى طوس ، دعاه السيد حمزة إلى قصره . وكان الشيخ يحب دعوته ؛ إذ كانت له منزلة كبيرة عنده .

وفي وقت من الأوقات وصل الشيخ إلى مدينة طوس ، وطلب السيد حمزة ، فقبل له إنك لن تستطيع رؤيته ، لأنه مشغول منذ أربعين يوما في الفساد ، وإدمان الخمر ، والسكر مع غلمانته وجواريه ، وقد جلسوا جميعا عراة نخمورين . فقال الشيخ : عجباً ، لا يجب أن يقل الأثم في مثل هذا القصر عن ذلك . ولم يقل أكثر من هذا ، ولم يعترض عليه أي اعتراض .

وعند ما أخبروا السيد حمزة بوصول الشيخ ، أمر بالكف عن اللهو في الحال ، وذهب في اليوم التالي إلى الشيخ . وشمله الشيخ برعايته كعادته ، ولم يحدثه عن ذلك الأمر ، ولم ينقص من تقديره له شيئا .

حكاية :

عند ما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، كان الشيخ أبو

عبد الله باكو يقيم في خاتمة الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي ، وكان قد أصبح شيخا لها من بعده . (ص ٢٢٣) وقد تعود أبو عبد الله هذا أن يسأل الشيخ في كل وقت سؤالاً على سبيل الجدال . وكان الشيخ يجيبه عليه . وذات يوم سأل الشيخ قائلاً : أيها الشيخ ، إنني أرى منك عدة أشياء لم أرها من شيوخى .

أولاً : أنك تدع الشبان يجلسون في مواجهة الشيوخ . وتضع الأقل مرتبة في نفس مستوى الأعلى مرتبة في جميع الأشياء ، ولا تفرق بين الصغير والكبير .

وثانياً : أنك تسمح للشبان بالرقص في السماع .

وثالثاً : إذا خلع درويش خرقة فإنك تشير باعادتها إليه وتقول : « الفقير أولى بخرقته » . ولم يكن شيوخنا يفعلون ذلك .

فقال الشيخ : ألا يوجد شيء آخر ؟ . فأجاب بالنفي . فقال له الشيخ :

أما بالنسبة للأقل مرتبة والأعلى مرتبة ، فإن أى واحد منهم لا يعتبر في نظري أقل مرتبة ، ذلك أنه عندما يضع قدمه في الطريق ، فرغم أنه قد يكون شاباً ، فإن الشيوخ يجب أن يضعوا في اعتبارهم أنه من الممكن أن يتلقى في يوم واحد ما لم يتلقوه في سبعين عاماً . ولا يمكن لإنسان يؤمن بهذه العقيدة أن ينظر إلى أى شخص على أنه أقل مرتبة .

وأما عن رقص الشبان في السماع ، فإن الشبان لا تخلو أنفسهم من الشهوة ، ويغلب عليهم هوى النفس . ومن انترك ذلك أن الشهوة تملك جميع الأطراف ، فإذا ماصفقا تبددت الشهوة من أيديهم ، وإذا مارقفوا قلت الشهوة من أرجلهم . وعندما تنقص الشهوة من أطرافهم على هذا النحو ، فإنهم يستطيعون أن يصونوا أنفسهم من الكبائر الأخرى . ولكن عندما تتجمع الشهوات ، والعياذ بالله ،

فإنهم يعجزون عن صيانة أنفسهم من الوقوع الكبائر . فالأولى أن يبددوا نيران تلك الشهوة في السماع أكثر منه في أى شئ آخر .

وأما بالنسبة للخرقة التى يخلعها الدرويش ، فإن التخلّى عنها يتعلق بكل جماعة الدراويش ، ويكون موضع اهتمامهم . فإذا لم يكن فى متناول أيديهم خرقة أخرى ، فإنهم يلبسونه خرقة ثانية ، لأنهم بذلك يخففون عن عقولهم حمل التفكير فيها ، فيسترد الدرويش خرقة ، ويكون ذلك من (ص ٢٢٤) أيدى جميع الدراويش . ولكن هذه الخرقة لا تكون نفس الخرقة التى خلعها .

قال الشيخ أبو عبد الله: لو لم أكن رأيت الشيخ ، لما رأيت صوفيا حقيقيا .

حكاية :

وفى هذا الوقت أيضا ، كان الشيخ أبو عبد الله باكو يجلس يوما فى مجلس الشيخ ، وقد نسى نفسه ، ووضع قدما على قدم مثل السادة . فرآه الشيخ ، وكان يتحدث فى ذلك الوقت مع شخص فى وداعة ولطف . فدعا له ذلك الشخص قائلا : جعل الله الجنة زادك . فقال الشيخ : لا تلزم لنا الجنة مع حفنة من العرج والمفلوجين والفقراء ، فهناك لا يوجد سوى المكفوفين والضعفاء ، وإنما تلزم لنا الجحيم : ففيها يكون جحشيد والنمرود وفرعون وهامان وهذا السيد ، وأشار إلى أبى عبد الله ، وأنا ، وأشار إلى نفسه . فخبّل الشيخ أبو عبد الله ، وثناب إلى رشده ، وأدرك أنه أساء الأدب ، وثناب ، وأقبل على الشيخ يطلب المَعذرة . ولم يجلس هكذا مرة أخرى .

حكاية :

كان الشيخ « حبي » خياط الشيخ الخاص . وفى يوم من الأيام كان يخط

ثوباً للشيخ . وفي وقت القيلولة ، وكان الشيخ قد استلقى على فراشه ووقف إلى جواره السيد عبد الكريم خادمه الخاص وفي يده مروحة يروح بها عليه . دخل الشيخ حبي ، وفي يده ثوب الشيخ . فقال له السيد عبد الكريم ، أى وقت هذا؟ . فقال الشيخ حبي ؟ أينما تكون أكون . فوضع السيد عبد الكريم المروحة من يده ، وصفعه عدة مرات . فلما بلغ سبع صفعات قال له الشيخ : كفى . فخرج الشيخ حبي وشكا إلى السيد النجار .

ولما خرج الشيخ لصلاة العصر (ص ٢٢٥) قال له السيد النجار : ما قول الشيخ في أن يتناول الشبان على الشيوخ ؟ . فأجاب الشيخ : لقد كانت يد السيد عبد الكريم يدي . فلم يقل أحد شيئاً بعد ذلك .

حكاية :

كان الشيخ يعظ في نيسابور يوماً ، وكان الشيخ أبو القاسم القشيري حاضراً . وفي نفس اليوم كان له نزاع على طاحون يملكها في قرية «حسين آباد» ، إذ ارتاح أحد القرابين لنفسه وأخذ المقرئ يقرأ هذه الآية في مجلس الشيخ : « لمن الملك اليوم » فقال له الشيخ : هل تقول لي ؟ قل للأستاذ الإمام ؛ لأنه يقول إن طاحون حسين آباد ملكي .

حكاية :

وروى أن الشيخ كان يسير يوماً إلى حي من الأحياء في نيسابور ، ومعه جمع كبير . فألقت سيدة بعض القاذورات من السطح ، ووقع جزء منها على ثوب الشيخ . ولم يتأثر الشيخ من ذلك ، بينما غضب الجميع وأرادوا أن يفعلوا شيئاً مع

صاحب الدار . فقال لهم الشيخ : اهدأوا . إن الشخص الذى يستحق نار الجحيم ،
يقنعون منه بالتجاوزات ؛ فمن الواجب أن نشكر الله كثيراً . فهذا الجميع ولم يؤذوا
أحدا ، وبكوا كثيراً .

حكاية :

روى أن الشيخ ذهب إلى منزله يوما ، فرأى السيدة فاطمة ابنة السيد أبى
طاهر وحفيدة الشيخ ، وكانت تعلق خيطا على مغزل . وكان طرف الخيط قد ضاع
منها . فقال لها الشيخ : يا فاطمة ، إذا ضاع طرف الخيط منك مرة أخرى فاقترئى
هذه الآية حتى تجديه . « ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة انكاثا »
(ص ٢٢٦) وقرأت السيدة فاطمة هذه الآية ، فوجدت طرف الخيط .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يسير يوما فى نيسابور ممتطيا جواده ، فبلغ باب الكنيسة .
وتصادف أن كان اليوم يوم الأحد ، وكان المسيحيون قد تجمعوا فى الكنيسة .
فقال الصوفية : أيها الشيخ ، من الواجب أن نراهم . فترجل الشيخ عن جواده .
ولما دخل الكنيسة ، تقدم المسيحيون إليه وعظموه ، ووقفوا أمامه فى احترام
وتجلت الأحوال .

وكان المقرئون فى صحبة الشيخ ، فقال أحد المسيحيين : هل يسمح الشيخ بأن
يقرأوا آية . فقال الشيخ حسنا . وقرأ المقرئون بعض الآيات ، وغمرت التشوة الجميع
وبكوا . ونهض الشيخ وخرج . فقال له شخص : لو أن الشيخ أشار إليهم ، حلوا
الزناز جميعا . فقال الشيخ : إننى لم أعقده لهم حتى أحله .

حكاية :

كان الشيخ يعظ يوما في مجلس في نيسابور ، فقال في وسط حديثه : لقد امتلأت الخلقاء من أعلاها إلى أسفلها بالجواهر . فلم لا تجمعونها ؟ . فتلفت الناس ، ظانين أن هناك جواهر يأخذونها ، فلم يروا شيئا . وقالوا : أيها الشيخ ، إننا لا نرى جواهر . فقال الشيخ : إنها الطاعة ، إنها الطاعة .

حكاية :

عندما كان السيد أبو طاهر ابن الشيخ الأكبر صغيرا ، أحضر الصبية في المدرسة لوحه إلى منزل الشيخ كعادتهم . فتقدم السيد حسن — بن المؤدب — إلى الشيخ وقال له : لقد أحضر الصبية لوح السيد أبي طاهر . فقال الشيخ : إلى أى سورة وصل ؟ . فقال حسن : إلى سورة « لم يكن » . فقال الشيخ : ضع فأكبه أمام الصغار . (ص ٢٢٧) فوضع حسن الفاكهة . وسألهم الشيخ : من كبيركم في المدرسة ؟ فأشاروا إلى واحد . فاستدعاه الشيخ وقال له : قل للاستاذ لاترسل للصغير لوحا بسورة « لم يكن » مرة ثانية . أما اللوح الذي تبعه ، فابعثه بسورة « ألم نشرح » .

حكاية :

كانت هناك سيدة عجوز تملك حجرة بجوار خانقاة الشيخ . وكانت تدق دائما في « هاون » فارغ دون حاجة ، لتقلق الدراويش . وكان الدراويش يشكون إلى الشيخ ، ولكنه لم يكن يقول شيئا . وذات يوم خرجت السيدة العجوز ، فقال الدراويش : فلنذهب ونزعم سقف حجرتها ، حتى تشغل بذلك ، ولا نزعجنا . ولم يقل الشيخ شيئا . وذهبوا وانزعوا سقف الحجرة . وجاءت السيدة العجوز ،

ورأت مقف الحجرة مفتوحاً ، فقالت : يا أسفا على رجل بهذا الكبر ، وغتاب بهذا الصغر .

حكاية :

روى أن الشيخ ذهب يوماً إلى حمام نيسابور . وجاء السيد الإمام أبو محمد الجويني للسلام على الشيخ ، فقيل له إنه ذهب إلى الحمام ، فذهب هو أيضاً إليه . ولما دخل ، سأله الشيخ : هل هذا الحمام جيد ؟ فقال أبو محمد : نعم . فسأله الشيخ : ما سبب جودته ؟ فقال : لأن الشيخ فيه . فقال الشيخ : ينبغي أفضل من هذا . فقال : قليخفضل الشيخ بقوله . فقال الشيخ : لأنه ليس معك سوى إزار واحد ، وسطل واحد ، وتلك أيضاً ليست ملكك .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح رحمة الله عليه : في وقت من الأوقات جاء جمع من العراقي ، وأحضروا للشيخ رداء صوفياً جميلاً مزركشاً . وعندما قدموه للشيخ لبسه . وكان هناك قط تعود أن يطوف حول الشيخ ، فتعلق بذلك المرقع ، وتبول عليه . فقال الشيخ : لقد قررت أن أرتدى رداء الصوفية ، (ص ٢٢٨) وأكون صوفياً ساعة ، فقبول القط على صوفيتي . فخذوا هذا الرداء ، وأعطوه للسيد أبي الفتح ، لأنه صوفي . فخلعوا الرداء عن الشيخ ، وأعطوه للسيد أبي الفتح . وكان يروى هذا دائماً على سبيل التفاخر .

حكاية :

سمعت من كثير من الشيوخ ، ذوى السيرة الحسنة ، أنه عندما كان الشيخ

أبو سعيد قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، أصبح جميع أصحاب الفرق وأئمة
الذاهب من مريديه ، وتبدل إنكارهم له اعتقادا . وكان القاضي أبو بكر الخيري
- الذي كان يعتبر من الأئمة الكبار ، وولدا من أربعة من الشيوخ في نيسابور
يحملون اسم أبي بكر ، وكل من يستعين بهم في الدعاء إلى الله ، يحقق الله تعالى
حاجته - قد أقام وليمة ، ودعا إليها جميع أئمة الفرق ، كادنا الشيخ . وعندما
اجتمع جميع الأئمة والكبار ، شرعوا يتحدثون في مسألة ، جريا على عادة الفضلاء .
وانتهى بهم الحديث إلى التفضيل بين الذاهب ، وأخذ كل شخص من فحول
أئمة الذاهب يؤكد مذهبه . وأخذت كل طائفة تمسك بدليل على أحقية مذهبها ،
ويطالان المذاهب الأخرى ، حتى طال الحديث ، ولم يصلوا إلى مخلص .

واتفق الكبار والأئمة على أن يحتكموا إلى القرآن المجيد ، والكتاب الكريم .
وقد نص « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » ، امسكوا بالمصحف
ليقتروا على رأي كل مذهب ؛ لأن كل ما يظهر من الكتاب العزيز ، يكون في
منزلة الوحي ، ولا يستطيع أى شخص أن يظن فيه .

وأحضروا المصحف متفقين ، وطلبوا من أبي بكر أن يمسك به . قال : إنه
مصحفى ، وربما يظن شخص أننى أعرف الأوراق . فأخذوا يشيرون إلى كل
شخص ، حتى اتفقوا في النهاية على إعطائه لأبي سعيد . وقالوا إنه رجل من الأولياء ،
وعندما يجتمع إعجاز القرآن مع كرامته ، سوف يظهر الحق من فحوى الكتاب
المجيد ، من محكمات الآيات ، لامن للتشابهات (ص ٢٢٩) التي تحتاج إلى تأويل .
وسلموا المصحف للشيخ ، فأخذه وقال : بسم الله الرحمن الرحيم . ترى هل الذاهب
الشافعى مصيب ، وهل هو حق ؟ وقال : السطر السابع من الصفحة اليمنى . وضع

المصحف وأراه للجميع . وكانت أول كُتْبة في السطر السابع هي : « ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق » . وعندما قرأ هذه الآية ، تعجب الجميع من إعجاز القرآن ، وقالوا : لقد تم كل شئ الآن ، وسنقتصر على هذا . ولم يستفتوا القرآن على المذاهب الأخرى .

وفى هذه الحكاية عدة فوائد :

أولاً : أن تعلم أن المذهب الشافعى حق بحكم نص القرآن المجيد . وليس معنى هذا أن المذاهب الأخرى باطلة . كلا وحاشا .

ثانياً : أن تعلم أنه عندما تواجه مشكلة دينية ، وتريد أن تعرف أحد أمرين : أيهما حق يليق أن تعمل به ، وأيهما باطل يليق أن تتركه ؛ فمن الجائز أن تفتح القرآن على هذه النية . فقد أجمع أئمة المذاهب ، وكبار رجال الدين ، وأئمة المتصوفة فى هذا الحقل ، واتفقوا على هذا الحكم ، مثل السيد الإمام أبى محمد الجوينى ، وابنه إمام الحرمين ، والقاضى صاعد ، وعلى الصندلى ، وأبى بكر إسحاق ، والأستاذ إسماعيل الصابونى ، والأستاذ الإمام أبى القاسم القشبرى ، وفحول الأئمة الآخرين ، وكبار رجال الدين الذين يطول ذكرهم ، وكان كل منهم قدوة الدنيا فى مذهبه . ولم يعترض واحد منهم على هذا ، ولم يقل إنه غير لائق .

ثالثاً : إنه يجب فى جميع الأمور البدء من ناحية اليمين ، وخصوصاً فى أمور الدين ، وفقاً لما جاء فى الخبر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

رابعاً : أن الاختيار أفضل وفقاً للحديث الذى يقول : « إن الله تعالى وتر يحب الوتر » .

وكل حكاية من الحكايات التي ذكرت ، والتي سوف تذكر ، تتضمن كثيراً من القوائد ، ولكن إذا جئنا في شرح كل واحدة منها ، لأدى لك إلى التطويل والسأم ، والحر تكفيه الإشارة .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ قادماً من نيسابور إلى ميهنة ، خرج من طوس ، وأخذ يسير منفرداً ، حتى وصل إلى بوابة «نوبهار» ، والصوفية يسرون من خلفه . (ص ٢٣٠) وكان هذا في أوائل عهد التركان ، ولم تكن خراسان آمنة في ذلك الوقت . فلحق به أربعة أو خمسة أفراد منهم ، وأرادوا أن ينتزعوا جواده . فقال لهم الشيخ : من أنتم ، وماذا تريدون ؟ . فقالوا له : أنزل . فقال الشيخ : لقد اركبني أربعة أشخاص على الحصان ، فاصبروا حتى أنزل وخذوه . ولم يكذب قولهم ، حتى وصل الصوفية . فقال لهم الشيخ : أنزلوني واعطوهم الحصان . فقال الدراويش إننا كثيرة ، ولن نعطيهم شيئاً . فقال الشيخ : لا يليق هذا ، فقد وعدتهم به ، فاعطوهم . ونفذوا ما أشار به الشيخ . وأخذ التركان الحصان وذهبوا . ونزل الشيخ مع الصوفية في إحدى القرى . وعند العصر ، أقبل جمع من التركان ، وأعادوا الجواد وحصاناً جيداً آخر ، وأعتذروا للشيخ كثيراً قائلين : أيها الشيخ إن هؤلاء الشبان لم يعرفوك فسامحهم ، ولم يقبل الشيخ الحصانين ، وقال لهم : كل ما أنزل عنه لأركبه ثانية . ولما قال الشيخ هذا ، تاب التركان ، وحلوا شعورهم ، وذهبوا جميعاً للحج في تلك السنة ، بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

عند ما كان الشيخ في نيسابور ، كانت هناك سيدة عجوز ، تقيم في حجرة

فوق خاتمه الشيخ . وكانت ترى الشيخ دائما ، وتذهب إلى مجلس أبي القاسم
القشيري ، ولا تحضر مجلس الشيخ ، أو تستمع إلى حديثه . قالوا لها: أينها العجوز ،
إنك ترين الشيخ كل يوم ، وتشاهدن كراماته ، ولا تحضرن إلى مجلسه قط ،
وتذهبن إلى مجلس الأستاذ الإمام ، فهل ترين هناك شيئا لارينه هنا ؟ وكيف
يحدث هذا ؟ . فبكت العجوز في ألم وقالت: ماذا أصنع (ص ٢٣١) إن هذا ليس
في يدي ، فقد دلوني على الأستاذ الإمام ، ولم يدلوني على الشيخ .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يحظ في نيسابور يوما ، وقد أمسك في يده عمامة ، وقال
في وسط حديثه : ترم ثلاثمائة دينار نيسابوري ، وهذه العمامة لمن يقرض حسن
ثلاثمائة دينار . فصاحت سيدة عجوز قائلة: أنا أعطيها له . فقالوا لها: أينها العجوز ،
إنها ثلاثمائة دينار ذهبي ، فمن أين تحضرينها ؟ قالت : أنا أعرف ذلك ، فعندما
قال الشيخ هذا القول ، حسبت ما كنت قد حملته معي من منزل والدي إلى منزل
زوجي ، وما أعطانيه زوجي ، فوجدته ثلاثمائة دينار ، وقد وهبتها لما أراد الشيخ .
فقال لها الشيخ : بورك الله فيك . وأمر حسن بن المؤدب بإعطاء العمامة لتلك
العجوز قائلا : سلها أي دعاء تريد أن أدعوه لها ؟ فسالها حسن ، قالت :
الدعاء بلامه القلب . فأبلغ حسن رغبها إلى الشيخ ، فضحك وقال لها : يا سليمة
القلب ، لماذا لم تطلبي جاما وفضيا ما وعقارا ؟ لقد حصلت على السعادة التي ركعنا من
أجلها سبعين عاما ولم تصلنا نقعة منها .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز قد جلس يوما في خاتمه ،

وكان سيد نيسابور الأجل قد جاء لتحيته ، وجلس خلفه . فدخل الشيخ أبو العباس الشاذلي فأجلسه الشيخ أمام السيد الأجل ، فتألم السيد لذلك ، وساوره الشك . فالتفت إليه الشيخ وقال : أيها السيد ، إن الذين يحبونك محبوبونك من أجل المصطفى ، والذين يحبون هؤلاء يحبونهم من أجل الله .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يسير يوما في سوق نيسابور وفي رفقته جمع من الصوفية ، فنزلوا إلى السوق . وكانت هناك جماعة من الشبان يسكرون عراة ، وقد تمنطق كل منهم بحزام من الجلد ، وحملوا شخصا على رقابهم . فلما بلغوا (ص ٢٣٢) الشيخ سأل : من هذا ؟ فقيل له : إنه أمير انقاسرين . فسأله الشيخ : بم تلت هذه الإمارة ؟ فقال : بالعب المستقيم النظيف . وعندما سمع الشيخ ذلك صرخ قائلا : العب لعبا مستقيما ، والعب لعبا نظيفا ، وكن أميراً .

حكاية :

كان السيد على الطرسوسي مريدا للشيخ ، ورفيقا له على المائدة ، وكان الشيخ يعلمه آداب الأكل وسننه . وذات ليلة كان السيد على يشرب كأسا ، فقال له الشيخ : ما هذا ، إن قاع الكأس يكاد يسقط من شريك . وعندما أعدت المائدة في الليلة التالية ، جلس السيد على في مكان آخر . فلما جاء الشيخ قال : إنني لا أرى السيد على . فقيل له : إنه في نهاية المائدة أيها الشيخ . فقال له الشيخ : لأن أحتملك أفضل من أن أحتمل الآخرين .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح : لما جاء السيد السنكاني إلى الشيخ ، كان شابا

ظريفا يرتدى ملابس حسنة . وحدث أن كلنوا يرافقون الشيخ إلى ولية ، وكان من عادة الشيخ أن يسير خاف الجماعة . وأخذ السنكاني يسير أمام الشيخ ، وينظر إلى نفسه معجبا . فقال له الشيخ : لاتسر في الأمام ، فسار خلف الشيخ . وعندما ساروا عدة خطوات ، قال له الشيخ : لاتسر في الخلف ، فسار على يمين الشيخ . وعندما ساروا عدة خطوات ، قال له الشيخ : لاتسر على اليمين ، فسار على يسار الشيخ فقال له : أيها السيد لاتسر على اليسار . فتضايق السنكاني وقال : أيها الشيخ ، أين أسير ؟ فقال له : أترك نفسك ، واستقم في السير . ثم قال الشيخ هذا البيت :

— ما شأنك بالتصوف مادمت تهتم بنفسك .

وماء الحياة هذا في غنى عن البشر .

فصرخ السيد السنكاني ، وسقط على أقدام الشيخ ، ولبي وسافر إلى الحجاز ، وأصبح من الرجال الصالحين .

حكاية :

قال السيد للشيخ أبو الفتح : كان الشيخ قدس الله روحه العزيز قد جاء من نيسابور إلى ميهنة ، ومعه عدد كبير من الدراويش . وفي اليوم التالي أخذ يعظ على منصة روضته ، ، وجلس إليه كثير من الناس ، وغمرت النشوة الجميع . وعندئذ (ص ٢٣٣) علا صياح السكارى وضوضاؤهم ، فقد كان في جوار الشيخ رجل يسمى « أحمد أبوشراء » ، يقضي الليل في بيته مع اللصوص ، حيث ينشغلون بالباطل ، وتناول الخمر حتى مطلع الفجر . وكانوا يحدثون ضجة عظيمة . فتضايق الصوفية ، وعامة الناس منهم ، وسرى فيهم الحماس فقالوا : انذهب ونهدم المنزل

على رؤوسهم . فقال لهم الشيخ : سبحان الله ، لقد انشغلوا بالباطل حتى أنهم لا يحسون بمحكم ، وأنتم رغم أنكم ترون الحق بهذا الوضوح ؛ فإنه لا يشغلكم حتى لا تحسون بباطلهم ! فتمرخ الناس وبكوا ، ووعدوا بترك هذا الأمر . وانقضى ذلك اليوم ولم يقل الشيخ شيئاً .

قال السيد أبو الفتح : وفي اليوم التالي كنت واقفاً بين يدي الشيخ ، فمر أحمد أبو شره خجلاً على الشيخ ، ولم يقل له الشيخ شيئاً ، حتى اقترب منه . فقال له الشيخ : السلام عليكم ، إننا لم نتخاصم ، وأنت لنا نعم الجار ، وقد أوصى الرسول عليه السلام في حق الجار ، فإذا إعتزتك مشكلة فاشركنا فيها حتى نساعدك . فلما قال الشيخ ذلك ، نظر أحمد إلى الأرض ، وقال : أيها الشيخ ، إنني أعاهدك على ألا أفعل هذا قط ، وقد تبت عنه . وأصبح بعد ذلك مريداً للشيخ .

ولم يمض وقت طويل حتى أحس الشيخ بدنو أجله ، وأخذ يوصي كل شخص بوصيته ، فمض أحمد هذا وقال له : أيها الشيخ ، إنني شيخ ، ولم أَرْضِاء المعرفة بعد ، وأنت ترحل الآن : ماذا أصنع ؟ فأجابه الشيخ : اطمئن فإن الشخص الذي يسقط عليه ضوء هذا الشمع ، أقل ما يفعله الله معه أنه يرحمه .

قال السيد الشيخ أبو الفتح أيضاً إن الشيخ قدس الله روحه العزيز كان يذهب إلى الحمام في يوم الأربعاء . وكان الشيخ أبو محمد الجويني رحمة الله عليه يأتي إلى الخلقاه ، ويذهب منها إلى الحمام . وذات يوم كان الشيخ قد ذهب مع أبي محمد الجويني إلى الحمام ، فقال له الشيخ : ما سبب هذه الراحة التي يشعر بها الناس من الحمام ؟ فقال : إن الإنسان يكون متعباً منهوكة ، فيصب الماء الساخن على نفسه فيستريح . فقال الشيخ : هناك ما هو أفضل من هذا . (ص ٢٣٤) فقال

الشيخ أبو محمد : إن الناس يكونون قذرين طوال الأسبوع ، ويطول شعرهم ، ولا يخلقونه ، فيحلقون ، وينظفون أنفسهم ، ويصبحون أكثر خفة ، فيستريحون . فقال الشيخ : هناك ما هو أفضل من هذا . فقال الشيخ أبو محمد : ماذا يرى الشيخ فقال الشيخ : أرى أنه إذا اجتمع اثنان متخاصمان ، فإنهما يجدان الراحة ثانية . فبكى الشيخ أبو محمد رحمة الله عليه وقال : أيها الشيخ ، إن مايتأتى لك من العلم لايتأتى لأى شخص آخر .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث في المجلس يوما ، وكان أحد أبناء الشيخ أبى الحسن الخرقانى حاضرا ، فقال الشيخ فى وسط الحديث : إن الأشخاص الذين نجوا من أنفسهم منذ عهد النبوة إلى يومنا هذا قد بلغوا عقدا ، وإذا أردتم فإننى أعدم . وإذا كان هناك شخص قد تطهر من نفسه ؛ فإنه يكون والد هذا السيد ، وأشار إلى ابن الشيخ أبى الحسن الخرقانى ، ثم قال الشيخ : لقد ذكر الشيخ أبو الحسن الخرقانى قدس الله روحه العزيز أن علماء الأمة قد اتفقوا على أنه يجب معرفة الله جل جلاله بالعقل ، ولما نظر أبو الحسن بالعقل ، رأى نفسه أعمى فى هذا الطريق . لأنه لم يمتحه الله البصيرة ويرشده إلى الطريق ؛ فإنه لا يرى ولا يعلم . ولقد ساعدنا كثيرا من الناس ، وقدناهم من غرور العقل إلى الطريق .

حكاية :

قال والدى — والد المؤلف — نور الدين بن المنور رحمة الله عليه إن الشيخ أباسعيد كان ذاهبا إلى مكان فى نيسابور ، فوصل إلى حى الحرب . ورأى الخوانيت مرتبة ، ومملوءة بالفاكهة الناضجة ، والمكان أكثر زينة من جميع

الأمكنة في سوق نيسابور. وحين وصل الشيخ إلى ذلك الحى ، وسأل عن اسمه ، قيل له « حى الحرب » ، فقال الشيخ : عجبا . . إذا كان الشخص يرى مثل هذا في حى الحرب ، فإذا يمكن أن يرى فى حى الصلح ؟ .

روى والدى رحمه الله عليه أيضاً أن الشيخ قدس الله روحه العزيز أراد أن يعظ يوماً . وعندما خرج وجلس على المنبر ، وقرأ المقيرون القرآن ، سأل الناس أسئلة كثيرة مختلفة . وكان هناك جمع كبير ، وسأل كل سؤالاً (ص ٢٣٥) من نوع مختلف . وأخذ الشيخ ينظر إليهم فى صمت حتى سألوا كثيراً . وفى النهاية قال الشيخ هذا البيت :

— إذا كففت يدي عن حبيبي فى الختن ،
لكفاني باورد ونسا وطوس حبيبا .

وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ومسح وجهه بيده ، ونزل عن المنبر ، ولم يقل أكثر من هذا فى ذلك اليوم .

وقال والدى أيضاً : فى بداية عهد الشيخ بالتصوف ، وكان أهل ميهنه لايزالون ينكرونه ، أحضر السيد حمويه رئيس ميهنه رجلاً فاضلاً من سرخس متعصباً ضد الشيخ ، السكى يتحدث إلى الناس ، ويصدر فتواه . وجاء هذا الفاضل إلى مجلس الشيخ يوماً . وسأل شخص الشيخ : إلى أى حد يمكن التسامح فى الصلاة بثوب ملوث بدم البرغوث ؟ فقال الشيخ : إن إمام دم البرغوث هو هذا السيد الإمام ، وأشار إلى ذلك الفاضل ، ثم قال : سله عن هذه المسألة ، وسله عنا .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يرسل حسن بن المؤدب إلى السيد حمويه كل يوم من

أيام الجمعة ، ليستفسر عنه ، ويعطيه رسالة ، ويتحدث إليه . وكان السيد حمويه يسر بذلك ، ويفاخر به . وفي يوم من أيام الجمعة في فصل الشتاء كان الجو باردا جدا ، والشيخ مشغولا في أمر ، فدعا حسن وقال له : اذهب إلى السيد حمويه ، وسلم عليه ، وقل له إن الجو بارد اليوم . ولم يدع السؤال عنه في هذا اليوم بمثل هذا القول ، حتى لا يتأثر ويقول إن الشيخ لم يذكرنا في البرد .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث في أحد المجالس يوما ، فقال في وسط حديثه : سوف يأتي يوم لا يستطيع فيه شخص أن يقيم في مكان سنة واحدة ، ولا يستريح في صومعة خمسة أيام ، ولا يبقى في مسجد يوما واحدا .

وقال الشيخ أيضاً (ص ٢٣٦) : ذهب شاب إلى شيخ وقال له : أيها الشيخ ، عظمي . فأخى الشيخ رأسه ساعة ثم قال : أيها الشاب ، هل تنتظر جوابي ؟ . قال نعم . فقال الشيخ : كل ما سوى الحق جل جلاله لا يستحق الكلام ، وكل ما يتعلق بالحق عز وجل لا تحويه العبارة « إن الله تعالى أجل من أن يوصف بوصف أو يذكر بذكر » .

حكاية :

عندما كان الشيخ أبو سعيد في نيسابور ، حملوا إلى جماعة خانقاه الشيخ ذات ليلة صندوقا به طعام . وكانت هذه الخانقاه بحوار السيد الأجل حسن . ولما حى السماع وظهرت الأحوال للصوفية انخرطوا في الرقص ، فتبدد نوم السيد حسن بسبب رقص الصوفية وسأل خدمه : ما هذا ؟ . فقالوا : لقد جاء

إلى الشيخ أبي سعيد في هذه الخانقاه صندوق به طعام ، فأقاموا به وليمة ، والصوفية يرقصون . وكان السيد الأجل ينكر الصوفية ، فقال : أصدعوا إلى السطح ، واهدموا الخانقاه على رؤوسهم ، فصعد خدم السيد الأجل إلى سطح الخانقاه ، وانتزعوا سقفها ، وأخذوا يلقون الأحجار إلى الخانقاه . فاضطرب الدراويش . وسأل الشيخ عما حدث . فقالوا : إن رجال السيد الأجل يقذفون الأحجار إلى الخانقاه ، فقال الشيخ : احضروا ما قذفوه . فوضعوا جميع الأحجار في طبق ، وقدموه للشيخ . فأخذ يمسك بالأحجار واحدة واحدة ويقبلها ويضعها على عينيه وهو يقول : كل ما جرى على الرسول عليه السلام عزيز وطيب ، ويجب تحمله بالقلب والروح . ولم يحدث شر كبير أن سقطت علينا هذه الأحجار ؛ إذ كيف أرقنا نوم ذلك العزيز . يجب أن نذهب إلى خانقاة محلة عدني كوبان . ونهض في الحال وركب الجواد ، (ص ٢٣٧) وسار صوفية الخانقاهين في رفقته ، وأخذ القوالون ينشدون في الطريق ، حتى وصلوا إلى الخانقاه ، وطاب السماع في تلك الليلة .

وعندما عاد خدم السيد الأجل إلى القصر باكين متألين ، ظن أن الصوفية ضربوا رجاله . فسألهم ماذا حدث لكم حتى تبكون هكذا ؟ . فقصوا عليه ما حدث بالتفصيل . فلما سمع السيد ذلك ، ندم على ما أشار به وسأل : ماذا حدث في النهاية ؟ . قالوا : لقد رحلوا جميعاً . فتألم السيد الأجل ، وبكى ، وزال عنه كل شك في الصوفية ، وأخذ يؤنب نفسه طوال الليل .

وفي اليوم التالي نهض عند الفجر ، وأمر بإعداد جواده ، وركبه ليذهب للاعتذار للشيخ . وكان الشيخ قد ركب في نفس الوقت ذاهباً مع الصوفية للاعتذار

السيد ، فمقابلا عند مفترق طريق نيسابور ، واحتضن كل منهما الآخر ، وسأله عن حاله ، وأخذا يعتذران لبعضهما ، ويطلب كل منهما من الآخر أن يعود ، حتى قال السيد الأجل : إذا كان الشيخ قد قبل عذري ، فليعد حتى أذهب وأعتذر إليه . فأجابه الشيخ : الأمر لك ، ورجعا كلاهما إلى الخانقاه . واعتذر كل من هذين العظمين إلى الآخر كثيراً ، وصفت نفوس الجميع وقال السيد الأجل : إذا كان الشيخ قد عفا عني فليحضر إلى منزلي الليلة . وذهب الشيخ في تلك الليلة إلى قصر السيد الأجل ، (ص ٢٣٨) وأعد السيد وليمة فاخرة ، وتمتع أهل الخانقاهين بتلك الليلة في القصر . وظهر إعزاز السيد الأجل الكبير للشيخ ، وأصبح من مريديه ؛ بحيث أنفق من أجله ثلاثين ألف دينار خلال المدة التي قضاها الشيخ في نيسابور .

حكاية :

روى أن درويشا نهض في مجلس الشيخ ، وقص قصة طويلة . فقال له الشيخ : احس أيها الرجل لأعلمك كيف تتحدث . فجلس الرجل . وقال له الشيخ : ماذا تريد من هذه القصة الطويلة ؟ عندما تريد أن تسأل شيئاً فقل هكذا : إن الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، وأنا في حاجة إلى الشيء الفلاني . فقال الرجل سأفعل هكذا ، هل تأذن لي بأن أقول ذلك ثانية ، لأرى هل تعلمت أم لا ؟ فقال له الشيخ : قل . فقال الرجل : الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، وأنا في حاجة إلى عمارة الشيخ . فقال الشيخ : بارك الله لك فيها ، وخلع العباءة وسلمها إليه . ولما أنهى المجلس ، ذهب مریدو الشيخ إلى الرجل ، وطلبوا منه أن يبيعهم العباءة بمائة درهم فلم يقبل . وأخذوا يزيدونها حتى بلغت ألفاً ، فباعها . وأحضروها

للشيخ فلم يقبلها . وأعادها إلى ذلك الدرويش ، وترك له النقود ، وأصبح الدرويش من خواص المريدين .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث في ميهنه يوما، وكان حمزة صانع السكاكين ، وأحدمريدى الشيخ، وموضع حبه الكثير ، يقطن قرية أزجاد . وكان فى كل يوم سيكون فيه مجلس الشيخ ، يخرج من أزجاءه في وقت معين ، بحيث يصل إلى ميهنه في الميعاد الذى يخرج فيه الشيخ من زوايته ، ويجلس فى مكانه . وفى هذا اليوم تأخر حمزة أكثر من المعتاد . (ص ٢٣٩) وأخذ الشيخ يسأل عنه ؛ لأنه كان درویشا نخعا ، وسالكا متحمسا . فى أثناء الحديث وصل حمزة ، فالتفت الشيخ إليه وقال : ادخل يا حمزة، ثم قال : (رباعية) .

لقد زينت البيت كله بوجهك
وجعلت وجوهنا مثل النار بخمرك
وزدت سرورنا إلى ستة أمثاله
أسعد الله حياتك فقد أسعدتنا

فانبعث الصياح من المجلس ، وظهرت الأحوال .

حكاية :

فى يوم من الأيام اعترت الشيخ حال من القبض ، فخرج من ميهنه إلى سرخس كعادته . ولما وصل إلى « دستجرد » ، رأى لقمان السرخس ، فسأله : إلى أين تذهب يا أبا سعيد؟ فقال إننى ذاهب إلى سرخس ، لأننى متقبض القلب . فقال له : عندما تصل إلى سرخس بلغ سلامى إلى سيدها .

حكاية:

قال الشيخ أبو سعيد: كنت عند الشيخ أبي الفضل في مرخس ، فدخل شخص وقال له : لقد ألم بلقمان مرض ، وعجز عن السير ، وقال لي احملني إلى رباط « بورجا » . وقد مضت ثلاثة أيام منذ نقل إلى هناك، لم يتكلم خلالها قط . واليوم قال لي : قل للشيخ أبي الفضل إن لقمان ذاهب فهل تريد شيئاً ؟ . وعندما سمع الشيخ أبو الفضل ذلك قال : منذهب إلى هناك ، ونهض . وذهبنا جميعاً . وعندما رآه لقمان ابتسم ، جلس الشيخ أبو الفضل عند رأسه وأخذ لقمان ينظر إليه وزفر زفرة حارة ولم يحرك شفثيه . فقال واحد من الجمع : لا إله إلا الله . فابتسم لقمان وقال : أيها الشاب ، لقد دفعنا الخراج وأخذنا الصك وبقينا على التوحيد . فقال الدرويش : ينبغي أن تتذكر نفسك أخيراً . فقال لقمان : هل تأمرني بالعريضة وأنا على أعتابه ؟ . فسر الشيخ أبو الفضل وقال: إنه يقول الصدق.

ومات - لقمان - بعد ساعة ، وهو ينظر إلى الشيخ ، ولم يطرأ على نظره أى تغيير . واختلط الأمر على الناس ، فقال بعضهم إنه (ص ٢٤٠) مات، وقال البعض الآخر إنه لم يمِتْ لأن بصره لازال صحيحاً . وقال الشيخ أبو الفضل : لقد مات ، ولكنه لن يغلق عينيه مادامنا جالسين ؛ لأن الأحبة لا يغلقون عيونهم عن الأحبة . ثم نهض الشيخ أبو الفضل ، وأغلق لقمان عينيه .

حكاية:

روى أنه عندما وصل الشيخ أبو سعيد إلى « قاين » أقاموا له عدة ولائم . وفي أحد الأيام كانوا قد أقاموا وليمة للشيخ ، فلما حضر ، أرسلوا شخصا لاستدعاء السيد أبي سعيد الحداد ، وكان من عظماء العصر ، فقال : لقد مضت أربعون

عاماً أكلت فيها من طعامى ، ولم أتناول خلالها طعام أحد قط . فأبلغوا الشيخ ذلك . فقال : منذ خمسين عاماً وأنا لم أكل من طعامى ، ولا من طعام شخص آخر ، وكل ما أكلته كان من طعام الحق ، وعرفت أنه له .

حكاية :

وحدث أيضاً عندما كان الشيخ فى قايى أن كان فيها أمام عظيم يقال له محمد القابنى ، وكان يزور الشيخ دائماً ، ويذهب معه إلى الولايم . وذات يوم دعى الشيخ إلى ولية ، فذهب فى رفقته . وظلوا يقيمون السماع والرقص حتى أذن المؤذن للصلاة ، فقال الإمام محمد : الصلاة ، الصلاة . فقال الشيخ : إننا فى صلاة ، وظل يرقص . فخرج - الإمام محمد - من بين الجميع ، وأدى الصلاة ، ثم عاد إليهم . ولما فرغوا من السماع ، التفت الشيخ إلى جماعة الصوفية وقال : لا يوجد فى الدنيا من مشرقها إلى مغربها رجل أعظم وأفضل من هذا الرجل ، ولكنه لا علاقة له بالتصوف قدر شعرة .

حكاية :

روى أنه اجتمع يوماً عند الشيخ فى نيسابور جماعة من كبار الصوفية ، مثل أبى محمد الجوينى ، والأستاذ إسماعيل الصابونى ، والأستاذ أبى القاسم القشبرى ، وأخذوا يتساءلون عن الورد الذى يقرأه كل منهم فى الليل . ولما جاء دور الشيخ سأله (ص ٢٤١) ماوردك ؟ . فقال : إننى أقول كل ليلة : يارب ، هب المدراوىش شيئاً يأكلونه فى الغد . فنظر كل منهم إلى الآخر ، وقالوا : أيها الشيخ ، أى ورد هذا ؟ . فقال الشيخ : إن المصطفى عليه السلام قال : « إن الله تعالى فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » ، فاعترفوا بأن ورد الشيخ أنهم من أورادهم . نص .

وفي هذه الحكاية مغزى أراد الشيخ به أن يقول لهم إنكم تقرأون الأوراد ، وتصلون من أجل ثواب الآخرة ، وطلب المنزلة ، وهذا من أجل أنفسكم . وإذا كنتم تريدون الخير ، لطلبتموه أيضا من أجل معاصريكم . وجميع أورادى ودعواتى موقوفة على طلب الخير للغير ، وهذا أتم .

وقد وجد مثل هذا فى أقوال أحد كبار الشيوخ ؛ فقد كان يقول فى مناجاته : اللهم اجعل أعضائى وجوارحى فى يوم القيامة من الكثرة بحيث تملأ طبقات الجحيم السبع فلا يبقى فيها مكان لأحد ، واجعل كل عذاب سوف تعذبه لعبادك جميعاً من نصيب نفسى ، حتى أخذ حق منها ، وأراها كما أريد ، وينجو العباد من العقاب .

حكاية :

قال إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى : قال لى والدى الشيخ أبو محمد الجوينى يوماً : انهض واذهب إلى الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير ، واحفظ كل ما يقوله لك ، لتذكره لى . فذهبت إلى الشيخ وسلمت عليه . فسأنى عن الأحوال ، وقال لى : ماذا تتعلم ؟ قلت : الجدل ، فقال الشيخ : لا ينبغي الجدل ، لا ينبغي الجدل . فعدت إلى والدى ، وحدثته بما ذكره الشيخ . فقال والدى : لا تتعلم الجدل بعد اليوم ، وتعلم الفقه وعلم المذاهب . فمرت وفق هذه الإشارة ، حتى وصل علمى إلى هذه الدرجة ، ببركة نظريهما .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يسير إلى مدينة هراة ، وفى رفقته جمع كبير من الصوفية والمقرئين . ولما وصل إلى قرية « ريكا » ، وهى قرية على بعد فرسخين من المدينة ، كان بها رجل (ص ٢٤٢) يدعى الشيخ أبا العباس الريبكى ، له أخ

كبير من خيرة رجال عصره ، وكانا متلازمين دائماً ، ويمسكان كعادة أهل هراة جوسقا ، ويقمان فيه . وقد اعتادا دعوة كل من يصل إلى القرية من الصوفية لينزل ضيفا عليهما ، ويؤديا له واجبات الضيافة . وكانا ينكران السماع .

ولما وصل الشيخ إلى القرية ، أنزلاه في الجوسق ، وأعدا له ما تيسر من الطعام . ولما فرغوا من الأكل قال الشيخ : انشدوا شعراً . فقال الشيخ أبو العباس : إننا لم نعتد ذلك . فقال الشيخ للقول : تعال وانشدنا شيئاً . فأنشد القول بعض الشعر ، فتمسكت الشيخ حال ، ونهض ، وأخذ يرقص ، والجميع يوافقونه . وأظهر الشيخ أبو العباس استنكاره لذلك ، فأمسك الشيخ بيده ، وجذبه إليه ليرقص معه . وأخذ يجذب نفسه منه ، فقال له الشيخ : انظر ، فنظر إلى الصحراء في الخارج ، فرأى جميع الجبال والأشجار والمباني ترقص مع الشيخ . فاندمج أبو العباس مع الشيخ في الرقص دون وعي ، وأمسك بيد أخيه قائلاً له : تعال ، فلا طاقة لنا على مقاومة هذا الرجل . ورقص الأخوان كلاهما ، وتحلوا عن إنكارهما ، وأظهرا الرغبة في السماع بعد ذلك .

وأما الشيخ اليوم في ذلك المكان . وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة هراة ، ولما بلغ بوابة المدينة قال : لقد دخل الإسلام هذه المدينة ، لكن الكفر لم يخرج منها . وعندما دخل الشيخ المدينة ، ذهب إلى الخانقاه التي يقيم فيها خاله . وتقدم خال الشيخ من فوق الخانقاه ، ورأى كل منهما الآخر . ولم يره الشيخ بشيء قط ، ورجع من ذلك المكان ، وذهب إلى قصر قاضي هراة (ص ٢٣٣) وجلس دون حجاب . وأخبروا القاضي بحضور الشيخ ، فجرى إليه عاري التمدين ، وجلس أمامه على ركبتيه ، وقال له : أيها الشيخ ، عظمي . فقال الشيخ : « حب

الدنيا رأس كل خطيئة». ولم يقل أكثر من هذا ونهض . وتوسل إليه القاضى أن يبقى ساعة فلم يقبل .

وفى الطريق، تقدم شخص من أهل هراة إلى الشيخ، وأمسك بعنان جواده، وأخذ يسير معه . وسأله أثناء السير قائلا : أيها الشيخ، مارأيك فى الآية التى تقول «الرحمن على العرش استوى» . فأجاب الشيخ : لدينا فى ميهته نسوة من العجائز يقان إن الله موجود، وليس هناك عرش . وأخذ الشيخ يسير حتى خرج من البوابة ، ووصل إلى مكان فيه بئر كبيرة ، وقد اعتادوا أن يسمونه بئر يعقوب . وكان هناك رجل قد وقف على حافة البئر ، فأخذ يصيح قائلا : تعالى يا جوهر . فأطأت من القمر سيدة عجوز ، سوداء اللون ، مجدرة الوجه، كبيرة الاسنان ، قبيحة الشكل . ورأى الشيخ وجماعة الصوفية تلك المرأة . فقال الشيخ : لا يوجد لمثل هذا البحر أفضل من هذا الجوهر .

واتجه الشيخ إلى البوابة التى يسمونها باب السرة . ولما وصل إليها ، كان عندها رجل قال كلمة تألم منها الشيخ . وأشار الشيخ إلى أنه لا يوجد على تلك البوابة قبة كما هو الحال فى البوابات الأخرى ، ثم خرج الشيخ من بوابة المدينة . وكان كثير من الخلق قد خرجوا لوداعه ورؤيته ، فالتفت الشيخ خلفه وقال : «يا أهل هراة ، إنى أراكم بخير ، وإنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» ، ولم يقل الشيخ أكثر من هذا ، وسار ، ولم يبق فى هراة ساعة واحدة .

حكاية :

(ص ٢٤٤) روى عن عدة أشخاص من العظماء وأبناء الشيخ أبى عبد الله الأنصارى أن شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى قال : أردت فى أوائل شبابه

أن أكون صوفيا. وتمنيت أن ييسر الله لي هذا الأمر. وأخذت أمارس الرياضات، وأقوم بخدمة شيوخ الطريقة. وعظمت الدينونة الوكنت أستعين بالدعاء ، لكنني رغم هذا كنت أقول الفاحشة ؛ فقد كانت تجري على لساني وظل الأمر . على هذا النحو حتى ذهبت إلى نينابور: يوما ، وكانت بها الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز ، فذهبت لزيارته ، وكان قد جلس ووقف بين يديه أحد المريدين يقلب لفتا مسلوقة في مسحوق من السكر، ويعطيه له. فيا كاه. ولما دخلت عليه ، كانت بيده لفته أكل نصفها ، فوضع بيده النصف الثاني في فمي . ومنذ ذلك الوقت لم تجر على لساني فاحشة قط ، أو شيء غير لائق ، وفتح لي باب التصوف. وكل ما يجري على لساني من أقوال إنما هو بفضل نصف اللفته الذي وضعه الشيخ بيده المباركة في فمي .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا سعيد كان قد اقترض في وقت من الأوقات بمدينة ميهنة مبلغ خمسمائة دينار ذهبي من أجل الدراويش . وقال لحسن بن المؤدب يوما : أعد الجواد لاذهب إلى أبي الفضل الفراتي ، فهو يستطيع سداد هذا القرض .

وسار الشيخ وفي رفقة جماعة الصوفية . وأخبر درويش أبا الفضل الفراتي أن الشيخ قادم للاقتراض منه . وذكر له ما قاله الشيخ في ميهنة . فخرج أبو الفضل لاستقبال الشيخ في حفاوة كبيرة ، وأنزله في مكان طيب، وأنفق عليه مالا كثيرا ، وأقام له الولائم ثلاثة أيام ، ولم يتوان لحظة عن خدمة الشيخ ، طوال هذه الأيام الثلاثة .

وفي اليوم الرابع،-(ص ٢٤٥) وقبل أن يتفوه الشيخ بكلمة في هذا الموضوع

أويشير إليه ، أعطى ابو الفضل حسن بن المؤدب خمسمائة دينار نيسابورى وقال له :
هذه من أجل قرض الدرايش . وأعطاه مائة دينار أخرى ، وقال : وهذه من أجل
الطعام فى الطريق . ومائة دينار ثانية ، وقال : وهذه من أجل نفقات السفر .

وذهب حسن بن المؤدب إلى الشيخ ، وحديثه بالامر : فسأل الشيخ أبا الفضل
عن الدعاء الذى يدعوه له ، فقال : ما يفضل به الشيخ . فسأله الشيخ : هل أدعوك
الحق سبحانه وتعالى ألا يمنحك الدنيا ؟ فقال : لا أيها الشيخ ، فلو لم تكن الدنيا ، لما
جئت إلى هنا ، ولما استراح قلبك . فقال الشيخ : يا الهى لاتدعه لدنيا ، وأجعل
الدنيا زاداً له لا وبالا عليه . وقد شملته بركة دعاء الشيخ هو وأولاده ، فأصبح من
من كبار الصوفية ، ووصل أبنائه إلى الدرجات الرفيعة ، سواء فى الدين أو الدنيا ،
وأصبحوا من مشاهير خراسان .

حكاية :

عندما كان الشيخ أبوسعيد فى نيسابور قال لحسن يوماً : انهض واحضر
قوالاً . وخرج حسن وبمحث ، فلم يجد أحداً . ولما عجز عن العثور على أحد القوالين ،
أرشدوه إلى شاب فى حانة . وذهب حسن لحضاره ، فوجده نملًا . فرجع إلى
الشيخ وقال له : لقد بحث فى جميع المدينة فلم أجد أحداً إلا شاباً نملًا . فقال له
الشيخ : ينبغى إحضاره . فأحضر حسن الشاب إلى الشيخ ، فقال له الشيخ :
أنشدنا شيئاً أيها الشاب . فأنشد الشاب بيتاً مكسوراً ، غير مفهوم ؛ لأنه كان
نملًا ، ثم استسلم للنوم . وقال الشيخ : هيئوا له نوماً مريحاً . فنام الشاب ساعة ، وعندما
استيقظ صاح قائلاً : أين أنا ؟ فاقترب منه حسن وقال له : لقد طلبك الشيخ
لتنشد شيئاً . فأخذ يتقدم ببطء ، وهو يتعثر فى كل خطوة ، حتى وصل أمام الشيخ ،
وقبل أقدامه وقال : لقد تبت . فربت الشيخ على رأسه ، وأرسله إلى الحمام ،

وطلب من الخلاق أن يخلق له ، (ص ٢٤٦) فخلق له رأسه ، وألبسه ثوب الشيخ . وقام بخدمة الدراويش في الخاقاه ثلاثين عاما بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

وحدث أيضا عندما كان الشيخ في نيسابور أن قال يوما : أعدوا الجواد . فأعدوه . وركب الشيخ ، وسار في رفته جمع من الدراويش . وفي وسط السوق اقتربت من الشيخ امرأة مطربة ، ثملة ، ذات وجه مكشوف ، مزينة ، فصرخ فيها الدراويش قائلين : إبتعدي عن الطريق . فقال الشيخ : كفوا أيديكم عنها . ولما اقتربت منه المرأة قال الشيخ :

« بيت »

— أهكذا تأتي إلى السوق مزينة ثملا ،

ألا تخشى أيها الحبيب أن تقع في الأسر ؟

فتماكنت المرأة حال ، وبكت كثيرا ، وذهبت إلى مسجد في تلك الناحية ، ونادت واحدا من مريدي الشيخ . فقال له الشيخ : اذهب لترى ماذا تريد . فذهب الدراويش . ووضعت المرأة كل ما كانت تلبسه من ثياب وحلي في أزار ، وأعطته ، للدرويش ، وطلبت منه أن يوصلها للشيخ . فأحضرها الدراويش للشيخ ، وأبلغه رسالتها . فقال الشيخ : باركها الله . وأمر بأن ينفقوا كل ما تملكته عنه المرأة في شراء الحلوى والخبز والبخور الزكي . وأتجه الشيخ وجماعة الصوفية إلى الصحراء لتأدية الصلاة في المدينة . وكان جمع كبير من عامة الخلق يسرون خلف الشيخ ، فأحضر الحمالون الطعام ، ووضعوه كله أمام الجميع ، ودعوهم إليه . ولم يشاركهم الصوفية . ووقف الشيخ مع الصوفية في ناحية ينظرون إلى الناس ، ووضعوا العود والبخور على النار . وأخذ العود يحترق ، وانتشرت رائحته في الهواء ، وغمرت

النشوة الشيخ ، فأخذ يصرخ ، قائلا : كل ما يأتي بالنفس ، يذهب بالدخان والريح .
وعندما فرغ الناس من الطعام (ص ٢٤٧) ذهب الشيخ إلى المدينة .

وظلت المرآة المطرزة ثابتة على توبتها ، وأصبحت من جملة السيدات الصالحات ،
ببركة كرامة الشيخ قدس الله روحه العزيزة .

حكاية : حبيب

قال السيد الشيخ أبو الفتح رحمة الله عليه إنه عندما كان في نيسابور كان
سيف الدولة واليا عليها ، وكان من جملة السلاطين الكبار . وذات يوم جاء
لزيارة الشيخ في الخانقاه ، وبكى كثيرا ، وأظهر تواضعه وقال : أرجو أن يقبلني
الشيخ أبنا له . فقال له الشيخ : يا إبراهيم ، لقد أحرزت درجة رفيعة ، فلا ينبغي
أن تعجز عن القيام بحقها . فقال : سأقوم بها إن شاء الله ببركة همه الشيخ . فقال
له الشيخ ، هل تعاهدني على ألا تعظم ، وتقصر أيدي الجنود حتى لا يظلمون
الراعية ؟ قال : أعهذك ، فقال له الشيخ : لقد قبلتك ابنا لي . فعظمه سيف الدولة
وخرج . واتبع العدل والسيرة والحسنة حتى اشتهر بالعدل والإنصاف في خراسان .
وكانوا يضربون المثل بمروءته ، بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، حدث يوما أن كان يعظ في خانقاه الأستاذ
الإمام . وفي أثناء عودته من هناك إلى محلة عدني كوبان ، قابله في الطريق إبراهيم
ينال أخو السلطان طغرل . فلما اقترب من الشيخ ، ترجل عن جواده ، وأخنى رأسه
تحية للشيخ . فقال له الشيخ : أحسن رأسك أكثر ، ففعل . فقال الشيخ : أحنها
أكثر . فأحناها حتى اقتربت من الأرض . فقال الشيخ : انتهينا ، اركب بسم

الله : فتركيب ، وسار الشيخ إلى الخلقاء . وسأل الدرويش نفسه ما هذا الذى فعله الشيخ مع أخى السلطان طغرل ؟ . فالتفت إليه الشيخ وقال : أيها الدرويش . ألا تعرف أن كل من يسلم علينا إنما يسلم علينا من أجل الله ؟ . إن قالى هو القبلة التى يتقرب إليها الخلق ، ولست أنا المقصود فى نفسى ، إنما المقصود هو الحق جل جلاله . وكل تبجيل للحق سبحانه وتعالى كلما كان أقرب إلى الخشوع كان أكثر قبولاً . ولهذا أمرت إبراهيم ينال بتبجيل الله تعالى ، لا بتبجيل شخصى . ثم قال الشيخ : لقد جعل الله الكعبة قبلة المسلمين (ص ٢٤٨) ليسجد الخلق له ، أما الكعبة نفسها فلا قيمة لها . وجعلنا قبلة الخلق ليحترموه فىنا ، ولا قيمة لنا بأنفسنا . فسقط الدرويش على الأرض ، وأدرك أن ما يفعله الشيوخ لا يصل إليه تفكير أى شخص ، وأنه لا يمكن الاعتراض على ما يفعلونه لا بالظاهر ولا بالباطن ؛ لأنه لا يمكن أن يكون إلا حقاً .

حكاية :

فى رواية صحيحة نقلها عن السيد الإمام أبى على العثمانى أنه قال : سمعت الشيخ أبا سعيد يقول : رأيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى النوم ، وعلى رأسه تاج ، وفى وسطه حزام . وقد وقف أمير المؤمنين على رضى الله عنه عند رأسه ، ووقف أبو القاسم الجيد وأبو بكر الشبل بين يديه . فسلمت عليه وسألته : « يارسول الله ما تقول من أولياء الله ؟ » ، فقال المصطفى : « هذا منهم ، وأنت آخرهم ، فإذا مضيت أنت لشأنك لا مذكر أحد بعدك » وأشار إلى كل واحد منهم .

ويقول جامع هذه الاقوال - المؤلف - سمعت الإمام عبد الرحيم يقول في طوس إنه سمع والده السيد الإمام عبد الكريم الإزجائي يقول : سمعت الشيخ أبا سعيد بن أبي الخير يقول : رأيت المصطفى صلوات الله عليه في النوم ، فقال لي : يا أبا سعيد ، كما أني آخر الأنبياء ، فأنت آخر الأولياء ، وإن يكون بعدك ولي . وخلص خاتما من يده وأعطا لي .

حكاية :

في وقت من الأوقات كان الشيخ يعظ في ميهنة . وفي أثناء ذلك وصل درويش من ماوراء النهر ، ودخل إلى المكان وجلس . وأتم الشيخ المجلس في ذلك اليوم ، وحياء الدرويش ، وأقام لديه ثلاثة أيام . وكان يجلس كل يوم في مجلس الشيخ ، والشيخ يلتفت إليه ، ويقول أقوالا طيبة . وفي اليوم الرابع وقف الدرويش في وسط المجلس وصاح قائلا : أيها الشيخ ، أريد (ص ٢٤٩) أن أعرف أي رجل أنت ، وما أحوالك ؟ . فقال له الشيخ : أيها الدرويش : أنا رجل لأربط كيبي ، ولأتعارك مع الناس . ولما سمع الدرويش ذلك القول جلس . وعندما فرغ الشيخ من الحديث أسرع الدرويش عائدا إلى بلده .

وكان في ماوراء النهر شيوخ كبار ، اعتادوا أن يجلسوا في حلقة ، ويتبادلون فيها الحديث . فلما جلس بينهم ، وتحدث كل منهم في موضوع ، وجاء دوره قالوا له : هيا ، حدثنا عما رأيت في خراسان . فقال : رأيت في ميهنة شيئا كان يعظ وعظا جيدا لا أذكره كلمة ، وقد سأله أي رجل أنت ، وما أحوالك ؟ . فقال لي : أنا رجل لأربط كيبي ، ولأتعارك مع الخلق . فبهض الشيوخ دفعة واحدة ، وتوجهوا

إلى خراسان، وسجدوا تعظيماً للشيخ. قائلين إن مثل هذا الشخص يستحق التعظيم،
لأنه لم يبق له من نفسه شيء قط .

حكاية :

عندما ذهب الشيخ إلى نيسابور ، ظل أبو القاسم القشيري لا يراه عاما ، وكان
منكره ، يد أن الناس كانوا ينقلون إليه كل ما يفعله الشيخ ، وينقلون إلى الشيخ
أيضا كل ما يصنعه الأستاذ الإمام ، وكلما كان الأستاذ الإمام يتحدث في حق
الشيخ مظهر الإنكار له ، كانوا يخبرون الشيخ بذلك ، ولم يكن الشيخ يعقب
عليه بشيء .

وذات يوم قال الأستاذ الإمام : ليس هناك ما هو أكثر من أن أبا سعيد
يحب الحق سبحانه وتعالى ، والحق سبحانه وتعالى يحبنا . ويوجد فرق كبير بين
الحالين ، فأنا كالقيل ، وأبو سعيد كالبعوضة .

وقل رجل هذا القول إلى الشيخ فقال له : اذهب إلى الأستاذ الإمام ، وقل
له : أنت البعوضة أيضا ، أما أنا فإست شينا قط ، ولا جود لي . فذهب الدراويش
وأبلغ الأستاذ الإمام هذا الكلام ، فلم يذكر بعد ذلك شيئا يسيء إلى الشيخ . ثم
جاء إلى مجلس الشيخ ، وتبدل ذلك الإنكار بالألفة . وقد دونت هذه الحكاية
في ذلك الوقت .

حكاية :

وأيا (ص ٢٥٠) عندما كان الشيخ في نيسابور ، مرض أحد الأئمة
الكبار ، فذهب الشيخ لعيادته ، وجلس إليه . وبينما كان الشيخ يسأله عن حاله ،
دخل جمع من وكلاء أعمال هذا الإمام ، وأخذ أحدهم يقول يلزم لقان كذا من

البذور ، ويقول الآخر تلزم عمارة لفلان ، وظلوا يتحدثون على هذا النحو ، وهو يحجبهم ، وقد أنهمك في الحديث تماما ، ولما تنبه لنفسه ، اعتذر للشيخ ، فقال له الشيخ : الأفضل للسيد الإمام أن يموت . فأفاق الإمام لنفسه ، وأدرك أنه أخطأ ، وأن الحق في جانب الشيخ . فاعتذر إليه قائلا : إن نظري لا يرقى إلى حيث يضم الشيخ قدمه . واستغفر عن ذلك .

حكاية :

وأيضا عندما كان الشيخ في نيسابور ، حدث أنه كان ذاهبا يوما إلى مقبرة الحيرة . وعندما بلغ قبور المشايخ ، رأى هناك جماعة كانت تشرب الخمر ، وتدفق الدفوف ، فتأثر الصوفية ، وأرادوا أن يعتدوا عليهم ، فمنعهم الشيخ . ولما اقترب منهم قال لهم : جعلكم الله مسرورين في الآخرة ، على نحو ما أنتم عليه من السرور في الدنيا . فهضوا جميعا ، وقبلوا أقدام الشيخ ، وسكبوا الخمر ، وحطموا الدفوف وتابوا ، وأصبحوا من خيرة الرجال بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد ذاهبا إلى « مرورود » ولما وصل « بغشور » ، وجدها مدينة سيئة ، ووجد أهلها رجالا أخياراً ، عظماء ، أكثرهم من الأئمة ، وأهل التقوى .

وكان في « بغشور » ثلاثمائة رجل من أهل الفتوى والدين . وكان جميع أهل المدينة صالحين . ويقال إنه في وقت من الأوقات أراد واحد من عمال السلطان أن يفسد في تلك المدينة ، (ص ٢٥١) فاجتمع أهلها ، سواء العوام منهم والخواص ، الصغار والكبار ، وقالوا لن ندع أحدا ينشر الفساد في مدينتنا ، أو يرتكب

مَعْصِيَتِهِ أَوْ يَعْلَمُ أُنْبَاءَنَا بِمَارَسَةِ الْفِعَالِ . وَبَلَغَ الصَّرَاحَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مَدَى بَعِيدًا ، وَلَمْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ فِي النِّهَايَةِ ، أَوْ يَتْرَكُوهُ يَنْفِذُ مَأْرَبَهُ .

وعندما وصل الشيخ بعشور قال : هذه المدينة جسيم لأهل الجنة . وسار منها إلى « مرورود » . ولما رأى القاضي حسين رحمة الله عليه الشيخ أبا سعيد في هذه المدينة ، أصبح من مريديه ، أقام الشيخ هناك ثلاثة أيام .

وكان أحد الدراويش يحتمل بختان ولده ، ودعا الشيخ والصوفية ، فذهبوا إليه . وبعد أن فرغوا من تناول الطعام ، أقاموا السماع . وغمرت التشوة الشيخ ، وركب جواده على تلك الحال ، وذهب إلى الخانقاه والصوفية في رفقته ، والقوالون ينشدون ، وأخذوا يسرون على هذا النحو ، حتى بلغوا قلب المدينة . وأنكر الناس عليهم ذلك ، وذهبوا إلى القاضي حسين ، وأطلعوه على ما حدث . فكتب حسين رقعة إلى الشيخ يقول له فيها : إن الناس يظهرون أنكارهم ، ويشكون في هذه الحركة . فكتب الشيخ على ظهر الرقعة هذا البيت ، وأعادها إليه :

« يعلت »

بـ في — لقد صار هذا الطبع السيء تعويذه لذلك ؛

— ن السيد علي الوجه الجميل ، وإلا لأصابته عين السوء .

وعندما قرأ القاضي هذا البيت ، بكى ، وزال الإنكار عن الناس .

حكاية :

روى أنه عندما اذهب الشيخ إلى مرو وحدث ما حدث من الشيخ أبي على سياه والسيد الحجاز ، على النحو الذي مر ذكره من قبل ، خرج الشيخ من الخانقاه

وأخذ يسير إلى الصحراء . وكان أحد السادة يسير في ركابه بحكم أنه من مرديه .
ولما بلغ الشيخ قصر السيد ، أمسك بعنان جواد الشيخ ، ودعاه قائلاً : يجب أن
يدخل الشيخ قصرى ، ويشرفنى بزيارته . فدخل الشيخ والصوفية القصر . وكان
به عمود كبير (ص ٢٥٢) تركز عليه عدة أخشاب ، وكانت أكثر العمارات محملة
على عمود على هذا النحو . وعندما وقع بصر الشيخ على ذلك العمود قال :
« لاستوائك حملت ما حملت » . وما أن ذكر الشيخ هذه العبارة ، حتى قال السيد :
حقاً أيها الشيخ ، لقد أفقت كثيراً على هذا العمود ، وطفئت كثيراً ، وتحملت
المشاق حتى أحضرته إلى هنا ، ولا يوجد عمود أكبر منه في المدينة كلها . فقال
الشيخ : سبحان الله !... أين نحن ، وأين هذا الرجل ! ونهض وبارح القصر ،
ورفض البقاء ، رغم إلحاحهم عليه ، وذهب من هناك إلى رباط عبد الله المبارك ،
ولم يبق بمرور ، وعاد إلى ميهنة .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتوح رحمه الله : عندما كان الشيخ قدس الله روحه
العزیز فی نيسابور ، أحضروا له ثوباً خيوط حديثاً ، وغسلوه ، ووضعوه على الحبل
ليجف ، فضاع الثوب . وأخذ كل شخص يقول من الذى يجرؤ على عمل كهذا ؟ .
وكان الشيخ قد جلس فى رواق الخانقاه فلم يقل شيئاً . وكان هناك رجل مسن
جلس بجوار الشيخ أبى سعيد ، وكان أبوسعيد يحبه كثيراً . وقال الصوفية منبث
فى الزوايا ، وزى أين نجد الثوب . . وبدأوا بالرجل الذى كان يجلس إلى جوار
أبى سعيد ، وفتشوه ، فوجدوا ثوب أبى سعيد مربوطاً على وسطه . ولما رآه
أبو سعيد قال : أخرجوا متاعه إلى الطريق . فأخرجوه إلى باب الخانقاه ، وخرج
الرجل ، وذبح ولم يره أحد بعد ذلك مرة ثانية .

حكاية:

روى أن تاجراً كان قد أحضر للشيخ جارية تركية ، وكانت تلك الجارية تقوم بخدمة الشيخ، وتعتقد فيه اعتقاداً شديداً ، فمذبح الشيخ لابنه السيد (ص ٢٥٣) أبي طاهر . وجاءت إلى الشيخ وبكت وقالت له: أيها الشيخ، لا أدري لماذا تبعدني عن خدمتك ؟ . فقال لها الشيخ : إن أبا طاهر قطعة مني ، وأنا لا أبعدك عن خدمتي عندما تكونين عنده . فذهبت الجارية إلى خدمة أبي طاهر ، وظلت في الوقت نفسه تقوم بخدمة الشيخ ، وأصبحت موضع إعجاب الجميع في تدينها وتقواها ، حتى لقد قال لها الشيخ ، في يوم من الأيام :

« بيت »

— من الذي أتى بك من التركستان .

قولي له يذهب ويحضر مثلك .

وكانت تلك الجارية والدة السيد أبي الفتح .

في أقوال الشيخ أبي سعيد التي قالها :

* قال أبو سعيد : كنت أسير حتى وصلت إلى قرية على حدود بلاد الجبل يقال لها « طرق » فنزات بها ، وسألت : هل كان يرجد هنا أحد من الشيوخ ؟ فقالوا أجل ، شخص يدعى « دادا » . فسرت إلى قبر ذلك الشيخ ، وزرته فشمعت بالراحة التامة . وخرجت جماعة من القرية ، فسألهم : هل رأى أحد « دادا » لأسأله عنه ؟ فجابوا : يوجد رجل رآه في أواخر أيامه . فأرسلت شخصا ليحضره . وكان رجلاً ذاهية فسألته : أيها الشيخ ، هل رأيت دادا ؟ فجاب : كنت صغيراً عندما رأيته . قلت : ماذا سمعت منه ؟ قال : لم تسكن

لدى القدرة على أن أنهم كلامه ، ولكنى أتذكر قولاً من أقواله . فطلبت إليه أن يذكره . فقال : دخل عليه صوفي ذات يوم وحياء وقال له : لقد أسرعت إليك أيها الشيخ لأنال الراحة على يديك ، فقد طفت العالم ، ولم أحصل على الراحة قط ، ولم أر مجرباً . فقال له دادا : أيها الغافل ، لماذا لم تستعد الآخرين لتستريح أنت (ص ٢٥) ، ويستريح بك الخلق أيضاً ؟ .

قلت : لقد قال كلاماً عظيماً ، وتم مقصودنا ، وتعبت أنت ، فعد إلى بيتك . ثم التفت الشيخ - أبو سعيد - إلى واحد من القوم وقال : « ما كل هذا إلا نفسك : إن قتلتها وإلا قتلتك ، وإن صدمتها وإلا صدمتك ، وإن شغلتها وإلا شغلتك » .

ثم قال الشيخ : « لا يصل الخلق إلى الخلق إلا بالسير إليه ، ولا يصل الخلق إلى الخلق إلا بالصبر عليه ، والصبر عليه يقتل النفس والهوى » فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

حكاية :

قال الشيخ : في يوم من الأيام مر رجل دهرى على حلقة أبي الحسن النورى ، وكان يتحدث عن الحق ويقول : إن الصوفية يسمون الله « الحق » في لغتهم ، وفي كل لغة يسمون الله عز وجل باسم آخر ، فبعضهم يسميه « الرحمن » لأنه يمنحهم الرزق . وبعضهم يسميه « الرحيم » لأنهم يريدون الجنة ، وبعضهم يسميه « الملك » لأنهم يريدون المنزلة . وكل شخص يحتاج إلى شيء يسميه باسم ذلك الشيء . والصوفية يسمونه « الحق » لأنهم لا يمدون أيديهم إلى غيره ، ولا يتطلعون إلى شيء . ثم قال : وقولهم أكثر طهرا ، لأنهم يقولون الحق . وعندئذ قال الدهرى لأبى الحسن

النورى : أولئك الذين يقولون « الحق » مامعنى قولهم هذا ؟ فقال : معناه .
ذلك الذى يغمر الخلق بنعمه الكثيرة ، وهو فى غنى عنهم جميعا .

ثم قال الشيخ : إنه السبحان ، وأطهر من كل مايقولون وما يفسكرون . والله عز وجل تسع وتسعون اسما فى القرآن والتوراة والإنجيل والزبور . وأعظم هذه الأسماء السبحان ، وعندما تقول السبحان ؛ فقد قلتها جميعا . وإذا قلتها جميعها ، ولم تقل السبحان ؛ فكأنك لم تقل شيئا . وكلها مرتبطة بهذا الإسم ، فإذا ماقلته ، فتحت لك جميعها ، وأمحت الذنوب .

وكما أن المسبحة تتكون من ألف حبة على رأسها واحدة كبيرة تسمى المؤذن ، وإذا ما تنقطعت انفطرت جميعها ، كذلك عندما تقول السبحان تجد أسماء الله جميعها . (ص ٢٥٥) فيجب أن تجتهد كثيرا فى أن تقول السبحان .

وجميع المخلوقات تقول « سبحان » ولكنك لا تسمعها ! لأنك أنت فيه من غفلة . فهذه البلايل التى تنفى بآلاف الألحان تقول سبحان الله ، ولكنك لا تسمع إلا الألحان . والله تعالى يقول : « وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

حكاية :

قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : رآنى بعضهم فى النوم أتحدث وأنا ميت وروحى ملققة ، وأذا أتكلم . وكان شيخى يقول : لا تتحدث ، إلى الناس ، وإذا تحدثت نقل . كما قال الشيخ : حين مات بقى هو فقط . مات العبد وهو لم يزل .

قرأ مرقىء هذه الآية أمام الشيخ : « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك

إلى معاد » فقال الشيخ : لقد قال المفسرون في هذه الآية : أراد به فتح مكة ، وأنا أقول إنه لم يذكر القسم من أجل فتح مكة ، وإنما أراد به لقاء الإخوان .

حكايات وفوائد

جرت هذه الفوائد متفرقة على لسان الشيخ أبي سعيد المبارك :

* قال شيخنا إن عمر بن الخطاب سأل كعب الأحمري : أى آية في التوراة وجدت بها أكثر إيجازاً ؟ فقال كعب : وجدت في التوراة أن الحق سبحانه وتعالى يقول : « ألا من طابني وجدني ، ومن طاب غيري لم يجدني » وقد كتب في مقابل هذا : « قد طال شوق الأبرار إلى لقاءى ، وأنا إلى لقاءهم أشوق » .

* قال الشيخ : (ص ٢٥٦) قال بايزيد البسطامي إن الحق سبحانه وتعالى فرد فينبغي أن تبحث عنه بالتفريد ، وأنت تبحث عنه بالمداد والورقة ، فكيف تجده ؟

* قال الشيخ : قال بعض الحكماء : « ولدت بأكيا والناس يضحكون ، فاجتهد أن تموت ضاحكاً والناس يبكون » .

« بيت »

- إنني أضحك عندما يتحدثون عنك ،

وتصعد روحي وأنا ضاحك .

* قال الشيخ إن الشبلى قال : كل من أطلع على مقدار ذرة من علم التوحيد يعجز عن حمل بعوضة ، من ثقل ما وضع على عاتقه .

* قال شيخنا :

« بيت »

— منذ اعتنقت عشقك ،

طردنى الثعلب الأعرج من عربى .

* قال شيخنا : « أشرف كلمة فى التوحيد قول النبى صلى الله عليه وسلم :

« سبحان من لم يجعل خلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » .

* قال الشيخ : قال يوسف بن الحسين : كل من وقع فى بحر التوحيد يزداد ظمأ

كل يوم ، ولا يرتوى أبدا ، ولا ينطفئ ذلك الظمأ إلا بالحق .

* قال شيخنا إن الجنيد قال : ذلك التوحيد الذى للصوفية ، من قبيل فصل

الحديث عن القديم ، والخروج من الوطن ، ورؤية الحن ، وترك ما يعرف وما لا يعرف ، وبدلا من هذا كله يكون الحق .

* قال الشيخ : جاء رجل إلى ذى النون المصرى وقال له أدع لى . فقال ذو

النون إذا كان لك سبق فى علم الغيب يكون جميع الدعاء سابق لك فى علم التوحيد . وإلا فكيف ينبجى صياح النظارة ومراخيم التريق ؟ .

« بيت »

— لو أننى حملت حبك معى إلى القبر ،

أصيح ، وإن كنت أرى منك الفضل .

* قال الشيخ : سئل السيد أبو الحسن البوشنجى رحمة الله عليه : ما الإيمان؟

وما (ص ٢٥٧) التوكل ؟ . فقال : الإيمان : أن تأكل مما تجده أمامك ،

وتمضغ اللقمة وأنت مرتاح القلب ، والتوكل : أن تعلم أن مالك لن يفوتك .

* قال الشيخ إن أبا عبد الله الرازي قال : عصف بي البرد والجوع ، فتكاسلت - عن القيام للصلاة - وسمعت هاتفا يقول لي : هل تظن أن العبادَةَ صلاة وصوم ؟ أن تخضع نفسك لأحكام الله تعالى أفضل من الصلاة والصيام .

* سئل الشيخ : ما التصوف ؟ فقال : التصوف كله شرك . فقالوا : لماذا أيها الشيخ ؟ . فقال : لأن التصوف حفظ القلب من الغير والسوى ، ولا يوجد غير أو جزء .

* قال الشيخ : كان الجنيد قد جلس يوما مع جماعة من الدراويش وأخذ يتحدث في أفضال الحق ونعمه جل جلاله . فقال درويش « الحمد لله » . فقال الجنيد : قل الحمد تاما كما قال الله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » . فقال الدراويش : ومن يكون هؤلاء العالمون حتى يقرنوا به ؟ . فقال الجنيد : قلّه تاما لأنك عندما تقرن الحديث بتقديم يتلاشى الحدث إلى جانبه ويبقى القديم .

* قال الشيخ : كان الشبلي يقول كثيرا : « الله ، الله ، الله » . فسألوه لماذا تقول الله ، الله ، ولا تقول « لا إله إلا الله » فأجاب : إنني أخجل أن أذكره على لسانى بالإنكار ، وأخشى أن أموت وأنا أقول « لا إله » ولا أصل إلى « إلا الله » .

قال الشيخ : « لا إله » طريق التصوف . و « إلا الله » نهايته ، وبالم يستقم الشخص في « لا إله » سنوات ، لا يصل إلى « إلا الله » .

* : قال الشيخ قال معاوية بن أبي سفيان : حيث تكفى السياط لا أمر بالسيف ، ولو

أن ما بيني وبين الخلق شعرة ما انقطعت ؛ لانه عندما يجذبونها أرحيها ، وعندما يرخونها أجذبها .

* (ص ٢٥٨) قال الشيخ : يقولون في كيلة ودمنة إن الشخص لا يقدر على السلطان القوي إلا إذا سلمه رقبته . ومثل هذه الأعشاب الغضة ، فهي كما هبت عليها الريح ، أسامت نفسها لها لتلقيها على الأرض ، فتنجو في النهاية . أما الشجرة الكبيرة التي لا تسلم ، فإن الريح تقتلعها من جذورها . وعندما ترى الأسد وتشعر بالخوف منه ، تدرج على الأرض ، وتواضع حتى تنجو ؛ لأن الأسد قوي ولكنه كريم . ولا يخذل العدو الضعيف ؛ لأن البغل القوي ينفر من التبن الضعيف ، بل إنه يهلكه . والنار لا تحرق فتيلة على نحو ما تحرق العداوة قليلة . والعتاب أفضل من الحقد الدفين . وجرح الناصح الأمين أفضل من سلام العدو المبين .

* قال الشيخ : مثل الأدب لللاحق كالنماء تحته الخنظل ، كما شربت منه أكثر ، ازداد مرارة .

* قال الشيخ : إن العاقل هو الذي عندما يعرض له أمر من الأمور يجمع الآراء جميعا وينظر فيها ببصيرته ، حتى يخرج منها بالصائب ، ويترك الآخر . كالشخص الذي يضيع منه دينار في التراب ؛ فإنه إذا كان ماعرا ، جمع التراب الذي في تلك الناحية ، ونخله بغربال حتى يظهر الدينار .

* قال الشيخ : كان لأعرابي ابن توفي فجزع عليه كثيرا . فقالوا له اصبر فقد وعد الحق الصابرين بالنواب . فقال : كيف لمن كان مثلي أن يصبر على قدرة الحق سبحانه وتعالى ، فوالله إن الجزع منه أحب إليه من الصبر ، لأن هذا الصبر يسود القلب .

* ذكر شيخنا عن الشبلي أنه قال : كان هناك صديقان تعودا أن يصحبا بعضهما في الإقامة والسفر . وتصادف أن اضطررا إلى أن يعبرا البحر . (ص ٢٥٩)
ولما وصلت السفينة إلى منتصف البحر ، صعد أحدهما على حافتها فسقط في الماء قضاء . فألقى الصديق الآخر بنفسه في الماء خلفه . وأوقفوا السفينة ونزل النواصون إلى الماء وانتشلوهما سالمين . وبعد أن استراحا ساعة قال الصديق الذي سقط أولا لصديقه : لنفرض اننى سقطت في الماء فما الذى أوقعك أنت ؟ . فقال : لقد غبت بك عن نفسى حتى ظننت أننى أنت .

* قال الشيخ : كان للخليفة ابنة عم يحبها ، وكانا قد جلسا يوما على حافة بئر فسقط خاتم الخليفة فيها ، فحامت الفتاة خاتمها وألفته في البئر . فدأها الخليفة لم فعلت هذا ؟ . فقالت لقد جربت الفراق عندما بعد كل منا عن الآخر ، فلم أرض أن يشعر خاتمك بوحشة الفراق ، فجعلت خاتمي مؤسالا .

* قال الشيخ :

(شعر)

- يا من وجهك مثل النهار دليل للموحدين ،
- ويا من شعرك مثل ليل المالح في اللحد .
- يا من أنا ، مثلك ، مقدم على جميع العشاق ،
- أنت المقدم على الحسن كما تقدم على الكلام « قد » .
- إن المكي يفخر بالكعبة والمصريين بالنيل .
- والمسيحي يفخر بالأسقف ، والعلويون بالجد .

- وأنا عبدك أفخر بعينيك السوداءين تلك ،

الباديتين تحت نقابك فوق الخد !

* قال الشيخ : وقف صبي في حلقة الشبلى وقال له : يا أبا بكر اجعلنى غائباً عن نفسي ثم أعدنى إليها حتى أكون معه كما كنت . فقال له الشبلى : من أين لك هذا القول فأنت أعمى أيها الغلام . فقال . من أين أجد هذا يا أبا بكر إن لم يجعلنى أعمى فيه ؟ ثم فر من أمامه .

* قال الشيخ :

(بيت)

- إذا أبصرتنى أبصرته ،

وإذا أبصرته أبصرتنا .

* (ص ٢٦٠) قال الشيخ : يقول يحيى بن معاذ الرازى : طالما يكون العبد فى الطالب يقال له : ماشأنك بالاختيار ، لست حراً فى اختيارك . وعندما يفنى العبد يقال له : إذا كنت ترغب فاترك لأنك إذا اخترت فاختيارك بنا ، وإذا تركت فتركك بنا . فاختيارك اختيارنا ، وفعلك فعلنا .

* قال الشيخ : يقول سهل بن عبد الله إن أصعب حجاب بين الله والعبد هو الادعاء . قال الشيخ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يقبل من ... صادقاً كان أو كاذباً لم يرد على الحوض » .

* قال الشيخ : يقول عبد الله بن الفرج العابد : عدت على نفسى أربعة

عشر ألف نعمة في يوم وليلة ، من ناحية واحدة . قيل له وكيف عدتها ؟ . قال :
عددت أنفاسي فكانت أربعة عشر ألف نفس في يوم وليلة .

* قال الشيخ : يقول محمد بن حسام إن الطبيب الذي يعطيك دواء مرأ
لكي تشفى ، يكون أكثر إشفافاً عليك من الذي يعطيك الحلوى لتمرص .
وكل جاسوس يحذرك لتسلم ، يكون أكثر عطفاً عليك من الشخص الذي
يطمئنك عما تخاف منه بعد ذلك .

* قال الشيخ : قال ملك لوزير : ماذا ينبغي للرجل لكي يكون شريفاً ؟ .
فأجاب أن تجتمع فيه سبع خصال ، فقال : ما هي ؟ . قال : الأولى : همة الأحوار ،
والثانية : حياء المذاري . والثالثة : تواضع العبيد . والرابعة : سخاء العشاق .
والخامسة : سياسة الملوك . والسادسة : علم الشيوخ وتجربتهم . والسابعة : عقل
غريزي مختف .

* قال الشيخ : يقول أبو جعفر القاني : سمعت والدي يقول : إن الرجال
يفخرون بأربعة أشياء ، لكنهم لا يعرفون معناها ، وهي : الحسب والغنى
والعلم والورع . وقد ظنوا أن الحسب (ص ٢٦١) شرف النسب ، والحسب هو
الخلق الطيب . وظنوا أن الغنى كثرة المال ، والغنى هو غنى القلب . والعلم نود
يلقيه الله تعالى في قلب العبد . والورع هو الامتناع عما حرم الله .

* قال الشيخ : كان لأعرابي جارية تدعى زهرة . فقالوا له : أتريد أن
تكون أمير المؤمنين وتموت جاريك ؟ . فقال : كلا ، لأن زهرة ستموت ، وأمور
الامة سوف تختل .

* قال الشيخ: قال مزارع لوكيله: اشترى حمارا لا يكون صغيرا ولا كبيرا، بحيث يصوننى فى المنخفضات والمرتفعات ، ولا يعجز فى وسط الشدة ، ويسير مستقيما فى الطريق الوعر، وإذا أعطيته علقا قليلا صبر، وإذا أعطيته كثيرا امتلا . فقال له الوكيل: ياسيدى ، إننى لأعرف هذه الصفات إلا فى أبى يوسف القاضى ، فاطلب من الله أن يجعله حمارا من أجلك .

* قال الشيخ : جاء رجل يهودى إلى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقال: ياأمير المؤمنين ، من يكون الله عز وجل ؟ وكيف يكون ؟ فتغير لون على وقال : إن إلنا لصفة له ولا كيف ، وهو لا يتغير أبدا ، وليس له بداية ، وهو سابق على البداية ، وليس له غاية ولا نهاية ، وجميع الغايات تنقطع بدونه ، لأنه غاية الغايات .

فقال اليهودى إننى أشهد أن كل من يقول غير هذا على ظهر الأرض يكون باطلا . « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » .

* يقول سيد الطائفة الجنييد : لن تشعر بالتوحيد إلا فى الوقت الذى يكون لله حق عليك ، لأنه طالما لم تؤد هذا الحق لا يكل شعورك به .

* (ص ٢٦٢) قال الشيخ : فى وقت من الأوقات أتى درويش من البادية، وتحمل مشقة كبيرة ، وكان معه رفيق ، فوصلا الكوفة ، وذهبا إلى حديقة نخيل ، وسأل الدرويش شيئا . فقال له صاحب الحديقة : ادخل ، واصعد النخلة ، وكلى يتدر ما تستطيع ، واحمل معك ماترى . فصعد الدرويش على النخلة ، وجلس رفيقه تحتها . وأنزلت قدم الدرويش من مكانها ، وسقط عن الشجرة ، ودخلت شوكة من النخيل فى بطنه ، ومزقتها حتى صدره . ونظر ذلك الدرويش ، ولما رأى بطنه ممزقة قال : الحمد لله أننى لم أمت حتى لأراك وقد حققت مرادك ، معدة

خاوية وبطن ممزقة ، وروح زاهقة ، لأن جزاءك في الآخرة سوف يكون أسوأ من هذا. وتقدم ليرى بطنه ويربطها . وعندما رفع ذيله قال الدرويش هذا البيت :
اليوم لا يرفع غيري ذيلي .: ليلي نهاري ونهاري ليلي

قال الدرويش : لم تبق هنا خيانة .

* قال الشيخ : سوف يكون جمال الله ونواله عذرا لخيانة العباد ، ففى عقوة عنك إظهار لألوهيته ، وفى عقوبته لك إظهار لجرمك .

* قال الشيخ : مرض سرى السقطى ، وذهب الجنيد لعيادته ، وحمل معه مروحة ليروح له فقال له سرى : يا جنيد ، إن النار تزداد حمية من الريح . فقال الجنيد : كيف ؟ . فقال سرى : « عبد ملوك لا يقدر على شيء » . فقال له الجنيد أوصني ، فقال : لا تشغل عن صحبة الله بصحبة الأغيار . قال الجنيد لو أننى سمعت هذا من قبل لما صحبتك أنت أيضا .

* قال الشيخ : « أوحى الله تعالى إلى داود ياد اود قل لعبادى إني لم أخلقهم لاربح عليهم ولكن خلقهم ليربحوا على » .

* قال الشيخ . كان أبو بكر الكتانى رجلا عظيما . وكان ذا علم ومجاهدات كثيرة ، بحيث لم يبلغ أحد درجته . وواحدة من مجاهداته أنه (ص ٢٦٣) جلس فى مكة ثلاثين عاما تحت قبة ، وكان يتطهر مرة واحدة كل يوم وليلة ، وهذا صعب لأنه لم ينم قط ، بل إن النوم لم يكن يأتيه فى مجلسه هذا .

وذات يوم دخل شيخ مهيب من باب بنى شيبه ، واقترب منه ، وحياء وقال له : يا أبا بكر ، لماذا لم تذهب إلى مقام إبراهيم لأن الناس اجتمعوا هناك ، ليستمعوا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعه أنت أيضا . فقد

جاء شخص يعرف أخباراً عظيمة ، وأخذ يملئها عليهم . فرفع أبو بكر رأسه وقال له : أيها الشيخ ، ذلك الذي يروى - أخبار الرسول - عن يرويها ؟ . فقال : عن عبد الرزاق بن صنعان ، عن معمر الأزهرى ، عن أبي هريرة . فقال له : أيها الشيخ ، لقد ذكرت اسناداً طويلاً ، وكل ما يتحدثون عنه هناك بالإسناد والخبر ، أسمعهم هنا بدون إسناد . فقال الشيخ : ممن تسمعه ؟ قال : حدثني قلبي عن ربي . فقال الشيخ : وما دليلك على هذا ؟ . قال دليلي هو أنك الخضر . قال الخضر : لقد كنت حتى ذلك الوقت أظن أنه لا يوجد ولى لم يعرفنى الله به ، حتى رأيت الشيخ أبا بكر الكتانى الذى عرفنى ولم أعرفه .

* قال الشيخ : جاء الأستاذ أبو على الدقاق إلى - الشيخ - أبى على شبوي في مرو ، وكنت عندئذ بها .. وكان الشيخ شبوي يحدثنا ، يحفظ صحيح البخارى ، وقد استمعت إلى صحيح البخارى منه . وكان مطلعاً إطلاعا تاماً في هذه الناحية . فأحضر الأستاذ أبا على ليتحدث عن شيء ، وقال له : حدثنا في هذا المعنى . فقال الأستاذ أبو على : إن الحديث في هذا الأمر مغلق على . فقال الشيخ شبوي : يجدر بنا أن نعد لك ما تريد حتى تحدثنا فيما تريد . فهذا المعنى نادر ، ويحتاج إلى وقود . فقبل الأستاذ أبو على ، وعقدوا له مجلساً ، وكان الحديث لا يأتيه وهو على المنبر إذ لم يسكن الناس أهلاً له ، ودخل الشيخ من باب المسجد ، ولما رآه الأستاذ ، هباً له الحديث . وعندما انتهى المجلس ، قال الشيخ شبوي : لقد كنت على النحو الذى كنا نحن عليه .

* (ص ٢٦٤) قال الشيخ : تلزم الحاجة ، فليس للعبد طريق أقرب إلى الله من الحاجة . ولو أنها وقعت على الحجر الصلد ، لفجرت منه عيون الماء . فالأصل هو هذا ، وهو للدرايش ، وتلك رحمة الله معهم .

* قال الشيخ : في وقت من الأوقات في فصل الصيف ، كان الجو حاراً

جدا في وقت القيلولة . ورأيت الشيخ شبوي يسير في هذا الحر والغبار ، قفلت له :
إلى أين أيها الشيخ ؟ . فقال : إلى هذه الخاتمة القريبة ، ففيها دراويش ، وقد
سمعت أن كل من يقضي وقت القيلولة بين الدراويش ، تمطر عليه مائة وعشرون
رحمة في اليوم ، وخصوصا في هذا الوقت الذي أذهب فيه .

قال الشيخ : أربط نفسك بهم ، وادعهم إلى مصادقتك .

قال الشيخ : كان سرى السقطي يملك حانوتا في بغداد ، اعتاد أن يجلس
فيه . ولم يكن بالханوت شيء يبيعه ، وكان قد علق على بابه ستارا ، وأخذ يصلى
خلفه . وجاء رجل من جبل اللكام لتحيته . فأرشدوه إلى مكانه ، فدخل
السوق ، وسار حتى بلغ الخانوت ، ورفع الستار وحياه . وقيل لسرى : لقد حياك
الشيخ فلان من اللكام . فقال : أين ذهب ؟ قيل : لقد عاد إلى الجبل .
فقال السري : لم يكن رجلاً . وإنما الرجل الذي يكون في السوق بين الخلق
وهو مشغول بالله ، ولا يكون ، بقلبه ، خالياً منه لحظة .

* قال الشيخ : كان الشيخ أبو العباس يقول كثيرا : كل مريد يقوم بخدمة
واحدة لدرويش أفضل له من مائة ركعة يزيدا في الصلاة . وإذا أنقص من طعامه
لقمة واحدة أفضل له من أن يصلى طول الليل .

* قال الشيخ : طاف درويش كثيرا ، وسافر طويلا ، فلم يشعر بالراحة ، أو
يجد شيئا . وانقبض قلبه ، ونام تحت شجرة شوك ، وغطى رأسه بدثارة ، فشر
قلبه بالراحة . فرفع رأسه إلى السماء (ص ٢٦٥) وقال : « يارب أنت معي في
السكاء وأنا أطلبك في البوادي مذكذا » .

* قال الشيخ : خرج الجنيد يوما فرأى صبيّا خرج من مكان وقال له : أيها الشيخ ، إلى متى انتظرك ؟ . فقال الجنيد : أعنّ وعدي ؟ . فقال : نعم ، سألت مقلب القلوب أن يحرك قلبك إلى . فقال الجنيد: صدقت ، ماذا تريد ؟ . فقال الغلام : لقد جئت لتجيبني عن قول : « إذا خالفت النفس هواها صار دواها » . فقال الجنيد : نعم فالعلل تجذب المرء ، وإذا ما خالف الهوى صار مرضه شفاء له .

* قال الشيخ : قال المرتعش : قمت بالحج عدة مرات مجردا ، بدون زاد ، ولا دلو ، ولا شيء . وعرفت أنني فعلت هذا كله بسبب هوى النفس . فسألوه كيف ؟ . فأجاب : لأن والدتي قالت لي يوما أحمل البجرة ، فحملتها ، وأحسست بالتعب . فأدركت أنني فعلت هذا كله وفق هوى النفس .

* قال الشيخ : يقول سفيان الثوري : إذا قال لك شخص « نعم . الرجل أنت » وسرك ذلك أكثر من أن يقول لك « بئس الرجل أنت » فاعلم أنك رجل سيء .

* قال الشيخ: في وقت من الأوقات وصل نساك إلى منصب الوزارة، فكان ينهض كل يوم وقت الفجر ، ويخرج المنتاح ، ويفتح الباب ، ويقضي ساعة في مصنعه — ثم يخرج منه ، ويذهب إلى خدمة الأمير. فأخبروا الأمير بما يفعل. فتهجرق شوقا لأن يعرف ماذا يوجد في ذلك المكان . وذات يوم تبع الوزير متخفيا إلى ذلك المكان، فرأى مغارة نلى شاكلة مغارة النساكين. ورأى الوزير يدير الآلة ، فسأله : ما هذا ؟ فأجاب الوزير : إن كل ما أنا فيه من نعم ملك للأمير ، ولسكني لم أنس بدايتي ، فأنا أذكر نفسي بها حتى لا أقع في خطأ . فخلع الأمير خاتمه (ص ٢٦٦) من أصبعه وقال له : خذه وضعه في أصبعك، وإذا

كنت قد بقيت إلى الآن وزيرا فأنت منذ الآن أمير ، وهذا الملك لك ، وهر يليق بك .

* قال الشيخ : كان بايزيد يركب أسدا ، ويتخذ الأنفى سوطا ، وكان يقول : هل توجد درجة أعلى من هذه بين الناس . وعندما كان يصلى يقول : « إلهى بسترى عشنا ، فلورفعت عنا غطاءك لافتضحنا » .

* قال الشيخ : كان أبو على الدقاق يتحدث فى أحد المجالس ، وكان الحماس قد تملكه ، واستولت النشوة على الناس . وقال رجل : يا أستاذ ، إننى أرى هذا كاه ، فأين الله ؟ فقال : وكيف أعرف ، إننى أيضا أصرخ بسبب هذا . فقال له مادمت لاتعرف فلا تتحدث . فقال : وماذا أقول إذن ؟ .

* قال الشيخ : قيل لبايزيد : ماذا تقول فى شخص يسافر من أجل الله وهو معه ، لماذا يسافر ومقصوده . يتحقق فى مكانه ؟ قال : تتوسل الأراضى إلى الحق تعالى قائلة : يا إلهى ، أرنى وليا من أوليائك ، وأضىء عيني بمقدم حبيب فيوحى الحق تعالى إليهم بالسفر ، حتى يتم مقصود تلك البقعة .

* قال الشيخ : كان فى مدينه مرو رجل فاضل ، لم يكن يفادر منزله قط ، وتصادف أن خرج يوما وجلس فى المسجد . فأحضر شخص طعاما ، ووضع أمامه ، فمد يده ، وأخذ يأكل قليلا قليلا . وعندما انتهى من الطعام ، دخل كلب واتجه إليه ، وأمسك بذيله . فقال له الرجل : من السهل على أن أؤذيك ، وأنا لا أخشاك ، وأعترف من الذى أرسل إليك ، ومن الذى عين لذلك ، ولكن الآخرين غافلون . ولا أدرى إذا كانوا سيتركونك أم لا . وبعد لحظة دخل المؤذن ومعه عصا وضربه ضربة محكمة فصرخ الكلب . والتفت الرجل إليه وقال له : أرأيت

كيف (ص ٢٨٧) قالت لك إننى لا أخشاك ولكن لأعرف ما إذا كان الآخرون ستركونك أم لا ؟ إن الصديق لا يخشى صديقه .

(ص ٢٦٧) قال الشيخ : قال رجل لشيخ في سمرقند : اكتب لنا بعض الآيات القرآنية فقال له الشيخ : منذ ثلاثين عاما وأنا معلق بكلمة واحدة وهى : « ونهى النفس عن الهوى » ولم أنه منها بعد .

* قال الشيخ : يؤتى بابلوس يوم القيامة بين يدى الله ، ويقال له هل أضللت هؤلاء الخلق جميعا ؟ . فيقول : كلا ، ولكنى دعوتهم ، ولم يكن من الواجب عليهم أن يستجيبوا لى . فيقال له : اذهب الآن ، واسجد لآدم ، حتى تنجو . فيدوى الصياح فى العرش أن اسجد لى ننجو نحن وأنت من هذه المحنة ، فيأخذ فى البكاء ويقول : لو كان ذلك متوقفا على رغبتي ، لسجدت له من أول يوم .

* قال الشيخ : ذهبت إلى أبى بكر الجوزقى وقلت له : ارو لى حديثا ، ففتح كتابا ، وروى لى هذا الحديث : إن الله عز وجل جيشين أحدهما فى السماء يرتدى الأردية الخضراء ، والآخر فى الأرض وهو جيش خراسان . والصوفية الآن هم جيش الأرض ، فهم يريدون أن يستولوا على جميع الأرض .

* قال الشيخ : كان لأحد الصوفية ابن محبوب اسمه أحمد . وكان يريد شخصا يتحدث معه عنه . ولما لم يجد أحدا ، ذهب إلى حيث يوجد الاجراء ، وقال لواحد منهم : كم تريد أجرا عن يوم ؟ . قال ثلاثة دراهم وطعاما . فاصطحبه إلى المنزل ، وأحضر له طعاما ، وأعطاه ثلاثة دراهم ، وقال له : إجلس لا تحدث إليك عن أحد ، وحرك رأسك إعجابا كما تحدث إليك . ومضت ساعة قال الأخير بعدها : أيها

السيد ، إذا كان لديك عمل آخر فدعني أقوم به ، لأن اليوم يمر ببطء ، فقال الرجل : إن هذا هو عملي معك فقط .

* (ص ٢٦٨) قال الشيخ : كان في قريتنا رجل أجبر جواده لآخر ، فهلك الجواد . فقال الرجل . إنني أستطيع أن أدفع ثمنه . فقال صاحب الجواد : لا أريد إلا جوادى ، واشتبكنا معا ، وتجمع الرجال من هنا وهناك . ولم يمض بعض الوقت حتى قتل ألف رجل ، وترملت نساؤهم ، وتيتمت أطفالهم ، وتخربت بيوتهم ، وكان هذا كله بسبب جواد ذلك الرجل .

* رأى أحد رجال السلطان محمود السلطان في النوم فقال له : كيف حال السلطان ؟ . فقال : صه ، فليست سلطانا هنا ، وليست شيئا . إنه هو السلطان ، ولقد كان ذلك خطأ . فسأله الرجل : وماذا حدث لك بعد الموت ؟ . فأجاب : لقد أحضرت إلى هنا ، وسئلت عن كل صغيرة وكبيرة . لقد سلب غيرى بيت المال ، وترك لى الحسرة والالْم .

* قال الشيخ : اعتمد زكريا عليه السلام على الشجرة وقال : يارب ، قل لهذه الشجرة أن تحمىنى . فعاتبه الله سبحانه وتعالى وقال له : اتعتمد على الشجرة ؟ انظر ماذا يحدث لك . وعندما احتوته الشجرة ، ظل جزء من ردائه خارجها . وجاء الناس إلى الشجرة ، ورأوا ذلك الجزء ، فقالوا : ماذا يوجد فى داخل هذه الشجرة ؟ . وأحضروا فأسا . وقطعوا أعلى الشجرة ، وأخذوا يقطعون منها ، حتى وصلوا إلى رأس زكريا ، فتأوه . فقيل له : اصمت ، إنك أنت الذى اعتمدت على الشجرة ، فلماذا تنأوه الآن ؟ لو أنك اعتمدت علينا لحينناك .

* قال الشيخ : قال رجل لآخر : تعالى لاستضيئك . فقال : حقاً ؟ فأجابه :

وإذا كنت تقبل ، فإنني أحضر شخصا ليس ملك شيئا . فقال الرجل : اعطني أولا من هذا الشراب اللذيذ فأعطاه بعض الشراب فشرب الرجل وانتشى ، وقال لمضيفه : إذا أعطيتني (ص ٢٦٩) عدة كؤوس أخرى من هذا الشراب ، فلا حاجة بي إلى الجماع ، بل أقوم أنا بإسماع ألف شخص ؛ لأنني في كل وقت أتناول فيه الشراب تصبح أعضائي السبع آذانا ، وأسمع جميع السماع ، « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » .

* كان الشيخ يقول : الريح . في أيديهم وفي يد سليمان أيضا « وسليمان الريح » . اعلم أن - سليمان - طاب التملك ، وسوف يحتفظون له بالدنيا في السماء أربعين عاما ، ويذهب إلى الجنة بعد جميع الرسل بأربعين عاما .

* قال الشيخ : لقد قال الشيوخ إن الله يحب من يبتليه ويحذبه ويقذف به من هذا المكان إلى ذلك المكان حتى يذله ، ولا يبقى من قوته شيئا . وعندئذ يتجلى بنور بقائه على ذلك العبد الطاهر .

قال الشيخ : كان أبو حفص حدادا يضرب الحديد بالمطرقة . فأمر غلامه أن يدقوا المطرقة لتتطهر . ثم قال : دقوا المطرقة ثانيا . فقالوا : أيها الاستاذ علام ندق ؟ ... لقد تطهرت ولم يبق شيء . ولما سمع أبو حفص ذلك سقط في الحال ، وصرخ وألقى المطرقة من يده ، وتحلى عن حانوته ، وأصبح شيخا عظيما .

* قال الشيخ : قيل لأُمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه : فيمن تأمل ؟ قال : في شخص لم يخلقه الله تعالى . قالوا : أيها الشيخ ، ماذا يأملون من شخص لم يخلقه الله ، فإنه لا يعلم شيئا ؟ قال شيخنا : ليس هو المخلوق الذي تظنون أن الله لم يخلقه ، وإنما هو المخلوق الذي خلقه هكذا وأودعه كل هذه الصفات ، وهي كلها تطهره تماما ، ثم يسلبه ذلك تماما مرة أخرى ، فكأنه المخلوق الذي لم يخلقه ولم تكن فيه كل هذه النقائص .

ثم قال الشيخ : لقد كان الشيخ أبو الحسن الخرقاني يقول إن الصوفي غير مخلوق لهذا السبب.

* قال الشيخ : « قال رجل لعبد الله بن مبارك : أسلم على يدي يهودي ، فقطعت (ص ٢٧٠) زناره . فقال : قطعت زناره ، فما فعلت بزنارك ؟ » .

* قال الشيخ : « قيل لأعرابي : هل تعرف الرب ؟ قال : ألا أعرف من جوعني وعرائي وأقترني وطوفني في البلاد » كان يقول هذا ويتواجد .

* كان الشيخ يعظ يوماً . وفي وسط الحديث ، التفت إلى الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري وقال له : ألم تقل إن الأستاذ أبا إسحاق الاسفراييني قال « الناس كلهم في التوحيد عيال على الصوفية » ، قال : نعم . قال الشيخ : استمعوا إلى ما يقول .

* قال الشيخ : عندما ذهبت إلى أبي عبد الرحمن السلمي ، ورأيت له لأول مرة قال لي : سأكتب لك مذكرة بخط يدي . فقلت : تفضل ، فكتب بخطه : « سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد السلمي يقول سمعت أبا القاسم جنيد بن محمد البغدادي يقول : التصوف هو الخلق ، من زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف . وأحسن ما قيل في تفسير الخلق ما قاله الشيخ الإمام أبو سهل الصعلوكي : الخلق هو الإعراض عن الاعتراض » .

* كان شيخنا يقول كثيراً : جلس شيخ في سفينة ، وتناول طعامه ، وكان قد بقي رغيف جاف ، فحمله إلى فمه ، ولكن أسنانه لم تستطع مضغه . فكسره بيده ، وألقاه في البحر . فأقبل الموج وسأله : من أنت ؟ . فقال : رغيف جاف . فقال له : مادام أمرك قد انتهى إلى فسوف تصير رطباً .

* قال الشيخ : كنت في مدينة مرو ، فرأيت صرافا شينخا ، فقال لي : أيها الشيخ ، لا يوجد في العالم كله من يعطيني شربة ماء ، أويسلم علي . وجميع الناس يريدون أن يتحرروا من أنفسهم ساعة ، وأنا أريد أن أعرف لساعة واحدة أين أقف ؟ وفي أواخر عمره سقطت عليه نار واحترق .

* قال الشيخ : كان هناك رجل يملك مالا كثيرا ، ففكر في أن يستغله في التجارة . وركب سفينة ، (ص ٢٧١) فتحطمت السفينة ، وغرق ماله ومتاعه . وجميع من كانوا بالسفينة . وبقي وحده معلقا بلوح من ألواحها . وبلغ جزيرة خالية ليس بها مؤنس . ومرت عليه سنوات ، فاستولى عليه الضيق والحزن . وذات ليلة كان قد جلس على شاطئ البحر عاريا ، وقد استرسل شعره ، ولبيت ملابسه . فأخذ يردد هذا البيت :

إذا شاب الغراب أتيت أحلى وهيهات الغراب متى يشيب
فسمع صوتا آتيا من البحر يقول :
« بيت »

عسى الكرب الذي أُمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
أيها الرجل ، لا تيأس ، ألا تعرف أن هذه الشدة والألم الذي أنت فيها الآن قد يظهر بعدها الفرج ؟ .
وفي اليوم التالي وقعت عين ذلك الرجل على البحر ، فرأى شيئا كبيرا ، فلما اقترب كان سفينة أهله . وعندما رأوه سألوه عن حاله ، فقال إن قصتي طويلة . وذكر لهم قصته ، وأخبرهم عن بلده ، فسألوه : ألم يكن لك ولد ؟ قال : كان لي ولد صغير . وعندما سمعوا ذلك ، قبلوا الأرض بين يديه ، وقالوا له : هذه سفينة ابنك ، ونحن جميعا غلماناه . ثم ألبسوه بعض الملابس ، وقالوا له : إذا أردت فإننا نعود الآن . ثم عادوا معه ، وأوصلوه إلى بلده .

* قال الشيخ : (شعر) :
عندما تتأزم الأمور تنفرج ،
وعقب كل غم يزداد الفرح .

* قال شيخنا : كان عالم يأتي من « ازجاء » إلى مسجد في محلة
« ناوسار » في وسط ميهنه ، وكان يعقد مجلسا وعندما ينتهي المجلس يصيح
(٢٧٢) قائلا : « ثم ردوا إلى الله مولا هم الحق ألا له الحكم وهو أسرع
الحاسين » .

* كان الشيخ قد جلس يوما ، ونهض شاعر لينشد شعرا ، وبدأ
يقول :

ماذا تريد . الأرض والزمان من هذا الدوران
فقال له الشيخ : كفى ، كفى ! اجلس فقد أفسد قولك طعم الشعر .
* قال الشيخ : كان أبو حامد الدوستانى يسير في طريق مع رفيق ، فقال
الرفيق : يوجد هنا صديق فانتظر حتى أدخل وأؤدي صلاة الرحم . فجلس أبو
حامد ودخل الرجل ولم يخرج في تلك الليلة ، وسقط ثلج عظيم في الليل ،
وخرج الرجل في اليوم التالي فرأى أبا حامد يتحرك وسط الثلج ، والثلج
يتساقط منه . فقال الرجل : أما تزال هنا ؟ فقال : ألم تقل لي ابق هنا ،
والأصدقاء يوفون .

* قال الشيخ : أرسل كلب الروم رسولا إلى أمير المؤمنين عمر رضي
الله عنه . وعندما جاء وسأل عن منزله أرشدوه إليه فقال لنفسه : ما هذا
الخليفة الذي بعثت إليه . وعندما بلغ المنزل تعجب ، وسأل الحاضرين عن
عمر فقالوا إنه ذهب إلى المقابر فذهب خلفه ، فوجده نائما على الرمال في
المقبرة ، فقال الرسول : حكمت وعدلت فلا جرم أن نمت آمنا سعيدا ، أما
ملكنا فقد حكم ولم يعدل ، وأقام الحراس على السطح ، ولم ينم آمنا .

* قال الشيخ : كنت في مرو ، وكان بها سيدة عجوز تدعى « سيارى » ، فجاءت إلى ، وقالت : يا أبا سعيد ، لقد جئت إليك متظلمة . فقال لها الشيخ : قولى مظالمك . فقالت : إن الناس يدعون دائماً قائلين : يا الهى لا تدعنا لانفسنا طرفة عين ، وقد مرت ثلاثون عاما وأنا أقول : يا الهى دعنى لنفسى طرفة عين ؛ لأرى من أنا ، ومن أكون ، ولم يتحقق هذا بعد .

* (ص ٢٧٣) قال الشيخ : مر رجل على مجلس يحكى بن معاذ الرازى ، وكان يخط الناس وينصحهم ، فقال له الرجل « ما أعرفك بالطريق وما أجهاك رب الطريق ! » .

* قال الشيخ : قيل للشيخ أبى الفضل حسن : أدع الله الايسقط المطر . فقال حسنا . وفى تلك الليلة تساقط الثلج فى قطع كبيرة . فقيل له : ماذا فعلت ؟ فقال شربت مرطبا ، يعنى : كنت متعشا وكان الجو لطيفا أيضا .

* قال الشيخ : قيل للشيخ أبى الفضل حسن : أدع لاسلطان محمود ؛ فربما يشفى . ففكر لحظة ثم قال : إن هذا الكلام بيدولى حقيرا جدا . يعنى : لا تنظروا إلى ذاته .

« روى أبو حمزة النورى ، قبيح المظهر ، مسترسل الشعر ، قذر الملابس . فقال شخص : هذا الاضطراب الظاهر دال على اضطراب الباطن . فقال : « كلا ، إن الله تعالى ما كن الأسرار فجملها ، وباين الأبدان فأهملها » .

* قال الشيخ : قال أبو الحسن النورى « أهل المعرفة عرفوا القليل من القليل ؛ لأنهم عرفوا الدليل والسبيل ، والحق وراء ذلك » .

* قال الشيخ : كان أبو يعقوب النهرجورى شيخا كبيرا ، ومع هذا كله فلم يكن يقلل من العبادة والمجاهدة ساعة ، ولم يشعر بالسعادة لحظة ، وظل يتأوه

في مناجاته لله تعالى . فسمع نداء يقول له: «يا أبا يعقوب اعلم أنك عبد وأسترح » .

* قال الشيخ : «من أحب ثلاثة فالنار أقرب إليه من جبل الوريد : لين الكلام ، ولين الطعام ، ولين اللباس » .

* قال الشيخ : دخل درويش على الشبلي وقال له: أيها الشيخ إذا نام شخص في ذلك الطريق فهل يسير فيه ؟ فقال الشبلي: إذا كان قد نام في ظل الاخلاص فإن نومه صدر منزل .

ثم قال الشيخ : قول الشبلي هو ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم : «نوم العالم عبادة » .

* (ص ٢٧٤) قال الشيخ : هبط الوحي على موسى ، أن قل لبني إسرائيل اختاروا أفضل شخص فيكم ، فاختراروا ألف شخص . فهبط الوحي ثانيا ، أن اختاروا الأفضل من هذه الألف ، فاختراروا عشرة أفراد . وهبط الوحي للمرة الثالثة ، أن اختاروا الأفضل من هؤلاء العشرة ، فاختراروا واحدا .

ثم هبط الوحي أن قولوا لذلك الأفضل : احضر أسوأ شخص في بني إسرائيل ، فطلب مهلة قدرها أربعة أيام ، وأخذ يطوف ويتجول حتى نزل في اليوم الرابع بمحلة رأى فيها رجلا ، كان معروفا بأنواع الرذائل والفساد . فأراد أن يأخذه معه ، ولكنه قال لنفسه : لا ينبغي أن أحكم بالظاهر ، ويجوز أن يكون ذا قدر ومكانة ، ولا يليق بي أن آخذه بقول الناس . كما أنه يجب على الأاغتر باختيار الناس لي على أني الأفضل ، ومادام ما فعله ليس إلا ظنا فمن الأفضل لي أن أظن في نفسي . ووضع العمامة على رأسه ورجع إلى موسى وقال له : لقد بحثت كثيرا فلم أر من هو أسوأ مني . فهبط الوحي على موسى أن ذلك الرجل أفضلهم حقا ، لا لأنه أكثر منهم طاعة ، ولكن لأنه عرف أنه الأسوأ .

* قال الشيخ : قال أبو بكر الواسطي : يسقط شعاع الشمس على نافذة المنزل فتظهر فيه الذرات . وتهب الريح ، وتحرك تلك الذرات في وسط الضوء ، فهل تخافون من ذلك ؟ قالوا : كلا . فقال : إن السكون كله يكون أمام قلب العبد الموحد كالذرة التي تحركها الريح .

* قال الشيخ : قال الشبلي : « لا يكون الصوفي صوفيا حتى يكون الخلق كلهم عيالا عليه » . قال الشيخ : أى ينظر إلى الجميع بعين الشفقة ، وبعد الاهتمام بهم فرضا عليه ؛ لأنهم جميعا في تصرف القضاء والمشيئة .

قال الشيخ : قال أبو العباس المتري « الخلق قوالب وأشباح تجرى عليها أحكام القدرة » .

* (ص ٢٧٥) قال الشيخ : قال محمد بن علي القصاب : « كان التصوف حالا فصار قالا ، ثم ذهب الحال والقال ، وجاء الاحتيال » .

* قال الشيخ : سمعت الشيخ أبا الحسن علي بن المثنى في « استرأباد » قال : وقفت على الشبلي يوم الجمعة في الجامع ببغداد بعد الصلاة فإذا وقف عليه سائل وعليه زى القوم . فقال : ما الوصل ؟ فأقبل عليه الشبلي وقال : أيها السائل عن الوصل ، الخطوطان ، وقد وصلت . فقال السائل : يا أبا بكر ما الخطوطان ؟ قال الشبلي : قيام ذروة بين يديك تحجبك عن الله : فقال السائل : يا أبا بكر أخبرني بشرح قولك عن الذروة ؟ فما شرح تلك الذروة . قال : الدنيا والعقبى . كذا قال ربنا تعالى « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » فأين من يريد الله . ثم قال الشبلي : إذا قلت الله فهو الله ، وإذا سكنت فهو الله . يا الله ، يا من هو

هو ولا يعلم أحد ما هو إلا هو . سبحانه وحده لا شريك له . ثم غشى على الشبلى وهو يتمل كما يتمل السليم ، ثم حمل إلى داره » .

* قال الشيخ : سمعت الشيخ أبا الفضل حسن شيخ وقته بسرخص يقول : الماضي لا يذكر ، والمستقبل لا ينظر ، وما في الوقت يعتبر ، وهذا صفة العبودية . ثم قال : حقيقة العبودية شيان : حسن الافتقار إلى الله تعالى ، وهذا من أصل العبودية . وحسن القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو الذي ليس للنفس فيه نصيب ولا راحة » .

* قال شيخنا : « سمعت الشيخ يقول : من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقير إلى صدقته ، فقد بطلت صدقته .

قال أبو علي الفقيه : سمعت بأسانيد عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اليد العليا خير من اليد السفلى وهي السائلة . ثم قال عبد الله بن عمر الأيدي ثلاث : يد الله العليا ، ويد المعطى الوسطى ، ويد السائل السفلى .

* قال شيخنا يوما في وسط الحديث : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة يجاء بالإخلاص والشرك فيبحثوا بين يدي رب العالمين ، فيقول الله جل جلاله للإخلاص انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ، ويقول للشرك انطلق أنت ومن معك إلى النار . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون »

* (ص ٢٧٦) قال شيخنا إن شيخنا قال « دخل مسلمة بن عبد الملك على الوليد فاسترضاه من شيء بلغه عنه ، فرضى عنه ، فخرج مسلمة . فقال : خدر السمع بدى مسلمة . فقال مسلمة : يا أمير المؤمنين ما ينسي الليل إلا في ضياء وإصالة » .

* قال شيخنا : « عن ثابت أن امرأة كانت تأكل طعاما ، وأتاها مسائل فسأل ولم يبق معها من طعامها غير لقمة ، فأطعمتها السائل . فأتاها الأسد ، وأخذ صيغاً لها فذهب به ، فإذا هو برجل قد أقبل إلى الأسد حتى انتهى إليه ، فأخذ بلحيته فعلقها حتى استخرج الصبي من فيه ، فسلمه إلى أمه فقال لها لقمة بلقمة » .

* قال شيخنا يوما على المنبر إن داود النبي عاياه السلام قال إلهي أطلبك حتى أجذك ، فأوحى الله تعالى إلى داود: يارأس العابدين وياحجة الزاهدين تركتني في أول قدم رفعتك وذلك أنك رأيت الطلب منك لا مني .

* قال شيخنا : « إذا ظننت أنك وجدته فحينئذ فقدته » .

* قال شيخنا : « قال داود الطائي : ذهبت ليلة إلى المقبرة . فسمعت قائلا يقول : آه مالي ، ألم أكن أصلي؟ ألم أكن أصوم ؟ . فأجابه بحبيب : بلى ، ولكنك إذا خلوت بربك لم تراقبه » . ثم قال شيخنا : « من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه » .

* قال شيخنا : سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن معنى الركوع فقال : « المسلم يركع ويقول بقلبه لو ضرب عنقي لم أدع ديني وعبادة ربي » .

* قال شيخنا يوما في وسط حديثه : « طلب مرید من شيخه دعاء فقال : يا بني ، اختيار ما جرى لك خير من معارضة الوقت » .

* قال شيخنا : سمعت من أبي علي الفقيه أن رابعة سئلت : بم أدركت ما أدركت ؟ قالت بكثرة قولي هذا : أعوذ بك من كل شاغل يشغاني عنك ، ومن كل مانع يمنعني عنك .

* قال الشيخ : سمعت أبا العباس القصاب عندما سئل في مدينة آمل عن الآية

« قل هو الله أحد » . فقال : « قل » شغل . « وهو » إشارة . و « الله » عبارة ومعنى التوحيد منزّه عن الإشارة (ص ٢٧٧) والعبارة .

قال الشيخ : قال لقمان السرخسى يوما : مضت ثلاثون عاما منذ وكل الحق إلينا أمر هذه البطاح ، فلم يجرؤ أحد على أن يتصرف فيها ، ويجلس بها .

* قال الشيخ : سئل الأستاذ أبو على الدقاق عن السماع فقال : السماع هو الوقت ، فمن لا سماع له ، لا سمع له ، ومن لا سمع له ، فلا دين له ، لأن الله تعالى قال « إنهم عن السمع لمعزولون » . وقال « قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » فالسماع سفير من الحق . ورسول من الحق ، يحمل أهل الحق بالحق إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقّق ، ومن أصغى إليه بطبع ترنّدق .

* قال الشيخ : دخلت عائشة ابنة الصديق رضى الله عنها على الرسول من عرس . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ، كيف كان العرس ، هل كان طيبا ، وهل كان هناك أحد أنشدك شعرا ؟ .

* قال الشيخ : سماع الأحبة يكون بالحق . وهم يسمعون على أحسن وجه . يقول الله تعالى : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » . وسماع كل شخص يحمل نون الوقت ، فقد يستمع شخص للدنيا ، ويستمع شخص لهوى النفس ، وربما يستمع شخص لحبيب ، وقد يستمع شخص لأحاديث الوصال والفراق وهذا كله يكون وبالا وظلاما لذلك الشخص . وعندما يكون الوقت مظلمًا يكون السماع مظلمًا . وربما يستمع شخص فى معرفة ، وذلك هو السماع الصحيح ، لأنه يستمع من الحق ، وأولئك هم الأشخاص الذين يخصصهم الله بلطفه : « الله لطيف بعباده » ، فالعبودية ملك وموضع اختصاص الله ، وقد اختص هؤلاء بأنهم عباده فيكون سماعهم من الحق بالحق .

حكاية :

سئل الشيخ :

تقد كان لكل شيخ شيخ ، فمن كان شيخك ؟ (ص ٢٧٨) .
وقد أضعف الشيوخ أنفسهم بالمجاهدة ، بينما رقيبك لا يسعها طوقك .
والشيوخ قاموا بالحج وأنت لم تحج ، فما سبب ذلك ؟
فأجاب : أما سؤالكم عن أنه كان لكل شيخ شيخ فمن كان شيخك ؟
فإن « ذلك مما علمني ربي » .

وأما ما تسألون عنه . من أن الشيوخ قد أضعفوا أنفسهم بالمجاهدة ، بينما رقيبك لا يسعها طوقك ، فإنني أتعجب لذلك لأنه عند ما تحشر رقبتي في السباوات السبع والأرض ، فإنها تحشر بما منحني الله .

وأما ما تقولونه من أن الشيوخ أدوا فريضة الحج وأنت لم تحج ؛ فليس بالأمر الكبير أن تقطع ألف فرسخ لتزور الكعبة ، وإنما الرجل الحق هو الذي يجلس هنا ، وتطوف الكعبة فوق رأسه هكذا في كل يوم وليلة ، انظر لترى . فنظر كل الحاضرين ورأوا .

حكاية :

كان الشيخ ذاهبا يوما للعزاء في نيسابور ، فتقدم المعروفون إلى الشيخ ، وأرادوا أن يقوموا بتقديمه إلى الناس ، جريا على عادتهم . وعندما رأوه ، عجزوا ولم يعرفوا ماذا يقولون ، فسألوا مريد الشيخ عن اللقب الذي يقدمون به الشيخ . وأدرك الشيخ ما يسألون عنه ، فقال لهم : اذهبوا وقلوا افسحوا الطريق للآشي بن الآشي ، وسمع جميع العظماء ذلك ، فرفعوا رؤوسهم ، ورأوا الشيخ قادما . وسر الجميع لتواضع الشيخ ، وبكوا .

حكاية :

كان الشيخ يمر يوما في طريق . وكان الكناسون ينظفون المرحاض ويخرجون الفضلات بالقرية . وعندما باغ الصوفية ذلك المكان ، استجمعوا أنفسهم (ص ٢٧٩) وفروا . فناداهم الشيخ وقال لهم : إن هذه القاذورات تتحدث إلى بلسان حالها وتقول : أنا تلك الأطعمة الطيبة الرائحة ، اللذيذة ، التي تبعثون من أجلها الذهب والفضة ، وتضحون من أجلها بأرواحكم ، وتحملون كل تعب ومشقة من أجل الحصول عليها . وقد تلونت بلونكم من ليلة واحدة صحبتكم فيها ، فلماذا تقرون مني ؟ يجب أن أفر أنا منكم !

ولما قال الشيخ ذلك ، صرخ الجميع وبكوا ، ووردت الأحوال .

حكاية :

روى أنه حدث يوما في ميهنة أن وضع حسن بن المؤدب الصباح أمام الشيخ ، وذهب ، فناده الشيخ ، وقال له : ما السبب في أن هذا الصباح لا يضيء الليلة جيدا ككل ليلة ؟ فقال حسن لا أعرف . فقال له الشيخ : الفحصه . فلما فحصه قال لقد ترك الصوفية الخشبة التي ينظفون بها مصباحهم فيه . فقال الشيخ : ارفع هذا المصباح من أمامي . فرفع حسن المصباح من أمامه .

حكاية :

قال طلحة بن يوسف العطار : مكثت عند الشيخ أبي سعيد مدة . وعندما عزمت على العودة قال لي : عندما تذهب إلى بغداد ، ويسألونك : ماذا رأيت ، وماذا استفدت ، فماذا ستقول ؟ هل تقول رأيت وجهها وذقنا ؟ فقلت : بهم يأمر

الشيخ ؟ فقال الشيخ : كل من يعرف العربية اقرأ عليه هذا الشعر :
قالوا خراسان أخرجت رشاً ليس له في جماله ثاني
فقلت لا تذكروا محاسنه فمطلع الشمس من خراسان
وكل من لا يعرف العربية اقرأ عليه هذا الشعر :

« رباعية »

لأنهم يأخذون منك خضرة الجنة والربيع
يا من يأخذون منك التذكار إلى الخلد
ويأخذون منك النقوش والصور إلى الصين
يا من إيران كلها تأخذ منك فإل السعد

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح : كان الشيخ قدس الله روحه العزيز (ص ٢٨٠)
ذاهباً يوماً من نيسابور إلى بستقان ، وفي رفقته السيد علي الطرموسي . وكان
الشيخ يقول في الطريق : « انهم اجعلني من الاقلين » . ولما وصل إلى بستقان
سأل السيد علي الشيخ قائلاً : لقد كنت تقول كثيراً في الطريق « اللهم اجعلني
من الاقلين » ، فقال الشيخ : يقول الله عز وجل : « وقليل من عبادي الشكور »
فكنت أريد أن أكون من أولئك القوم . وأودى شكر نعمته .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح : كان التوال ينشد هذا البيت أمام الشيخ يوماً :

« بيت »

- سوف أختفي في غزلى ،
حتى أقبل شفتك عندما تقرأه .

فسأله الشيخ عن صاحب هذا البيت فقال : اسمه عماره . فنهض الشيخ
وذهب مع الصوفية لزيارة قبر عماره .

حكاية :

قال السيد أبو بكر المؤدب : كان الشيخ يتحدث يوما مع الخطيب الكوفي
بصوت منخفض ثم التفت إلى وقال : هل كنت تسمع ما تقول ؟ . قلت كلا .
قال الشيخ : كنا نقول : « العجز عجزان : التواني في الأمر إذا أمكن ، والجد
في طلبه إذا فات » . وعندما كان الشيخ يقول هذا الكلام كان القوال ينشد
هذا المصراع :

« مصراع »

« ولا نسقى سرا إذا أمكن الجهر »

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، أحضر شخص كوبا من الماء ، وقال له :
انفخ فيه من أجل مريض . فنفخ الشيخ في الكوب ، وأخذه من الرجل ، وشربه
فقال الرجل : أيها الشيخ ، لم فعلت هذا ؟ فقال : إن النفس الذى نفخته في هذه
الجرعة لا يستطيع أحد غيرى أن يسحبه الآن ، فتعال غدا لأنفخ له نفخة الشفاء .

حكاية :

عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، ذهب إلى الحمام . وقام درويش بمساعدته ، وأخذ يحك سواعد الشيخ ، ويجمع القاذورات عن ظهره ، (ص ٢٨١) جريا على عادتهم ليراها الشخص . وفي أثناء قيامه بهذا سأل الشيخ : أيها الشيخ : ما المروءة ؟ فأجاب الشيخ : ألا تحضر قذارة الشخص أمام وجهه . فأقر الحاضرون بأنه لم يقل في هذا المعنى قول أفضل من هذا .

حكاية :

قال الشيخ : كل من يصلي على المصطفى صلوات الله عليه ألف مرة في ليلة الجمعة ، يرى الرسول في النوم . وقد نفذت هذا القول في مدينة مرو ، ورأيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في نومي ، وكانت فاطمة الزهراء رضي الله عنها جالسة أمامه ، والمصطفى يضع يده المباركة على مفرقها الميمون . وعندما أردت أن أتقدم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال : احذر ، فإنها سيدة نساء العالمين .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، ظل الناس لمدة عام يرددون أقوال المنجمين ، ويصفون لأحكامهم . وأخذ عوام الناس يرددون دفعة واحدة أن هذه السنة ستكون كذا وكذا . وقال الشيخ يوما على المنبر: سأحدثكم اليوم عن أحكام النجوم ، ثم قال : ستكون هذه السنة كلها كما يريد الله تعالى ، على نحو ما كانت السنة الماضية كما أراد الله تعالى ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ومسح وجهه بيده ، وختم المجلس .

حكاية :

قال أحدهم للشيخ يوما : أيها الشيخ ، أدع لي ، فقال :

« بيت »

— أواه ... لقد انعدم العدل من العالم أيها الناس ،

فهو يذنب ويجب على أنا أن اعتذرا !

(ص ٢٨٢) وقد جرى هذا البيت على لسان الشيخ كثيرا .

* قال الشيخ : لو صدق ما يروى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه كبر على ميت خمس تكبيرات فى صلاة الجنائزة ، فربما تكون أربع تكبيرات منها على الميت ، والخامسة على الناس جميعا .

* فى يوم من الأيام نهض رجل فى مجلس الشيخ ، وطلب شيئا من الناس ، وأخذ يقول : أنا رجل فقير . فقال له الشيخ : لا يجب أن تقول هكذا ، وإنما يجب أن تقول : أنا رجل سائل ، لأن الفقر سر من أسرار الحق جل جلاله .

حكاية :

عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز فى نيسابور ، كان قد جلس يوما فى الخانقاه ، فدخلت ابنة علوى عند الشيخ ، وكان أبواها يسألان ، وأجلس الشيخ تلك الفتاه أمامه ، وقال : هذه الفتاه من أبناء الرسول ، وأنتم تدعون أنكم تحبونه ، وتنادونه فى وقت الصلاة بصوت مرتفع . والآن اظهروا برهان صدق هذه الدعوى التى تدعونها فى حق جدّها ، بالإحسان إلى أبنائه وذريته . ثم خلع ثوبه وأعطاه للفتاة ، وشاركه فى ذلك جميع الحاضرين فى الخانقاه . ونالت الفتاة شيئا كثيرا .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : عندما كان الشيخ في نيسابور ، كان أئمة المدينة وعظماؤها يفدون عليه ، مثل الشيخ أبي محمد الجويني ، والأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري ، والأستاذ إسماعيل الصابوني . وكانوا يسألون الشيخ عن أشياء ، ويتباحثون معه . وذات يوم كان الشيخ يتحدث في حضور هؤلاء الجمع ، وآخرين من عظماء المدينة (ص ٢٨٣) . وفي وسط الحديث جرى هذا البيت على لسان الشيخ :

« بيت »

— أيها الحبيب إنني لا أغفل عن أحوالك لحظة ،

ولي رسل ينبؤني عنك خيما تكون .

وعندئذ التفت الشيخ إليهم وقال : أين معنى هذا البيت في القرآن ؟ . ففكر العظماء كثيرا ثم قالوا : ليقول الشيخ . فقال الشيخ : هل ينبغي أن أقول ؟ قالوا : نعم ، قال : إن الله يقول : « أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون » ، فتعجبوا جميعا لسعة إدراك الشيخ .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : كان الشيخ يتحدث يوما ، وعندما فرغ من الحديث وقفت أمامه ، فقد تعودت أن أقف هكذا عندما يذهب الناس ، لأتلقى أوامره . فقال لي : يا حسن ، اذهب إلى المدينة ، وانظر من من أهلها أكثر بفضا لي ، وأكثر إنكارا للصوفية ، واذهب إليه وقل له : ليس لدى الدراويش شيء ، ولا يوجد معلوم ليأكلوا منه ، ويجب أن تنوب في هذا . فخرجت وأخذت أطوف المدينة جميعها وأنا أفكر في هذا الأمر .

ولم أجد من هو أكثر إنكاراً من علي الصندلي، ولكنني قلت لنفسى : ربما يكون هذا الظن خاطئاً . وطفقت للمدينة مرة أخرى ، وفكرى لا يزال متجهاً إليه . وأخذت أستعرض المدينة مرة أخرى ، فاتجهت تفكيرى إليه ثانية ، فأدركت أنه حق . وذهبت إلى خاتمه وكان قد جلس وتلاميذه بين يديه ، يطالع كتاباً . فسلمت عليه ، فأجاب فى نحوه كعادته ، وقال : أتريد شيئاً ؟ فقلت : إن الشيخ يحبك (ص ٢٨٤) ويقول لك لا يوجد شيء معلوم ، وينبغي أن تنوب فى أمر الدراويش وكان رجلاً مرحاً حاضر النكتة فقال : أتعبر هذا عملاً أم أوفريضة ؟ ظننت أنك جئت تسأل عن شيء ، اذهب أيها الصديق لأن لدى عملاً أكثر أهمية من أن أعطيكم شيئاً : إنكم عمى ، فاستمروا فى عبسكم ، وقولوا هذا البيت وارقصوا عليه :

« بيت »

— أتأتى إلى السوق مزينا ثملاً ،
ألا تخشى أيها الحبيب أن تقع فى الأسر ؟

وعندما سمعت هذا الكلام ، ذهبت إلى الشيخ ، وأردت ألا أذكر له ما حدث ، فقلت : إنه يقول لا يوجد الآن معلوم ، فلنر ماذا يكون بعد ذلك . فقال الشيخ : لا تنبغى الخيانة ، يجب أن تذكر ما حدث . فقصصت عليه ما حدث بالصدق ، فقال الشيخ : ينبغي أن تذهب إليه مرة أخرى ، وتقول له : أتيت إلى السوق مزينا بزينة الدنيا ، مخموراً بحبها ، ألا تخشى أن تصبح فى القيد أسيراً فى سوق القيامة ؛ لأن الله يقول « اهدنا الصراط المستقيم » .

فرجعت إليه وأبلغته رسالة الشيخ ، فأخى رأسه وفكر برهة وقال : اذهب إلى الخباز فلان وخذ منه مائة درهم ، فأنتم الذين أمتطعتم أن تفسروا هذا البيت

على هذا النحو لأستطيع أنا أن أفعل لكم شيئاً ، ولا يستطيع غيرى أن يتفوق عليكم .

حكاية :

روى أنه أثناء إقامة الشيخ في خانقاه محلة عدنى كوبان ، كانوا قد وضعوا المائدة يوماً ، وأخذ الشيخ والدراروش يتناولون الطعام . وفى أثناء ذلك دخل الشيخ أبو محمد الجوينى وألقى التحية ، فلم يجبه الشيخ ، ولم ياتفت إليه . فتألم أبو محمد ، وجلس غاضباً . وعندما انتهى الطعام ، غسلوا أيديهم ، نهض الشيخ ، وأجاب على تحية أبي محمد ، وقال له : إن السلام من أسماء الله جل جلاله ، ولا يليق بنا أن نطلق باسمه بقم ملوث . فسر أبو محمد (ص ٢٨٥) وقال : ليس لأحد من العلم بالطريقة والشريعة مثل ما للشيخ .

وقد استفاد جميع الحاضرين من الصوفية من هذا . ولهذا السبب لا يسلم الصوفية وهم على المائدة ، وينتظرون حتى يتنهوا من الطعام .

حكاية :

كان للشيخ أبى سعيد قدس الله روحه العزيز أخت يدعوها أبناء الشيخ بالعمة . وكانت فى غاية الزهد ؛ بحيث لم تكن تخرج من المنزل إلا للضرورة القصوى . وكانت تحتفظ برداء وحذاء خارج المنزل ، وإذا ما خرجت لضرورة إرتدتتهما ، ولم ترتد الثياب التى تلبسها فى الداخل ، حتى لا تحضر إلى المنزل الغبار الذى على بها من الطريق . وكانت إذا ما ذهب الشيخ لزيارتها تسمح المنزل وتقول : لقد دخل الشيخ البيت بالحذاء الذى يسير به فى الطريق .

و ذات يوم كان الشيخ يتحدث في منزل العمة فقات له : أيها الشيخ إن ،
كلامك سبيكة من الذهب ، فقال لها الشيخ : وصمتك جوهر غير مثقوب .

و كانت العمة قد ثقت ثوبا بين صومعتها وصومعة الشيخ ، حتى تراه دائما ،
وتستفسر منه عما تريد . و ذات يوم كان الشيخ في صومعته . وكان الخضر ، الذي
كثيرا ما كان يصحب الشيخ ، قد جاء لزيارته ، وجلسا منفردين ، وأخذا يتحدثان .
فأقبلت العمة إلى الثقب ، وأدركت بفراستها أنه الخضر الذي يتحدث مع الشيخ ،
فأخذت تراقبهما في الخفاء . وشرب الخضر مرتين من الكوز الذي كان الشيخ
قد وضعه أمامه . (ص ٢٨٦) وعندما نهض الخضر ، نهض معه الشيخ ، وخرج
خلفه . ولما غادر المكان ، جاءت العمة سريعا عن طريق السطح ، ودخلت صومعة
الشيخ ، وشربت من الكوز في الموضع الذي شرب منه الخضر ، أملا في الحصول
على البركة ، ثم خرجت . وجاء الشيخ إلى صومعته ، في الوقت الذي ذهبت فيه العمة
إلى صومعتها ، وأدرك بكرامته ما حدث منها . ولم يقل شيئا ، ونادى الخادم
ليسد الثقب الذي في صومعة العمة .

حكاية :

قال الشيخ قدس الله روحه ، رأى شخص الجنة في النوم ، وقد مدت فيها
مائدة ، جلست عليها جماعة ، فأراد أن يجلس معهم ، فجاء شخص وأمسك بيده
وقال له : ليس هذا مكانك ، فهذه المائدة لمن يملكون ثوبا واحدا ، وأنت تملك
ثوبين ، فلا يمكنك أن تجلس معهم .

ثم قال شيخنا : لقد وصل الأمر الآن إلى أنهم يخطون مرقعا أزرق ،

ويلبسونه ، ظانين أن جميع الأمور قد استقامت ، ويقفون أمام دن الصبغة ، ويقولون : ألقوه في الدن مرة أخرى ليزداد زرقة ؛ فهم يظنون أن الصوفية هي هذا المرقع الأزرق ، وقد حصروا همتهم في تجميله وتزيينه ، وجعلوه صنمهم ومعبودهم .

وفي اليوم الذي قال فيه الشيخ هذا الكلام ، كانوا يخطون له رداء جديداً ، فلبسه ، وقال : لقد ألبسني الآن مرقعاً بعد سبع وسبعين عاماً قضيتها في هذا الطريق ، وكان على فيها واحداً ، في الليل والنهار ، فألبسني المرقع بعد هذا كله ، أما الآن فمن السهل أن يخطوا لكل شخص مرقعاً ، ويلبسوه إياه .

* قال شيخنا إن الحق تعالى يقول : لقد كنا نقول للجميع « قولوا لا إله إلا الله » ونقول لك « فاعلم أنه لا إله إلا الله » . (ص ٢٨٧) وكان هناك شخص من ما وراء النهر ، فقرأ هذه الآية : « وقودها الناس والحجارة » . وكان الشيخ يقلل من الحديث في آيات العذاب ، فقال : ما دام الحجر والإنسان عندك في مقام واحد ، فاشغل الجحيم بالأحجار ، ولا تحرق هؤلاء المساكين !

حكاية :

روى أن رجلاً خرج من بغداد ، وجاء إلى الشيخ في ميهنة ، وسأله قائلاً : أيها الشيخ ، لماذا خلق الحق سبحانه وتعالى هذه المخلوقات ، هل كان في حاجة إليها ؟ . فأجاب الشيخ : كلا ، ولكنه خلقهم من أجل ثلاثة أشياء :

الأول : لما كانت قدرته كبيرة جداً ، فكان يلزم لها ناظر .

والثاني : لما كانت نعمته كثيرة جداً فكان يلزم لها آكل .

والثالث : لما كانت رحمته واسعة جدا فكان يلزم لها أنهم.

حكاية:

في وقت من الأوقات كان درويش يسير أمام الشيخ إلى الخانقاه ، فقال له الشيخ : يا أخى ، كن كالكرة أمام المكنسه ، ولانكن كالجبل خلف المكنسه .

حكاية:

في يوم من الأيام وصل الشيخ مع جماعة الصوفية إلى باب طاحون . فأوقف جواده وتوقف عن السير لحظة وقال : هل تعرفون ماذا تقول هذه الطاحون ؟ إنها تقول : إن التصوف هو ماأنا فيه ، فأنا آخذ الأشياء الغليظة ، وأعيدها ناعمة . وأدور حول نفسى ، وأنتى تقسى بنفسى ، حتى أبعد عنها مايلزم . فسر الجميع لهذا الرمز .

حكاية:

روى أن الأستاذ أباصالح المقرئ ألم به مرض ، بحيث لزم الفراش . فقال الشيخ للسيد أبى بكر المؤدب : احضر الدواء والقلم حتى أملئ عليك حرزا من أجل أبى صالح . ثم أمره أن يكتب :

« رباعية »

اصطفت الخور لرؤية محبوبى الجميل
وتعجب رضوان وضرب كفا بكف
وأسدل الخال الأسود مطرفا على ذلك الخد
وتشبث الأبدال بالمصحف من الخوف

(ص ٢٨٨) فكتبها السيد أبو بكر النؤدب، وجعلوها إلى أبي صالح،
وعلقوها له، فظهرت عليه معالم الصحة في الحال، وزال ذلك المرض.

حكاية :

روى أن واحدا من المشايخ ذهب غازيا إلى بلاد الروم في عهد الشيخ -
أبي سعيد - وذهب يوما إلى ميدان الحرب، فرأى إبليس هناك فقال له: أيها
الملعون، ماذا تفعل هنا؟ ألك شأن بهؤلاء الجمع الموجودين هنا؟ قال: لقد
وقعت هنا دون رغبتى. فسأله: كيف؟ فأجاب: كنت أمر في ميهنة، وكان الشيخ
أبو سعيد يسير من المسجد إلى البيت، فعطس عطسة ألقت بي هنا.

* وسئل الشيخ أيضا عن رأيه في الشخص الذى يسرق في الليل، ويصلى
في النهار؟ فقال الشيخ: ليس هذا عجيبا، فإن بركة الصلاة في النهار، ستمنعه
من السرقة في الليل.

* قال أحد الشيوخ للشيخ: لقد رأيتك في نومي، فسألتك: ماذا تفعل
أيها الشيخ لكي تتخلص من هذه النفس؟ فقال الشيخ: لا ينبغي عمل شيء من
أجل هذا، لأن كل شيء قدر، وكتب، ولا يمكن إبعاده. فإذا أراد الله،
يكون التوفيق. وإذا لم يرد، فإن ذلك لن يقلل من الأمر أو يزيده. ولو أنه
أراد لألقى بك في الطلب. وفي الحقيقة أنه إذا طلبك هو، فإنه عندئذ يلقي بك
في الطلب.

* قال الشيخ: ورد في الخبر أن قوما ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وسألوه: ما الفقر؟ فنأدى أحدهم وقال له: هل تملك خمسة دراهم؟ فقال:
أجل، فقال له: إنك لست فقيرا. ونأدى آخر وقال له: هل تملك خمسة دراهم؟

فقال : كلا ، فقال : هل تملك متاعاً بخمسة دراهم ؟ قال نعم . فقال له : لست
 فقيراً أنت أيضاً . ونادى آخر وقال له : هل تملك خمسة دراهم ؟ قال : كلا . قال
 هل تملك ممتلكات بخمسة دراهم ؟ قال : كلا . فقال : هل تملك جاهاً بخمسة
 دراهم ؟ قال : كلا . قال : هل تستطيع أن تكسب خمسة دراهم ؟ قال : نعم .
 (ص ٢٨٩) فقال : انهض فإنك لست فقيراً . ودعا آخر وقال له : هل تملك شيئاً من
 هذا كله ؟ قال : كلا . فقال له : إذا ظهرت خمسة دراهم هل تطالب بنصيب
 منها ؟ فقال : لا أقل من هذا . قال : انهض فإنك لست فقيراً . ثم دعا آخر
 وقال : هل تملك شيئاً من هذا كله ؟ قال : كلا . فقال : هل إذا ظهرت لك
 خمسة دراهم تتصرف فيها ؟ قال : كلا يا رسول الله ، فسأله : ماذا تصنع بها ؟
 قال : أضعها تحت تصرف الجماعة . فقال : أنت فقير حقاً ، والفقير يكون هكذا .

ولما قال الرسول ذلك ، بكى الجميع وقالوا : يا رسول الله ، إن الجميع ينادوننا
 بالفقراء ، والفقير هو ما أومئته ، فإذا نكون نحن الآن ؟ فقال : إنه هو الفقير
 وأنتم طفيليون .

* قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : في وقت من الأوقات لحق زنبور
 بنملة ، فراها تحمل قحّة إلى منزلها . وكان الناس يدوسونها ويؤذونها ، فقال لها
 الزنبور : ماهذه الشدة والمشقة التي تتحملينها من أجل حبة ؟ هل تذلين نفسك
 هكذا من أجل حبة واحدة حقيرة ؟ . تعالى ، لترى كيف أحصل على قوتي في
 سهولة ، وأخذ نصيبي منه بدون هذه المشقة . ثم حمل النملة إلى دكان قصاب ،
 وكان اللحم معلقاً ، فطار الزنبور ، وحط على اللحم ، وأكل حتى شبع ، وجمع
 قطعة ليحملها . فدخل القصاب ، وضربه بسكين ، فشقّه نصفين وألقاه . ووقع

الزنبور على الأرض. فتقدمت الخلة وأمسكت بقدمه وأخذت تسحبها وهي تقول:
كل من يجلس حيث يريد ، يسحبونه إلى حيث لا يريد .

حكاية :

قال السيد مصعد بن السيد الإمام المظفر النوفاني : كان الشيخ أبو سعيد قد
جلس مع والدي يوما ، فقال له والدي : إنني لا أدعوك صوفيا ، ولا درویشا ،
بل أدعوك عارفا كاملا . فقال الشيخ أبو سعيد : (ص ٢٩٠) هو ما يقول .

وقال السيد مصعد : أخذت جدتي « صايته » والدي « راحة » إلى الشيخ
أبي سعيد في نيسابور . وكانت والدي في سن الثانية عشرة ، ولم يكن والدي قد
طلبها للزواج بعد . فسأل الشيخ والدي : ما اسمك ؟ . فقالت : راحة . فقال :
بارك الله فيك ، ينبغي أن تقيمي وليمة للصوفية . فقالت : إنني لا أملك شيئا .
فقال لها الشيخ : إسألي ، فقالت : وكيف أفعل ذلك ؟ . وعندما طلب منها الشيخ
إقامة الوليمة سأله أن يعطيها شيئا ، فأعطاه الشيخ رداءه وقيصه ، فحملتهما ،
وذهبت بهما إلى منزل الميكالين . وكانت هناك سيدة وابنتها ، فقالت لهما : لقد
طلب الشيخ أبو سعيد مني إقامة وليمة ، فقلت له إنني لا أملك شيئا ، فقال لي إسألي .
فسألت منه ، فأعطاني هذه . فكم تساوي في نظركم ؟ . فهضت الفتاة ودخلت
إلى المنزل ، وأحضرت سوارين يقدران بستين دينارا ، ووضعتهما أمامي ، وأخذت
الرداء . وأحضرت الأم عقدا قيمته ستون دينارا ، وأخذت القميص .

وجلسنا نتحدث بعض الوقت ، وقلت لهما إن ملابس الشيخ تتحدث إلى ،
هل تعرفان ماذا تقول ؟ قلنا : كلا . قلت : إنها تقول إنني لن أستريح مع أحد ،
إما أن أكون في مكاني وإما ألا أكون . فهل تقدرون على ذلك ؟ . قلنا :

كلاً . فقلت لهما : ينبغي أن نقبين ماذا نفعل . فهضتا ، وقبلتا الرداء والقميص ، ووضعتاهما أمامي وقالتا : إنهما يليقان بك أكثر ، كما أن الأساور والعقد تحت تصرفك . فهضت وذهبت إلى الشيخ ، وضعت الرداء والقميص والأساور والعقد أمامه ، وقلت له : أقم الدعوة للصوفية على نحو ما تراه صواباً . فأمر الشيخ بإعداد وليمة ، ومزقوا الرداء والقميص ، ووزعوها على الصوفية .

وذهبت صابئة بعد ذلك إلى نوقان، ونزلت عند السيد المظفر، وأخذتا يتحدثان . وكانت صابئة تتحدث في الفناء . والسيد المظفر يتحدث في البقاء . وسر السيد المظفر من حديث صابئة فقال لها : كل من يوافقك يوافق الحق ، وكل من يخالفك يخالف الحق . فقالت صابئة : ينبغي أن أقدم إليك شيئاً على سبيل الشكر ، ولست أملك شيئاً ، وقد وضعت راحة تحت تصرفك . فقال السيد المظفر أنا لا أفكر في هذا . وكانت قد مرت عشرة أعوام منذ لحقت زوج السيد المظفر برحمة الله تعالى (ض ٢٩١) ، ولم تكن له رغبة في الزواج ، طوال العشرة أعوام التي كانت فيها على قيد الحياة . وبعد مضي عشرين عاماً ، تزوج راحة ، وأنجب منها السيد مصعب ، ببركة همة الشيخ ، ونظره قدس الله روحه .

حكاية :

قال أبو الفضل محمد بن أحمد العارف النوقاني : خرجت في رقة الشيخ أبي سعيد إلى مقابر الخيرة في نيسابور ، لتشييع صوفي . وعندما وصلنا في مواجهة قبر أحمد الطابرائي ، توقف جواد الشيخ . ووقعت عين الشيخ على القبر ، وظل ينظر إليه فترة ، ثم ساق الجواد ، وقال : لقد كان أحمد الطابرائي يتكلم معي .

حكاية :

قال الشيخ: رأيت نفسي في النوم أجلس مع الأستاذ أبي على الدقاق والأستاذ أبي القاسم القشيري . ودوى نداء يقول : إنهضوا ، وليقدم كل منكم قربانا . فمضنا كلانا ، ونفذنا ذلك . وحاول الأستاذ القشيري كثيراً أن يقوم ليفعل ، فلم يستطع ، وأخذ يبكي . ولو أنه نفذ ذلك ، لما كان هناك مثله في الدنيا .

حكاية :

روى أن الشيخ قدس الله روحه العزيز كان يسير مرة ، فجاءت حية كبيرة ، وأخذت تمسح رأسها في أقدام الشيخ ، وتتقرب إليه . وكان مع الشيخ درويش ، فتعجب لذلك . فقال له الشيخ : لقد أقبلت هذه الحية لتحتي . فهل ترغب أن يكون لك مثل هذا ؟ . فقال الرجل : أجل . فقال له الشيخ : لن يكون لك أبدا مادمت تريد .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز قد جلس على قبر الشيخ أبي يزيد البسطامي (ص ٢٩٢) قدس الله روحه العزيز . فأشار إلى القبر وقال : « قال هذا الشيخ إن الله تعالى جعل أقدام الأولياء نثار الأرض فما لهؤلاء الأجساد ، يعني لا يرضون بذلك » .

حكاية :

كان أحمد بن أبي الليث قد جاء إلى الشيخ في وقت من الأوقات . وعندما رجع ، أرسل الشيخ شخصا معه . فلما رجع ذلك الشخص ، سأله الشيخ : ماذا

كان أحد يقول في الطريق ؟ . فأجاب : كان يتحدث بنعم الله . فقال الشيخ :
عن أى النعم كان يتحدث ؟ فإن النعم درجات ، أهى النعم التى أنعم على بها ؟ أم
تلك التى أنعم بها عليك ؟ فالنعم التى أنعم على بها أرفع وأعظم النعم ، والنعم
التى أنعم عليك بها متوسطة ، وقد اكتملت .

ثم قال : كان هناك شيخ لم يمشط شعره حتى عشتت العقب في رأسه ،
وتكاثر .

وروى أنه عندما كان شخص يدخل على شيخنا كان يقول له : لقد كنا في
البداية نتحدث معكم عن نعم ربكم ، ونقول لكم إنه يوجد في بلدتكم كذا
من النعم . أما الآن فأى النعم نشكر ؟ لقد اسندنا ظهورنا من العجز ، هنا على
هذا الجدار .

حكاية :

روى أن السيد على الخباز جاء من مرو إلى ميهنة ، ليذهب منها إلى باورد .
وكان الشيخ أبو سعيد قد جلس في المسجد ، ومعه السيد احمد بن نصر ، وكثير
من الشيوخ ، واخذوا يتبادلون الحديث . وفي أثناء ذلك تكلموا عن رجل من
ابناء الدنيا . فقال السيد على الخباز : حقا إنه رجل ذو همة ، فقال الشيخ : إن
المروءة لا يجب أن تسمى بالهمة ، وإنما تسمى أمنية ، فالذى ينفق المال يوصف بأنه
ذو أمنية ، لاهمة . وصاحب الهمة هو الذى لا يتطرق تفكيره إلى شيء بدون الله .

حكاية :

روى أن الشيخ قدس الله روحه العزيز كان قد جلس في المسجد ، (ص ٢٩٣)
فوقعت قشة على ذقنه المباركة ، فمد درویش يده ، وأمسك بالقشة ، وألقاها في

المسجد . فانتفت إليه الشيخ وقال : يا أخى ، ألا تخشى أنه بسبب ما فعلت أن يذق الله عز وجل السماوات السبع على الأرض ، ويفنيها ؟ . إن الله تعالى أمرك أن تضع وجهها بهذه العزة على تراب المسجد فقال : « واسجد واقترب » ، وأنت لم تستسغ وجود هذه القشة فوق ذقننا ، فكيف تستسغ أن تلقى بها في بيت الله ؟
حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ في نيسابور ، أرسل رسالة إلى الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري يقول له فيها : سمعت أنك تتصرف في الأوقاف . فأجاب : إن الأوقاف في يدي ، وليست في قلبي . فأرسل إليه الشيخ ثانيا يقول : ينبغي أن تكون يدك مثل قلبك .
حكاية :

قال الأستاذ عبد الرحمن مقرئ الشيخ : عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، جاءه شخص وقال له : أنا رجل غريب ، جئت إلى هذه المدينة فوجدتها مليئة بصيتك وشهرتك ، وأن لك كرامات كثيرة ، والآن أريد أن تظهر لي أحداها . فقال له الشيخ : كنت في أمل ، فدخل شخص على أبي العباس القصاب وسأله هذا السؤال نفسه ، فقال له الشيخ أبو العباس : ألا ترى ذلك ؟ ... أليس ماتراه هنا كرامة أن ابن قصاب تعلم المهنة من أبيه ، ورأى رؤيا سلبته ليه ، وأحضر إلى بغداد ، وأرسله الشيخ الشبلي إلى مكة ، ومن مكة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى بيت المقدس ، وأراد الله الخضر ، وألقى بمحبته في قلب الخضر ، حتى حظى بالقبول عنده ، وصاحبه ، وأعادته إلى هنا ، وأتجه إليه الناس في جميع أنحاء العالم . يخرجون من الحانات ، ويتخلصون من ذنوبهم ، ويتوبون على يديه . ويأتى المحترقون إليه من جميع أنحاء العالم ، يسألونه عن الله ، هل توجد كرامة أكثر من هذا ؟ . فقال الرجل : أريد أن أرى كرامة الآن . فقال له : تأمل جيدا ، أليس كرما من الله أن

أحد أبناء ذابحي العنز يحاسونه في مقعد العظام ، ولا تنفطس به الأرض ، ولا تقع عليه الجدران ، ولا يتهدم فوقه هذا المنزل ، ينال الولاية دون ممتلكات أو مال ، ويتلقى رزقه دون عمل أو كسب ، ويطعم الخلق ، أليس هذا كله كرامة ؟ .

ثم قال الشيخ : أيها الرجل ، لقد حدث لي معك ما حدث للشيخ أبي العباس . فقال الرجل : أيها الشيخ ، أطلب منك كرامة من كراماتك ، فتحدثني عن الشيخ أبي العباس ؟ . فقال الشيخ : (ص ٢٩٤) كل من ينتمى إلى الكريم تكون كل أعماله للكريم ، ثم ابتسم وقال :

« شعر »

— كل نسمة تهب على من ناحية بخارى ،

يفوح منها عبير الزهور والمسك والياسمين .

— وكل رجل وامرأة تهب عليه هذه النسائم ،

يقول : عليها تهب من بلاد الختن .

— لا ، لا ، إن مثل هذه النسائم العطرة لا تهب من الختن ،

إنها تهب من عند محبوبى .

— وإني لا تطلع إلى اليمن كل ليلة أملا في أن تأتي ،

لأنك سهيلي ، وسهيل يطلع من اليمن .

— وإني لا اجتهد أيها الحبيب أن أخفي اسمك عن الناس ،

حتى يقل حديث الناس عنك .

— ولكن كما تحدثت إلى شخص يكون اسمك

أول ما أنطق به ، سواء أردت أو لم أرد .

ثم قال الشيخ : عندما يتطهر العبد تكون حركاته وسكناته وأقواله كلها كرامات . وصلى الله على محمد وآله اجمعين .

الفصل الثالث

في بعض فوائد أنفاس الشيخ قدس الله روحه العزيز، وبعض الرسائل والأشعار التي جرت على لفظه العزيز بالقدر الذي تحقق لنا صدقه

* قال الشيخ : العمل يعكس صورة القلب لا قول اللسان .

* « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى » إذا لم تقتل النفس فإن تتحرر من هواها ، ولا يكفي أن تقول « لا إله إلا الله » لتصير مسلماً .

* « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » . يقول الله عز وجل : إني لا أغفر الشرك . « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . ولك سبع هياكل محشوة بالشك والشرك فيجب عليك إخراج الشرك منها لتستريح .

« فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله » ، طاغوت كل أحد نفسه . طالما أنت لا تكفر بنفسك فلن تؤمن بالله . وطاغوت كل شخص نفسه ، فتلك النفس هي التي تبعدك عن الله ، وتقول لك إن زيدا قد أساء إليك ، وعمراً أحسن إليك ، فهي تجعلك تتجه إلى الخلق ؛ وهذا كله شرك ، فلا شيء يصير إلى الخلق ، إنما الكل يتجه إلى الله . ويجب أن تعرف هذا وتقول به . وعندما تقوله ، يجب عليك أن تثبت على هذا القول ، (ص ٢٩٦) وأن تستقيم . والاستقامة هي أنك إذا آمنت بالواحد ، فلا تشغل بغيره ، لأن الخلق والخالق اثنان .

* جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : قل لي في الإسلام

قولا يسكون أصلا أسير عليه . فقال له : قل « آمنت بالله ثم استقم » ، وفي هذا المعنى جاء في القرآن : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » . ويقال في معنى هذه الآية « لا تروغوا وروغان الثعالب » فتنتقلوا في كل لحظة من مكان إلى آخر ، لأن هذا لا يحمل الإيمان صحيحا . فالإيمان أن تقولوا « الله ، الله » وأن تستقيموا على ذلك . والاستقامة هي أنه إذا قلت « الله » فلا تذكر على لسانك حديث مخلوق غيره ، ولا تدخله في قلبك ، وكأنه ليس هناك خلق . فإلى متى تستطيع أن تقول عنهم ماأراه وتسمعه ؟ انظر إلى الوجود الأزل ، وتحدث وانقل عنه لأنه لا ينفى مطلقا ، وأحب الله الذي إذا أفنيت أنت لا ينفى هو بل يظل باقيا ، حتى تكون أنت أيضا هذا الكائن الذي لا ينفى أبدا .

* قال الشيخ : الخصومة كفر ، وعن غير بصيرة شرك ، والسرور فريضة .

* قيل للشيخ إن رجلا تاب ثم نقض توبته ، فقال شيخنا : لو لم ينقض الله توبته لما نقضها أبداً .

كان الشيخ يقول دائما : أنت مسكين . وكان يقول أيضا : لا تبحث عن معشوق خال من العيوب لأنك لن تجده .

* قال الشيخ : ألف صديق قليل ، وعدو واحد كثير .

* قال الشيخ في مناجاته يوما : يا إلهي اغفر لعبدك لأن له مثل هذا الوجه ، ولا تحاسبه (ص ٢٩٧) فإن له هفواته .

* سئل الشيخ : هل يكون رجال الله في المسجد ؟ قال : وفي الحانات أيضا .

* سئل الشيخ ما التصوف ؟ فقال : أن تترك ما في رأسك ، وتمنح ما في كفك ، ولا تجزع مما يصيبك .

- * قال الشيخ : « كل ما شغلك عن الله فهو مشغوم عليك » .
- * قال الشيخ : أنت تتنفس ثلاثين ألف نفس في يوم وليلة . وكل نفس لا يكون لله يكون نتنا كالجيفة التي تزكم رائحتها الأنوف .
- * قال الشيخ : « وقتك بين النفسين » واحد مضى ، والآخر لم يأت بعد .
- ثم قال : مضى الأمس ، وأين الغد ؟ اليوم هو اليوم : « الوقت سيف قاطع » .
- قال الشيخ : التصوف شيئان : أن تنظر في ناحية واحدة ، وأن تحيا بطريقة واحدة .
- * قال الشيخ : « الله » وكفى . « وما سواه هوس ، واقطع النفس » .
- * قال الشيخ « من صح قصده إلينا ، وجب حقه علينا » .
- * قال الشيخ : « الذكر نسيان ماسواه » .
- * كان الشيخ يقول كثيرا : « كن بهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة » .
- * قال الشيخ : « راحة النفس كلها في التسليم ، وبلاؤها في التدبير » .
- * قال الشيخ : قيل لذلك الشيخ : أدع لنا . فقال : « اختيار ما جرى لك في الأزل ، خير من معارضة الوقت . الخير أجمع فيما اختار خالقنا ، واختيار سواه الشر والشؤم » .
- * قال الشيخ : هذا وكفى ويمكن أن يكتب على الظفر : « اذبح النفس وإلا فلا تشغل بترهات الصوفية » .

* قال الشيخ : الإسلام هو الاستسلام لأحكام الأزل . « والإسلام أن يموت (ص ٢٩٨) عنك نفسك » .

قال الشيخ : ينظر العبد في الصلاة فيقول له الله سبحانه وتعالى : لا تنظر فإن كل ما تنظر إليه أنا أفضل لك منه ، فانظر إلىَّ ، وعندما ينظر مرة أخرى يقول الله تعالى : لا تنظر ، هل تنظر إلى ما هو أعظم وأعز مني ؟ . وعندما ينظر مرة ثالثة يقول الله تعالى : اذهب إلى ما تنظر إليه .

« بيت »

— هل تعرف ماذا قال لى الحبيب اليوم ؟
لقد قال : اغلق عينيك ، ولا تنظر إلى أحد سواي .

* قال شيخنا يوما على رأس الجمع : اقسم بالله الذى يعلم ، وهذا سبعون قسما ، أن كل من يضع الله عز وجل أمامه طريقا آخر فإنه يكون قد أبعد عن طريق الحق ثم قال هذا البيت :

— يجب اختصار القول ،
والحذر من صديق السوء .

فالصديق السيء هو الذى يقول بالإثنين ، والقول بالاثنين كفر يجب الحذر منه . وهذه هى نفسك التى تتحدث إليك دائما ، وتوقع بينك وبين الخلق ، فيجب اختصار القول ، وأن تقول واحدا ، وكفى .

* قال الشيخ : يقول الله عز وجل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، والتقوى منك وعندما تطهر من نفسك تصل إلى الله ، « وهذا صراط ربك مستقيما » : هذا طريقى ، وغيره كله ضلال ، وهذا الطريق لا يكون للصوام ولا للقوام ولا

للعابد ولا للساجد والراكم، وإنما يكون للذي يتقى نفسه « وهذا صراط ربك مستقيماً » ، هذا هو طريقى إذا أردته .

* قال الشيخ : « التصوف اسم واقع فإذا تم فهو الله » .

(ص ٢٩٩) وقف درويش أمام الشيخ يوماً فى احترام كما يقف فى الصلاة فقال له الشيخ : إنك تقف بخشوع كما يقف الناس للصلاة ، ولكن الأفضل من هذا أن لا تكون كذلك .

* قال الشيخ : إن الحجاب بين العبد والله ليس السماء والأرض ، وليس العرش والكرسى ؛ وإنما هو ظنك وأنا نيتك ، فانزعهما لتصل إلى الله .

* قال الشيخ : هناك أربعة أقوال مختارة من كتب الله تعالى الأربعة لسلامة العمل ؛ فمن التوراة : « من قنع شبع » . ومن الإنجيل « من اعتزل سلم » . ومن الزبور « من صمت نجاً » . ومن القرآن « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .
* قال الشيخ : نقد حرر الرجال الجسد ، ولزموا مكاناً واحداً ، واستسلموا للتدبر سنين طويلة أملاً فى نفحة من هذا الحديث .

* سئل الشيخ : أين نضع اليد فى الصلاة ؟ فقال : نضع اليد على القلب ، والقلب على الحق جل جلاله .

* قال الشيخ : نقد وصل جميع السالكين إلى محلة بايزيد وسحبوا العنان وقالوا : أين بايزيد ليرى العنان قويا .

* سئل الشيخ : متى يتحرر العبد من رغباته ؟ فقال : عندما يحمره الله . وهذا لا يتأتى بجهد العبد ، وإنما يتأتى بفضل الله ورحمته ، وبصنعه وتوفيقه ؛ ففى أول الأمر يظهر الله فى نفسه الرغبة فى تحقيق هذا الأمر ، ثم يفتح له باب التوبة .

ثم يلقي به في المجاهدة ليجتهد . وأحيانا يتعنت العبد في مجاهداته ويتوهم أنه يأتي من مكان أو يعمل عملا ، ثم يعجز عن ذلك ولا يجد الراحة ، لأن (ص ٣٠٠) عمله غير خالص وملوث . وعندئذ يعرف أنه قام بهذه الطاعات بالوهم ، فيتوب ، ويتبين أنها أعمال تمت بتوفيق الله . وعندما يعلم هذا ، يدخل طريق الحق قلبه ومن ثم يفتح في وجهه باب اليقين ، فيسير مدة ، ويأخذ كل شيء من كل شخص ، ويتحمل الهانات ، ويعلم يقينا فتوح من هذا ، وعندئذ يزول الشك من قلبه . ثم يفتحون عليه باب المحبة ليدوم مدة في تلك المحبة . وفي تلك المحبة تظهر الأنية من الناس ، وفي تلك الأنية يتقبل الملامات .

والملامة هي أن يتقبل كل شيء يعرض في محبة الله ، ولا يخشى الملامة . ويظهر فيه وهم يقول أنا أحب ، ويمضي في ذلك مدة أيضاً ولا يستريح ولا يستقر ، ويعرف أنه يحب الله ، والله معه فضل ، وكل هذا بمحبته وفضله لا يجهدنا ؛ فإذا ما رأى هذا كله استراح ؛ وعندئذ يفتح عليه باب التوحيد حتى يعرف ويرى . وهم يصيرونه عارفا حتى يعرف أن الأمور لله جل جلاله « إنما الأشياء برحمته » ، وهنا يعرف أن الكل هو والكل به والكل منه ، وأن هذا كله هو الوهم الذي وضعه في الخلق لا بتلائهم وبلائهم ، والغلط الذي ساقه عليهم بجبروته لأن له صفة الجبروت - ولا يخرج العبد بصفاته - ويعرف أنه هو الله ، وما يكون خبرا يصبح عيانا ويراها معاينة ، وينظر في فعل الله وعندئذ يعرف تماما أنه لا ينبغي له أن يقول : أنا ، أو : مني . وهنا في هذا المقام يظهر للعبد عجز ، وتسقط عنه الحاجات فيصير العبد حرا ومستريحا ، وعندئذ يريد العبد ما سوف يريده هو ، لقد ذهب العبد ووصل إلى الراحة ؛ فالكل

هو ، وأنت لست شيئاً ، 'والآن تقول : أنا لست شيئاً . ولكن إذا تقدم
قيد شعرة يصاح به : 'توقف .

ويلزم العمل أولاً ، (ص ٣٠١) ثم المعرفة ، لتعرف أنك لا
تعرف شيئاً ، وأنت لست شيئاً . ولا يمكن معرفة هذا بسهولة ، وهو لا
يتأتى بالتعليم والتلقين ، ولا يمكن خياطته بإبرة ولا رتقه بخيط ، هذا
عطاء الله يعطيه من يشاء ، ويذيق هذا الذوق من يشاء . يلزم تعليم
الحق : « ذلك مما علمني ربي » . « الرحمن علم القرآن » .

وقال الشيخ : « جذب جذبة من الخلق إلى معاينة الذات فحينئذ صار العلم
عينا ، والعين كشفا ، والكشف شهودا ، والشهود وجودا ، وصار الكلام
خرسا ، والحياة موتا ، وانقطعت العبارات ، وانمحت الإشارات ، وانمحت
الخصومات ، وتم الفناء ، وصح البقاء ، وزال التعب والعناء ، وطاح الماء والطين ،
وبقي من لم يزل ، كما لم يزل ، حين لا حين « قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا
فمن يأتيكم بماء معين » .

* قال الشيخ : يتعب الخلق لأنهم يطلبون الأمور في غير أوقاتها .

* قال الشيخ : إن الله تعالى يحول حقه في كل مكان تبعاً لحقوق الخلق .

ويعفو بكرمه وفضله عن التقصير في حقه ويصفح عنه ، ولا يقبل هذا في حقوق
الخلق ، لأن الرحمة صفة الحق ، والعجز صفة الخلق . ثم قال هذا البيت :

— حقاً إن الكرماء يفعلون كما فعل الملك ،

فقد نظر إلى عبده بعين العظمة .

* التفت الشيخ يوماً أثناء حديثه إلى واحد من القوم وقال له : إن الوحشة

من النفس فإذا لم تقتلها ، قتلتك . وإذا لم تقهرها ، قهرتك وتغلبت عليك .

* قال شيخنا يوما على المنبر : إن سألكم سائل بعدى ماذا كان أصل شيخكم فقولوا أربعة أصول : حكم الوقت ، وإشارة السر ، وفتوح الغيب ، وسلطان الحق .

* سئل الشيخ يوما : يا شيخ ، ما الصدق ؟ وكيف السبيل إلى الله ؟ فقال الشيخ : الصدق وديعة الله في عباده ليس للنفس فيه سبيل ، لأن الصدق سبيل إلى الحق وأبى الله أن يكون لصاحب النفس إليه سبيل .

* قال الشيخ : إذا وصل شخص إلى الدرجة العايا في المقامات ، واطلع على الغيب ، ولم يكن له شيخ أو استاذ ، فإنه لا يرجى منه خير . وتكون كل حال من مجاهداته خالية ، ضررها (ص ٣٠٢) أكثر من نفعها .

* قال الشيخ يوما أثناء المجلس : إن هذا التصوف عز في ذل ، وغنى في فقر ، وسيادة في عبودية ، وشبع في جوع ، ولبس في عرى ، وحرية في عبودية ، وحياة في موت ، وحلاوة في مرارة . وكل من يسير في هذا الطريق ، ولا يسير على هذه الصفة ، يزداد حيرة كل يوم .

* قال الشيخ : يجب أن يشغل الرجل بعملين هما : أن يرفع من أمامه كل ما يشغله عن الله ، وأن يسعى لراحة الدراويش . فإذا سار على هذا النحو ، وصل إلى مقصوده .

* سئل شيخنا : ما عدد الطرق من الخلق إلى الحق ؟ . فقال : — في رواية — أكثر من ألف طريق ، وقال — في رواية أخرى — : الطريق إلى الحق بعدد ذرات الموجودات ، ولكن ليس هناك طريق أقرب وأفضل وأسرع

من العمل على راحة شخص . وقد سرت في هذا الطريق ، وإننى أوصى الجميع به .

* سأل درويش شيخنا : أين أجد الله ؟ . فقال له الشيخ : وأين بحثت عنه ولم تجده ؟ إنك إذا خطوت خطوة صادقة في طابه ، تراه في كل ما تنظر إليه .

* قال الشيخ : يرى الشخص الذى يساق إلى الجحيم نورا من بعيد ، فيسأل : ما هذا النور ؟ فيقال له إنه نور الشيخ فلان ، فيقول : لقد كنت أحب ذلك الشيخ فى الدنيا . ويحمل الريح ذلك الكلام إلى أذن الشيخ ، فيشفع ذلك العزيز من أجل ذلك العاصي في حضرة الحق سبحانه وتعالى ، فيطلقه الله تعالى بشفاعته ذلك العزيز .

* سئل الشيخ ما الذى يظهره الله لبعض أحبائه ، ويخفيه عن البعض ؟ . فقال الشيخ : الشيء الذى يحب الحق تعالى أن يخفيه ، والشيء الذى يحب الحق سبحانه وتعالى أن يظهره .

* سئل الشيخ : من هو الصوفى ؟ ، فأجاب : الصوفى هو الذى يرضى بكل ما يفعله الحق ، حتى يرضى الحق بكل ما يفعله .

* (ص ٣٠٣) قال الشيخ : إن المنعمين فى الدنيا ينعمون بالدنيا . أما المنعمون فى الآخرة فينعمون بالآلام .

* قال الشيخ : قال شيوخ ماوراء النهر : للشرك منزل هو البطر ، وللإيمان منزل هو الحزن .

* قال الشيخ . الألم قلعة تحمى العبد من البلايا بحماية الحق .

* قال الشيخ : أهل الدنيا صيد لابلis بشباك الشهوات . وأهل الآخرة صيد للحق بشباك الهوم . قال الله تعالى : « لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن الله تعالى يحب كل قلب حزين » .

* قال الشيخ : عندما تعترض شخص مشكلة يفكر في أن يقولها للحق تعالى ، وعندئذ يجب عليه أن يقول كل ما يطرأ على خاطره من الغيب ، ولا يهتم بما يقوله هو نفسه .

* قال الشيخ لأحد الدراويش كل ما يلزم قوله قلبه حتى لا يبقى ما لا يقال ، وكل ما يجب عمله عمله حتى لا يبقى ما لا يعمل .

* زأيت بخط السيد الشيخ أبي البركات مكتوبا جاء فيه : سمعت عن الشيخ أبي بكر الدروني أنه قال : سمعت عن الشيخ أبي الحسن الفاروزي أنه قال : سمعت هذا الخبر من الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرةهم ، وحوسب بحسابهم ، وإن لم يعمل بأعمالهم » .

* قال الشيخ : « الفنى تعب محبوب ، والفقر راحة مكروهة » ، وقد اتفق جميع الفضلاء والشيوخ على أنه لم يقل شخص في هذا المعنى قولا أفضل وأكثر إيجازا من هذا القول .

* روى أنهم كانوا يحضرون إلى الشيخ كل ابن أو حفيد عند ولادته ، ليؤذن في أذنه . وكان الشيخ يضع فيه على أذنه ويقول له بدلا من الآذان : يجب أن تكون لهذا الطريق .

* (ص ٣٠٤) قال الشيخ « من نظر إلى الخلق بعين الخلق طالت خصومته معهم ؛ ومن نظر إليهم بعين الحق استراح منهم » .

* قال الشيخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يقرع أبواب الجنة من أمتي ققراؤها ، وأكثر أهل الجنة من أمتي ضعفاؤها » ، وشرار

أمتى من يساق إلى النار الأفاع « قيل يا رسول الله ومن الأفاع ؟ . قال صلى الله عليه وسلم « الذين إذا أكلوا لم يشبعوا ، وإذا جمعوا لم يستغنوا » .

* قال الشيخ : « من لم يتأدب بأستاذ فهو بطل . وكل حال ووقت لا يكون من العلم ، وعن نتيجة المجاهدة وإن حلّ فضرره أكثر من نفعه . ولو أن رجلا بلغ أعلى المراتب والمقامات حتى ينكشف له من الغيب أشياء ، ولا يكون له مقدم وأستاذ ، فلا يجيء البتة منه شيء » .

* سئل الشيخ في المجلس : ما النصف ؟ . فقال الشيخ : « التصوف الصبر تحت الأمر والنهي ، والرضا والتسليم في مجارى الأقدار » . ثم قال : « لم يظهر على أحد حالة شريفة منيفة إلا وأصلها الصبر تحت الأمر والنهي والرضا والتسليم بقضاء الله وأحكامه عز وجل » .

* قال الشيخ : كل قلب لا يكون فيه سر من الحق ، وليس له سر مع الحق وسماع من كلام الحق فإن سبب ذلك أن هذا القلب خال من الإخلاص . وكل من لا إخلاص له لا إخلاص له على أى وجه من الوجوه . ثم روى خبرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم القيامة حيىء بالإخلاص والشرك كحيوان بين يدي الرب تعالى فيقول الرب تعالى ، للإخلاص انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ، ويقول للشرك انطلق أنت ومن معك إلى النار . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » .

ثم قال — الشيخ : اطلبوا الإخلاص فإن الإخلاص خلاص في الدنيا والآخرة ، كذا قال رسول الله صلى الله عليه « يامعاذ دينك يكفيك القليل من العمل » .

* (ص ٣٠٥) قال الشيخ: العالم هو الخَلَص ، فمن لا إخلاص له في قلبه فلا علم له في دينه وشرعه . فقال واحد : يا شيخ ، ما الإخلاص ؟ . فقال : لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإخلاص سر من أسرار الله في قلب العبد وروحه يطهر مسلكه به ، ومدد ذلك السر يأتي من عناية الله سبحانه وتعالى ، وهذا المدد رقيب على ذلك السر ، والموحد يكون موحدًا بهذا السر . فقال رجل : أيها الشيخ ، ما السر ؟ . فأجاب الشيخ : السر لطيفة من أطاف الحق على نحو ما يقول : « الله لطيف بعباده » ، وتلك اللطيفة تظهر بفضل الله تعالى ورحمته لا بكسب العبد وعمله . ففي البدايه يشعل في قلب العبد الحاجة والحزن والرغبة . ثم ينظر إليه بتلك الحاجة وذلك الحزن فيضع بفضل ورحمته في قلبه لطفاً « لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل » . ويقال لذلك اللطف سر الله ، وهذا هو الإخلاص . وقد قال الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوله للناس فقال له : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

* قال الشيخ: من كان حياته بنفسه فحياته إلى ذهاب روحه . ومن كان حياته بالإخلاص والصدق ، فهو حي بقلبه ، ينتقل من دار إلى دار . ثم قال : الإخلاص : الذي لا يكتبه الملاك ، ولا يطلع عليه إنسان .

* قال الشيخ : كل شخص يحيا بالنفس يموت بالموت . وكل من يحيا بالإخلاص والصدق ، لا يموت أبداً ، وينتقل من قصر إلى قصر ، ثم قال الشيخ :

« شعر »

يا عز أقسم بالذي أنا عبده وله الحجيج وما حوت عرفات
لأبتغي بدلا سواك خليفة فتق بقلبي والكرام ثقات

ولو أن فوقى تربة ودعوتنى لأجبت صوتك والعظام رفات
وإذا ذكرتك يا مخلوب تقطعت كبدى عليك وزادت الحشرات
وتملكك الشيخ حال من السرور وقال هذه الرابعة (ص ٣٠٦)

إذا مت ومرت على عشرون سنة
لا تظن قبري خاليا من العشق
فإذا ما وضعت يدك على قبري سائلا من هنا ؟
لانبعث صوتي قائلا : كيف حال معشوقي ؟

ثم قال الشيخ : إن ذلك السر الطاهر هو معشوق الموحدين . وذلك السر
قائم بنظر الحق والحق ، وهو من نصيب المخلوق الطاهرين ، ووديعة في هذا الجسد .
وكل من يملك هذا السر إنسان ، وكل من لا يملكه حيوان .

* قال الشيخ على المنبر يوما : ألا من عاش بالله لا يموت أبدا .

* قال الشيخ : « إذا أردت أن يصير الحق في قلبك موجودا ، فطهر قلبك
عن غيره ، فإن الملك لا يدخل بيتا فيه الخرافات والأقنعة ، وإنما يدخل بيتا فارغا
ليس فيه إلا هو ، ولا تكون أنت معه كما قيل : » اخرج منه ، فالبيت مسكني .

* قال الشيخ : إن فضلى عليكم أنكم تقولون لى ، وأنا أقول لله . وأنتم
تسمعون منى ، وأنا أسمع منه . وأنتم معى ، وأنا معه .

* قال الشيخ : « حقيقة العبودية تبيثان : حسن الافتقار إلى الله ، وهذا
من باطن الأحوال ، وحسن القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس
لأنفس فيه نصيب ولا راحة » .

وقال : « طوبى لمن كان له في عمره نفس واحد » ، ما أسعد ذلك الذي يتنفس نفسا واحدا صافيا طيلة عمره ويكون ذلك النفس ضد نفسه . وحيثما تقهر النفس وتغلب ، يغلب نور الإسلام ، وعندئذ تصعد من الجسد أنفاس صافية وافية مثل نسيم الصبا الذي يهب على الروضة . وكل مريض يصل إليه ذلك النسيم ، يجد الراحة العاجلة ، ويكون سببا لشفائه .

* قال الشيخ : «التصوف إرادة الحق في الخلق بلاخلق» . ثم قال : وهذا التغير والتلون والبلبلة والاضطراب كله من النفس . وحيثما ينكشف أثر من أنوار الحقيقة لا تكون هناك ولولة ولا دمدمة ولا تغير ولا تلون . « ليس مع الله وحشة ، ولا مع النفس (ص ٣٠٧) راحة » ، ثم قال :

« بيت »

- يلزم رجل يضحك وهو محترق الكبد ،
وليس مثل هذا الرجل كثير الوجود .

* سئل الشيخ : ما الفتوة ؟ فأجاب الشيخ : « قال النبي صلى الله عليه : أن ترضى لاختيك ما ترضى لنفسك » . ثم قال : « حقيقة الفتوة أن تعذر الخلق فيما هم فيه . ومن صحب الفتيان من غير فتوة يفتضح سريعا » .

* قال الشيخ : « إن لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى قلب عبده ، ينظر هل ينظر إليه قلب العبد ، فإن وجده ناظرا إليه ، ألحقه المزيد ، وأكرمه بالزيادات والأنوار ، وجذب قابله إليه . وما لم يكن له جذبة من فوق ؛ لا ينتظم أمره ، ولا يصلح شأنه ، كما قال الشيخ : جذبة من الحق توازي عمل الثقلين جميعا » .

* ثم قال : التحمل أفضل من الاجتهاد ، ومالم يوجد التحمل ، لا يكون الاجتهاد . ومالم يوجد الاجتهاد ، لا تكون البصيرة .

* ثم قال : « من طلبه بالعبودية لا يجده ، ومن طلبه به يوشك أن يجده » .

* ثم قال : « لو بسط بساط المجد والفضل لدخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشيه ، ولو بدت عين من عيون الجود ألحق المسيء بالحسن » .

* ثم قال : ليس الدراويش أولئك الذين لو لم يكونوا هم هم ، لما كانوا دراويشا ، اسمهم صفتهم . وكل من يطالب الطريق إلى الحق ينبغي أن يمر (ص ٣٠٨) عليهم لأنهم فيه .

* قال شيخنا : « انقطع عن السكل حتى يكون لك السكل » ، ثم قال :

(شعر)

الذكر يمنعني والجود يطمعني . والحق يمنع عن هذا وعن ذا كا

فلا وجود ولا ذكر أسير به حتى فؤادي إذ ناديت إيا كا

* سئل شيخنا : يا شيخ ، كيف الطريق ؟ فقال الشيخ : «الصدق والرفق» :

الصدق مع الحق ، والرفق مع الخلق . وقد اتفق جميع المشايخ على أن المروءة احتمال زلل الإخوان . ولايسود الرجل حتى يكون فيه خصلتان : اليأس عما في أيدي الناس ، والتغافل عما يكون منهم .

* قال الشيخ لمريد : لا كان اليوم الذي تصل فيه إلى مرادك ، لأن كل من أنالوه مراده طردوه . وكف اليد عن كل ما يلزمك وما لا يلزمك لأنه صار بلاء لك وللخلق . ثم قال : لكل انسان حاجة ، وحاجتنا ألا تكون لنا حاجة . ثم قال : كنت يوما عند الشيخ أبي العباس القصاب ، وكان

يتحدث ، فقال في أثناء حديثه هذه الكلمة : كل شخص له ما يلزمه ، وأبو العباس يلزمه ألا يكون له ما يلزمه .

* سأل درويش شيخنا قائلا : ماهذه النار التي في القلوب ؟ فأجاب الشيخ : يسمونها نار الحاجة . وقد خاق الله تعالى نارين : إحداها نار حية ، والأخرى نار ميتة . والنار الحية هي نار الحاجة التي وضعت في صدور العباد لتحترق نفوسهم ، وهي نار نورانية ، وعندما تحترق النفس تتحول نار الحاجة هذه إلى نار الشوق ، ونار الشوق هذه لا تمحّد أبدا ، لا في الدنيا ولا في الآخرة . وهذه هي النار التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بعبد خيرا فذف في قلبه نورا ، قيل يارسول الله ما علامة ذلك النور ؟ قال : التجافى عن دار الغرور ، والإجابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت » . قال ذلك السائل : (ص ٣٠٩) ياشيخ ، عندما تكون نار الشوق وتحقق الرؤية الطاهرة ، هل تبدأ نار الشوق ؟ فقال الشيخ : لا يمكن الاقتناع بنصيب من رؤية القمر ، فهذه الرؤية تزيد الظما ولا تحدث الشبع . وكما أنها اليوم غيب فإنها سوف تكون في الغد عندما يريدون الرؤية غيبا أيضا . وليس من الصواب الطواف حول صفاته وكل شخص يرى يراه على قدر إيمانه . ويكون نور الإيمان هو النور الذي يأتي من القلوب إلى العيون حتى ترى بنور الإيمان هذا جلاله وجماله على حد ذاته .

والنار الميتة هي نار الجحيم ونار الظلمة والوحشة . وكل من لا يحترق بالنار الحية يحترق بتلك النار الميتة سواء في الدنيا أو الآخرة . ثم قال هذا الشعر :

- لم تحرق نار النمرود إبراهيم بن آذر ،
لقد صار ابن آذر مثل الرماد قبل هذه النار .
- وما لم تحترق بهذه النار فلست صافيا يقينا ،
سواء سميت هذا عبثا أو سميته جنونا .

* قال الشيخ : لقد تحدث سبعمائة شيخ من الشيوخ في الطريقة فقال أولهم ما قاله آخرهم . ومهما اختلفت العبارات إلا أن المعنى واحد وهو : « التصوف ترك التكلف » ، وليس هناك تكلف أكثر من اهتمامك بنفسك ، لأنك عندما تشغل بنفسك تعجز عن الله .

* قال شيخنا : لقد قيل أن التصوف شينتان : النظر في ناحية واحدة ، والحياة على وتيرة واحدة .

* سئل الشيخ : إذا أراد رجل أن يسلك الطريق بدون شيخ فهل يستطيع ؟ فقال الشيخ : لا يستطيع ، لأنه يلزمه شخص يكون قد سار في هذا الطريق حتى يستطيع أن يرشده إليه ، (٣١٠) ويحدثه عن عيوبه ومحاسنه ؛ ويعرفه بكل منزل و يقول له يلزم البقاء هنا أكثر . وعندما يكون هناك موضع يؤدي إلى التهلكة يقول له ينبغي الحذر . ويشجمه برفق حتى يقطع ذلك الطريق بقلب قوى ، فيصل إلى مقصوده . والشخص الذي يسلك الطريق بمفرده ، يكون كشیطان يتخبط في وسط صحراء ، لا يعرف من أين يكون الطريق على نحو ما يقول الله عز وجل : « كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران » . وأصل هذا الطريق هو إطاعة الشيخ « فإن تطيعوا تهتدوا » ، وعندما يطيع المريد الشيخ فإنه أيضا يطيع الله « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » ، « والشيخ في قومه كالنبي في أمته » .

* قال الشيخ : « إياك وصحبة الأشرار ، ولا تنقطع عن الله بصحبة الأخيار » .

* قال الشيخ : للصحبة شروط . وأحسن لباس يلبسه العبد هو لباس التواضع . وليس لعبد حلية أحسن من حلية التواضع ، ولا يعز العبد إلا التواضع « ومن تواضع لله رفعه » . والتواضع هو الخضوع والتسليم في هذا الطريق حيناً لاتتضح الأمور أمامه . وليس هناك آفة للعبد في هذا الطريق أسوأ من التكبر . والتكبر هو التعظيم والغرور كما قال إبليس « أنا خير منه » . ففقد طاعة ألف عام بغروره مرة واحدة . ويقال إن إبليس يطوف في الأسواق ، ويقول للناس : تنبهوا ولا تغتروا ولا تقولوا أنا وتأملوا ماذا حدث لي من الغرور والأنية . والتكبر والتعظيم صفة الله ، وكل من ينازعه فيه ، ويساوى نفسه به ، فإن الله يقهره .

* قال الشيخ : « التصوف بالتلقين كالبناء على السرقين » ، ثم قال : « هذا الأمر لا يخاط على أحد بالإبرة ، ولا يشد عليه بالخيط » ، وهذا أمر لا يتحقق بالكلام ، فما لم تسلك طريقه لا تسرى دماؤه فيك . وهذا أمر يتحقق بشعورك بالحاجة ، فتززم الحاجة .

* (ص ٣١١) قال الشيخ . كل من يوافقني في هذا الأمر يصبح قريباً لي ، ولو كان بينه وبينى مراحل كثيرة . وكل من لا يؤيدني في هذا الأمر لاعلاقة لي به ، ولو كان من أقربائي . فأنت تكون معي وبيننا منازل كثيرة . ثم قال : لقد حل قحط الله !

وفي كل وقت كان يرى فيه قافلة كان يقول لهم : ألم يكن بينكم شخص من زملائنا يلبس ملابس ممزقة ؟ . ثم يقول لمريديه : إن زملاءنا قليلون ولا شأن لهم بالدنيا والآخرة .

* قال الشيخ : الحكم للوقت ، والأمر للغيب . ثم قال :

« بيت »

— إن طرتك سوداء ، وقد صرت منجى للمسك ،

ولكثرة ما بحثت عن المسك أصبحت أنت المسك .

* قال الشيخ : من السهل على الخلق جميعاً أن تكون لهم علاقة بالرحمن

الرحيم ، ومن الأصعب علينا أن تكون لنا علاقة بالجبار والقهار .

« بيت »

— لقد كانت الحيرة للمقربين كثيراً .

لأنهم يعرفون القمر الساطع

* قال الشيخ : مهما فعلنا يا إلهي ، لا نستطيع بذلك أن نرفع طرف

عمائنا .

* قال الشيخ : يلزم في كل أمر صديق ، ويلزم أصدقاء في هذا الطريق ؛

بحيث يرشدونك إلى الحق ، وعندما تعجز عما ونونك .

* قال الشيخ : إننا ننظر من الشرق إلى الغرب مثلما ننظرون أنتم إلى طبق

وترون كل ما يكون فيه . وإننا ننظر لنرى هل أخذ أحد بهذا الأمر ، نحن

نرى أنه قد ختم ، وختم هنا . وإذا وجد في الدنيا جميعها شخص أو قوم أخذوا

به ، فإنه ينبغي عليهم أن يزحفوا إلينا .

* قال شيخنا : « قال النبي عليه السلام ستفرك أمتي نيفا وسبعين فرقة ،

الناجي (ص ٣١٢) منهم واحدة والباقيون في النار » . قال الشيخ : أى في

نار أنفسهم .

* قال المقريء عبد الرحمن مقرئ الشيخ إن الشيخ اعترته يوماً حال أثناء

السماع ، فأخذ يصيح ويرقص في حلقة الجماعة . ولما جلس وهذا ، وكان الصمت قد استولى علينا ، قال : لقد تحدث سبعمائة شيخ في ماهية التصوف ، وأتم هذه الأقوال وأفضلها هو هذا القول : « استعمال الوقت بما هو أولى به » .
* قال شيخنا : « كان التصوف ألما فصار قلما » .
* قال الشيخ : « أهل الرسوم في حياتهم أموات ، وأهل الحقائق في مماتهم أحياء » .
* قال شيخنا : « مطالعة الآثار من الخلق غلط وما الخلق إلا سقط يلي سقط » .

* قال الشيخ : لقد كنت أبحول طويلا في مواضع كثيرة ، وكان هذا الأمر يقتضي أنرى . وكنت أبحث عن الله في الجبال والصحارى ، فأجده تارة ، ولا أجده أخرى . والآن لقد صرت بحيث لا أرى نفسى ، لأننى فئت فيه ، وتلك صفته ، ولم أكن أنا ، وسوف يكون هو ، ولن أكون أنا . والآن لا أستطيع أن أتفلسف نفسا بنفسى . ولست أدعى المشاهدة والتصوف والزهد ، فالشخص الذى ليس له اسم ؛ هل يمكن أن يطلق عليه اسم ؟ هذا محال وليس بمجاز .

* قال الشيخ : كل من يلزم له أن يأتى إلى هنا ، يجب عليه أن يأتى ليستمع إلى نفحة منه . فالجالس الأخرى يجالس علم ، أما هذا فهو مجلس الحق . وهم في تلك المجالس يبحثون عن السلطة والجاه والعز ، أما هنا فهم يبعدون عن أنفسهم السلطة والعز والجاه ، فالعز لله « لله العزة جميعا » والله يقول فى كلامه لم يزل العز كله لي .

* قال الشيخ : كل قراء ينسكر سماع الدراويش فهو بطال الطريقة .

* كان الشيخ يتحدث فى مجالس مبهنة ، فمرت قافلة بذلك المكان ، فقال الشيخ : ما أسعد هذه القافلة ، ثم مر كلب على ذلك الموضع فقال الشيخ : ما أسعد

هذا السكاب . غدا في يوم القيامة سوف يكون له الشرف على كلب أصحاب الكهف ؛ لأنه سمع هذا الكلام .

* (ص ٢١٣) سئل الشيخ في نيسابور : هل توجد علامة في الدنيا على أن الله راض عن العبد ؟ فأجاب الشيخ : أجل ، ينبغي أن يتبين العبد هل هو راض بما منحه الحق سبحانه وتعالى في الدنيا أم لا ؟ فإذا كان راضيا كان الله تعالى أيضا راضيا عنه .

* قال الشيخ : حينما ذكر أبو سعيد تسعد القلوب ؛ لأنه لم يبق لأبي سعيد من أبي سعيد شيء .

* سئل الشيخ : كيف يمكن رؤية الحق ولا يمكن رؤية الدرويش ؟ فقال : لأن الحق تعالى باق ، والباقي يمكن رؤيته ، أما الدرويش فهو فان ، والفاني لا يمكن رؤيته .

* قال الشيخ : أيها المسامون ، اعملوا أنهم لن يدعوا نكم تمرّون بدون عبء ، فإذا كنتم نحمّلون عبء الحقيقة فإنكم سوف ترتاحون الآن ، وتحصلون على الراحة غداً . وإلا فسوف يضعون الباطل على أعناقكم ، فلا تستريحون في الدنيا ولا في الآخرة .

* سئل الشيخ عن معنى هذه الآية : « ولذكر الله أكبر » . فقال : معناها أن ذكر الله لعبده أكبر ؛ لأن العبد لا يستطيع أن يذكر الله مالم يذكره الله أولا . وإنه لأكثر أن يذكر الله العبد ويمنحه التوفيق لكي يذكره أيضا . وإذا تأملت جيدا تجده يذكر نفسه ، لأن العبد ليس شيئا . والعبد يسعى كثيرا ، وبطوف بالدنيا ، ويظن أنه حصل على الراحة ، ولا راحة في مكان يخلو منه . وأينا توجهت إن تجد الراحة مادام هو ليس . وجودا . إنه في كل مكان ، وأنت تراه هنا أيضا .

« رابعة »

سعت كثيرا حتى كلت قدمي
وفي النهاية لم أحصل على فائدة بدونك
ولما ببطت يدي مبيعا لك بالوفاء
قبع في داري مستريحا

...* (ص ٣١٤) قرأ مقرأء هذه الآية أمام الشيخ : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها » . فقال الشيخ :

« بيت »

— ماذا ينال خالي الوفاض من رؤية
الحسان ، غير الحسرة والألم ؟!

وقرأ مقرأء : « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » ، فقال الشيخ :

« بيت »

- أتقودني إلى حافة البئر وتدفعني ،
وتخوقل وتضرب كفا بكف ؟

* قال الشيخ : لن يأتي أعز من سليمان ، ولم يكن هناك ملك أعظم منه .
ومع هذا فلم يكن في قبضته سوى الريح « وسليمان الريح » وعندما أراد الله أن
يريه قدر ملكه ، أنزله عن العرش ، واجاس « صخر » الجنى مكانه ، ايسوس
نفس الملك الذي كان ينوسه ، ثم اطلع سليمان عليه ثانية ، وقال له : إن هذا انلك
الذي تتطلع إليه لا يهتم أحد بامتلاكه ، ولا يستحق أن تقول : « هب لي
ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » .

* سئل الشيخ : ما الدولة ؟ فقال الشيخ : قيلت في هذا المعنى أقوال كثيرة .
وأنا أقول : « الدولة إتفاق حسن » ، وعندما تظهر تكون العناية الأزلية « سبقت
العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية » . والناس في الدنيا على ألوان شتى .
وقد صبغ الله القلوب منذ الأزل على نحو ما يقول « صبغة الله ومن أحسن من الله
صبغة ونحن له عابدون » .

(شعر)

وهوأك أول ما عرفت من الهوى والقلب لا ينسى الحبيب الأول
وهذه الولاية ليست من تلك المجموعة حتى يمكن حياكتها بالأبرة ، أو
ربطها بالخيط ، أو وزنها بالميزان ؛ فهي عندما لا تكون لا تكون .

(بيت)

- جاءت الدنيا لمن جاء ،
فاعتبر ما جاء كأن لم يجيء .

* (ص ٣١٥) نهض رجل في مجلس الشيخ وسأله : أيها الشيخ ، أي تدبير
لنا ؟ . فقال الشيخ : « التدبير في العقل تدمير . والتدبير في العشق تزوير » .
ولا يوجد خطأ أسوأ منه لأنك تدبر مع عدوك في حق صديقك وديك . والتدبير
صفة النفس والنفس عدو . وإذا كنت تريد أن تدبر ، فيجب عليك أن تدبر مع
شخص ماهر . ولم يوجد ولن يوجد منذ العهد الأول حتى منقرض العالم شخص
أمهر من المصطفى صلى الله عليه ، فدبر معه . وانظر ماذا قال وسر عليه ، وابتعد عما
نهى عنه .

(بيت)

— يجب اختصار القول ،

والحذر من صديق السوء .

وصديق السوء هو نفسك « أرايت من اتخذ إلهه هواه » . وطالما أنت تهتم
بنفسك فلن تجد الراحة قط « نفسك سجنك إن خرجت منها وقعت في راحة الأبد » .

* في وقت من الأوقات سأل درويش الشيخ : أيها الشيخ ، ما العقل ؟
فقال الشيخ : « العقل آلة العبودية » ولا يمكن إدراك أسرار الربوبية بالعقل ؛
لأنه محدث ، وليس للمحدث طريق إلى القديم .

* قال درويش للشيخ : أيها الشيخ ، أدع لي : فقال شيخنا : لاجعلك الله
لائقا لأى عمل ؛ لأنك إذا لقت لعمل ، بقيت في قيده ، وأصبح ذلك حجابا لك
عن ربك . وأساس العبودية الفناء ، فإذا بقيت في صفاتك ذرة من إثباب ؛ فقد
دام عليك هذا الحجاب ، فاثبات الصفات لله ، ونفى الصفات للعبد . قال موسى :
« فأرسل إلى هارون » وموسى هنا لم يهرب من النبوة ، ولكنه تذوق النفي فكان
يقول « دعنا في هذا الفناء فقد شبعنا من وجودنا ، وتحملنا كثيرا من الباليات » .

وقد قيل : لا بد للنبوة من نفي البشرية ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم
في الغار عنها هكذا في عجزنا . وكان جبريل يقول له اقرأ فكان يقول (ص ٣١٦)
ما أنا بقارئ ، هنا الكبراء والعظماء ، فماذا تريد من أجبر خديجة ؛ ويقيم أبى طالب .

(بيت)

الجلوس في البيت لا يجديك ،

فأربط ذيلك بذيلي .

* قال الشيخ ، إن الملوك لا يديعون العبد ، فاجتهدوا أن تكونوا عبيداً لله ، فعندما قبلكم عبيداً له ، وناداكم « يا عبادي » تجاوز أمركم القياس والتصرف .
* قال رجل : يا شيخ ، هل يخرج الأثم العبد من العبودية ؟ فأجاب الشيخ : مادام عبداً فلا ، ولما كان آدم عبداً ؛ فإن الذنب لم يبعده عن الله . فكأن عبده حينما شئت « ذنب مع الافتقار خير من طاعة مع الافتخار » . ولقد شعر آدم بالافتقار وشعر ابليس بالافتخار ، « ولولا العصاة لضاع رحمة الله » .

* كان الشيخ يتحدث يوماً فقال : حر كوارثوسكم استحسنانا لهذا الحديث حتى إذا سئلتهم يوم القيامة من أنتم ؟ قلتم : نحن المستحسنون لحديث رجالك ، فيرفع القيد عنكم سريعاً .

* سئل الشيخ عن هذه الآية « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ، فقال الشيخ : إن الاختيار لله . والذي يختاره الله يجب أن يكون لانها حسناً . أما ما يختاره العبد فلا فائدة منه . ونحن لانستطيع أن نتنفس نفساً بدونه . والشئ الذي لا يريد الله لا يحدث ، وأفضل لنا ألا نكون . وإذا ما عرض للعبد فتح ، فإنه يزدان بهذا الفتح ، ويصير هذا الفتح حلية له ، فيصبح جديراً بالبصيرة . وإذا ما صار بصيراً أصبح سمياً ، وعلى هذا فالله يقول : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » . والله يقول لي هو خير يا ابن أبي الخير ، وأنا أقول لكم : هو خير يا آل ابن الخير . وكل شخص يتبعه بشئ ، بعضهم يتبعه بالدنيا وبعضهم بالعقبى ، ويفخر بعضهم بالدرجات وبعضهم بالحسنات ، وأنا أقول لكم إن هذا كله لم يكن موجوداً وكان هو موجوداً ، ولا يزال ، وسيظل دائماً .

وقد كان الشيخ أبو القاسم بشر ياسين يعلم العجائز في ميهنته هذا الذكر :
يا أنت ، يا من أنت كل شئ ، يا من كل شئ لك (ص ٣١٧) وحذلك لاشريك لك .

وهذا كله لأن الحق تعالى يقول : « شو خير مما يجمعون » . أيها المسلمون ، لقد أصبح غريباً ذلك الشخص الذي يشم نفحة منه ، أو الشخص الذي شبع من نفسه . والفيض يأتي الشخص الذي يتعلق بالله فيصير محتاجاً لله . تلزم الحاجة ، فالحاجة مغناطيس يجذب أسرار الحقيقة .

قال الشيخ : قبل أن يخلق الله تعالى الأجساد بأربعين ألف سنة ، خلق الأرواح واحتفظ بها في محل القرب ، ثم نثر عليها نوراً ، وكان يعرف نصيب كل روح من ذلك النور ، ويهديها علم قدر ذلك النصيب حتى هدأت وسكنت في ذلك النور وتربت فيه . والأشخاص الذين يأنس أحدهم إلى الآخر في الدنيا ، كانوا يأنسون أحدهم إلى الآخر هناك ، في ذلك القرب . وهم يحبون أحدهم الآخر هنا ، ويعرفون بأحباب الله لأنهم يحبون أحدهم الآخر من أجل الله . وكل من يطلب الله منهم يحمل بذلك الطلب نفحة إلى الآخر ، كما تشام الخيل . ولو أن أحدهم كان بالمغرب والآخر بالشرق فإنهم يجدون الأُنس والتسلي بحديث أحدهم إلى الآخر . وإذا كان أحدهم في القرن الأول والآخر في القرن الخامس فإن ذلك الآخر لا يجد الفائدة والتسلي إلا بكلام الأول .

وهؤلاء القوم يتحلون بفضل الحق تعالى ، ولا يتغيرون بشيء من : الله : لا بالبلاء ولا بالنعاء ولا بالكرامات ولا بالمقات . وكل من ينزل إلى شيء من هذه المعاني لا يكون إلا كاذباً ، لأن الكرامات والمقامات والدرجات كلها ليست إلهية : هي كلها نصيب العبد ، وكل من نزل إلى هذا صار عبد النصيب .

* قال الشيخ : أيها المسلمون ، حتام لا تتجملون من أنيتكم ؟ لا تقولوا في الدنيا الشيء الذي لا تستطيعون قوله يوم القيامة ، لأنه يكون وبالا عليكم . إن هذه الأنية تجلب الدمار للخلق ، هذه الأنية شجرة اللعنة . وأول شخص قال « أنا » كان إبليس ، وشجرة (ص ٣١٨) لعنته كانت ملكا لكامة « أنا » ، وكل من يقول (أنا) يقطف ثمرة من تلك الشجرة ، ويعتمد كل يوم عن الله أكثر .

طرق جابر بن عبد الله باب حجرة الرسول عليه السلام فقال الرسول عليه السلام : من الطارق ؟ . فقال جابر : « أنا » فهض الرسول عليه السلام وأخذ يقول وهو يسير إلى الباب : « أنا ، أنا ، أنا ، أما أنا فلا أقول أنا » . وعندما تخلص من أنيته ، وصح واستقام في ذلك ، قيل له : قل هذا بإذن منا « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا » .

* قال الشيخ : « لا تكرر هو النفس فإن فيها خسارة المناقين » .

* مثل الشيخ في تفسير هذا الخبر « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » . فقال : إن تفكر ساعة وأنت فان عن نفسك ، خير من أن تقوم بالعبادة مسنة وأنت تفكر في وجودك .

* مثل الشيخ عن السماع فقال : « يلزم للسماع قلب حي ونفس ميت »

* قال الشيخ : نحن نعظ بدون علم ، ونقيم الولايم بدون نقود .

* قال الشيخ : ظلت أبحث عن الحق مدة طويلة ، وكنت أجده تارة ولا أجده أخرى ، والآن أبحث عن نفسي فلا أجدها ، لقد فئت لأن الكحل هو .

« شعر »

— لبثت في كيف ولماذا سنين طويلة ،
أقول كيف هذا ولم ذلك .
— وعندما استيقظ النائم من غفاته ،
أصبح الغم أسهل عليه في اليقظة .

* قال الشيخ : تلزم جميع الأشياء للرجل حتى لا يلزمه شيء . وقد فسر أحد كبار الصوفية هذا القول فقال : يازم للرجل أن يصل إلى كل شيء ، ويجرب كل شيء ، حتى لا يهفو قلبه لشيء .

* قال الشيخ : كل من يظن في نفسه ظنا طيبا لا يعرف نفسه . وكل من (ص ٣١٩) يظن في الله ظنا سيئا لا يعرف الله .

* قال الشيخ : « لولا أن العفو أحب الأشياء إلى الله تعالى ، لما ابتلى بالذنوب أحب الخلق إليه ، يعني آدم » .

* سئل الشيخ عن معنى القول : « من عرف الله كل لسانه . فقال شيخنا : يعني كل لسانه عن خصومة الخلق ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أعز الخلق ولم يكل لسانه » .

* سئل الشيخ عن معنى « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، فأجاب الشيخ : « من عرف نفسه بالعدم ، عرف ربه بالوجود » .

* قال شيخنا : « من فضل الفقير على الغني أن كل أحد يتمنى عند الموت وفي القيامة أنه كان فقيرا ، وذلك في حالة الصدق ، ولا يتمنى أحد في ذلك الوقت الغنى » .

* سئل الشيخ عن معنى « نصر عزيز » فقال الشيخ : العدو اثنان ، أحدهما داخل القميص ، والثاني خارج القميص ، وذلك الذي في خارج القميص عندما تتغلب عليه يقال لذلك الفتح ظفرا ، أما ذلك الذي من داخل القميص فهو الذي عندما تتغلب عليه يسمون ذلك نصرا عزيزا . هذا هو تفسير « نصر عزيز » .

* قال شيخنا : كل ما يليق للخلق لا يليق لله ، وكل ما يليق لله لا يليق للخلق .

* قال شيخنا : أصل الزلة هو أن المصطفى عليه السلام أحضر لنا زلة من هناك ، من عند الحبيب ، والآن ينبغي أخذ الزلة من بيت الأعباء لا من بيت الغرباء .

* قال شيخنا : يمكنك أن تزيد في الجهد والتعب ولكن لا يمكنك أن تزيد في الرزق ، لأنه يكون بالمتح لا بالكفاح .

* قال الشيخ : ان تسحب جبلا بشرة أسهل من أن تخرج بنفسك من نفسك .

* قال الشيخ : يقول الناس إننا سعداء نشعر بالراحة ولو أنهم (ص ٣٢٠) رأوا ما تحملنا ، لتألموا كثيرا وهربوا .

* قال الشيخ : ليس الشيطان هو الذي يقول « لاحول الله » وإنما هو الخامر الهارب .

* سئل شيخنا : « ما الشر ؟ . . وشر الشر ؟ » فقال الشيخ : الشر أنت ، وشر الشر هو أنت وأنت لاتعلم .

* قال الشيخ : إن الله تعالى لا يخشى أن يجعل مائة ألف صاحب نفس فداء لصاحب قلب .

* قال الشيخ : بعد أكثر من سبعين عاما عرفت معنى هذا البيت :

— أواه أيها الناس . . . لقد انعدم العدل في الدنيا ! ،
فالحبيب يرتكب الذنب وعلى أنا أن اعتذر .

* قال الشيخ : قال سليمان « هب لي ملكا » فمنحه الله ذلك الملك . ولما رأى آفة ذلك الملك ، وأدرك أنه يسبب البعد لا القرب ، قال لحضرة الله تعالى « لا ينبغي لأحد من بعدى » .

قال الشيخ : عندما يصل الرجل إلى طريق التجرد لا يهتم بملك سليمان . وإذا لم يصل إلى التجرد يعرف ما يزيد عن الكم . ولهذا السبب قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في السوق : اقطعوا ما زاد عن الكم .
* قال الشيخ « ينبغي أن يكون لك وارد ولا يرد » .

* قال الشيخ . « كل ما كان من قبل الهوى والباطل فهو نفس ، وما كان فيه راحة من الخلق فهو نفس » .

* سئل الشيخ عن معنى « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا » فقال : الليل ليل الاستتار والنهار نهار التجلي .

* قال الشيخ : « لما خلق الله تعالى العقل وقفه بين يديه ، فقال من أنا ؟ فتخبر (ص ٣٢١) فكلمه بنور وحدانيته فقال من أنا ؟ فقال أنت الله لا إله إلا أنت ، فلم يكن للعقل طريق إلى معرفته إلا به » .

* سئل الشيخ عن المعرفة فقال : المعرفة هي ما نقوله لأطفالنا ، نظف أنفك ثم تحدث عنا .

* قال الشيخ : « القرب على ثلاثة أوجه : قرب من حيث المسافة ، وهو محال . وقرب من حيث العلم والقدرة ، وهو واجب ، وقرب من حيث الفضل والرحمة ، وهو جازز » .

* قال الشيخ : وقتك هو نفسك بين نفسين : أحدهما مضى والآخر لم يأت بعد . وقد سبق شرح هذا القول .

* قال شيخنا : يغسل الغاسل الثوب لأسبوع ، ولكنه لا يكون جيدا . وإذا كان الغاسل سيغسله بعناية يقول (الثوب) : أنا لا أخونك ، ولا أستهين بعملك . فإذا ما كان يلزم أن أكون جيدا فانتظر حتى أذهب إلى الماء منيرة أخرى . ولكنه يصير لأسبوعين وعندئذ يخرج كرباسا كل من ينظر إليه يقول : مرحى للأستاذ ، مرحى للأستاذ .

* قال شيخنا يوما أثناء حديثه : « إن الذين يكثرون الصلاة والذكر ويعبدون ما لهم عند الله ، فلو عدوا ما لله عندهم لاستراحوا » . ثم قال : « قال رسول الله صلى الله عليه : إياكم ومجالسة الموتى ، قيل يارسول الله ، من الموتى ؟ قال أهل الدنيا الذين ولدوا في التعم . ثم قال صلى الله عليه : يا معاذ إياك والتعم فإن عباد الله ليسوا بمتنعمين » .

* قال الشيخ أثناء المجلس : الحياة بالعلم ، والراحة في معرفة الذوق في الذكر ، وثواب التوحيد النظر إلى الله تعالى في الجنة . وثواب أداء الأمر الجنة ، وثواب اجتناب النهي الخلاص من النار . ثم قرأ الشيخ : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن بشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » .

* (ص ٣٢٢) قال الشيخ « لما خلق الله تعالى الأرواح خاطبهم بلا واسطة ، واسمهم كلامه كفاحا ، وقال : خلقتكم لتساروني ، وأساركم ، فإن لم تفعلوا ، فتناجونى ، وأناجيكم . فإن لم تفعلوا ، فكلموني وحدثوني . فإن لم تفعلوا ، فاسمعوا مني . ثم قرأ الشيخ : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » .

... ثم قال : « إن كلام الله صفة قديمة مختصة بذاته ، ليس بحرف ولا صوت ، وهو مسموع في ذاته . فإذا أسمع عبده من غير واسطة حرف ولا صوت ، يسمى مكاملة ومخاطبة . وإذا اعتبره عليه ، بأن يخلق في الحل ما يدل عليه من العبارات والحروف أو غير ذلك من الأدلة ؛ فيسمى مسارة . وإذا خلق في قلبه معانى كلامه ؛ فيسمى مناجاة . ومن شرط هذا القسم الأخير أن يتعقبه علم ضرورى بأن هذا من كلام الله . فما ورد من ألفاظ المسارة والمناجاة والمخاطبة فمحمول على هذه المعانى . وأما الوحي والإيجاد فإذا الكلام في النفس بواسطة رسول من رسله » .

* قال الشيخ أثناء الحديث : « سيروا إلى الله سيرا جميلا ، وسيروا إلى الله بالهمم لا بالقدم » .

* قال الشيخ : « من عرف الله بلا واسطة ، عبده بلا عوض . ومن عرفه بواسطة ، عبده على العوض » .

* قال الشيخ : « الزم بابا يفتح لك الأبواب ، واخدم سيذا واحدا يخضع لك الرقاب » . ثم قال الشيخ : « تأن تمل ، فإن هذا رب ليس العحلة من شأنه » .

* سئل الشيخ عن معنى هذا الخبر : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا

إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . فأجاب : قيمة كل امرئ قلبه ، لأن الصورة والصدق ، والقلب هو الجوهر . والملوك لا ينظرون إلى الصدق ، بل ينظرون إلى الجوهر . والجواهر مختلفة . وقيمة كل امرئ قلبه ، وعاقبة كل امرئ قلبه . والقلب ناظر بالفضل والرحمة ، كذا قال الله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » « يختص برحمته من يشاء » .

* (ص ٣٢٣) قال الشيخ : « الدنيا صوركم ، والآخرة صوركم ، وجميع ما في الكونين صوركم والأمر والإسم والصور . فالمقامات حركات الظواهر ، والأحوال حركات السرائر ، والتوحيد والمعرفة وراء الظواهر والسرائر . ولا يصل العبد بروح التوحيد وصفاء المعرفة إلا بكفاية ورعاية وعناية من الحق تعالى وتقدس » .

* قال الشيخ : « السماع يحتاج إلى إيمان قوى لأن الله تعالى قال : « إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا » ، فالسماع غذاء الأرواح وشفاء الأشباح . والسماع لسالك الطريق . ومن لم يسلك الطريق لا يكون له سماع بالتحقيق » .

* قال الشيخ : « إن أردت أن تجده فاطلبه في رجوعك عما دونه » .

* قال الشيخ : « السلامة في التسليم . والبلاء في التدبير » .

* قال الشيخ : « من أحب الدنيا ، حرم عليه طريق الآخرة ؛ لأن النبي صلى الله عليه قال : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

* قال الشيخ : « من سكن إلى شيء ، دون الله تعالى فهلاكه فيه » .

* وقال : « من حدث في نفسه ، غاب عن مولاه ، وردده الله إلى نفسه ، لأن أول جنابة الصديقين حديثهم مع أنفسهم » .

* قال الشيخ: « لا يمجّد السلامة أحد حتّى يكون فى التدبير كأهل القبور؛ لأن الله تعالى خالق الخلق مضطرين لا حيلة لهم . وأسعد الناس من أراه الله قلبه حيلته » .

* مثل الشيخ : « يا شيخ ، ما الشريعة ، وما الطريقة وما الحقيقة ؟ . فقال : الشريعة أفعال فى أفعال ، والطريقة أخلاق فى أخلاق ، والحقيقة أحوال فى أحوال . فمن لا أفعال له بالمجاهدة ومتابعة السنة ، فلا أخلاق له بالهداية والطريقة . ومن لا أخلاق له بالهداية والطريقة ، فلا أحوال له بالحقيقة والاستقامة والسياسة » .

* قال شيخنا : « من حياته بنفسه ، فحياته إلى ذهاب روحه . ومن كان حياته بالإجابة والصدق فهو حى ينقل من دار إلى دار . أما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه « يا أهل الخلود والبقاء خلّقم للبقاء لا للفناء ولكنكم تنقلون من دار إلى دار » .

* (ص ٣٢٤) قال الشيخ : « أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبيائه: تزعم أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك ، فإن حبها وحبى لا يجتمعان » . ثم قال الشيخ : « ما ترك عبد فى الله شيئاً إلا عوضه الله خيراً منه . ومن لم يكن عيشه بالله والله ، فلا عدة لموته » .

ثم سأل سائل : « يا شيخ ، فقيم الراحة ؟ . فقال : الراحة فى تجريد الفؤاد عن كل المراد ، لأن الله تعالى قال : « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » أى فضلناهم بأن بصرناهم بعيوب أنفسهم ، وكذا قال رسول الله : « إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه » . كذا قال صلى الله عليه : « من زهد فى الدنيا أسكن الله الحكمة قلبه ، ونطق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا ، وصار

دأها دواءها . ومن قال لا إله إلا الله فقد بايع الله ، ولا يحل له إذا بايعه أن يعصيه . ومن لم يتنعم بذكره وأمره في الدنيا ، لم يتنعم برؤية وجهته في العقبى .
* قال الشيخ : ليس هناك كلام أحسن مما أقول ، ولكن إذا كان لا ينبغي قول هذا فإنه يكون أحسن .

* في وقت من الأوقات كان جماعة من العطاء عند الشيخ فقال أحدهم :
إننا نفعل كل ما نقول ، فقال شيخنا : إنني على خلاف هذا فأنا أفعل كل ما أفكر فيه .

* قال شيخنا :

« بيت »

— أيها الحبيب ، إنك عندما فئت بقيت ،

فلا جرم أنك تطهرت عندما ما صرت ترابا .

* سئل الشيخ عن العشق فقال : « العشق شبكة الحق » .

* قال الشيخ : أنت لاتعرف ، ولا تعرف أنك لاتعرف ، ولا تريد أن

تعرف أنك لاتعرف .

* كان الشيخ كثيرا ما يقول : يا إلهي . . . إنني استغفرك عما قصرته في

حقك ، وأحمدك على ما أنعمت علينا به .

* في كل وقت كان الشيخ يقرأ فيه القرآن ، كان يقول عندما يصل إلى آية

من آيات القسم : يا إلهي . . . إلى متى نعجز عن إدراك كنهك !

* (ص ٣٢٥) قال الشيخ : كل قلب يكون فيه حب الدنيا يتشبت ،

والقلب المتشبت لا يصلح لشيء .

كان الحسن البصري من أعزة التابعين ، وقد سأله شخص يوما : كيف أنت ، وكيف حالك ؟ فقال حسن : يا أخى ، لقد أغلقت باب النفس منذ ثلاثين عاما وجلست أنتظار الأمر .

* وفى ذلك الوقت قال الشيخ : إن تشتت القلب سببه حب الدنيا . والقلب لا يطمئن طالما كان فيه حب الدنيا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فإذا كان رأس كل خطيئة قد استقر فى القلب ، فهل يدع الطريق لشيء آخر يصل إليه ؟ . وقال الشيخ : كان أبو القاسم بشر ياسين يقول هذه الرباعية كثيرا .

« رباعية »

سوف أحل ضيفا عليك أيها الحبيب
وأحضر متواريا ومتخفيا عن الحساد
فاخل البيت ، وتعال خاف الضيف
ولا تدع أحدا يجلس معنا

* وعندئذ قال الشيخ : إن تمة هذا القول قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « طوبى لعبد جعل الله همومه هما واحدا ، ومن تشعبت به الهموم لا يبالى الله فى أى واد أهلكه » .

* وقال أيضا : « كل ما شغاك عن الله فهو شؤم عليك » . كل ما شغاك فهو دنياك وإن يكن كله إبرة . وكل ما هو دنياك فهو آفة وتشيت لك . وفى كل تشيت تعويق لك عن هذا المعنى فى الدنيا والآخرة .

* وقال الشيخ أيضا فى ذلك الوقت : كان الشيخ أبو القاسم بشر ياسين من عظماء ميهنة ، وكثيرا ما كان يقول هذا الشعر :

« شعر »

- لقد صار حيا به من مات به ،
- ولن تحطي بالحياة منه حتى تنقطع عن غيره .
- أتريد مقام الصفوة وقدمك ملوثة ؟
- أخشى أيها الخسيس ألا تليق به !

* سئل الشيخ : أيها الشيخ ، إننا مهما فكرنا لانصل إلى هذا المعنى .
(ص ٣٢٦) فقال الشيخ : « التدبير تدمير » ، والتدبير عمل الجهاد ، وليست
هناك آفة أكبر من التدبير واقد قيل : « اطلبوا الله بترككم التدبير ، فإن التدبير
في هذا الطريق تزوير » .

* وحينئذ قال الشيخ : إن أغبي الناس هو الذي يتحالف مع العدو ضد
الصديق ، وهذا التحالف من قلة المعرفة . وقد كان هناك شيخ يقول هذا
الدعاء كثيراً :

« اللهم إني أشكو إليك قلة معرفتي بك » .

* ثم قال : لقد كانت سعيده الصوفية من ناسكات هذا الطريق ، وقد
ذكرها الشيخ أبو عبد الرحمن في طبقات الناسكات . وقد ذهب جمع من هذه
الطائفة إلى باب حجرتها لتحتيتها أملا في الحصول على البركة ، وقالوا لها ادعى لنا .
فقلت تلك الموقفة : « قطع الله عنكم كل قاطع يقطعكم عنه » .

* وقال الشيخ : « المتكاف محجوب بتدبيره ، مقطوع بدعواه في جميع
أموره » .

* قال الشيخ في أو اخر عهده : رأيت أبا الفضل حسن في النوم وقلت له :

إننا نحفظ عهد الأصدقاء . فقال : ما أحسنكم أيها الأصدقاء لأنكم تحفظون ما يجب أن يحفظ ، والأفضل أن تكفوا الآن عن ذلك .

* قال الشيخ : « إغتاب الزيارة مع حضور القلب ، خير من دوامها مع نقور القلب » .

* ثم قال : أنت عبد ما تكون في قيده .

* وعندئذ قال : طالما يرى العبد صفاء المعاملة يقول أنت وأنا . وعندما ينظر إلى فضل الله ورحمته يقول بجميع جوارحه « أنت » وعندئذ تصبح عبوديته حقيقة .
* قال الشيخ : « من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقير إلى صدقته فقد بطلت صدقته » .

* سئل الشيخ عن الشريعة والطريقة والحقيقة فقال شيخنا : هذه أسماء منازل ، وهي منازل للبشرية . والشريعة كلها نفي وإثبات على القلب والميكل ، والطريقة كلها محو ، والحقيقة كلها حيرة . وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يلفظ أنفاسه الأخيرة (ص ٢٢٧) وهو يقول : « يا هادي الطريق حرت » ، فكان يصرخ من حيرة الحقيقة . وهذه الأقوال برهان ، والبرهان بلا دليل كفر .

* قال الشيخ : لا تفعل هذا الشيء حتى لا تجعل قلبك بعيداً عن الحقيقة .
وكان ينشد هذه الرباعية أثناء حديثه :

« رباعية »

لقد صرت هكذا بحيث لا يمكن رؤيتي
ما لم يجلسوني أمامك أيها الحبيب
فأنت شمس وهم يعتبروني مثل الذرة
ومن هنا يطلقون على الذرة العالقة بالشمس

* قال الشيخ : ينبغي أن يجرّد العمل من الطمع إذا أردت أن يكون العمل سهلاً عليك ، لأنه يجب أن يخلو العمل من الطمع . ثم قال هذا الشعر :

« شعر »

- اكمال المحبة ما يأتي من الحبيب بلا طمع ،

وأى قيمة لما يقدر بالثمن .

- يقينا أن المعطى خير لك من العطاء ،

وما يكون العطاء حين تكون عين الكيمياء .

* سئل الشيخ : يا شيخ ، الفقر أم الغنى ؟ فقال الشيخ :

« بيت »

- ما أعجبك من حبيب أيها الحبيب الخراساني !

إنني عبد لخراسان ذات العجائب .

ثم قال : الأتم والأكمل والأفضل في الشريعة هو أنه حينما يقع نظره السبحاني على شخص يصير فقره غنى وغناه فقراً ؛ فالبشرية مرآة الربوبية ، والله لم ينظر بذلك النظر إلى أي من خلقه سوى آدمي ، فقد قال « إن الله تعالى لم ينظر إلى الدنيا منذ خلقها بغضا لها » ولما وصل إلى آدمي قال « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » . وكان يكفي لخلق العالم كله أمر فقال : كن ، فكان . فلما انتهى إلى آدمي تعدى الأمر وقال « خلقت بيدي » ، فكان هذا القالب . ولما وصل إلى الأرواح قال « ونفخت فيه من روحي » .

* (ص ٣٢٨) قال الشيخ : إذا كانوا قد أرسلوا من السماء فدية لإسماعيل ؛

فإنهم سيرسلون في يوم القيامة فدية عن أراذل أمة محمد . « يجاء بالكافر ويقال له سلم هذا فداؤك من النار » .

* قال الشيخ : كل من يستطيع أن يجلس مع كل إنسان ، وأن يسمع كلاماً من كل إنسان ، وأن يأكل طعاماً مع كل إنسان ، ويستطيع النوم ، فلا تأمل فيه خيراً ، لأنه قد أسلم نفسه للشيطان .

* سألوا الشيخ : أيها الشيخ ، ما أصل الإرادة ؟ ، فقال الشيخ : ما يصير قيامه رغبة . و فرق بين الرغبة والقيام ، ففي الرغبة يكون التردد : إن يشأ يفعل ، وإن يشأ لا يفعل . وفي القيام لا يكون طريق لشعرة ؛ فالرغبة جزئية والقيام كلي : يأتي حديث ، فيسطع برق ، فيظهر جذب ، ثم يظهر الاجتهاد فتظهر الرؤية ، ثم يكون الحرُّ مملكة .

* سأل درويش الشيخ : أيها الشيخ ، ما العبودية ؟ ، فقال : « خلقك الله حراً فكُن كما خلقك » . فقال : يا شيخ ، إن السؤال عن العبودية . فقال الشيخ : ألا تعلم أنك لن تصير عبداً ما لم تتحرر من الكونين ؟ ثم قال هذا الشعر :

- لما لم تستقم الحرية والعشق معا ،

صرت عبداً ، وزايلتني طبعتي .

- وإذا ما اتخذت حبيباً بعد ذلك ، فجانز ،

لأن الجدل والخصومة زالا من بيننا .

* سأل درويش الشيخ : ما الفتوة ؟ ، قال : يجب أن يوجد صاحب همة حتى يمكن التحدث معه في حديث الفتوة ، لأنه لا يمكن إثارة حديث الفتوة مع شخص يهتم بنفسه « زلة صاحب الهمة طاعة ، وطاعة صاحب المنية زلة » فالفتوة الشجاعة والاطافة والظرافة تنبت في بستان الهمة ، وفي بستان الهمة تكون الصلوات

الطويلة والصوم والجوع وقيام الليل والصدقة الكثيرة ، وكل من ثبت الهمة يحو
الهمة .

* (ص ٣٢٩) قال الشيخ يوما : « رأى النبي صلى الله عليه ليلة المعراج
قوما من الملائكة كلهم نور ، من بين يديهم ومن خلفهم نور ، وفوقهم نور ، وتحتهم
نور ، قال قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء قوم لم يعرفوا سوى الله » .

* قال الشيخ يوما : بلغنا أن السيد الصادق جعفر بن محمد قال : « مارأيت
أحسن من تواضع الأغنياء للفقراء . وأحسن من ذلك إعراض الفقير عن الغنى
استغنى بالله عز وجل » ، ثم قرأ المقيء « والله العزة لرسوله وللمؤمنين » .

* قال شيخنا يوما : غاية عزنا الافتقار إلى الله تعالى ، والتذلل بين يديه ؛
لأن النبي صلى الله عليه قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً دله على ذل نفسه » .

* سئل شيخنا : هل الفقر أتم أم الغنى ؟ فقال الشيخ : « الغنى عن
الكل » . ثم قال :

« شعر »

إذا نحن أدلجنا وأنت أماننا كفى إطايانا بذكرك هاديا

* قال الشيخ : « كيف يدرك الخالق بالحدث ، أم كيف يدرك ذو مدى من
لامدى له » .

* قال الشيخ يوما أثناء المجلس « سمعت أن السيد الصادق جعفر بن محمد
يقول الغنى بالله لا يريد به بدلا ، ولا يبنى عنه حولا . ومن قال لا إله إلا الله ،
فقد بايع الله ؛ ولا يحل له إذا بايعه أن يعصيه » .

* قال الشيخ: الشخص الذى يسلك طريق الحق أول اسم يطلقونه عليه اسم « مريد ». وقد رويوا آلاف الأشياء التى تجب على المريد كى يطلق عليه اسم مريد، أولها أنه إذا تجرد ينبغي عليه أن يكون كل شيء له خلافا للخلق؛ فلا يكون قدره مثل قول الخلق، ولا مسلكه مثل مسلك الخلق، وأن يخشى كثرة التكلم.

* سألو الشيخ: من الشيخ المحقق؟ ومن المريد المصدق؟ فقال: علامة الشيخ المحقق أن تكون فيه هذه الخصال العشر حتى يكون صادقا فى المشيخة: (ص ٢٣٠).

الأولى: أن يكون مرادا حتى يستطيع أن يحتفظ بالمريد.

الثانية: أن يكون قد سلك الطريق حتى يستطيع أن يوضح الطريق.

الثالثة: أن يكون قد تأدب وتهذب حتى يستطيع أن يكون مؤدبا.

الرابعة: أن يكون سخيا فى غير إسراف حتى يستطيع أن يجعل المال فداء للمريد.

الخامسة: أن يتنزه عن الطمع فى مال المريد حتى لا يتقيد بأمر فى طريقه.

السادسة: إذا كان قادرا على إسداء النصيحة بالإشارة فلا يسديه بالعبارة.

السابعة: إذا كان قادرا على التأديب بالرفق لا يفعاله بالعنف والنصب.

الثامنة: أن يكون قد نفذ هو أولا كل ما يأمر به.

التاسعة: يكون قد امتنع هو أولا عن كل شيء ينهى عنه.

العاشرة: إذا قبل مريداً لله فلا يرده للخلق.

وإذا كان الأمر كذلك، وكان الشيخ يتحلى بهذه الأخلاق، فإن المريد لن

يكون إلا مصداقاً وسالكا . وكل صفة تظهر على المريد ، تكون صفة للشيخ ،
ظهرت على المريد منه .

أما المريد الصادق فإن أقل الأشياء التي يجب أن تتوفر فيه حتى يكون لائقاً
لأن يكون مريداً ، عشرة أشياء هي :

أولاً : أن يكون ذكياً حتى يستطيع أن يفهم إشارة الشيخ .

ثانياً : أن يكون مطيعاً حتى ينفذ أمر الشيخ .

ثالثاً : أن يكون حاد السمع حتى يفهم كلام الشيخ .

رابعاً : أن يكون نير القلب حتى يدرك عظمة الشيخ .

خامساً : أن يكون صادق القول حتى يكون كل خبر ينقله صحيحاً .

سادساً : أن يكون صادق العهد حتى يفي بكل ما يريد .

سابعاً : أن يكون حراً حتى يستطيع أن يتخلى عن كل ما يملك .

ثامناً : أن يكون كتوما للسر حتى يستطيع أن يحفظ سر الشيخ .

تاسعاً : أن يكون متقبلاً للنصيحة حتى يتقبل نصيحة الشيخ .

عاشرًا : أن يكون فذاً حتى يستطيع أن يضحى بروحه العزيزة في
هذا الطريق .

وينبغي على المريد أن يتجلى بهذه الأخلاق حتى يسهل عليه سلوك الطريق ،
ويتحقق هدف الشيخ في الطريقة منه سريعاً إن شاء الله تعالى .

* كان الشيخ يوماً يتحدث حديث الرسمين فقال : من الرسمى أن يفعل
الإنسان ما يفعل بالتكليف كما يفعل بالعادة ، وحينئذ تصير العادة طبيعة ، ثم تصير
الطبيعة حقيقة ، ثم قال للشيخ أبى بكر المؤدب : أنهض واحضر دواة وورقة حتى
أملئ عليك فصلاً عن عادات ورسوم أهل الخانقاه ، فلما أحضرها ، قال اكتب :
اعلم أن عادات ورسوم أهل الخانقاه عشر ، وهى فريضة على كل مقيم فى الخانقاه ،

على سنة أصحاب الصفة رضى الله عنهم وعن أهل الخلق . فالصوفي سمي صوفيا لأنه يكون صافيا مقتديا بأفعال أهل الصفة (ص ٣٣١)

أما الأشياء العشرة التي يعتبرونها فريضة عليهم ، والتي تتفق مع كتاب الله تعالى وسنة المصطفى عليه السلام فهي :

أولا : أن يكون ثوبه طاهرا لأن الله تعالى قال « وثيابك فطهر » .
ويكونوا أطهارا دائما لأنه تعالى قال : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

ثانيا : أن يجلس في مسجد أو بقعة من بقاع الخير ، على نحو ما قال سبحانه وتعالى « يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال » .

ثالثا : أن يؤدي الصلاة في أوقاتها جماعة كما قال : « والذين هم على صلاتهم يحافظون » .

رابعا : أن يصلي في الليل كثيرا كما قال : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » .
خامسا : أن يكثر في وقت السحر من الاستغفار والدعاء على نحو ما قال : « وبالأَسْحَارِ هم يستغفرون » .

سادسا : أن يقرأ كل ما يستطيع قراءته من القرآن في وقت الفجر . وألا يتحدث بمحدث آخر حتى طلوع الشمس . كما قال : « إن قرآن الفجر كان مشهودا » .

سابعا : أن يشتغل في الفترة ما بين صلاة العشاء والنوم بورد أو ذكر كما قال : « ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » .

ثامنا : أن يقبل المحتاجين والضعفاء وذوى القربى ولا يطردهم كما قال :
« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » .
ثاسعا : ألا يأكل شيئا دون إذن كما قال : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » .
عاشرا : ألا يذهبوا دون أن يستأذن بعضهم بعضاً كما قال : « وإذا كانوا
معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » .

وفضلا عن ذلك فإنهم ينبغي أن يشغلوا أوقات فراغهم بإماتعلم العلم ، أو بقراءة
الوارد أو بفعل خير لإنسان ، أو توصيل شيء إلى محتاج . إذن فكل من يجب
هذه الطائفة ينبغي أن يساعدها بكل ما يستطيع ، وأن يكون شريكا لأصحابها في
الفضل والثواب (ص ٣٢٢) لأنه قال : « فاستجاب لهم ربهم أنى لأضيق عمل
عامل منكم من ذكر أو أنى بعضهم من بعض » .

وقال الرسول صلى الله عليه : « من أحب قوما فهو منهم » وفي حق هؤلاء
قال المصطفى : « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ،
منهم البراء بن عازب » . وقال رب العالم في حقهم أيضا : « أولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم » وصلى الله على محمد وآله أجمعين .
* قال الشيخ : كل من رآنا وسعى في حق أبنائنا وأسرتنا سيكون غدا تحت
ظل شفاعتنا ، ولن يحرم منها .

* قال الشيخ : سألنا الله أن نكون جيرانا لليمين واليسار والخلف
والامام وقد جعلها الله تعالى تحت اختيارنا . ثم قال : فجهاننا بلخ ومرو
ونيسابور وهراة .

وقال شيخنا أيضا : لا يجوز أن يقال شيء لمن في كنفنا ، لأن من يركب
حماراً ويمر على محلتنا وخانقاهنا ، أو ينزل فيها ، أو يكون قد أضاء له نور شمعنا
يمن الله تعالى عليه بكرامة الرحمة .

، الأدعية ،

* قال شيخنا السيد أبو طاهر إن السيد أبا منصور الورقاني جاء يوماً لزيارة الشيخ ، وقال له : أيها الشيخ ، دلتني على طريق ، فقال الشيخ : اسلك الطريق الذي أمر الله تعالى به . فقال : أي طريق هو ؟ قال الشيخ : هو الطريق الذي قال الله عنه « واتبع سبيل من أناب إلى » ولم يقل « واتبع سبيل من خاب » (ص ٣٣٣) فقال : يا شيخ ، بأي زاد أسلك هذا الطريق ؟ فقال : قل دائماً : « يا رجاء الراجين ، ويا أمل الآمين . لا تخيب رجائي ، ولا تقطع أملى يا أرحم الراحمين . توفي مسلماً ، والحقني بالصالحين » .

* وأيضاً قال شيخنا السيد أبو طاهر : قال الشيخ يوماً : أرسل السلطان طغرل رجلاً يدعو وزيره أبا منصور الورقاني ، فقال له إنني لم أصل العشاء بعد ، ولا أستطيع الحضور . وعندما سمع الرجل هذا الكلام أبلغه إلى السلطان فلم يقل شيئاً .

ولما فرغ أبو منصور من الأوراد جاء إلى السلطان فقال له السلطان : أيها السيد ، كلما دعوتك لعمل قيل لي إنك تقرأ القرآن أو تصلي فيتمطل العمل . فقال أبو منصور : إن الأمر كما يقول السلطان ، واعلم أنني عبد الله وخادمك . فما لم أؤد أوامر الله ، فلن أقوم بخدمةك أيضاً ، فإذا وجدت وزيراً يمكن أن يكون خادماً لك دون أن يكون عبداً لله فسأعود إلى منزلي . فقال السلطان :

إن أجد ذلك الذى لا يكون عبداً لله ، وليس لنا عليك أكثر من ذلك ، فقم بكل ما تستطيع من العبادة ثم عد إلى ، فارجع أبو منصور إلى المنزل .

وانتهى الخبر إلى الشيخ أبى سعيد ، وكان حينئذ بنيسابور ، فلما سمعه أمر بأعداد الجواد ليذهب لتهنئة أبى منصور ، وحين خرج من الخانقاه أرسل حسن بن المؤدب درويشا ليخبر أبا منصور بمقدم الشيخ . ولما وصل الشيخ إلى باب القصر ، قال البواب لحسن بن المؤدب : ادخل سريعا فنذ باغ السيد خبر قدوم الشيخ وهو واقف فى وسط القصر ، وكما أشار أحد عليه بالجلوس (ص ٣٢٤) قال : ليس من اللائق أن يسير مثل ذلك العظيم على قدميه لتحيتى وأنا جالس . وعندما دخل الشيخ القصر وجده واقفا فى وسطه . فسأله : ما سبب وقوفك هكذا ؟ فقال : عندما سمعت بخبر مقدم الشيخ وقفت ، فلا ينبغي أن أجلس والشيخ يسير إلى . فقال له الشيخ : أيها السيد ، لن أقبل أنا أيضا فى يوم القيامة أن تقف أنت وأنا جالس ، فلن أجلس مالم أجالسك ، فقال السيد : لقد أقبلت على الدنيا والآخرة . ولما جلس الشيخ وهنأه ، قال الوزير : أيها الشيخ ، إننى أخاف لأن السلطان تركى ، ولا ينبغي أن يتهور الإنسان ، فيعمل عملا يتهوره . فقال له الشيخ : حين تذهب إليه ، اقرأ دعاء يوم الاحزاب ، فقد صدق عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال : كل من يذهب إلى السلطان ويقرأ دعاء الاحزاب ، لا يصاب بأذى ، ويرجع مقضى الحاجة . وهذا الدعاء هو : « اللهم إنا نعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك ، من كل سوء وعاهة ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقا يطرق بخير منك يا رحمن . اللهم أنت غياثنا فيك نفوثة ، وأنت ملاذنا فيك نلوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له أعناق الفراغة . ونعوذ بك من خزيك ، وكشف سترك ، ونسيان ذكرك ، والانصراف عن شكرك . ذكرك

شعارنا ، وثناؤك دثارنا فى نومنا وقرارنا وظمتنا وأمفارنا وليلنا ونهارنا . اضرب علينا سرادقات حفظك ، وادخلنا جميعا فى خفيض عنايتك ، وجد علينا بخير منك يارحمن يارحيم ، يالاله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، نستغفرك وتوب إليك» .

✽ قال السيد أبو طاهر : عندما أرسلنى الشيخ إلى نسا ، علمنى هذا الدعاء . وقال لى لاتغفل عنه : « يا حنان ، يامنن ، ياديان ، يابرهان ، ياسبحان ، يارحمن . يامستعان ، ياعزيز الشأن ، يادائم السلطان ، يا كثير الخير والاحسان ، نعوذ بك من الحرمان والخذلان » .

✽ كان الشيخ يقرأ هذا الدعاء بين أورد الفجر : « بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله ماشاء الله ، لا يأتى بالخير إلا الله ، بسم الله ماشاء الله ، وما بنا من نعمه فمن الله . (ص ٣٣٥) ماشاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . بسم الله لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم . بسم الله الشافى ، بسم الله السكاكى ، بسم الله المعافى ، بسم الله ذى الشأن ، الشديد السلطان ، العظيم . ماشاء الله كان ، أعوذ بالله من الشيطان ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، فتحصنا بالحى الذى لا يموت ، ورمينا من أرادنا بسوء ، بلا إله إلا أنت ، وتمسكنا بالعروة الوثقى « لا انفصام لها والله سميع عليم » .

✽ وفى رواية صادقة أيضا عن شيخنا قدس الله روحه العزيز أنه كان يقرأ هذا الدعاء أيضا كل يوم بعد صلاة الفجر : « الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحببه ربنا ويرضى ، كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ، والحمد لله حمداً لا اقضاء لعدده ، ولا انتهاء لمدده . والحمد لله الذى حللنا ليوم عاقبته ، وأقالنا بعمل عافيته ، والحمد لله حمداً بعدد إحسانه وفضله علينا وعلى جميع خلقه ، والحمد لله حمداً بعدد حسنات خلقه وسيائاتهم ، إذ فضلنا على كثير من خلقه .

اللهم لك الحمد بجميع محامدك كلها على جميع نعمائك كلها علينا وعلى جميع خلقك كلهم . وصلوات الله وملائمكته ورسله وجميع خلقه على نبينا محمد وعلى آله عليهم السلام ورحمة الله وبركاته . مرحبا مرحبا بالحافظين ، وحيا كما الله من كاتبين ملسمين رفقين شاهدين عدلين ، جزا كما الله عنى من جلمسين كريمين خيرا كتبنا ، رحمكما الله ورضى عنكما . بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . أصبحت عبداً مملوكا لا أقدر أن أسوق إلى نفسى خير ما أرجو ، ولا أن أصرف عن نفسى شر ما أحذر . أصبحت على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا إبراهيم عليه السلام ، وولاية وليهما ، والبراءة من عدوهما . اللهم إنى أصبحت فى عافيتك ونعمتك قائم على عافيتك ونعمتك ، اللهم بك أصبحت ، وبك أمست ، وبك أحيى ، وبك أموت ، وعليك أتوكل ، وإليك التمشور ، ولا حول ولا قوة إلا (ص ٣٣٦) بالله العلى العظيم .

* نقل عن شيخنا أيضا فى رواية صادقة أنه كان يقول كل يوم فى الفجر بعد تأدية الفريضة ، هذا الدعاء عشرين مرة : « اللهم بارك لى فى الموت ، وفيما بعده ، وأجرنى من النار » .

* رأيت بخط السيد أبى البركات الشىخ مكتوبا جاء فيه : سمعت عن السيد إسماعيل بن عباس أنه قال : سمعت عن محمد العارف النوقانى أنه قال : سمعت عن الشىخ أبى سعيد قدس الله روحه العزيز أنه قال : ورد فى الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى عشر ركعات فى يوم الجمعة بين صلاتى

العشاء وصلاة الفجر بخمس تسليّات، وفي كل ركعة يقرأ «الفاتحة» مرة. و«قل هو الله» إحدى عشرة مرة. وعندما يفرغ يقول مائة مرة: «سبحان الله، والحمد لله، واستغفر الله، وأتوب إليه».

* اعلم أنه كان من عادة شيخنا أبي سعيد قدس الله روحه العزيز أن يقول دعاء المائدة بعد أن يفرغ من تناول الطعام. وهذا الدعاء هو: «اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وارزقنا خيرا منه وأفضل، وأعطنا جميع ما سألناك من الخير، وما لم نسأل، وزدنا من فضلك الواسع، وإنا إليك راغبون».

رسائل

« شيخنا قدس الله روحه العزيز نورد بعضها على سبيل البركة »

كان السلطان چغرى قد كتب رسالة إلى الشيخ بيد السيد حمويه رئيس ميهنه، وأحد مريدى الشيخ، وطلب من شيخنا شيئاً، وأرسل السيد حمويه لتلك المهمة . فكتب له شيخنا هذا الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

حفظ الله عز وجل الأمير الجليل ، الملك المظفر ، بعنايته . ولا تركه لنفسه وللناس ، ومنحه ما فيه رضاه . وحفظه بفضله ورحته مما يكون عاقبته الندم . (ص ٣٢٧) لقد وصلت رسالة الأمير الجليل ، الملك المظفر وفقه الله للخيرات ، على يد السيد حمويه ، مدده الله . وقد قرئت الرسالة ، وعرف مضمونها ، وقد وضحت الأعذار العارضة ، فأحيط بها تماماً . وأنا بدورى أبسط أعذارى وأوضحها ، وآمل أن تقبل . وأسأل الله عز اسمه أن يقبل أعذار الأمير الجليل ، الملك المظفر بفضله ، وأن يبعد عنه بلايا الدارين ، وأن يوفقه دائماً لكل ما فيه صلاحه ونجاته فى الدنيا والآخرة ، والحمد لله وحده لا شريك له .

* عندما كان شيخنا قدس الله روحه العزيز فى نيسابور جاء إليه درویش وقال له : أنا ذاهب إلى ميهنه ، فطلب الشيخ الدواة وورقة وقال : انتظر لحظة حتى أكتب كلمة لأبى طاهر . وكتب : .

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله اللطيف الخبير ، على الكبير والصغير ، وهو على جمعهم إذا
يشاء قدير . والسلام » .

وأعطى الورقة للدرويش ليحملها إليه .

* قال درویش للشيخ : أيها الشيخ ، إنني ذاهب إلى مرو الرود فهل من
حاجة ؟ . فقال له شيخنا : انتظر حتى أكتب شيئاً للقاضي حسين . وكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« شعر »

ألا حظها فتعلم ما بقاي وتلحظني فاعلم ما تريد

والسلام .

* وكتب الشيخ إلى أحد العظماء بشأن خطيب عزيز :

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله تعالى على الشيخ العالم ورحمة الله وبركاته . وهذا الخطيب
الأفضل أدام الله فضله من أدل بيت العلم والفضل . وقد قصد ساحته وطلب مجاورته
متقياً ببركته . ونرجو أن ينزله منازل أمثاله باظهار شفقتة عليه . ويشمله بكرمه
وأفضاله والسلام .

* كتب خطيب قرية « أزجاه » شيئاً إلى شيخنا ، فكتب إليه هذا
الخطاب : (ص ٣٣٨)

« بسم الله الرحمن الرحيم

وصل أدام الله فضله كتاب الخطيب الأفاضل الأديب ، وفقه الله على

جميع ما يقربه إليه ديننا ودنيا وآخرته ، وكشف لى عن جميع ما يضمره من صحة الاعتقاد ، ومحض الوداد . ولا غرو أن يكون كذا ، إذ القلوب مشاهدة ، والضامر بنور الحق ملاحظة . والله يقيه ، ومن الأسواء يقيه . وأما حديث المتوفاة نور الله قبرها ، وبشر ببقيا صدرها ، وأنشد على فراقها قصيرة عن طويلة :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

والسلام .

* توفى السيد الإمام محمد بن عبد الله بن يوسف الجوينى فى نيسابور ، فكتب شيخنا رسالة من ميهته إلى عظماء نيسابور للعزاء فيه قال فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله تعالى على الأجلة السادة ورحمته وبركاته فيقول ؛ « إنا لله وإنا إليه راجعون » . ثم « إنا لله وإنا إليه راجعون » رضاء بقضائه ، وتسلياً لحكمه ، وصموداً تحت قهره » .

* عندما كان شيخنا قدس الله روحه فى نيسابور تقدم إليه درویش وقد انتعل حذاءه وقال : إنى ذاهب إلى ميهته ، فهل من خدمة ؟ . فقال له الشيخ : انتظر حتى أكتب شيئاً لأبنائى ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم

» بيت «

— لا يستطيع فنان مهما أخرج من الروائع مائة عام ،

أن يبدع ما أبدعه مطر واحد .

وجه نشر ، وجبين منبسط ، ولا مناص من الضيف . والسلام

* كُتِبَ شيخنا هذه الرسالة من ميهنة إلى أبي بكر الخطيب في مرو؛

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنا نذكر دائماً العالم الأوحد، الأفضل، أدام الله قوته ونصرته واستقامته على طاعته، بالفكر والدعاء، ولا تغفل في وقت من الأوقات عنه وعن أبنائه، وأسأل الله عز اسمه أن يحفظه وإياهم جميعاً (ص ٢٣٩) بفضلته، وألا يتركه بفضلته لنفسه وللناس، إنه خير مسئول.

وقد كانت أفضال العالم الأفضل الأوحد، أدام الله توفيقه، تصل دائماً، فتكون فيها السعادة. ورجو أن تتحقق الرؤية بعد ذلك قريباً. سلامنا وتحيةنا لك ولأبنائك وأصدقائك جميعاً، الصغير والكبير إن شاء الله تعالى. والحسن المؤدب نخصه، أدام الله عزه، بالسلام الجزيل. والحمد لله، والسلام على محمد وآله.

الأشعار

التي جرت على لسان شيخنا قدس الله روحه العزيز

« رباعية »

يا حبيبي ! لا توجد بأرض خاوران شوكة
ليس لها شأن معي ومع حالي
ومع لطفك ورقة جمالك
لا عاد على في بذل مائة ألف روح

« بيت »

— لي رسل ينثوثنى عنك حيث تكون،
فإما أن تكون لي جملة أو نقضت عهدي .

« رباعية »

إن لنا دنيا أخرى غير هذه الدنيا
ولنا مكان آخر غير الجحيم والفردوس
والتشرد والعشق هما رأس مالنا
أما القراء والزاهد فلهما عالم آخر

« رباعية »

نحن واللبن المخيض واللفت وإدام الفقراء
المطبوخ اليوم ، وقد يكون من مخلفات الأمس
إن عز السلطنة لا يستأهل ذل العزل
وإن يكن لك نور الحجيج إلى المدينة

« قِطْعَةٌ »

- ما أكنز ما بحثت لعلنى أجد أثرا للحبيب ،
حتى ضاع الظن في اليقين واليقين في الظن .
- (ص ٣٤٠) فلم يأت إلى خيالى ، لا ولا إلى يقينى ،
ولم تصدق أى إشارة للدلالة عليه .
- لقد مارست العشق أوقاتاً طويلة ، وظننت
أنى أصبحت مشهوراً بأنى هكذا وأنه كذلك .
- ولما نظرت فى الحقيقة لم أجد أيضاً خيالا منه فيها ،
تأمل هذه القصة ، فقد كنت أنا العاشق والمعشوق !

« قِطْعَةٌ »

- كل قلب تنظر يا سيدي إليه ،
يصبح عظيماً مهما كان حقيراً أو تافهاً .
- والنبته والنفسن إذا نظرت إليهما ،
صار كل منها سروا غنقرياً باسقا .
- وكل قلب اختفى فى الأرض السابعة ،
إذا ما نظرت إليه علا شأنه وارتفع على العرش .

« رباعية »

ابس فى طريق التوحيد كفر ولا دين
فاخرج عن نفسك خطوة واحدة وتبين الطريق
ويا حبيب الدنيا اختر طريق الإسلام
وجالس الحية السوداء ولا تجالس نفسك

* نظر شيخنا يوما إلى الشجرة التي على باب روضته المقدسة فرأى أوراقها قد اصفرت ، فقال هذا البيت :

— أنا وأنت سواء في اصفرار الوجه ،

بيد أن وجهك مصفر من الخريف ووجهي من عشق القمر .

* وفي وقت من الأوقات أنشد القوال هذا البيت أمام الشيخ :

٢ — أصبحت سمرا لمعشوقة ملائكية الوجه ،

تليق بالنبوة ، ولا ترتكب حماقة .

(ص ٣٤١) فقال الشيخ : معاذ الله . لا يجوز قول هذا ، بل ينبغي قول :

— أصبحت سمرا لمعشوقة ملائكية الوجه ،

تليق بفنائك ، ولا ترتكب حماقة .

* وفي يوم آخر كان قوال ينشد هذا البيت أمام الشيخ :

— لست رفيقي ، فخذ طريقك وامض ،

وليمنحك الله السلامة ، وليمنحنا الشقاء .

فقال الشيخ : لا ينبغي أن يقال هكذا ، بل يجب أن يقال :

وليمنحك الله السلامة ، ولنا راحة البال .

* قال الشيخ : لقد قرأ إبراهيم في تلك الليلة :

« مصراع »

لقد كنت أنا وهو وهو وأنا وهذه هي السعادة :

قال: لقد كان هؤلاء بضعة أشخاص ، وكان ينبغي أن يقال هكذا :

لقد كنت أنا وهو وهو وهو وهذه هي السعادة .

« رابعة »

إذا كنت تريد أن تكون رجلاً فاقصد في عبادة نفسك
ودون أن تشرب شراب الوصال ، أقلل من السكر
وكف اليد عن العبث بمجذائل الحسان
وأى ذنب لمن ؟ أقل أنت من عبادة الأصنام

« رابعة »

منذ أصبحت طرنك ملكاً وخذك عرشاً
استسلم قلبي أمام عرشك
وسوف ترانى يوماً صريع حظي التحس
وقد تعلق عنقي في حلقة ذؤابتك

« قطعة »

- سوف أمسك بمجذائلك السوداء العنبرية ،
وأمطر وجهك الناصع بالقبيلات .
- وكل أرض ، تطوها قدمك مرة ،
أسجد لترابها ألف سجدة .
- وألثم صفحة رسالتك ألف مرة ،
إذا رأيته موقعة بخاتمك .
- ومهما قطعوا يدي بسيف مهند ،
فسأمسك بأكامك يوماً .
- ولو أصابني صمت الموت وحق قول الشعر ،
لردده لسانى مثلياً عليك .

« رباعية »

يا شمع طراز...! منذ رأيت وجهك الجميل
عجزت عن كل شيء فلا أصوم ولا أصلي
وعندما أكون معك يسكون مجازي كله صلاة
وعندما أكون بدونك تكون صلاتي كلها مجازا

(ص ٣٤٢)

« شعر عربي »

تقنع بالكفاف تش رخاء
ولا تبغ الفضول مع الكفاف
ففي خبز القفار بغير آدم
وفي ماء القراح غنى وكاف
وكل تزين بالمرء زين
وأزينه التجميل بالكفاف

« شعر عربي »

وأحببت أولاد اليهود بأسرهم
لأجلك حتى كدت أن أتهودا
أصلي فازوي قبلتي متممدا
تقبلتكم فاشهد صلاتي لتشهدا
وأني لأهدي في صلاتي بحبكم
بتوراة موسى ثم فرقان أحدا

ولولا مقال الكاشحين وبنفسهم

لعبدت يوم السبت فيمن تعبدا

وكان دخول النار في الحب هيناً

إذا كان من تهواه في الحب مسعدا

* قال الإمام إسماعيل الساوى : كتبت رقعة إلى الشيخ أقول له فيها : لقد

اغتنمك شخص فاصفح عنه . فقال الشيخ : لقد صفحت عنه . وكتب بخطه المبارك
على ظهر الرقعة :

« شعر عربى »

نقش غيم الجهد عن قمر الحب

وأشرق نور الصبح في ظلمة الغيب

وجاء نسيم الاعتذار مخففاً

فصادفه حسن القبول من القلب

« بيت »

— الأسد من ناحية والسيف من الأخرى ،

مسكين قابى بين السيف والأسد !

« قطعة »

— لقد استقامت أحوال الجميع كما ينبغي ،

وحالك سرور فيجب أن تكون مسروراً .

— لماذا تطيل الهموم والأحزان ،

وحظك يعمل لك ما ينبغي .

— وان تفيدك مشورة الوزراء ،
 فخطاك السعيد مشير بكل ما هو صواب .
 — ولن يأتى الفلك بمثل لك بين الخلائق ،
 وحتى التى ولدتك فإن تلد نظيرك .
 — ولا يغلق الله بابا عليك قط ،
 إلا وفتح أمامك مائة أخرى أفضل منه .
 « رباعية » (ص ٣٤٣)

المكان الذي يجب أن تظهر فيه ، لا تكون فيه
 وحيثما لا ينبغي أن تكون ، تنبت من الأرض
 أنت تعشق وتبحث عن مراد العاشقين
 لأن هذه هى السعادة واللفظ والحسن

« بيتان من الشعر »

— أيها الساقى ، أحضر لى زكأساً من أصل السرور ،
 من تلك الخمر التى تضيء مثل تاج قباد .
 — من تلك الخمر التى لها ريح الورد ولون العقيق ،
 والتى هى قفل باب الحزن ومفتاح باب السرور .

« بيتان من الشعر »

- يسر حبيبي عند ما أكون حزينا ،
 ويليق لى الحزن لأنه يسره ،
 - وحين يراني أبكي يضحك فرحا ،
 وكلما رآني ناقصا زاد فى الدلال .

« بيت »

— لقد اتخذ كل شخص من الشمس والحجر والخشب محرّاباً ،
أما أنا فقد جمعت من وجه هذه الحساء محرّابى .

« قطعة »

— عندما ترفع النقاب عن وجهك في الليل الحالك ،
يرتد إلى الأعلى بصره ويجد طريقه .
— ولست أطيق الصبر خمسين يوماً لأراك ،
آه يا حبيبي يا مليكي قلل من هذه الخمسين
— إننى أريدك الآن ، ولا تازمنى خمس وخمسون لأراك ،
فأنا أعجى أجهل كل شيء عن الحساب .

« رباعية »

أينما تكون لا يوجد أثر للحزن
وحيثما لا تكون لا يجد القلب السعادة
والذي لا يفارقك لحظة
سروره لا يقل عن سعة الأرض والسماء

* (ص ٣٤٤) كان الشيخ قد كتب هذين البيتين بخطه :

لئن كانت الأيام فرقن بيننا
فأنا بقرب القلب مجتمعان

تصورت فى قلبى لفرط صباقتى
فشخصك لى نصب بكل مكان

« رباعية »

لقد صرت لك بكل أيها الحبيب
وليس في هذا الكلام رياء ولا خداع
ولو أنك تجردت من وجودك
فربما أكون مكانك أيها الحبيب

« رباعية »

طلما كان في حى سلة استقبال ووداع
وطلما كانت الأشجار ثمر ثمارها الناضجة
وطلما كانت النجوم مستقرة في هذا الفلك
سيكون منى التحية والسلام للحبيب

مصراع :

الطلق شيء ، والمقيد شيء آخر .

« بيت »

— لا تكن محزوناً ولا ضيق الصدر ،
فلا نصيب للمحزونين لدينا .

« قطعة »

— يؤسفني تسمية اسمين جزافا ،
اسمان عظيمان لإطلاقهما جزافا سذاجة .
— الأول : أن تسمى الحسان جميعا جميلات ،
والثاني : أن يسمى العشاق جميعا عشاقا .

— يؤسفني (هذا) حين يسمونك جميلاً ،
ويؤسفني حين يسمونني (أنا عبدك) عاشقاً !

* قرىء هذا البيت أمام شيخنا في وقت من الأوقات :

— بالوفاق والطبع اللطيف وقلة الغضب ،
يبقى العهد بيننا محكماً !

« رباعية »

أُتعب الناس حب الغنى والتفوق
والراحة والأمن في الفقر
فاختر من هذه الدنيا واحداً وكفى
إذا كنت من ذوى العقل والعلم

الباب الثالث

فى انتهاء حال الشيخ ، وهو ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى وصاياه عند وفاته .

الفصل الثانى : فى حالة وفاته وكيفيتها .

الفصل الثالث : فى كراماته التى جرى بعضها على لسانه المبارك أثناء حياته ،

وظهرت بعد وفاته ، وبعضها مما أشار إليه ورآه الناس بعد

وفاته على سبيل الكرامة .

الفصل الأول

في وصاياه عند وفاته

* في أواخر العهد الذي اقتربت فيه وفاة الشيخ قدس الله روحه العزيز ، قال : لقد أنبأني الله : إن الناس يأتون لهذا المكان ليروك ، والآن تنتزعك من بينهم حتى يرانا الناس الذين يأتون إلى هنا . وسيظل هذا الأمر ينبع منا ، ويبقى إلى يوم القيامة ، سواء كنا أو لم نكون .

* قال الشيخ في أواخر عهده : تظهر خاتقات كثيرة ، ويكثر المتصوفة ، ولكنهم يكونون مستورين عن الناس ، حتى ينظر الخلق ، ويروا أن الكل واحد ، وبعده واحد ، بينما تظل هذه الجماعة مخفية عن أعين الخلق .

* قال جدى شيخ الإسلام السيد أبو سعيد إن شيخنا قدس الله روحه العزيز ظل لمدة عام في أواخر عهده ، يقول أثناء حديثه في كل يوم يعقد فيه مجلساً : أيها المسلمون ، لقد حل قحط الله .

* وفي آخر مجلس تحدث فيه ، وهو مجلس الوداع ، التفت إلى الناس وقال لهم : إذا سئتم غداً من أنتم ؟ فماذا تقولون ؟ . قالوا : بسم يأمر الشيخ ؟ فقال الشيخ : لا تقولوا نحن مؤمنون ، ولا تقولوا نحن صوفية ، ولا تقولوا نحن مسلمون ، لأنهم سوف يطلبون منكم الدليل على ما تقولون فتعجزون . قولوا نحن الصغار ، وكبارنا في المقدمة ، فقودونا إلى كبارنا ؛ لأن على الكبار أن يجيئوا عن الصغار .

واجتهدوا (ص ٣٤٨) في أن تجدوا كباركم ؟ لأنكم إذا مضيتم بأنفسكم ، فما أكثر الفضايح التي سوف تظهر منكم .

* جاء السيد أبو منصور الورقاني وزير السلطان طغرل إلى شيخنا يوما ، وقال له : أيها الشيخ ، أوصني بوصية . فقال الشيخ : « أول مقامات العبد مراعاة قدر الله ، وآخر مقامات النبوة مراعاة حق المؤمنين » وعملك اليوم هو أداء حقوق الخلق ، فتنبه دائما لهذا الأمر ، لأنه سيكون عوناً لك في الغد . فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحدكم حتى يرحم العامة كما يرحم أحدكم الخاصة » . فهؤلاء الناس جميعاً أبناء دولتك فانظر إليهم على أنهم أبناؤك ، ولا يمدعك حطام الدنيا ومشقة الخلق ، لأن الناس عبيد لحاجاتهم ، فإذا قضيت حاجاتهم قبلوك ، ولو كانت فيك عيوب كثيرة . وإذا لم تقض حاجاتهم ، فإنهم لا يهتمون بك ولو كانت فيك أفضال كثيرة .

* التفت الشيخ في أواخر عهده إلى الجمع وأوصاهم قائلاً : يجب أن تعملوا على خدمة الدراويش ، وأن تعقدوا العزم على خدمتهم . فلا ينبغي أن يلعب الصغار ، ولا أن يزهو الشبان ، ولا أن يرأى الشيوخ . وقد قيل إن علم الدنيا والآخرة في هذه الكلمات « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، لقد جاء قحط الله ! جاء قحط الله ! جاء قحط الله ! لقد كان هناك قحط الخبز والماء قبل هذا ، والآن جاء قحط الله . انظروا إلى فقد ختم بي هذا الأمر : ثم مسح وجهه بيده وأنهى حديثه .

* قال الشيخ في مجلس الوداع : كنت في طفولتي أتعلم القرآن عند أبي محمد العنازي ، ولما أتممته قيل لي يجب أن تذهب إلى أديب ، فقلت لأستاذي : أعفني . فقال : أعفيناك ، واحفظ غني هذا القول : « لأن ترد همتك إلى الله طرفة عين

خير لك مما طلعت عليه الشمس» ، وأنا أوصيكم بهذه الوصية نفسها ، فلا تغيّبوا عن الحق. ثم قال الحسين بن المؤدب : أنهض ، فنهض حسن . وقال الشيخ : (ص ٣٤٩) اءلّوا أنى لم أدعوك إلى أنفسكم ، بل دعوتكم إلى فنائكم ، وقلت يسكنى وجوده . لقد خلقتم للفناء فإذا أطاع أحدكم طاعة الثقلين ، فإنه لا يقع في مقابل أن يبرح شخصاً . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصيته لأصحابه « تخلّقوا بأخلاق الله » وأنا أقول لكم هذا نفسه . فسيروا في طريق الله ، وانظروا إلى الجميع بالله ، انظروا إلى الخلق بالله ، فمن نظر إلى الخلق بعين الخلق طالت خصومته معهم ، ومن نظر إلى الخلق بعين الحق استراح منهم .

* التفت الشيخ قدس الله روحه العزيز إلى السيد حمويه في مجلس الوداع وقال : يا سيد إنهم يسمونك حمويه لأنك تحمى الخلق ، فاصنع إلى خلق الله ، واصنع إلينا ، فسوف يحضروننا يوم الجمعة ، ويكون هذا اليوم يوم سوقنا . وسوف يكون هناك ازدحام كبير ، سواء من الجماعة الذين يروّون ، أو الجماعة الذين لا يرون ، لحفاظ على إيمانك ، واجتهد في أن توصلنا من المنزل إلى القبر دفعة واحدة ، لأن عقبة العظيم سوف يكون في المقدمة . فقال السيد النجار : أيها الشيخ ، من هم الجماعة الذين لا يرون ؟ . فقال الشيخ : يا أحمد ، اعلم أن ثلاثة من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا قد نصبوا خلفاء على الجن ، وهم : عمرو وبجر وعقبة . وقد صاحبنا عقبة ، وسوف يقيم على قبرنا بعد وفاتنا حتى وفاته . ولن يغيب سوى يوم عرفة ، ويوم عيد الأضحى . وقد ارتاحت جماعة كثيرة من الجن إلى أقوالنا سواء في نيسابور أو هنا ، وأنست إلى هذه الأنفاس ، ووقفت بين أيدينا أثناء السماع . وطالما أفت أنت والذراويش السماع على قبري فسوف يأتون للخدمة ، فاحفظ حقهم بطهر واحرق البخور كل ليلة في قصورك ،

فإن الجن الكفرة يقرون من رائحة البخور . وأمر بأن ينظفوا المكان عند صلاة العصر ويطهرونه . وإذا سمعت صياحاً عند وفاتي (ص ٣٥٠) ولم تر أحداً فاعلم أنه هم .

واعلم أننا ذهبنا وورثناك أربعة أشياء : الكنس والفسل والبحث والقول . وطالما أنتم على هذه الأشياء الأربعة يجرى ماء نهركم ، وتحضر زراعة دينكم ، وتكونون قبلة أنظار الخلق . واجتهدوا ألا يفوتكم شيء من هذه الأصول الأربعة ، لأنه لم يبق شيء في آخر العهد ، وكل ما كان قد بقي ذهب أيضاً ، فلقد ختم هذا الأمر بنا ، وقد تم لنا ألف شهر ، وليس هناك عدد بعد الألف « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

* وقال الشيخ في هذا المجلس أيضاً : احضروا ورقة ودواة ، فأحضروها ، فأشار إلى كاتبه أبي الحسن الأعرج قائلاً : اكتب ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

* أبو طاهر سعيد بن فضل الله ، طهره الله وأسعده بفضل الله وعونه ونصرته ولا قوة إلا بالله .

* أبو المظفر بن فضل الله ، ظفّره الله وأيده وسدده وخيره ومهده ولا قوة إلا بالله .

* أبو العلا ناصر بن فضل الله ، نصره الله وظفّره وأيده وخيره ونصره ولا قوة إلا بالله .

* أبو علي المطهر بن فضل الله ، أعلاه الله وطهره وجمله ونصره وأدبه وخيره ولا قوة إلا بالله .

* أبو البقاء المفضل بن فضل الله ، أبقاه الله وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً ولا قوة إلا بالله .

* أولاد أبي طاهر : أبو الفتح طاهر بن سعيد ، فتح الله له وبه ومنه ويجماعته ولا قوة إلا بالله .

* أبو سعد أسعد بن سعيد ، أسعده الله وأيده وأكرمه وسدده ولا قوة إلا بالله .

* أبو العز الموفق بن سعيد ، وقته الله ونصره وأيده وخيره وأدبه وسدده ولا قوة إلا بالله .

* أبو الفرج المفضل بن أحمد العامري ، فرج الله عنه وبه ومنه ولا قوة إلا بالله .
* أبو الفتح مسعود بن الفضل ، أسعده الله وفضله وفتح له وبجله ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : إن هؤلاء هم العشرة أشخاص الذين طالما بقي واحد منهم بعدنا ، بقيت آثارنا ، واستمر الطريق والطلب ، وعندما يموتون جميعاً يختفي هذا الأمر من بين الناس .

ثم قال : فإنما نحن به وله .

* (ص ٣٥١) عندما قال الشيخ هذه الكلمات في هذا المجلس أحنى رأسه إلى الإمام برهة ، ثم رفعها ، وجرى الدمع من عينيه ، وبكى الجميع . وقال الشيخ : لقد سألت داعيتنا الحق : كم يبقى هذا الأمر ؟ فجاء الجواب أن نفحات هذا الأمر مستظل بين الناس مائة عام أخرى ، وبعد ذلك لن تبقى الرائحة ولا الأثر . وإذا وجد معنى في مكان ، فإنه يندثر بالتدريج ويتقطع الطلب .

وؤد شاهدنا هذا الأمر فإنه عندما تمت المائة عام التي أشار إليها الشيخ ، ظهرت بوادر الفتنة والاضطراب في الشهر التالي ، إلى حد أنه لم يستطع أى شخص جاء لزيارة ضريح الشيخ أن يدخل ميهنه ، وكانوا يكتفون بالزيارة في موضع يقال له « سر كله » على بعد فرسخ خلف الجبل ، ثم يعودون ، على النحو الذى جرى به لفظ الشيخ المبارك في مجلس من المجالس بخصوص هذا الأمر ؛ فقد قال : يأتى وقت لا يستطيع فيه شخص أن يحضر لزيارتنا في ميهنه ، فيزوروننا متخفين في سر كله ثم يعودون .

وفي خلال هذه المائة عام التي ذكر الشيخ أنه سيكون خادمنا فيها ، لم يتخل عن الجماعة قط في الصلوات الخمس ، ولم تحمل المائدة من الطعام في الصباح أو المساء .

وكان يقام ذكر على قبره كل يوم عند الفجر ، وبضاء القبر حتى الصباح ويرتب المقرئون في الفجر والليل . وقد أقام على قبره أكثر من مائة شخص من الصوفية من أبنائه ومريديه . ولم يتطرق فتور أو خلل إلى الطريق ، بل كان يظهر في كل يوم فتوح جديدة ونعم كثيرة .

وكان عظماء الصوفية يأتون من جميع أنحاء العالم إلى تلك الحضرة كل عام ، ويدعمون السماع وتمزيق الخرق . وكل من اعترضه إشكال في الطريقة كان يحمله بواسطة أبناء الشيخ . ولم ير أحد في أى مكان تلك المهابة والرفاهية التي كانت لأبنائه ، ولاهل ميهنه خلال هذه المائة عام .

ثم حدث ما ذكره بلفظه المبارك من أنه سوف يأتى وقت يصبح فيه مايزن درهما يعادل سيرا ، ومايزن سيرا يعادل منا ، وكل مايزن منا يعادل حملا ، ومايزن حملا يعادل مخزنا . أى (ص ٣٥٢) أن ولايتنا تصير هكذا بحيث لا يبقى من هذا الأمر نفقة ، أى من الفقر ، وعندئذ يحدث ما يحدث .

وقد حدث هذا في الوقت الذي تمت فيه المائة عام ، بحيث لم يبق في الشهر التالي شيء من هذا كله ، ولم يبق على قبره إلا نفر قليل من أبنائه ومريديه ، واستشهد الباقي جميعهم على يد الغز ، واغترب بعضهم في أنحاء الدنيا ، وانتقلوا جميعاً إلى رحمة الحق سبحانه وتعالى في غربتهم .

وقد مضت الآن أربعة وثلاثون عاماً لم يظهر خلالها أي ترتيب — من الترتيبات التي مر ذكرها — على قبره المقدس . وإنما لنا أمل في شيئين : أولهما أن الشيخ قال بلفظه المبارك : يظهر من بعدنا بأكثر من مائة عام شخص منا ، وليس مثلنا أحد ، فيبعث هذا الأمر على يديه .

والثاني أنه روى عن والدي نور الدين المنور رحمة الله عليه أنه قال : سمعت من السيد الشيخ أبي الفتح أن الشيخ قال : سنكون في خدمتكم مائة عام ، ويظل أبنائنا في خدمتكم مائة عام ، وتبقى تعاليمنا ألف عام .

وقد روى عن السيد عبد الكريم خادم الشيخ أنه قال : قال الشيخ : إلى أن تأتي القيامة مازال أماننا في شيئين هما الإشارة والبشارة .

وربما ندرك هذه السعادة في آخر العمر فنقضي بضعة أيام على قبره المقدس ونشعر بالراحة .

* وفي هذا المجلس أيضاً التفت شيخنا قدس الله روحه العزيز إلى السيد عبد الكريم وقال : إن هذا الصبي يريد أن يسلك الطريق ، ولكن حينما تصل بابني ثبت قدمك ولا تطلب الزيادة لأنك لن تجدها . ثم التفت إلى ابنه الأكبر وقال انهض يا أبا طاهر . ولما نهض ، أمسك الشيخ بثوبه ، وسجبه بنفسه وقال : لقد وقفتك أنت وأبناءك على خدمة الدراويش ، وقال : « شعر »

— إذا كنت تريد الاستمرار في طريق العشق إلى النهاية ،
فعليك أن تستحسن كثيرا مما لا تستحسن .
— وعليك أن ترى القبيح وتتخيله حسناً ،
وأن تتجرع السم وتتخيله قنذا .

(ص ٣٥٣) ثم سأله : هل قبلت ؟ فأجاب : نعم ، فقال الشيخ : فايبلغ
الحاضرون الغائبين أن السيد أبا طاهر قطب ، فانظروا إليه نظرتكم إلى العظماء .
وقد كان للصوفية سيدان : أحدهما السيد علي حسن في كرمان ، وثانيهما
السيد علي الخباز في مرو . وكان ثالث سادة الصوفية أبو طاهر ، ولم يكن
للصوفية سيد بعده ، والسلام .

الفصل الثاني

في كيفية وفاة شيخنا أبي سعيد قدس الله روحه العزيز

(ص ٣٥٤) كان شيخنا يتحدث في المجلس يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة أربعين وأربعمائة ، وفي نهاية المجلس اختتم حديثه بهذا البيت :

— لقد وجب الرحيل وا أسفاه ،

ووجب طي مفرش العشق .

ثم أمر السيد «عليك» ، وكان من أهل نيسابور ومريد الشيخ ، بالنهوض ، فنهض عليك . وقال له الشيخ: ينبغي أن تذهب الآن إلى نيسابور، فتذهب في ثلاثة أيام ، وتعود في ثلاثة أيام، وتظل هناك نصف يوم ، بحيث تعود إلى هنا يوم الخميس عند صلاة الظهر . وهناك تبلغ سلامي إلى — فلان — النحاس وتطلب منه أن يهيء الكفن الذي أعده لنا .

ونفذ عليك ما أمر به ، واتجه إلى الطريق في الحال . وعم الاضطراب الصوفية . وحتى فجر يوم الاثنين الأول من شهر شعبان والشيخ يوصي بوصاياه في المجلس ، والتفت في المجلس إلى السيد عبد الكريم وقال له : لقد كنت تعني بتطهيري في حياتي ، وينبغي عليك أن تعني بهذا أيضاً عند وفاتي ، ولا تقصر في غسلي ، وعاون حسن في هذا الأمر ، وتنبه حتى لا يقع خطأ . وقم بجميع الفرائض والسنن لأننا محفوظون ، وإذا تركت سنة أظهرناها .

وعندما أتم الشيخ وصاياه ، وأنهى المجلس ، نزل عن المنبر ، وفان لحسن بن المؤدب : أعد الجواد . وركبه وأخذ يطوف حول ميهنه ، وبودع كل مكان (ص ٣٥٥) كان قد اختلى فيه .

قال حسن بن المؤدب : كنت أسير في ركاب الشيخ وأنا أفكر في نفسي كيف أقوم بمهمتي هذه بعد وفاة الشيخ ، وماذا أصنع ؟ وكان قلبي مشغولاً جداً بالدين واستغرقت في هذا التفكير ، فسحب الشيخ عنان جواده ، والتفت إلى وقال :
« بيت »

— هل أنت ماهر معنا كما أنت في الشطرنج الأهوازي ؟
فحينما نجىء إلينا (لعبة) الشهمات تكون قد أنهيت اللعبة !

فاستولى على الذهول . وقال الشيخ : يا حسن ، لا تقلق فسوف يأتى أبو سعد دادا بعد وفاتى ويقضى الدين . وقد تحقق هذان القولان على النحو الذى ذكره الشيخ . فبعد وفاة الشيخ لم يستطع السيد حسن بن المؤدب أن يؤدى خدمة للدراویش ، وقام بخدمتهم السيد أبو طاهر وأبناؤه وفق ما أشار به الشيخ . ووصل أبو سعد دادا من غزنین بعد وفاة الشيخ بثلاثة أيام ووفى الدين .

ثم عاد الشيخ إلى منزله وألم به مرض يسير ، وكان مريدوه وأبناؤه يقومون بخدمته . وقد سألوا الشيخ عن الآية التى يقرأونها أمام جنازته فقال هذا أمر عظيم . ولكن ينبغى قراءة هذا الشعر :

« شعر »

- أى شىء فى الدنيا أطيب من هذا ،

فقد ذهب الصديق مع الصديق والحبيب مع الحبيب .

— كان ذلك كله غما ، وهذا كله سرور ،
وكان ذلك كله قولاً ، وهذا كله عمل .

وفي ذلك اليوم الذى أخرجوا فيه جثمان الشيخ من منزله قرأ المقيمون
(ص ٣٥٦) هذا الشعر أمام جنازته ونق ما أشار به .

وسألوا الشيخ أيضاً فى هذا اليوم : هل نكتب على قبرك شهادة لا إله إلا الله
وآية الكرسي ، أم تبارك ؟ . فقال الشيخ : ذلك أمر عظيم . ينبغي كتابة هذه
القطعة :

سألتك بل أوصيك إن مت فاكتبي على لوح قبري كان هذا متياً
أهل شجياً عارفاً سنن الهوى يمر على قبر الغريب مسلماً
وأملى هذه القطعة التى يقولها كثير فى حق عزة :

يا عز أقم بالذى أنا عبده وله الحجيج وما حوت عرفات
لا أبتغي بدلاً سواك خلية تثق بقولى والكرام ثقات
ولو أن فوقى تربة ودعوتنى لأجبت صوتك والعظام رفات
وإذا ذكرتك ما خلوت تقطعت كبدي عليك وزادت الحسرات

وبعد وفاة الشيخ كتبت هاتان القطعتان على قبره فى ثلاثة أسطر ، كل بيتين
منهما فى سطر .

وقبيل وفاة شيخنا بيومين جرى على لفظه المبارك هذا القول عندما جلس إليه
أبناءؤه ومريدوه ، فمدالتفت إليهم وقال : « نعمة الله مجهولة مادامت محسولة فإذا
فقدت عرفت » .

وآخر الأقوال التي قالها الشيخ هو : أنصتوا جيداً حتى لا تفسدوا الإيمان بعمل الخلق .

قال السيد عبد الكريم : فتح الشيخ عينيه يوم الخميس عند الظهر وسأل السيد أبا طاهر : هل جاء « عليك » ؟ فأجاب كلا . فأغلق الشيخ عينيه . ونهضت إلى الخارج ، ووصل « عليك » فدخلت المنزل ، وقات للسيد أبي طاهر : لقد جاء « عليك » وأحضر الكفن . فأبلغ أبو طاهر هذا الشيخ . ففتح الشيخ عينيه وسأل أبا طاهر : ماذا تقول ؟ فقال : لقد وصل « عليك » . فقال الشيخ : الحمد لله ، وانقطعت أنفاسه في الرابع من شعبان سنة أربعين وأربعمائة . وفي ليلة الجمعة في وقت العشاء انبعث صراخ من منزل الشيخ دوى في جميع أنحاء ميهنه ، وعرف أنهم الجن كما سبق أن ذكر الشيخ . وفي أثناء هذا الصباح (ص ٣٥٧) كانوا يسمعون هذه الكلمات : يا أسفا ! يا أسفا ، إنك ذهبت ومضيت ولم تترك للخلق شيئاً ! وظل الأمر على هذا النحو حتى منتصف الليل .

وفي الصباح انشغلنا بالفصل . وكان الشيخ قد قال : اجعلوا نصف الكفن مئزراً ، وضعوا النصف الثاني على أكتافى ، ولقونى فى وطائى ، ولا تزيدوا شيئاً .

قال السيد عبد الكريم : عندما وضعنا الشيخ على الكفن ، كان السيد أبو طاهر وجيع أبناء الشيخ حاضرين ، وكنت أفق عند أقدام الشيخ ، ولما نظرت إليه ، فتح عينيه ، وأشار بسبابة يده اليمنى إلى فخذه ، على نحو رآه جميع من كانوا هناك ، فطرت إلى الموضع الذى أشار إليه ، فرأيت أننى لم أكن قد سحبت عليه طرف المئزر ، وكان فخذ الشيخ من ناحية الدورة عارياً ، فأصاحته . وهذا

ما ذكره من قبل فقد قال : اتبه حتى تقوم بالقرائن والسنن ، لأننا محفوظون ، وإذا ترك شيء أظهرناه . وقد تركت شيئاً فأظهره .

وعندما أشرقت الشمس أخرجوا جثمان الشيخ ، وصلوا عليه ، وحملوا النعش ليخرجوه من داره إلى الضريح ، وكان النعش قد ظل محمولاً حتى وقت الضحى ومهما حاول الخلق التقدم به لم يكن يتحرك ، وظل هكذا حتى سأل السيد النجار السيد حمويه : بم أمرك الشيخ ؟ هل جان الوقت أم لا ؟ فرفع السيد حمويه عصاه ، وفقاً لأوصاء به الشيخ ، وأخذ يبعد الخلق ، حتى حملوا النعش داخل الضريح ، ودفنوه .

ومن الكرامات التي شوهدت في ذلك الوقت :

أولاً : أنه كانت هناك منصة مرتفعة ، كما كان هناك كرسي آخر على شاكلة درجة ، وكانوا يضعونه أمام المنصة ليضع الشيخ عليه قدمه ليعتلي المنصة لأن المنصة كانت من الارتفاع بحيث لم يكن الشيخ يستطيع الصعود عليها دون درجة . وكان الشيخ يتحدث على هذه المنصة في مiehene ؛ وقد قاموا بغسله فوقها عند وفاة الشيخ في زاوية منزله ، في مواجهة الضريح . ولم يجرؤوا المنصة من ذلك المكان الذي غسلوا فيه الشيخ قط . وفي كل وقت كانوا يرتبون الزاوية ، كانوا يرصفون أرضها ويرصفون (ص ٣٥٨) تحت المنصة بحيث كانوا إذا ما رفعوا أيديهم كان الرصف يغوص في الأرض في الحال ، ويتصاعد تراب ناعم . وكانوا قد قاموا بهذه التجربة عدة مرات . وفي أحد الأيام كانوا قد رصفوا ذلك الموضع رصفاً محكماً بالحص والملاط ، وغاص أيضاً في الأرض في الحال " وارتفع ذلك التراب الناعم ، ولم يستقر أبداً ذلك القدر من الأرض الذي كان ماء غسل الشيخ قد وصل إليه .

وثانياً : حيث توفي الشيخ كانوا قد وضعوا درجة المنصة والكرسي

الذي كان الشيخ يتوضأ عليه تحت المنصة . وكان الناس يقومون بزيارتها إلى أن حدثت فتنة الغز وخربت ميهنه ، وجيشها وجد باب وخشب أحرقوه ، فاخفت تلك المنصة والكرسیان كلاهما ، ولم يخبر أحد قط من الجماعة الذين وقعوا في الأسر عن هذه الثلاثة . وعندما رجع أبناء الشيخ ومريدوه الذين كانوا في الأسر ، رأوا المنصة والكرسیين سالمين في هذا المكان ، وفي فجر اليوم التالي دخلوا فلم يروا شيئاً .

وقد وقع في هذه الفتنة عدة حوادث غريبة في هذه البقعة نفسها ، من بينها أنه عندما تخلص السلطان السعيد سنجر بن ملكشاه ، برّد الله مضجعه ، من يد الغز ، وجاء إلى دار الملك مرو ، ذهبت — أى المؤاف — من سرخس مع جماعة من الشيوخ ، لتهنئة بعودة السلطان ، ولأتمس إصلاح مقر الشيخ . ولم يكن معي أحد من أقارب الشيخ وأبنائه ؛ فقد تفرق من كان قد بقي منهم ، وذهب أكثرهم إلى العراق . ولما وصلت مرو ، كان رئيس ميهنه قد ذهب إليها منذ بضعة أيام ، من أجل مصالح الولايات ، ولكنه لم يكن قد رأى السلطان بعد .

ولم يكن أحد في جميع الأوقات السابقة يستطيع أن يتحدث في مصالح الولاية سوى أبناء الشيخ (ص ٣٥٩) وإذا حدث وتحدث أحد فلا يستمع إليه . ولم يكن الرئيس والعامل والشحنة وكل من له عمل في تلك الولاية يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإشارة أبناء الشيخ . وإذا ظلم رجل آخر في هذه الولاية فإنه بمجرد أن كان كبير أبناء الشيخ يكتب : إنه لا ينبغي بقاء فلان في خابران ، ويحمل درويش تلك الورقة إلى البلاط ، فإنها كانت تعرض على السلطان في الحال ويكتبون أمر استبعاد ذلك الشخص .

وقصارى القول إنه عندما علم رئيس ميهنه بقدومى ، جاء إلى ، وأظهر سروره

بلقائي وقال : لقد انتظرت عدة أيام حتى يصل أحدكم لتشاوري الأمر. ويجب أن نرى السلطان في الغد ، وفي اليوم التالي ذهبنا معاً لرؤية السلطان . وعندما رأيته ، أحسن استقبالي ، ولما جلسنا ، دعوت له ، فقال السلطان سنجر : إن ميهنه بقعة مباركة ، وقبر الشيخ مكان لا يوجد أعز وأعظم منه ، وعندما أراد أحد أولئك الغز أن يمد يده إليه ، ليحصل على الأمتعة المندفونة فيه ويأخذها ، ييست يده في الحال . وقد أحضره أقاربه إلى المعسكر ورأيتهم - ولم أسمع هذه الحكاية إلا من لفظ السلطان والعهدية عليه - ثم أمر السلطان بألف حمل من الخيلة لزراعة خاوران ، ومائة حمل من أجل مطالب الضريح .

وطلب رئيس ميهنه زوجاً من الثيران ، فقال له السلطان : لقد نجرت خراسان ، والخزانة خاوية ، فينبغي أن تتدارك الأمر بهذه الأشياء . وأرسل مائة دينار نقداً من أجل ضريح الشيخ . ورجع رئيس ميهنه ، وبعث إلى جميع الأطراف في طلب كل من تبقى من أبناء الشيخ ومريديه ، فاجتمع خمسون شخصاً ، ومدت المائدة ، وأقيمت الصلوات الخمس والخاتمة على قبر الشيخ ، وأضيئت الشموع ، وحضر المقرئون ، (ص ٣٦٠) وابتهج الجميع ، وعمت البركة ، وتمت الترتيبات . وكنت قد وقفت كل ممتلكاتي للخدمة ، وتوجه الصوفية والغرباء من جميع الأطراف إلى تلك الحضرة ، وظهر الاستقرار والراحة .

وفي تلك الأثناء توفي السلطان سنجر رحمة الله عليه ، وجلس السلطان محمود على العرش ، وحدثت موقعة داندانقان مع الغز في مرو ، وانهمز جيش السلطان مرة أخرى ، واستولى الغز . وفي هذه المرة أفلت من أيدينا أمر تلك البقعة دفعة واحدة ، وبلغ ما بلغ . حقق الله تعالى بلفظه لخراسان ، ولجميع العالم الأمن والعدل والعمران ، يوماً بمنه وفضله .

الفصل الثالث

فى كرامات الشيخ التى جرى بعضها على لسانه المبارك أثناء حياته
وظهرت بعد وفاته ، وبعض ما أشار إليه ورآه الناس بعد وفاته
على سبيل الكرامات

حكاية :

فى بداية حال شيخنا أبى سعيد قدس الله روحه ، كانت توجد فى منزل
الشيخ سيدة عجوز ، تقوم بالطبخ ، وكانوا يسمونها « دادا الطاهية » وكان
لها ابن يسمى « أبو سعد » وعند ما كانت أمه تأمره بعمل ، كانت تقول له :
هيا يا حبيب دادا اعمل كذا.

وذات يوم كان الشيخ قد نام فى صومعته فى وقت القيلولة ، ونام الصوفية
جميعاً فى المسجد ، وقد اشتد الحر لدرجة كبيرة ، فأعطت إبريقاً لأبى سعد ، وقالت
له هيا يا حبيب دادا ، أحضر إبريق ماء حتى أصنع منه شيئاً للشيخ والصوفية .
فأخذ أبو سعد الإبريق وذهب لإحضار الماء ، وكان عارى القدمين ، والأرض
ساخنة ، فكانت تحرق أقدامه . وأخذت الدموع تجري من عينيه ، وقد أمسك
بالإبريق على ظهره وراح يحضر الماء ، ولما دخل من باب منزل الشيخ ، صاح الشيخ
من صومعته : لقد منحننا بغداد لأبى سعد حبيب دادا وأبنائه بهذا الإبريق من
الماء . وأخذ الناس بعد هذا يسمونه « أبو سعد حبيب دادا » تبركا بلفظ الشيخ .

وشب أبو سعد بعد ذلك في خدمة الشيخ ، ووصل إلى درجة أنه أصبح من أصحابه العشرة . وقد كان هناك عشرة أفراد من مريدى شيخنا سموا بالأصحاب العشرة ؛ لأن الرسول (ص ٢٦٢) صلى الله عليه وسلم كان له عشرة أصدقاء يسمون بالأصحاب العشرة ، وقد منحنا الحق جل وعلا عشرة مريدن متابعة لسنة المصطفى صلوات الله عليه . وقد عين شيخنا لكل واحد منهم ولاية يذهب إليها بعد وفاته ، وصاروا هم وأبناؤهم من مشاهير تلك الولاية أو أصبحوا زعماء هذه الطائفة في تلك الولاية . وقد تمت أمور كثيرة على يد هؤلاء ، ووجدوا كثيرا من السعادة .

وفي أواخر أيام الشيخ استدعى أبا سعد حبيب دادا يوماً وقال له : إننى لا أستطيع الرحيل عن هذا العالم ، فقد اقترض حسن بن المؤدب قروضاً من أجل الصوفية ، قدرها ثلاثة آلاف دينار ، فينبغى عليك أن تذهب إلى مدينة غزني ، عند السلطان ، وتبلغه سلامي ، وتقول له إننى اقترضت ثلاثة آلاف دينار ، وينبغى عليه أن يريح قلبي من ناحية هذا القرض ، لأننى لا أستطيع الرحيل عن الدنيا لهذا السبب .

قال أبو سعد : عند ما قال الشيخ هذا الكلام اضطربت قليلاً ، إذ كيف أستطيع أن أقول هذا الكلام للسلطان ، وكيف يعرفنى السلطان ، وكيف أقص على سمعه هذه الحكاية ؟ . ولما طافت هذه الأفكار بمخيلتى قال الشيخ : اطمئن يا أبا سعد فقد قلت له هذا الكلام وقبله . قال أبو سعد : فلبست خذائى سريعا ، وجئت إلى الشيخ ، فقال لى : يا أبا سعد ، ودعنى لأنك لن ترانى عند ما تعود ، وتنبه إلى أنك عند ما تعود إلى ميهنته ، لاتبقى بها أكثر من ثلاثة أيام ، ثم تذهب إلى بغداد ، فلقد أقطعتك إياها أنت وأولادك . وحذار أن تقيم فى أى

مكان إلا في بغداد ، فسوف تنال هذه الطائفة على يدك هناك كثيراً من الراحة والفتوح .

قال أبو سعد : فبكيت كثيراً ، وقبلت أفدام الشيخ ويديه ، وودعته ، وذهبت إلى غزنين . وعندما بلغت أبواب المدينة ، استولى على التفكير والتردد ، إذ كيف أرى السلطان ، وكيف أستطيع أن أقول له هذا الكلام ؟ . وفكرت في نفسي أنه ينبغي على أن أبحث عن مسجد قريب من قصر السلطان ، وأنزل به . وإذا ما جاء أحد من خواص السلطان للصلاة في المسجد ، أقول له هذا الكلام ، ليبلغه إلى مسامع السلطان . وجئت إلى المدينة وقد استقر رأيي على هذا .

وأخذت أسير دون وعي ، وأنا لا أعرف إلى أين أذهب . وعند ما قطعت مرحلة طيبة من الطريق وصلت إلى محلة واسعة ، فتوجهت إليها . ولما سرت قليلاً ، ظهر أمامي باب قصر كبير فخم ، يليق لسكنى الملوك والسلاطين ، (ص ٣٦٣) وقد اصطف على بابه أناس كثيرون ، وأيديهم على أوساطهم . وعند ما ظهرت من بعيد أفسحوا لي الطريق . ورأيت خادماً حسن الوجه يجلس هناك ، وعند ما رأيته نهض ، وتقدم إلى ، وعانقني قائلاً : اجلس هنا أيها الشيخ حتى أعود إليك . فجلست . ودخل هو إلى القصر ، ثم خرج سريعاً وسألني : أنت الشيخ أبو سعد حبيب دادا مريد الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير الميهني ؟ . قلت : نعم فقال : انهض وادخل . فنهضت باكياً ودخلت قصر السلطان وأنا أتعجب كيف عرفوني ؟ ومن سمعوا اسمي ؟ وماذا يريد السلطان مني ؟ . وأدخلني الخادم ، وقادني إلى حجرة دخلت إليها ، فرأيت السلطان جالساً فيها ، وقد استند على أربع وسائل . فسألت عليه ، ورد سلامي ، وسألني : أنت أبو سعد حبيب دادا ؟ قلت نعم ، فقال السلطان : لقد مضت أربعون يوماً منذ رأيت الشيخ أبا سعيد

في النوم . وقد أجلس هذا الخادم على باب القصر في انتظار وصولك . وقد حدثني الشيخ بقصة القرض ، ووافقت على أدائه . والآن أسأل الله أن يجزيك عن ذلك ، فقد رحل الشيخ عن الدنيا . ولما سمعت هذا ، استولت على الدهشة ، وصرخت وبسكيت كثيراً ، وبكى السلطان كثيراً أيضاً ، وأمر الخادم قائلاً : قده إلى حيث يستريح ويخلع حذاه . فقادني إلى حجرة في قصر السلطان ، مزينة كحجرات الملوك . وجاء الخدم وخلعوا حذائي ، وأعدوا لي من المعدات ما يابق بقصور الملوك ، وبعثوا بي في ذلك اليوم إلى الحمام ، وأرسلوا إلى ملابس صوفية جيدة ، واستضافوني ثلاثة أيام لا يمكن أن يكون هناك أفضل منها .

وفي فجر اليوم الرابع جاء الخادم وقال لي : إن السلطان يدعوك . فنهضت وذهبت إليه ، وكانوا قد وزنوا ثلاثة آلاف دينار ذهبي فسلموها إلي ، وقال السلطان : هذه من أجل قرض الشيخ . وأعطاني ألفاً أخرى وقال : وهذه من أجل عرس الشيخ لتوزعها على قبره . ثم أعطاني ألفاً غيرها وقال : وهذه لك لتعد لنفسك حذاء فقد جئت من طريق بعيد . ثم قال للخادم : أوصله إلى قافلة خراسان فهم ذاهبون إليها غداً ، واكثر له دابة ليذهب بها إلى هناك ، وهيء له معدات الطريق ، (ص ٣٦٤) واعد به إلى رؤساء القافلة وقل لهم إنه وديعتنا لسيهم ليقوموا بتوصيله إلى خراسان سالماً ، وليساعدوه في الطريق . وشملي السلطان وشملي السلطان بإعرازه ، وعانقني ، وجاء الخادم معي ، وعهد بي إلى قافلة خراسان وهيأت لي معدات الطريق ، واستأجرت لي بغلاً حتى خراسان ، ثم ودعني ورجع وأخذت أسير حتى بلغت خراسان ، ولم أعان مشقة في الطريق وتوجهت إلى ميهنة متأماً باكياً لوفاة الشيخ ، وعندما بلغت مشارف ميهنة ، استقبلني

جميع أبناء الشيخ والمريدون والصوفية وفق ما أشار به الشيخ ؛ فقد قال الحسن بن المؤدب : سيصل أبو سعد حبيب دأدا من غزنين بعد وفاتي بثلاثة أيام ويربحكم من ناحية القرص. فلما رأوني، صرخوا ، وجددوا ماتم الشيخ ، وظهرت أحوال كثيرة.

وذهبت مع الدراويش إلى قبر الشيخ ، وزرته ، وسردت قصتي أمام الجميع ، ووضعت أمام أبي طاهر ثلاثة آلاف دينار لقضاء قرض الشيخ وقلت : هذه للوفاء بدين الشيخ . وسلمته الألف دينار التي أعطيت لي من أجل عرس الشيخ . كما وضعت أمامه أيضاً الألف دينار التي أعطيت لي وقلت له : هذه منى لتقيموا بها عرساً للشيخ ، ولم آخذ لنفسى شيئاً . ورد الدين في ذلك اليوم ، وأعدت معدات العرس . وفي اليوم التالي أقيم عرس للشيخ من أجل ، ومزقوا خرقة الشيخ ، وخرق الصوفية .

وفي اليوم الرابع عزمت على الذهاب إلى بغداد وفق إشارة الشيخ ، وودعت مريديه ، ورحلت قاصداً بغداد . وعندما وصلت إليها ، كان هناك نهر في ذلك الوقت في مكان العمران ، ونزلت في أحد المساجد ، وبعد أن استرحت بضعة أيام ، أفضيت بهذه القصة إلى صديق ، وقلت له : ينبغي علي أن أقيم مقراً للصوفية ، وأنوفر على خدمتهم . فقال لي ذلك الصديق : إن جميع المساجد موكلة إلى ، فاذهب إلى المسجد الذي تريده ، وباشر الخدمة فيه ، وإذا كنت تريد أن تقيم خانقاهاً بجوار هذا النهر ، فلن يتيسر لك ذلك ؛ لأن الناس هنا ينكرون الصوفية ، وليس معك نقود أو معدات ، والمصلحة تقتضي أن تكتب إلى الخليفة ، وتطلب منه أرضاً بجوار النهر ، بالتقدير الذي تريده ، لتقيم عليها الخانقاه .

وكتبت رقعة إلى أمير المؤمنين ، ذكرت فيها أنني أرغب في إقامة خانقاه

للاصوفية في هذا المكان، (ص ٣٦٥) وأوضحت له أنني خراساني من مريدى الشيخ
أبى سعيد بن أبى الخير، وقد جئت من ميهنة لأقوم بخدمة الصوفية هنا. فأمر لى
ال خليفة بمكان بجوار النهر لأقيم عليه خانقاها لهذه الطائفة. وكتب الخليفة بخط
يده: له أن يأخذ من جانب النهر بقدر ما يريد، وهو مسلم له. فجئت،
وانتقيت ناحية اخترت فيها مكاناً طيباً، وأخذت أسير وأنا أصب التبن حتى
حددت قرابة ألفى ذراع من الأرض، واستوليت عليها.

وبعد ذلك كنت آخذ سلة، وأذهب بها ليلاً ونهاراً إلى خرائب بغداد،
وأجمع قطع الأحجار الجافة، وأحضرها على ظهري إلى ذلك المكان، وأضعها في
وسط التبن الذى حددته. وظلت أفعل هذا حتى جاءتنى الأخبار يوماً، بأن
هناك قافلة قادمة من خراسان، فذهبت إلى النهروان لاستقبالها. وعندما رأونى
احتفوا بى وقرّبونى إليهم؛ فقد رأونى أكثرهم فى خدمة الشيخ، وكانوا يعرفون قرابتي.
له، كما كان بعضهم أيضاً من مريدى الشيخ. وقلت لهم: إننى أنوى إقامة
خانقاه للصوفية فى هذا المكان، وينبغى عليكم الآن أن تنزلوا به، وتقيموا
عندى، لأن مسافريكم سيقدمون على غيرهم.

وكان فى القافلة جماعة من الصوفية والتجار وأناس كثيرون. فوافقوا جميعاً،
ونزلوا فى ذلك المكان، وضربوا خيامهم به. ونهضت، وأخذت سلة ذهبت
بها للسؤال. وكنت أقوم بإعداد المائدة كل يوم فى الصباح والمساء، وأؤذن
فى أوقات الصلوات الخمس. وأؤمهم للصلاة. وكنا نقرأ القرآن كل فى دوره عند
الفجر، وظهرت أنوار كثيرة خلال المدة التى أقاموا فيها بذلك المكان. ولما

هموا بالرحيل ، وكانوا قد اطلعوا على حياتي واستحسنوا خدماتي ، أعطاني كل منهم بعض المال ، حتى توفر لي شيء طيب وعندما رحلت القافلة ، اتجهت إلى العمارة ، وأقت جدان الخانقاه الأربعة ، وشيدت صفة كبيرة جيدة ، وداراً حسنة للصوفية ، ومطبخاً ، ودورة المياه ، وأقت مسجداً كبيراً ، وصنعت أبواباً لها جميعاً . ووضعت أساس الأبنية والحجر الأخرى ، بحيث أصبحت معالم جميع الأماكن تدل على ما ستكون عليه .

وعندما وصل مقدم الحجاج وأخبرني بعودة القافلة ، ذهبت إلى القرية لاستقبالها . وقلت لهؤلاء الجمع : عند قيامكم بسفركم المبارك نلتزم في خانقاهي ترضية لي والله ، (ص ٣٦٦) وفي وقت رحيلكم بذلت لى الشيء الكثير ، وآلان ينبغي أن تأتوا معى لتروا نتيجة بذلكم ، وأن الترتيبات التى أشرت بها قد تمت . فأجابونى إلى طلبى ، ووافقوا على النزول فى الخانقاه . ولما رأوا تلك الأبنية الكثيرة الجيدة ، تعجبوا كثيراً ، إذ كيف صنعت هذا العدد الكبير من الأبنية فى تلك المدة القصيرة ، وتضاعف اعتقادهم . وأخذت على نحو ما مضى ، أذهب للسؤال وأهيم المائدة ، وأؤذن للصلاة ، وأؤمهم فيها . وكنت أزيد فى العناية بهم كل يوم ، حتى لقد أعطونى عند رحيلهم الشيء الكثير ، بحيث توفر لى مبلغ كبير .

ولما رحلت القافلة اتجهت إلى العمل ، واشتغلت بالبناء ، حتى أتممت خانقاهها جيدة جداً ، بجميع مرافقها من الحجرات والحمام وقاعة الجماعة وغير ذلك . وأعددت المفروشات المناسبة ، ومعدات المطبخ ، وجميع ما يلزم لذلك من الأدوات . وأقت على باب الخانقاه سوقاً به بعض الحوانيت ، ورباطاً للقوافل ، وغير ذلك . وتوفرت

على الخدمة الجيدة ، وتوجه الصوفية من أنحاء العالم إلى هذه الخانقاه ، وانتشر الخبر في الدنيا أن أبا سعد أسس في بغداد خانقاه لم يقم أحد مثلاً في هذا العهد من أجل الصوفية ، وهو يقوم على خدمتهم، كما لم يفعل أحد في هذا العهد .

وأصبح أكثر أهل بغداد من المريدين لى . وكانوا يحملون الأخبار إلى مسامح الخليفة دائماً ، حتى أنه حدث ذات ليلة أن كنا نؤدي صلاة العشاء ، فدخل شخص باب الخانقاه ، فتقدمت وفتحت الباب ، وكان أمير المؤمنين ومعه بضعة أفراد من خواصه ، مثل أستاذ دار الخلافة ، والحاجب ، وصاحب الخزن وأمثالهم ، وكانوا قد جاءوا لزيارتي ورؤية الخانقاه . فرحبت بهم ، ودخل الخليفة الخانقاه ، وعند ما تفرس في البناء ، ودخل مقر الدراويش ، رأى جمعا كبيرا يزيد على خمسين شخصاً من الشيوخ والصوفية ، وقد جلسوا على سجادة . فحياهم ، وجلس بينهم ، وجلست بين يديه ، وقصصت ، بقدر ما سمح به الوقت ، بعض الحكايات عن كرامات الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير . فسر الخليفة ، وبكى كثيراً ، وأصبح من مریدی هذه الطائفة . وفي أثناء جلوسه أمر أستاذ القصر قائلاً : في كل وقت يأتى فيه أبو سعد إلى القصر لا ينبغي له طلب الإذن ما دمت موجوداً ، ويجب إحضاره إلى الحرم سريعاً دون إخبارى بذلك ، ثم قال : يا أبا سعد ، لقد وضعت مصالح المسلمين في عنقك ، ويجب أن تعرض على كل ما تعرفه لنفسي وفق إشارتي .

وفي اليوم التالي ذهبت إلى دار الخلافة لتحية الخليفة (ص ٣٦٧) فقادوني إلى الحرم في الحال دون توقف فتقدمت إلى الخليفة ، ودعوت له ، واعتذرت عن تقصيري في الليلة الماضية . وشماني أمير المؤمنين بإعزازة الكثير ، وأكرمني ، وأعاد على مسامحي ما كان قد ذكره من قبل ، ووضع عهدة الخلق في عنقي .

وخرجت من عنده وقد استولت الدهشة على الجميع . واتجه الناس إلى دفعة واحدة ، ورفعوا حاجاتهم إلى ، وكنت أعرضها على الخليفة ، فكان يحيبها .

ورغب كثير من الناس في مجاورتي ، وشيدوا منازل بجوار الخانقاه ، بحيث امتلأ ذلك المكان . وأخذت مكاني عند الخليفة ترتفع كل يوم ، ويزداد اعتقاده في ، حتى أنه قال يوماً : سأجعل أنا أيضاً عمارة دار الخلافة على شاطئ النهر تمشيًا مع الشيخ أبي سعد حبيب دادا . وجعل الماء يغمر نصف البناء . واحتذى الناس حذوه ، فانتقلت المدينة كلها إلى هذا المكان ، وخربت الناحية الأخرى . وأصبحت شيخ شيوخ بغداد ، ولم تكن مكاني فيها تقل عن مكانة الخليفة ، ببركة نظر الشيخ المبارك .

وأبناء - أبي سعد - الآن يتولون منصب شيخ شيوخ بغداد ، وفي أيديهم الحل والعقد ، وأصبح الخليفة رمزاً ، بحيث أن كل خليفة يرشح لعرش الخلافة يسك أكبر أبناء الشيخ أبي سعد بيده ، ويجلسه على العرش ، ويقوم بمبايعته أولاً ، ثم يتبعه في ذلك أبناء الخليفة ، ومن بعدهم الخواص ، ثم العوام ، حتى تم له بيعه جميع الخلق ، وتكون مقاليد الأمور في يد أبناء الشيخ أبي سعد .

حكاية :

سمعت أشرف بن أبي اليمان يقول نقلاً عن الشيخ محمد بن أبي إسحاق : سمعت من والدي أن الشيخ كان يملك جواداً سريعاً ، لا يستطيع أحد أن يركبه ، لما كان عليه من السرعة . وعندما كان الشيخ يريد أن يركبه ، كان يسند كتفه على الدكان ، حتى يستطيع الشيخ أن يفعل . وعندما توفي الشيخ ، رأوا الجواد مقطوع

العنان ، وكانت الدموع تجري من عينيه . وامتنع عن الأكل والشراب ، وظل هكذا سبعة أيام وليال .

وفي اليوم السابع قالوا : لقد نحل الحصان ، وامتنع عن الأكل والشراب ، وأشرف على الهلاك ، فماذا نصنع ؟. وأبلغوا هذا إلى السيد أبي طاهر فقال : ينبغي أن نذبحه لئلا كل الدراويش منه شيئاً ، ويعطى الباقي للناس ، ثم ذبحوه وتبركوا به .
حكاية :

(ص ٣٦٨) سمعت عن زين الطائفة الشيخ عمر الشوكاني أنه قال : في يوم من الأيام كان السيد أبو الفتح ، ابن الشيخ من أخت الشوكاني ، قد جلس مع والدي في الخانقاه ، وأخذ السيد الإمام أبو الفتح يحكي قصة وفاة الشيخ فقال : قبل وفاة الشيخ بثلاثة أيام ، التفت إلى وقال : سوف أموت يوم الخميس ، وسوف يكون هناك ازدحام كبير في يوم الجمعة ، بحيث لا يستطيعون أن يقتربوا من نعشي . ثم أمر بأن يحضروا غطاء ، وأمسكوا به من أطرافه الأربعة ، وشدوه في الهواء ، وقال لنا اخرجوا من تحت هذا الغطاء ، وتخلوه نعشي . ففعل أبناء الشيخ كما أمرهم . وبعد ذلك بثلاثة أيام ، حدث ما أشار إليه الشيخ ، فعندما أخرجوا النعش كان التزامم شديداً ، بحيث لم نستطع نحن أبناء الشيخ أن نقرب منه . وكان يقص هذه الحكاية ، ويبكيان كلاهما .

حكاية :

كان الشيخ أبو القاسم الروباهي مريداً للشيخ ، ومقدماً لعشرة من الصوفية المعروفين ، مثل أبي نصر الحرصي ، وأحمد العدني ، وأمثالهم . وقد قال : عندما بلغ خبر

وفاة الشيخ نيسابور ، كان الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري بها ، فقال : لقد ذهب شخص لم يكن خلفاً لأحد ، وإن خلفه أحد . وقام وجاء إلى خانقاه محلة عدنى كوبان ، وجلس فى المائتة ، وتولى أمره . وفى ذلك اليوم قال فى المائتة : عندما رأينا الشيخ أباسعيد لم نكن صوفية ، ولم نر صوفية ، ولو لم نره ؛ لقرأنا التصوف فى الكتب . ولما فرغنا من العزاء ، أقام الأستاذ الإمام حفل الشيخ .

وفى اليوم السابع أرسل الأستاذ الإمام إلينا علياً المحتسب وكيله ، وكنا عشرة أشخاص ، فقال لنا : إذا كان هدفكم هو الشيخ فقد مات . وقد كنتم أنتم العشرة من مريدى ، ولما جاء الشيخ ذهبتم إليه . والآن ينبغى عليكم أن تعودوا إلى ، فقالت الجماعة : أعطنا مهلة لنفكر .

وفى اليوم التالى جاء شخص وقال : إن الأستاذ الإمام يقول لكم هل فكرتم ؟ (ص ٣٦٩) فصمتوا . وقد صبرى فقلت : لماذا لا يجيبون ؟ فقالوا : وماذا نقول ؟ فقلت : هل تأذنون لى بالإجابة عنكم ؟ قالوا أجل . فقلت له : بلغولاءنا للأستاذ الإمام ، وقل له إن الشيخ أباسعيد كان من عادته عند ما تكون هناك وليمة ، أن يعطينى طبقاً من الطعام وقطعة من اللحم وبعض الحلوى التى أمامه . وكنت آخذ طبق الطعام وقطعة اللحم والحلوى التى أعطيت لى من المطبخ . وذات يوم كانت هناك وليمة فأخذت صحفة الطعام واللحم والحلوى التى أعطيت لى من المطبخ ووضعتها فى كم ، ووضعت الطعام واللحم والحلوى التى أعطاها الشيخ من أمامه فى الكم الآخر ، وكان الوقت قيلولة وقد نام الشيخ فى زاويته ، ونام الجميع وأخذوا إلى الراحة . وخرجت أنا على هذه الصورة من الخانقاه ، ولما خطوت أول خطوة خارجها ، فك رباط الإزار عن قدمى ، ووقعت فى مازق . وخرج صوت الشيخ من زاويته يقول : أدر كوا أباقاسم . وفى الحال رأيت صوفياً يهرع إلى ، ويقول

لى : ماذا حدث لك ؟ فأخبرته بما حدث لى ، وعاونى ، ولنا الآن شيخ ومُشرف على هذا النحو ، فإذا كنت تستطيع أن ترعانا هكذا نجىء إليك . فرجع على المحتسب .

وفى فجر اليوم التالى جاء إلينا الأستاذ الإمام ، واعتذر إلينا ، ورجانا ألا نقول هذا الكلام لأحد طيلة حياته ، فوافقنا . ورجع الأستاذ الإمام ، وذهب بعد ذلك لزيارة قبر الشيخ فى ميهنه ، وذهب معه أربعون شخصاً من كبار المتصوفة . وعندما وصلوا إلى رباط سركله ، ووقعت عين الأستاذ والجماعة على ميهنه ، نزل عن الجواد ، وأمر المقرئين المرافقين أن ينشدوا شعر الشيخ :

« رباعية »

أيها الحبيب ، لا توجد فى أرض خاوران شوكة واحدة
ليس لها شأن معى ومعى حالى (ص ٣٧٠)
ومع لطفك ورقة جمالك
لا عار على فى بذل مائة ألف روح

وأخذ المقرئون ينشدون هذا الشعر ، وسر الأستاذ ، وخلع خرقة ، وحذا الجميع حذوه فخلعوا خرقهم . وأبلغوا أبناء الشيخ أن الأستاذ الإمام قادم من نيسابور مع جماعة الصوفية وخرج جميع أبناء الشيخ ومريديه لاستقبالهم . وتقابل الفريقان فى الطريق ، وكان المقرئون لا يزالون ينشدون وخلع صوفية ميهنه أيضاً خرقهم دفعة واحدة ، وأخذوا يسبرون على هذا النحو . حتى جاءوا قبر الشيخ ، وأخذ المقرئون ينشدون ، وال دراویش يطوفون حول القبر ، ووردت الأحوال ، ثم مزقوا الخرق . واستراح الأستاذ الإمام يوماً ، ثم طلب منه أبناء الشيخ أن يتحدث فى الضريح فلم يقبل . وتحدث بعد إلحاح كبير فى المسجد وقال فى وسط الحديث : كنا نعترض

على الشيخ أبى سعيد فى أشياء ، وكنا نظلمه ؛ لأن من قابل صاحب الحال بالعلم ظلم . وبقى فى ميهنة عدة أيام ، ثم رجع .

حكاية :

فى بداية حال الشيخ قدس الله روحه العزيز رأت سيدة من أبناء عظماء ميهنة فى النوم ، أن آدم عليه السلام جاء ومعه جميع الرسل إلى ذلك المكان ، حيث يوجد الآن ضريح الشيخ ، ووقف بحيث رأت السيدة إبراهيم ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام وعرفتهم واحداً واحداً . وفى ذلك الوقت كان فى موضع الضريح بيت اشتراه الشيخ ، وكانوا يأخذون جواد الشيخ إليه . وعمره الشيخ وشيد الضريح . وكان يجلس فيه ، وكان الصوفية يجلسون هناك . وعندما كان الشيخ يشيده ، وأطلق عليه اسم المشهد ، قال السيد الإمام أبو البدر المشرقي هذا الشعر بين يدي الشيخ :

« شعر »

بنى شيخ الزمان لنا بناء تصاغر فيه ما قد كان قبلة
فكعبة قبله للناس طراً وهذا البيت للعشاق قبلة

(ص ٣٧١) وعند ما أشرف الشيخ على الوفاة ، أمر بأن يدفنوه فى تلك الدار ، حيث يوجد قبره الآن . قالت السيدة : لقد اتضح تأويل ذلك الحلم الذى رأيته وانتظرت تأويله أربعين سنة . فعند ما دفنوا الشيخ ، تبين أن ذلك المكان هو المكان الذى كنت قد رأيت الرسل يقفون فيه . وهكذا ظهر تأويل ذلك الحلم بعد أربعين سنة ، فأصبح هذا المكان مرقداً لعظيم الدين .

حكاية :

سمعت عن أشرف بن أبى الجان أنه قال : سمعت الشيخ حسن الجاناروى

يقول : سميت السيد أبا الفتح حفيد الشيخ يقول : كان والدي السيد أبو طاهر ابن الشيخ يذهب إلى المدرسة في طفولته ، وكان الأستاذ قد ضربه يوماً ، بحيث ظهرت آثار الضرب على جسده . ورجع السيد أبو طاهر من المدرسة باكياً ، وأظهر الشيخ على آثار العصا ، فأرسل الشيخ رسالة إلى الأستاذ يقول له فيها : إنني لن أجعل منه مقرأً أو إماماً ، وإنما ينبغي له أن يعرف كيف يؤدي الصلاة . انتبه فهو من أحبة الله ، وقد رباه الحق تبارك وتعالى بلطفه ، وخلقه بلطفه ، فحاذر ولا تستعمل العنف معه .

وكان أبو طاهر يكره المدرسة جداً أكثر من جميع الأطفال . وكان يذهب إليها بصعوبة كبيرة ، ويبحت دائماً عن فرصة ليتخلص من الذهاب إليها . وذات يوم قال الشيخ : كل من يخبرني بمقدم الدراويش أحقق له أى أمنية يريد . وكانت قد مرت عدة أيام لم يحضر فيها درويش لزيارة الشيخ ، وكان يشاق لرؤية أحدهم ، فلما سمع أبو طاهر قول الشيخ ، صعد سريعاً إلى السطح ، وأخذ يتجسس على مقدم الدراويش ؛ وينتظر وصولهم . وتصادف في ذلك الوقت أن ظهرت جماعة من الدراويش قادمين من ناحية طوس . فنزل أبو طاهر من السطح مسروراً وقال للشيخ : يا والدي ، إن جماعة من الدراويش قادمون إلينا . فسأله الشيخ : ماذا تريد الآن ؟ . (ص ٣٧٢) فأجاب : أريد ألا أذهب إلى المدرسة اليوم . فقال له الشيخ : لك ذلك . فقال : وغداً أيضاً ، فقال : لا تذهب . فقال : لن أذهب هذا الأسبوع . فقال الشيخ : لا تذهب ، فقال : لن أذهب إلى المدرسة أبداً . فقال له الشيخ : لا تذهب ولكن تعلم « سورة الفتح » واحفظها ، ولا تذهب إلى المدرسة ثانية . فسر أبو طاهر . ومد الشيخ يده وقطع غصناً من شجرة التوت التي على باب روضته ، وربطه على وسط أبي طاهر ، وأعطاه مكنسة ، وقال له اكنس المسجد .

وأخذ أبو طاهر يكنس المكان . ووصل الدراويش وتقدموا إلى الشيخ ، فسألهم : كيف ترون أبا طاهر ؟ . فقالوا : حسن جداً . فقال الشيخ : لقد أوقفته الآن هو وأبناءه لخدمتكم . ثم علم الشيخ أبا طاهر سورة الفتح .

وبعد أن انتقل الشيخ إلى رحمة الحق ومررت عدة سنوات وأصبح نظام الملك وزيراً للکشاه ، وأصبحت العاصمة في إصفهان - وكان نظام الملك مريداً للشيخ يرعى جميع المتصوفة من أجله - احتاج أبو طاهر إلى قرض من أجل الصوفية . فذهب مع جميع أبناء الشيخ إلى نظام الملك في إصفهان ، فأسبغ عليهم من الرعاية ما يحل عن الوصف . وتصادف أن كان أحد العلويين قد جاءه برسالة من السلطان في غزنين ، وكان رجلاً فاضلاً من أصحاب الرأي ، متعصباً ينكر الصوفية ، فأخذ طوال المدة التي مكثها عند نظام الملك يلومه قائلاً : إنك تعطى أموالك للجماعة لا يستطيعون أن يؤدوا سنن الوضوء ، ولا يعرفون كيف يصلون ركعتين ، ولا مقدار القرض أو السنة ، وليس لهم حفظ من علوم الشرع ، وهم حفنة من الجبهة وصنائع الشيطان .

وأخذ نظام الملك يقول له : لا تنقل هذا (ص ٢٧٣) فهم أناس متعلمون ، ولا يوجد من يعرف في علوم الشرع بقدر ما يعرفون ، وزعماءهم علماء الشريعة والطريقة . والهدف من العلم العمل ، وهم يعملون .

وقصارى القول أن الحديث طال بينهم في هذا الأمر . وكان رسول غزنين قد عرف أن السيد أبا طاهر يجهل القرآن ، ولم يكن نظام الملك يعرف ذلك ، فقال رسول غزنين لنظام الملك : هل توافقني على أن الشيخ أبا سعيد هو زعيم صوفية العالم جميعاً ؟ . فقال : نعم . فقال : وهل توافقني على أن ابنه أصبح من بعده

أفضل من جميع صوفية هذا العصر ؟ . قال نعم . قال الرسول : وهل توافقني أيضاً على أن الشيخ قال إن أبا طاهر قطب ؟ فقال نظام الملك : أجل . فقال رسول غزنين : إن أبا طاهر لا يعرف القرآن . فعارضه نظام الملك قائلاً إنه يعرفه ، وقال : سأناديه وتختار سورة من القرآن أطلب إليه أن يقرأها .

ونودي أبو طاهر . فأقبل مع جماعة الصوفية وأبناء الشيخ أمام نظام الملك . ولما جلسوا سأل نظام الملك الرسول قائلاً : أى سورة تريد أن يقرأ ؟ . فأجاب : سورة « الفتح » . وأشار نظام الملك إلى أبي طاهر فقرأ سورة الفتح . وبدا السرور على الجميع ، وعندما انتهت السورة سر نظام الملك ، وخجل رسول غزنين لأنه بدا كاذباً أمام كثير من العظماء والحاضرين ، ونهض لشدة شعوره بالهزيمة وانصرف .

وسأل نظام الملك أبا طاهر : ماذا كان سبب سرورك ؟ . فأجاب أبو طاهر قائلاً : أعلم أيها الصدر الأعظم أنني لأعرف القرآن . وقص عليه القصة من البداية إلى النهاية . فازداد اعتقاد نظام الملك في الشيخ وقال : انظر إلى الشخص الذي يرى قبل هذا بسبعين عاماً أنه سوف يعترض معترض على واحد من أبنائه ، كيف تكون درجته ! . وأصبح بعد ذلك مريداً للشيخ أكثر مما كان من قبل ألف مرة ، وبكى كثيراً .

وكان عمر أبي طاهر يقل عن عشر سنوات عندما أمره الشيخ بحفظ سورة الفتح . وقد بلغ الأربعين (ص ٣٧٤) عند وفاة الشيخ ، وعاش بعده أربعين عاماً أخرى . وتوفي سنة ثمانين وأربعمائة .

حكاية:

عند ما كان الشيخ مشغولاً بالمجاهدة والرياضة ، كان يغيب عن المنزل لمدة شهر أو شهرين ولا يعثر عليه أحد . وكان السيد أبو طاهر عندئذ طفلاً صغيراً ، يحب والده كثيراً ، ويشعر بالاضطراب إذا مات غيب الشيخ ، ويأخذ في السؤال عنه كل يوم . وفي وقت من الأوقات مضت عدة أيام تغيب الشيخ فيها ، ولم يحضر إلى المنزل خلالها . واضطرب أبو طاهر - وكان الوقت صيفاً والجو حاراً - ونهض في فجر يوم ، وأخذ يتجول في صحراء ميهنة ، وأما كن عبادة الشيخ . وطاف بكل مكان فيه رباط أو مسجد أو مقبرة كان يعرف أنه من الممكن أن يكون الشيخ قد اختلى به . ولم يجد الشيخ في مكان منها ، وكان الجو حاراً وقد نال منه الاعياء . وذهب إلى الرباط القديم عند الظهر ، وهو رباط يقع في طريق باوردومن الأماكن التي كان الشيخ يتعبد بها والتي سبق ذكر بعضها في بداية هذا الكتاب ، ولما بلغ السيد أبو طاهر باب هذا الرباط وجده مغلقاً ، فدفقه بيده . وتصادف أن كان الشيخ هناك ، ففتح الباب ، ورأى أبا طاهر على هذه الحال ، وقد أثر فيه الحر ، وأخذت آلاف القطرات من العرق تسيل من وجهه وشعره وجسده . ولما رأى الشيخ ، سقط بين يديه ، وغاب عن الوعي . وجرى الدمع من عيني الشيخ وسأله : ماذا حدث يا أبا طاهر ، ولماذا جئت ؟ . فأجاب : أيها الشيخ ، أنا في حاجة إليك . فقال له الشيخ : مادمت في حاجة إلى فسوف تكون معي في الدنيا وفي القبر وفي الجنة . ومد يده وأخذ أبا طاهر في أحضانه ، وحمله إلى الرباط . وظل أبو طاهر يلزم الشيخ إلى أن توفي الشيخ .

وعند وفاة أبي طاهر كان أبناء الشيخ قد نسوا هذا القول ، (ص ٢٧٥) وأرادوا أن يدفنوا أبا طاهر في المقابر . ولما قاموا بفعله ، وأرادوا أن يشيعوه إلى

القبر ، سقط مطر غزير في الحال . وانتظروا حتى يتوقف المطر ، ولكنه أخذ يتزايد كل لحظة . وظلوا يحتفظون بجمان أبي طاهر في الضريح ثلاثة أيام ، والمطر يزداد كل ساعة . وعندما أسقط في أيديهم ، قال واحد من خواص المريدين : ألم يقل الشيخ له إنه سوف يكون معه في القبر ؟ ينبغي أن تدفنه في جوار الشيخ ، فهذا المطر لم يسقط إلا لقول الشيخ وكراماته . فلما قال المريد هذا ، تذكر الجميع كلام الشيخ ، وصدقوه .

وكان في محلة الصوفية لحاد يدعى قتيبة بالقرب من ضريح الشيخ ، وهو الذي كان قد حفر للشيخ قبره ، فطلبوه وأمروه باعداد قبر السيد أبي طاهر ، خلف قبر الشيخ . وانشغل قتيبة بالعمل ، وعندما تم القبر ، وسوى مكان الرأس ، دق حجراً حتى تهبط الأرض فسقط جزء من الحجر وأحدث فجوة بقبر الشيخ ، فصرخ قتيبة ، وأعاد الحجر مكانه ، وقد الوعى . ونظر الناس في القبر فوجدوه مغشياً عليه ، فأخرجوه وحملوه إلى داره . ودفنوا أبا طاهر ، ولم يكادوا يخرجون أيديهم من القبر بعد دفنه حتى توقف المطر ، وسطعت الشمس ، وتحقق للجميع أن ما حدث كان كرامة من كرامات الشيخ .

وظل قتيبة في غيبوبته أربعين يوماً ، لم يفتح خلاصاً عينيه ، أو يتحدث قط . ولم يعرف أحد ماذا كان قد رأى على وجه التحقيق . ولحق برحمة الله بعد هذه الفترة . وتضاربت أقوال الناس بشأن مارآه من كرامات الشيخ ، ولكن قتيبة صاحب هذه الحادثة لم يذكر شيئاً ، لأنه لم يكن يستطيع الحديث ، ولم يستعد رشده ، ثم توفي .

حكاية :

(ص ٣٧٦) كان الشيخ أبو الفضل الشامي رجلاً عظيماً جداً ، من مشاهير

شيخ المتصوفة ، وكان قد سافر في شبابه كثيراً . وفي أواخر عمره ، أمضى سنين طويلة مجاوراً في بيت المقدس . وذات ليلة كان قد نام مع جماعة من الصوفية في خانقاه بيت المقدس ، فرأى في نومه الشيخ أبا سعيد قدس الله روحه العزيز يدخل إلى الخانقاه وفي يده طبق مملوء بالسكر ، وأخذ يسير بين الجميع ، ويعطى لكل واحد قدرأ من ذلك السكر . وعند ما وصل إلى الشيخ أبي الفضل ، وضع في فمه كل ما كان قد تبقى في الطبق ، بحيث امتلأ فمه . ونهض من نومه مسروراً لهذا النعيب ، ووجد فمه مملوءاً بالسكر . فنادى الخادم في الحال ليحضّر ضوءاً . واستيقظ الجميع وجلسوا ، فقص عليهم الحلم ، وأعطاهم نصيباً من ذلك السكر ، ثم نهض وتوضأ وصلى ركعتين ، وطلب حذاءه وقال : لقد كانت هذه الصلاة من أجل زيارة قبر الشيخ أبي سعيد ، فواقعه الجميع ، وجاء من بيت المقدس إلى ميهنة سيراً على الأقدام ، ولم يجلس في الطريق قط ، وكانت منه عندئذ تزيّد عن الثمانين عاماً . ولما بلغ ميهنة أقام بها عدة أيام ، وعند عودته دعا أبناء الشيخ جميعاً وقال لهم : إنني أوصيكم بالحفاظة على حرمة هذه البقعة ، وحق هذا القبر العظيم . وودع الجميع ، وعاد إلى بيت المقدس .

حكاية :

بعد وفاة الشيخ بعدة أيام ، رأى أحد عظماء الصوفية الشيخ في النوم ، جالساً على المنصة ، وهو يقول : « من ثبت نيت » ، فاعرقوا ، وتفكروا حتى لا يتخذوا . ورأى شخص آخر من الصوفية الشيخ في النوم بعد وفاته بمدة مديدة ، وكان يقول : كلوا خبز الدراويش ولا تعملوا عملهم .

حكاية :

(ص ٣٧٧) روى عن جدى شيخ الاسلام أبى سعيد رحمة الله أنه قال :
فى وقت من الأوقات خرجت إلى الطريق مع جمع من الدراويش . وسقط مطر
غزير ، فلجأنا إلى مكان لبضعة أيام وليال ، وبقينا نحن والدواب بدون طعام ،
فقلت أشدة ما أشعر به من الضيق : يا الهى ! ما هذا الذى تفعله ؟ . ونمت فى تلك
الليلة ، فرأيت الشيخ فى نومي وقال لى : يا أباسعيد ، بم يفيد مثل هذا القول ؟
قل اللهم اشلنا بعطفك . فاستيقظت ، وتبت ، وبكيت كثيراً .

حكاية :

كان الشيخ مهد الباوردى صوفياً عظيماً ، وموضع اعتقاد ، وقد أصبح السلطان
سنجر وجميع جيشه من مريديه . وكانت له أحوال طيبة ، وكان يلقى قبولاً
كبيراً من أهل عصره . وقد جاء إلى ميهنة لزيارة ضريح الشيخ فى عهد والدى
نور الدين المنور رحمة الله عليه — الذى كان خادماً لضريح الشيخ ، وشيخاً
وزعيماً لأبناء الشيخ أبى سعيد ، ولم يقم أحد بخدمة الدراويش مثله ، ولم يدرك
أحد ما أدركه فى تعمير تلك البقعة المباركة والمحافظة على جماعة الدراويش —
وعند ما قام بالزيارة ، وانقضى ذلك اليوم ، وجاء الليل ، وانتهى الصوفية من
تناول الطعام ، وصلاة العشاء ، أوقدوا شموع الضريح كما هى العادة المتبعة فى كل
ليلة ، وقرأ المقرئون القرآن أمام قبر الشيخ ، وقام الصوفية والناس بزيارة القبر ؛
قال الشيخ مهد : إننى أفكر فى أن أقضى الليلة هنا على رأس القبر ،
وأشتغل بالعبادة . فقال له أبناء الشيخ : هذا ليس متبعاً ، ولم يقض أحد الليل هنا
بعد وفاة الشيخ ، لأن الشيخ قال من قبل : النهار لكم ، والليل لجماعة آخرين ،

أى للجن . وكل من كان ينصت في الليل بعد إغلاق الضريح ، ووضع القفل في مكانه ، يسمع صوتاً ، ويشعر بحركة الجماعة ، ويعلم أن ما ذكره الشيخ من أن الليل نوبة الجن (ص ٢٧٨) يقيمون فيه على قبره ، حقيقة . ولهذا السبب لا يستطيع أحد أن يقيم في الضريح أثناء الليل . وتحدثوا إليه كثيراً في هذا الأمر دون جدوى . وقال : سأظل هنا الليلة . ولما ألحوا عليه كثيراً ولم يقبل ، خرج الخادم وأخذ الشمع وأغلق باب الضريح من الخارج ، ووضع القفل في مكانه وذهب . وصعد الصوفية للنوم على سطح الخانقاه ، فقد كان الوقت صيفاً ، ولم يكونوا قد ذهبوا في النوم بعد عندما ارتفع صياح الشيخ مهد من الضريح . ونزل الصوفية من السطح ، فرأوا الشيخ جالساً على حافة الحوض في مقر الصوفية على شاطئ النهر ، وقد وضع قدميه في الماء . فرفعوه وذهبوا به إلى باب الضريح ، ونظروا فوجدوا القفل مستقراً في الباب .

وحلوا الشيخ مهد إلى سطح الخانقاه ، وسألوه كيف حدث ذلك ؟ . فقال الشيخ مهد : عندما أخذوا الشمع ، وأغلقوا الباب ، انشغلت بالصلاة ، وصليت ركعتين ، وجلست ووضعت رأسي في جيبى لأفكر ساعة ، فوصلت رطوبة الماء إلى قدمي ، ففتحت عيني ، ورأيت نفسي جالساً في وسط المحلة على شاطئ النهر ، وقدماي في الماء كما رأيتموني . ونام الشيخ مهد تلك الليلة على السطح ، وفي وقت السحر فتح الخادم باب الضريح ، ووضع الشمع فيه ، وأخرج نعل الشيخ مهد منه ، ووضع أمامه .

وأقام الشيخ مهد عدة أيام في ميهنته ثم رجع . وعندما وصل إلى نسا ، سأله

شيوخها : كيف وجدت أبناء الشيخ ؟ فقال : لقد رأيت المنور منوراً . قال هذا في حق والدي رحمة الله عليه .

حكاية :

سمعت تاج الإسلام أبا سعد بن محمد السمعاني يقول في مجلس على باب ضريح الشيخ قدس الله روحه العزيز : ذهبت مع والدي للحج ، وعندما فرغنا من مناسك الحج قال والدي : تعال لنزور الشيخ عبد الملك الطبري (وكان من عطاء مشايخ عصره وله كرامات مشهورة على نحو (ص ٢٧٩) ما حكى عنه السيد أبو الفتوح الغضائري إذ قال : سمعت من أحد عطاء المتصوفة أنه كان جالساً يوماً في المسجد الحرام أمام الشيخ عبد الملك الطبري ، فدخل شخص من باب المسجد على شاكلة البشر ولكنه ليس مثلهم وقال للشيخ عبد الملك : « الغد أتمر إلى سالار ؟ » فقال الشيخ عبد الملك : نعم ، وذهب ذلك الشخص . وكان أحد الدراويش حاضراً ، فقال له : أيها الشيخ ، أستحلفك بحرمة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تقول من كان هذا الشخص ، وماذا قال ؟ . فقال الشيخ عبد الملك : لقد كان الخضر عليه السلام ، وقال هل تأتي غداً لنذهب إلى المدينة ؟ . فقلت له نعم . وله كرامات كثيرة مثل هذه) قال تاج الإسلام : فذهبنا معاً إلى خانقاه مكة لنبحث عنه فقليل لنا : لقد أدى الصلاة ، وذهب إلى مسجد عائشة رضي الله عنها ؛ فهو يمهّد طريق الميقات والعمرة ؛ لأن هناك أحجاراً غليظة سيئة ، وهو يقوم بسحقها حتى لا تجرح أقدام الحجاج . وينبغي أن تبحثوا عنه هناك . فذهبنا إلى ذلك المكان ، وتوقفنا بعيداً ، ورأيت أنه قد ارتدى مرقعاً ، وعقد وسطه ، وشمر أكمامه ، وجلس على حجر ، ووضع حجراً آخر أمامه ، وأخذ

يكسره إلى أجزاء صغيرة . وعندما أتم كسره التفت إلينا . وحياء والدي ، فرد تحيته ، وقال : اقربوا أكثر ، فاقربنا منه ، وقال له والدي : نحن من خراسان ، من مدينة مرو ، وولد أبي المظفر السمعاني ، فقال : إنني أعرفه . ثم سأله : هل جئت للحج ؟ فأجاب والدي : نعم ، قال : ألم تذهب إلى ميهنة ؟ قال ذهب . فقال : هل قمت بزيارة الشيخ أبي سعيد ؟ قال : فعلت ، فقال : ماذا تصنع هنا إذن ؟ ولماذا قطعت هذا الطريق الطويل ؟ قال هذا وانشغل بعمله . فعظمناه وعدنا . ثم قال تاج الإسلام : منذ سمعت هذا الكلام ، فرضت على نفسي عندما يذهب الناس للحج كل عام ، أن أحضر إلى هنا لزيارة الشيخ .

حكاية :

وقد سمعت هذه الحكاية نفسها باسناد آخر من ناصح الدين بن أبي محمد ابن عمي إذ قال : كنت قد ذهبت مع رئيس ميهنة إلى سرخس ، فقال رئيس ميهنة : تعال لنذهب لتحية (ص ٣٨٠) السيد الإمام الكبير البخاري - وكان إماماً أحضره الأمير الأجل من بخارى للتدريس في مدرسته في سرخس - وعند ما دخلنا عليه ، وعرفه أنني ابن الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير ، نهض مرة أخرى ، واحتضني ، وقربني إليه ، وقال : كنت في شبابي في مرو عند السيد الإمام محمد السمعاني ، أتعلم الفقه عليه . وعرض له السفر إلى مكة ، فعهد بي إلى أحد معيديه . ولما رجعت ، كان ينبغي أن أقرأ عليه كل ما تعلمته في غيبتة . وذات يوم ذهبت إليه ، وكان قد جلس أمامه رجلان من كبار أئمة مرو ، وكانا يتحدثان معه . وكان السيد الإمام السمعاني يحكي حكاية حجة ، ثم قال : وعند ما وصلت إلى مكة أردت أن

أزور عبد الملك الطبرى ، وقص هذه الحكاية التى كتبت من قبل .

حكاية :

قال الحكيم محمد الأبيوردى : كان لدينا رجل عظيم ، زاهد ، متعبد ، له مجاهدات كثيرة ، قال : ظلت أتعب طيلة عام ، وأنا أتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يرشدنى إلى خير أنال به درجة الشيخ أبى سعيد . وبعد أن أتممت عاماً على هذا النحو من العبادة والمجاهدة ، استسلمت للنوم ليلة ، فرأيت فى نومي هاتفاً يقول لى : لقد عمل الشيخ أبو سعيد بحديث من أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، حتى بلغ تلك الدرجة التى رأيتها وسمعت بها . فاستيقظت من نومي ، وقت بكثير من العبادات والمجاهدات عاماً آخر ، وتضرعت إلى الله أن يطلعنى على هذا الحديث ، وأن يظهر لى أى حديث من أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى عمل به الشيخ . وبعد مضى سنة أخرى فى العبادة والمجاهدة ، رأيت فى نومي هاتفاً يقول لى : ذلك الحديث الذى عمل به الشيخ هو الذى يقول فيه المصطفى : (ص ٣٨١) « صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عن ظلمك ! » . فاستيقظت ، وأدركت أنه ليس لى ولأمثالى أن أطلب مرتبة الشيخ أبى سعيد ، فقد لزم لى عامان من العبادة والرياضة والمجاهدة ، حتى قيل لى أى حديث من أحاديث المصطفى صلوات الله عليه وسلم هذا الذى قام به ، فلاشك أننى لا أستطيع أن أقوم بالعمل الذى قام به .

حكاية :

قال أبو الفتح محمد بن على الحداد : كان والدى يقوم بخدمة الشيخ سنين

طويلة . وعندما توفي الشيخ كان متغيياً . ولما رجع ، أقام بالمنزل ، وأخذ يذهب لزيارة الشيخ مرتين كل عام . وكنت أرسل معه أشياء إلى أبناء الشيخ ، تقريباً إلى حضرة الشيخ . وكان والدى يحكى لى دائماً حكايات عن الشيخ ويصف لى طبعته ، ووجهه ، وشعره المبارك . وعندما توفي والدى ، خطر لى أن أذهب لزيارة - قبر - الشيخ أبى سعيد . ولما بلغت مشارف ميهنة ، توقفت حتى أقبل الليل . وذهبت إلى ميهنة ، وتوضأت وصليت ركعتين على باب ضريح الشيخ ، وجلست وأحيت رأسى . واستولى على النوم ، فرأيت الشيخ فى نومي ، على نحو ما وصفه والدى ، وقال لى : لا تطف حول أبنائى ، وإذا كنت تريد أن تتعلم طريق الله ، فاذهب عند « بانوفله » فى سرخس ، فاستيقظت ، وانتعلت حذاءى مريعاً ، وذهبت إلى سرخس عند بانوفله - وكان من العظامومريدى الشيخ ، وعندما أشرف الشيخ على الوفاة ، أمره بالذهاب إلى خاتقاه الشيخ أبى الفضل حسن رحمة الله عليه فى سرخس ، ففعل هذا . وقد تمت أمور كثيرة على يده هناك ، وأصبح له كثير من المريدين ، ونالت تلك الطائفة على يديه خيرات كثيرة . والآف يسمون هذه الخاتقاد « خاتقاه بانوفله » - وذهبت إلى خدمته ، وظهر لى على يديه كثير من النور فى طريق الدين . وعندما توفي ؛ ذهبت إلى أبى القاسم القشيرى ، وسألنى القشيرى : من أين جنت ؟ . فحدثته بحكاية الحلم الذى كنت قد رأيته من قبل ، فسكى من أجل كرامات الشيخ ، وقال لى : لقد حدثت لى حادثة مع بانوفله ؛ فقد ذهبت مرة إلى سرخس فى مهمة ، وعندما وصلت إليها ، جاء جميع أئمة المدينة والولاية وعظماء الصوفية لاستقبالى ، ما عدا بانوفله فقد تخلف ، وكنت أتوقع أن يأتى للسلام على ، فلم يفعل . وغضبت لذلك كثيراً . وذات ليلة رأيت المصطفى (ص ٣٨٢) عليه

الصلاة والسلام في النوم ، وقال لي : لقد وقف بانوفله خلف الأبواب ، وأنت ما تزال تذهب إلى الأبواب ! يجب أن تذهب للسلام عليه . فاستيقظت من نومي ، وذهبت في اليوم التالي لزيارة بانوفله وفق إشارة المصطفى عليه الصلاة والسلام . وقد أصبح محمد الحداد هذا من عظماء هذه الطائفة ، بفضل إشارة الشيخ ، وإرشاد بانوفله، رحمهما الله .

حكاية :

سمعت السيد الإمام ظهير الدين أسعد القشيري حفيد الاستاذ الإمام يقول : كنت قد اقترضت سبعمائة دينار نيسابوري من أجل الصوفية في نيسابور، وقصدت المعسكر ، وكان الجند حينئذ في مرو ، ولما بلغت ميهنة ، احتجوني أبناء الشيخ أبي سعيد عدة أيام ، وأكرموني كثيراً . وبعد أن أمضيت هناك مدة ، أعددت أموري لأذهب إلى مرو . وانتعلت حذائي ، وذهبت إلى الضريح ، وقد عزمت على هذا .

وعندما وقعت عيني على قبر الشيخ ، أحنيت رأسي ، وأغمضت عيني ، فرأيت الشيخ عياناً ، وكأنما رفعت جميع الحجب عن عيني ، وكان يقول لي : هل فعل والدك أو جدك هذا الذي تفعله ؟ اذهب ، وعد إلى هناك ، وانتظر فسوف يتحقق مقصودك . فخرجت وقلت : أعيدوا الوايفة واسترجعوا الدرر ، واكثروا دابة إلى نيسابور . وعدت ومكثت في الخانقاه . وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن أفضي السبعمائة دينار قيمة القرض في ذلك الشهر . وقد تحقق في ذلك العام فتوح كثيرة ، فضلاً عن نفقات الخانقاه ، وأوقفت عليها أعيان طيبة . ولم يتيسر لي في سنة من السنين حياة بمثل هذا الرغد ، ببركة همة الشيخ قدس الله روحه العزيز ، وإشارته .

حكاية :

قال السيد الإمام أبو المعالي القشيري: بعد وفاة الشيخ أبي سعيد بعدة سنوات، كانوا قد أقاموا وليمة في خانقاه الشيخ في نيسابور . وكنت هناك مع والدي وأعمامي الإمام أبي نصر والإمام أبي سعيد . وحضر أيضاً جميع (ص ٣٨٣) أكابر الأئمة والمتصوفة في المدينة . وكان معنا فخر الإسلام أبو القاسم بن إمام الحرمين أبي المعالي ، وكان متكبراً مشهوراً لا يزال في سن الشباب، فأخذ يقول لو لذي كلاماً كثيراً . فقال له والدي : لاتحدث كثيراً فربما استدعاني الصوفية . فقال فخر الإسلام : اضحك على ذنن جميع الصوفية ولو بلغوا منزلة الجنيد ، قال هذا وظل يتحدث .

ودخلت من باب الخانقاه قطة ، وأخذت تسير من ناحية ، وتشم واحداً واحداً من أولئك الجمع . ولما وصلت إلى فخر الإسلام ، شمته ، وتبولت عليه ، وخرجت من باب الخانقاه . فانهار فخر الإسلام ، وأدرك السبب في هذه الصفة ، ونهض ليعتذر . فأشاروا جميعاً إلى السيد الإمام أبي سعد القشيري ، على أنه كبير الجماعة ليعتذر إليه عندما علموا بما حدث ، قال : ينبغي أن يكون هذا الاعتذار للشيخ أبي سعيد ، فهذه كراماته وهذه خانقاه ، وهو رغم مرور عدة سنوات على وفاته ، إلا أنه لا يزال يشرف على الأحوال ، وإذا ما ارتكب واحد من الجمع حماقة تولى عقابه . ووافق الجميع على هذا الرأي ، وتوجه فخر الإسلام إلى ميهنه ، واستغفر ، وظهرت الأحوال للصوفية ، ومزقوا الخرق ، وغمرت النشوة الجميع .

حكاية :

مرض السيد ناصر ابن شيخنا قدس الله روحه العزيز في ميمنه ، بعد وفاة الشيخ بمدة ، فذهب إلى طبيب في طوس ، وظل هناك عدة أيام . وعندما تحسن قليلا ، توجه لزيارة قبور المشايخ في « سفالقان » . ولما رجع ونام في تلك الليلة ، رأى الشيخ في النوم يقول له : يا ناصر :

« بيت »

— أنت تملك مسك التبت والعنبر الرطب ،
فلا تنظر أيها الحبيب إلى العطور الأخرى .

واستيقظ السيد ناصر من النوم ، وعزم على الذهاب إلى ميمنه في الحال ، وغادر طوس في اليوم التالي (ص ٣٨٤) وجاء إلى ميمنه . وتوفي في ذلك الشهر .

حكاية :

قال الإمام أبو بكر محمد بن أحمد الواعظ السرخسي إنه سمع السيد أحمد ابن محمد الصوفي يقول : بعد وفاة شيخنا قدس الله روحه العزيز ، رأى درويش من دراويش الخانقاه في نومه ، أنه سأل الشيخ : أيها الشيخ ، لقد كنت مولعاً بالسماع في الدنيا ولعاً شديداً ، فما حالك الآن مع السماع ؟ .

فقال الشيخ :

« بيت »

— لقد أغناني صوت الحبيب ،
عن ألحان الموصلي ولحن الأرغول .

فلما قال الشيخ هذا البيت ، صرخ الدرويش ، واستيقظ من النوم ، واعتراه
حال . ولما هدأ ، سأله عما حدث ، فقص علينا هذه القصة .

حكاية :

عندما هزم كفار انخطا السلطان سنجر في مرو ، وحلت تلك الكارثة
بالسلطان العظيم ، جاء الخوارز مشاه أنسيز إلى خراسان ، وذهب إلى باورد وقد
عقد العزم على أن يغير على خاوران . ولما باغ موضعاً يقال له رباط « سربالا »
على بعد فرسخ من ميهنه ، توقف جواده . وأخذ يضربه بالسياط ، ولكنه امتنع
عن السير . فطالب جواداً آخر وركبه ، فتوقف ذلك الجواد أيضاً . وكان في معيته
وزير سيد العراق الصابندی فقال له : أيها الملك العادل ، يقال إن بهذه البقعة ،
مكناً عزيزاً مباركاً ، فقيها قبر شيخ كان فريداً في العالم ، فازرع من رأسك
ما أضمرته بشأن هذه البقعة . فقال : لقد صدقت ، وسوف أفعل هذا ، فسار
الجواد في الحال .

واعتقد أنسيز اعتقاداً كبيراً في الشيخ ، وأرسل رسولا خاصاً إلى شحنة ميهنه
وقال له : بشر أهل هذه المدينة (ص ٣٨٥) أنني قد غيرت رأبي ، وينبغي ألا
تشق عليهم قط ، فهذه الولاية تابعة لخزانتى . وذكر أنه سيقم في هذه الناحية ثلاثة
أيام . وخرج إليه أبناء الشيخ والصوفية ، فاحتفى بهم ، وأكرمهم كثيراً .

وكان أبو روح ابن عمى - عم المؤلف - متبحراً في فنون العلم ، فدعا له
دعاء طيباً وحديثه كثيراً عن حالات الشيخ ، وكراماته ورياضاته . وأعاد - أنسيز -
الجميع ، واحتجز لديه جمال الدين - أباروح - وذهب معه بعد العشاء لزيارة

قبر الشيخ ، ثم صرفه بعد أن تم الاتفاق بينهما على أن يذهب إليه خلال هذه الأيام الثلاثة عند الفجر ، ويظل في خدمته طوال اليوم .

ولما رجع - أنسيز - إلى معسكره ، وإطمأن أهل ميهنه ، ظهرت نار من ناحية القبلة ، وأخذت تزداد كل لحظة . وكان شعاعها ينعكس على صفحة السماء ، فتبدو حمرة وكأنما النيران قد اندلعت فيها . وأخذت الريح تهب في عنف ، وأمسكت النار بجميع جبال ميهنه ، حتى بلغت ما يقرب من فرسخين . وكانت تبدو وكأنما اتجهت إلى المدينة ، وأوشكت أن تصل إليها . وكثر القيل والقال ، وعم الصخب المعسكر ، واستيقظ الخوارزمشاه أنسيز من نومه وشاهد تلك الحال ، ورأى خوف الجنود وفزعهم ، فعادر المكان قائلاً : لقد أشعل الشيخ النار فينا . وسار جيشه من خلفه .

وعندما وصل أهل ميهنه إلى المعسكر ، كان الجيش جميعه قد رحل . ولم يعرف أحد شيئاً مما حدث ، إلا أنهم كانوا يرون النار تندلع من ناحية القبلة والجبل ، ويشاهدون احمرار السماء وهولها . ولما حل فجر اليوم التالي ، لم يكن قد بقي في صحراء ميهنه من ذلك الحشم الكثير والدواب والجند (ص ٣٨٦) أحد قط . وتعجب الناس كثيراً ، ونساءوا كيف رحلوا في الليل ولم يطلع على رحيلهم أحد ، أو يسمع شخص صوت تحركاتهم .

وسأل أهل ميهنه عن مصدر هذه النار ، وعرفوا أن جماعة من المزارعين كانوا قد زرعوا غلالاً في ذلك الجبل القريب من ميهنه ، وقاموا بحصدها ، وجمعوا منها محاصيل كثيرة . وكانوا قد أوقدوا نارا في الليل ، وأمسكت النار بعض

هذه الغلال ، وأهاجتها الريح ، فأخذت تشتعل ويسقط شعاعها على السماء .
وقد كانت هذه إحدى كرامات الشيخ . فحصى بها على فتنة الخوارزمشاه وظلمه .
أما هذه النار التي كانت على هذا القدر من القداحة ، حتى أنها كانت تشتعل
فيما يقرب من مساحة فرسخين طولاً وعرضاً ، وكان بينها الكثير من الناس
والحيوانات والغلال ، فإنهم لم تتألف حبة قط من غلال أحد . وابتعد هذا البلاء عن
ميهنة وخاوران جميعها بحيث لم يصب أحد بضرر .

حكاية :

كان أُوحد الطائفة محمد بن عبد السلام أحد أبناء مولى جدى - جد
المؤلف - وعندما وقعت فتنة النر ، استشهد فيها كثير من أبناء الشيخ ، فقتل
بجد السيف في ميهنة وحدها خمسة عشر ومائة شخصاً من صلب شيخنا قدس الله
روحه العزيز . وبعد مرور شهرين أو ثلاث ، توفي الكثير من أهل ميهنة بسبب
المرض والوباء والقحط الذى نتج عن هذه الأحداث . وقد بلغ حالهم من السوء إلى
حد جعلهم يجلون عنها تماماً ، وتشتت من كان قد بقى من أهلها .

وظلت ميهنة خالية حتى رجع إليها نفر من الدراويش بعد عامين أو ثلاثة ،
وعمرروا القلعة التي كانت قد خربت ، وأقاموا بها . وكانت هناك مسافة كبيرة
بين تلك القلعة وضريح الشيخ . وقد ظل أُوحد الطائفة محمد بن عبد السلام هذا
مجاوراً في ضريح الشيخ المقدس خلال هذه المدة ، لأنه كان مصاباً بمرض شديد
(ص ٣٨٧) يجعله يتحرك بصعوبة كبيرة . ولما لم يكن في ميهنة ، عند هجرة
أهلها دواب ، وكان الناس أثناء فرارهم يسوقون أمامهم نساءهم وأولادهم ، ويسير

الجميع على أقدامهم وأطفالهم على أعناقهم ؛ فقد اضطر إلى البقاء في المدينة ، ولجأ إلى ضريح الشيخ ، ولجأ معه بضعة أفراد من المكفوفين والضعفاء . وعندما رحل أهل ميهنة ظلوا فيها بمفردهم .

وفتح الحق سبحانه وتعالى بكمال فضله أبواب الرزق والنعم على أولئك الضعفاء ، وانجبت الخيرات إلى ذلك المكان ، بينما أغار المفسدون على غيره من الأماكن . وكانت أنواع الإحسان تصل إليهم حتى لقد ذكر أنه لم يرفى حياته أحسن من هاتين السنتين . ولما عاد الناس واستقروا بالقلعة ، ظل يقوم بالخدمة في ضريح الشيخ ، وبقي على هذه الحال عشرين عاما ، يؤدي حقوق الزيارة ، والخدمة في هذه البقعة المباركة وكان إذا ماجاء درويش قام على خدمته ، وأرسل السيدات إلى القلعة . وكان يقيم على باب الضريح . وبعد مرور مدة طويلة ذهبت - أي المؤلف - إلى ذلك المكان وسألته : ماذا رأيت من كرامات الشيخ خلال المدة التي أقمت فيها بروضته المباركة ؟. فقال : لم يمض يوم دون أن تظهر لي كرامة من كرامات الشيخ ، بحيث يتعذر على إحصائها . ولكنني سأقص عليك قصة كرامتين حدثتا لي ، ورأيتهما ، وحدثت الناس بهما ، فلم تكن لدى القدرة على أخفائهما . ولم أر مثلهما بعد ذلك ، وأدركت أنني لو كنت قد احتفظت بهذا السر ، لرأيت الكثير من هذه الكرامات . وندمت ، ولكن بدون جدوى .

الأولى : هي أني اعتدت ألا أذهب إلى القلعة خلال فصل الصيف ، وكنت أنام طوال هذا الفصل على باب الضريح . وذات ليلة كنت نائما (ص ٣٨٨) ، وكانت هذه الليلة من ليالي الأيام البيض حيث تم القمر ، فأغلقت باب الضريح جريا على عادتي ، وتهدأت للنوم . وفي بداية نومي ، وصل رجل من أهل ميهنة

قادما من الصحراء ، فلما زأني نائما على باب الضريح ، نام — إلى جوارى —
على الأرض . واستيقظت في منتصف الليل ، وكان هناك صوت ينبعث من الضريح
يتلو القرآن . وأنصت جيدا ، فسمعت شخصا يقرأ سورة الفتح بصوت جميل .
وتعجبت لذلك ، فقد أغلقت أبواب الضريح قبل نومي ، فكيف فتحها شخص
ودخل إليه ؟ . ومنهضت ، فرأيت باب الضريح مغلقا كما هو ، وكان القمر قد توسط
السماء ، وتبين لي أن هذا لا يمكن أن يكون إلا صوت الشيخ ، وأن هذه
القراءة له . وتملكني حال ، ومهما حاولت كثيرا أن أمنع نفسي من الافضاء بهذا الأمر
لم أستطع . وأيقظت الرجل النائم إلى جوارى وقلت له : تأمل كيف يمكن سماع
صوته جيدا بعد مضي أكثر من مائة عام على وفاته ! ! وعندما استيقظ الرجل ،
احتجب الصوت فلم أسمع ، لا أنا ولا هو .

والثانية : كان من عادتي صباح كل يوم من أيام الشتاء ، عند ما أذهب من
القلعة إلى الضريح ، أن أحضر معي ما تيسر لطعام الضحي لأن المسافة
إلى الضريح كانت بعيدة جدا ، والذهاب متعذر علي .
وذات يوم لم أكن قد أكلت شيئا ، وانتابني حمى ، وتقياأت بسبب ذلك . وفي
صباح اليوم التالي غلبني الجوع ، فلم أكن قد تناولت طعاما ليوم وليلة ، فأخذت
كسرة من الخبز وبيضة ، وذهبت لأتناول طعامي على باب الضريح . ولما وصلت
إليه رأيت درويشا وقد ارتدى مرقعا ، وجلس على باب الضريح ، وأخنى رأسه
ووضع عصا وإبريقا على كتفه . ولما وقعت عيني عليه ، لم يبق لي من
! بشرتي شيء ، وشعرت بروح وروح بحيث غبت عن نفسي .

وتقدمت إلى الضريح في بطاء ، وفتحت الباب . وعندما سمع صرير الباب ، رفع رأسه ، فألقيت عليه التحية ، فنهض لتحيتي ، وعانقني . وجلست إليه ، وسأته عن حاله . وبرغم أنه لم يقل شيئاً ، فقد أدركت أنه وصل عند صلاة العشاء ، ولم يكن هناك من يعتني به ، وبقي في ذلك المكان (ص ٣٨٩) مستيقظاً طوال الليل . فوضعت الخبز والبيضه أمامه في الحال ، وآثرته علي نفسي ، وكنت آكل معه قليلاً على سبيل المجاملة وأخدمه . وبعد أن فرغ من الطعام ، غسل يديه وجدد وضوءه ، وصلى ركعتين ، ولبس نعله ، وودعني وذهب . وأمضيت اليوم دون طعام أيضاً ، ولكنني لم أشعر بالجوع بسبب ما بعثته صحبة ذلك الدرويش في نفسي من الراحة .

ولما عدت إلى القلعة عند صلاة العشاء كانوا قد أعدوا طعاماً لا يناسبني فلم أستطع أكله ، وكانوا قد اعتمدوا على أني أكلت شيئاً ، ونمت جائعاً في تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي ، ذهبت كما دتني إلى الضريح بعد الصلاة ، وفتحت الباب ، ودخلت ، وقمت بواجبي . ورأيت في المكان الذي يخلع فيه الناس أحذيتهم في مواجهة قاعدة قبر الشيخ جرة جديدة ، زرقاء اللون ، مملوءة بالماء ، وقد وضع فوقها رغيفان من الخبز الأبيض الساخن ، وكانت يدي تحس حرارة ذلك الخبز ، فرفعتهما ، وغلبني البكاء ، وأدركت أن هذه ليست إلا محض كرامة من كرامات الشيخ ، فلم يكن في القرية أحد ليكون ذلك الخبز قد خبز في تلك الساعة ، وجلست وأكلت الخبز ، ولم أتناول قط طيلة عمري طعاماً أطيب منه ، ولم أشرب ماء أبرد وأطيب وأعذب من ذلك الماء .

وكرامة أخرى هي أنني كنت جائعاً لمدة يومين وليلتين ، وقد شبعنا بهذين الرغيفين بحيث لم أشته طعاماً آخر ليومين آخرين .

وحين ذهبت إلى القلعة وقت صلاة العشاء ، واجتمع الناس ، لم استطع الاحتفاظ بهذا السر ، ومهما بذلت من الجهد لم أكن أستطيع أن أمنع نفسي ، وقلت : أيها الناس ، أنتم لا تعرفون ماذا تملكون ، ولا ترعون حق هذا القبر العظيم ، ولذلك تعانيون كل هذه البلايا والمحن . (ص ٣٩٠) وحكيت هذه الحكاية وبكى الحاضرون . ولكني بعد ذلك لم أر من هذا الجنس شيئاً آخر لأنني أظهرت خسة ، وأدركت أنه لو لم أظهر هذه الكرامة لظهرت لي أشياء كثيرة ، فندمت ولكن بدون فائدة .

أما عن كرامات الشيخ التي ظهرت للآخرين في وجودي ، فهي كثيرة جداً بحيث يتعذر على إحصائها . ولقد قال الشيخ قدس الله روحه : ما أسعد من رأنا ، وما أسعد من رأى من رأنا ، وعد سبعة أشخاص على هذا النحو ، وقال : ما أسعد الذي رأى سابع شخص رأى من رأنا .

حكاية :

اعلم أن الكرامات التي ظهرت بعد وفاة الشيخ أكثر من أن يستطيع القلم أن يسطرها . ومنها هذه الكرامة التي قص قصتها ابن خالي أبو الفرج بن المفضل وابن أخي المنور بن أبي سعيد ، فقد ذكرا أنه أثناء غارة الغز ، كانت ميهنة قد تحربت ، بحيث لم يعد هناك من يستوطنها . وكان نفر القليل الذي بقي من أهلها يسكنون القلعة ، وكانوا يحضرون إلى القرية من أجل حطب التوت الذي كانوا يطرحونه في النواحي . وقد جئنا مع التلاميذ إلى محلة الصوفية ، وكسرنا شجرة قريبة من الضريح . وكان الجو خاراً في ذلك اليوم ، ولم يكن بالحملة أحد سوانا . وكنا ، كما هي عادة الصغار من سوء الأدب ، نحدث شغباً . وأخذ التلاميذ يضربون بالفأس ، وكان صوت ضجيجنا يملأ المحلة . وسمعنا صوتاً

من باب الضريح يقول : ما هذا الذى تفعلون ؟ . فنظرنا ، ورأينا شيخا واقفا على باب الضريح ، وكانت لحيته تصل إلى سترته كما وصف شيخنا ، ووجهه أبيض مشرب بالحمرة وصاح فينا قائلا : ألن يأتى وقت تتخلص فيه من سوء أدبكم ؟ . وعندما وقعت أعيننا عليه ، هربنا وتركنا الآلات هناك ، حتى إذا ما جاء (ص ٣٩١) أحد بعد هذا إلى المحلة عند العصر ، ذهبنا معه ، وأخذناها هي والملابس . ولم نفعل بعد هذا شيئا مجافيا للأدب فى هذه المحلة .

وهناك حوادث كثيرة من هذا النوع يصعب حصرها ، وإذا ذكرناها كلها يطول الكتاب .

والأمر كذلك فيما يختص بقوائد أنفاس الشيخ وحكاياته وكراماته وأمثال هذا ، فإن عشرين مجلدا فى وصف حال الشيخ أشبه بقطرة من بحر ، على نحو ما ذكر السيد الإمام أبو الحسن المالكى فقد قال : لقد سمعت لعدد من الشيوخ الكبار يقولون إن الناس يتعجبون لكثرة كرامات الشيخ أبى سعيد ، وإشرافه على خواطر عباد الله وأحوالهم .

وقال الشيخ أبو سعيد : ليس لصاحب الكرامات منزلة كبيرة فى هذه الحضرة لأنه يكون بمثابة الجاسوس ، وواضح أى منزلة تكون للجاسوس فى حضرة الملك . وليس لصاحب الإشراف فى الولاية خطر كبير ونصيب الابلل دائق عن كل دينار . فاجتهد أن تكون صاحب ولاية حتى تكون كل شىء ، ويكون لك ملك كل شىء .

ويعرف من أقوال الشيخ أبى سعيد أن هذه الكرامات والإشراف على الخواطر ليست شيئا بالقياس إلى الحال التى كانت للشيخ . أما عوام الخلق فإن تلك الحالة تبدو لهم عجيبة ، وإن كانت هي نفسها ليست شيئا بالقياس

- إلى منزلة الشيخ ، لأن الرجل ما لم يصل إلى المقام الأرفع فإنه لا يحتقر ما عرف . وهذا ، بالنسبة لما كان للشيخ وما كان فيه ، لا يعد شيئاً ، ولكنه يبدو لنا عظيماً بسبب أنه لا علم لنا بتلك الحقيقة ولا نرى من الأمور غير الظاهر ، وهذا أيضاً ليس كاملاً . نسأل الحق سبحانه وتعالى أن يكرمنا بالرؤية قبل الموت لأن الخلق جميعاً سوف يحيون غدا بهذه الكلمات المباركة .

وإني لأرجو من كرم العظماء الذين يطالعون هذا الكتاب ويجدون لذة في قراءة حالات شيخنا قدس الله روحه العزيز ، أو تبدو لهم حالووقت ألا ينسوا هذا الضعيف والداعي في تلك الحال والوقت ، ويذكرون هذا الآثم العاصي بالدعاء . وإذا بدت لشخص هداية من هذه الأقوال المباركة والحالات الشريفة ، (ص ٣٩٢) - أو حصل لسالك في طريق الطريقة والحقيقة من هذه الأنفاس العزيزة فتح ، أن لا يغفل عن هذا المسكين بالدعاء والهمة ، وأن يذكره بخاطره المبارك في الأوقات والخلوات ، ولا ينساه إن شاء الله تعالى .

أسأل الحق تعالى ألا يقطع بركات ملك الدين هذا ، وسلطان أهل اليقين وإمام أهل الطريقة وقدوة أهل الحقيقة عنا وعن كافة أهل الإسلام في أي حال ، وأن يحشرنا في الدنيا والآخرة في زمرة خدم تلك الحضرة المباركة وغلمانها المقدسين ، وأن يسعدنا يوم القيامة بخدمته ، على نحو ما ذكر من أن جواب الصغير على الكبير ، وأن يكون شفيع أخطائنا وزلاتنا ، وأن يوقف قلوبنا على محبته وأجسادنا على خدمة أحبائه ، وألا يتركنا لأنفسنا ولا للخلق طرفة عين أو أقل من ذلك ، وأن يمن علينا بما لا بد لنا منه في الدين والدنيا والآخرة ونحن في خدمته وحضرته ومحبته بحق محمد وآله أجمعين والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

ثبت بالآيات القرآنية

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٢٩	الحجر	« ونفخت فيه من روحي »	١٨
٤١	الرعد	« أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها »	٢٢
٢٢	الزخرف	« ولإنا على آثارهم مهتدون »	
٩٠	الأنعام	« أولئك الذين هدى الله فبهم اقمه »	
٥٥	القمر	« فى مقعد صدق عند مليك مقتدر »	٢٧
٧٨	الحج	« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »	٢٨
١٩	نوح	« والله جعل لكم الأرض بساتين »	
٩١	الأنعام	« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون »	٤٢
٥٧	مريم	« ورفعناه مكانا عليا »	٤٥
٦٢	الأنعام	« ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق »	٥١
١٢٧	البقرة	« فسيكففيكم الله وهو السميع العليم »	٥٢
٣٥	الأنبياء	« ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون »	٥٤
		« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » (مكرره)	٦٢ ، ٦١
١٥	الأحقاف	« حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة »	٦٩
١٢	مريم	« يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا »	
٢٩	مريم	« قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا »	٧٠
١	الإنسان	« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا »	
٢	الإنسان	« وإنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبئليه »	
٦	الكافرون	« لكم دينكم وفى دين »	٩٤
١١٦	المائدة	« أأنت قلت للناس اتخذونى وأبى لهن من دون الله »	١١٧
٦٧	المائدة	« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك »	١٢٥
١٠	النجم	« فأوحى إلى عبده ما أوحى »	

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٦٥	الزمر	« ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ،	١٢٩
١٩٨	الأعراف	« وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ،	١٥٣
٥٢	الشورى	« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ،	١٥٤
٢٣	الأحزاب	« ففهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ،	١٨٥
١٧	النجم	« وما زاغ البصر وما طغى ،	١٨٨
٥١	المؤمنون	« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ،	١٩١
٥٢	الحج	« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ،	٢١٩
٢	الفاتحة	« الحمد لله رب العالمين ، .	٢٢٠
١٦	غافر	« لمن الملك اليوم ،	٢٣٩
٩٢	النحل	« ولا تكونوا كآلئى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ،	٢٤٠
٥٩	الأنعام	« ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ،	٢٤٣
٥٣	يونس	« ويستنبذونك أحق هو قل إى وربى لأنه لحق ،	٢٤٤
٥	طه	« الرحمن على العرش استوى ،	٢٦٠
١١١	التوبة	« فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعةكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ،	٢٧٢
٤٤	الإسراء	« وإن من شئ إلا يسبح بحمده واسكن لا تفقهون تسبيحهم ،	٢٧٣
٨٥	القصص	« إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ،	٢٨٧
٤٠	النازعات	« ونهى النفس عن الهوى ،	٢٨٩
٢١	الإنسان	« وسقام ربهم شراباً طهوراً ،	
٨١	الأنبياء	« وللسليمان الريح ،	

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٦٢	الأنعام	«ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين»	٢٩٢
١٥٢	آل عمران	«منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة»	٢٩٥
٨٩	النمل	«من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون»	٢٩٦
١	الإخلاص	«قل هو الله أحد»	٢٩٨
٢١٢	الشعراء	«إنهم عن السمع لمعزولون»	
١٠	المملك	«قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»	
١٨، ١٧	الزمر	«وفسر عبادي الذين يستمعون القول في تمجدهم أحسنه»	
١٩	الشورى	«الله لطيف بعباده»	
١٣	سبا	«وقليل من عبادي الشكور»	٣٠١
٨٠	الزخرف	«أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون»	٣٠٥
٦	الفاتحة	«اهدنا الصراط المستقيم»	٣٠٦
٢٤	البقرة	«وقودها الناس والحجارة»	٣٠٩
١٩	العلق	«واسجد واقترب»	٣١٧
٤٠	النازعات	«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى»	٣١٩
١٠٦	يوسف	«وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»	
٤٨	النساء	«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»	
٢٥٦	البقرة	«فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله»	
١٣	الأحقاف	«إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا»	٣٢٠
١٣	الحجرات	«إن أكرمكم عند الله أتقاكم»	٣٢٢
١٢٦	الأنعام	«وهذا صراط ربك مستقيماً»	
٣	الطلاق	«ومن يتوكل على الله فهو حسبه»	٣٢٣
٣٧	يوسف	«ذلك مما علمني ربي»	٣٢٥
٢٠١	الرحمن	«الرحمن، علم القرآن»	

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٣٠	الملك	« قل أرايت إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتكم بما معين »	
٧٦	القصص	« لا نفرح إن الله لا يحب الفرحين »	٣٢٧
		« من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » (مكرره)	٣٢٩
٩٠	النمل	« ومن جاء بالسيدة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون »	
		« الله لطيف بعباده » (مكرره)	
٥٨	يونس	« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون »	٢٣٠
٧١	الأنعام	« كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران »	٣٣٥
٨٠	النساء	« ومن يطع الرسول فقد أطاع الله »	
٤٥	العنكبوت	« ولذكر الله أكبر »	٣٣٦
١٠٧	الكهف	« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها »	٣٤٠
٧٠	الفرقان	« فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات »	
		« وللسليمان الريح » (مكرره)	
٢٥	ص	« وهب لي ملسكا لا ينبغي لأحد من بعدي »	
١٢٨	البقرة	« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »	٣٤١
٤٣	الفرقان	« أرايت من اتخذ إلهه هواه »	٣٤٢
١٣	الشعراء	« فأرسل إلى هارون »	
٦٨	القصص	« وربك يخلق ما يشاء ويختار »	٣٤٣
		« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (مكرره)	
١٠٨	يوسف	« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا »	٣٤٥

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٧٦	الأنعام	« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ،	٣٤٨
١٦، ١٥	فاطر	« يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو	٣٤٩
١٧		الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد .	
		وما ذلك على الله بعزيز ،	
٨٣	المائدة	« وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم	٣٥٠
		تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ،	
٤	الجمعة	« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ،	٣٥١
٨١	النمل	« إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا ،	
٧٠	الإسراء	« وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ،	٣٥٢
٨	المنافقون	« والله العزة والرسول وللمؤمنين ،	٣٥٩
٤	المدثر	« وثيابك فطهر ،	٣٦٢
١٠٨	التوبة	« فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ،	
٣٧، ٣٦	النور	« يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ،	
٩	المؤمنون	« والذين هم على صلاتهم يحافظون ،	
٧٩	الإسراء	« ومن الليل فتعبد به ناظلة لك ،	
١٨	الذاريات	« وبالأسحار هم يستغفرون ،	
٧٨	الإسراء	« إن قرآن الفجر كان مشهودا ،	
٤٠	ق	« ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ،	
٥٢	الأنعام	« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي	٣٦٣
		يريدون وجهه ،	
١٧٧	البقرة	« والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، .	
٦٢	النور	« وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى	
		يستأذنوه ،	
١٩٥	آل عمران	« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل	
		منكم من ذكر أو أنثى بضعكم من بعض ،	

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٨٠٧	الحجرات	« أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ،	
١٥	لقمان	« واتبع سبيل من أناب إلى ،	٣٦٥
٢٥٦	البقرة	« لا انقصام لها والله سميع عليم ،	٣٦٧
١٥٦	البقرة	« إنا لله وإنا إليه راجعون ،	٣٩٠

ثبت بأسماء الأعلام

أبو البقاء المفضل بن فضل الله :

٣٩١

أبو بكر (الاستاذ) : ١٧٤ ، ٢٢١

أبو بكر الجوزقي : ٢٨٧

أبو بكر الحيرى (القاضى) : ٢٤٣

أبو بكر الخطيب : ١١٣ ، ١١٤

١١٥ ، ٣٧٤

أبو بكر الدرونى : ٣٢٨

أبو بكر الشبلى (أنظر الشبلى)

أبو بكر الشوكانى : ١٤٢

أبو بكر الصابونى (السيد الإمام) :

٢٢٧

أبو بكر الصديق : ٢٨٩ ، ٣٥٦

أبو بكر بن عبد الله (الدراوردى)

٢٠٧

أبو بكر القفال المروزى : ٤٠ ،

١١٣

أبو بكر الكتمانى : ٢٨٢ ، ٢٨٣

أبو بكر الكرامى (إسحاق) : ٨٩ ،

٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٤٤

أبو بكر بن أحمد الواعظ السرخسى :

١٢٩ ، ٤٣٠

أسماء الرجال :

(١)

آدم الصنى : ١٨ ، ١٩ ، ١٢٥ ،

٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٧٤

آل أبى الخير : ٣٤٣

آل سلجوق : ١٨١ ، ١٨٣

آل محمد : ٢٣٤

إبراهيم (النبي) : ٢١٠ ، ٣٣٥ ،

٤١٥

إبراهيم (القول) : ٣٧٧

إبراهيم نبال : ١٤٠ ، ٢٦٤ ،

٢٦٥

إبليس : ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٦٦ ،

٣٤٣ ، ٣٤٥

ابن سريج : ٣٦

أبو أحمد (الاستاذ) : ٧٨ ، ٧٩ ،

٣٠٢

أبو أحمد (الشيخ) : ٩٩

أبو إسحاق الاسفراينى : ٢٩٠

أبو الجدر (الإمام) : ٤١٥

أبو البركات (السيد) : ١٢٨ ، ٢٢٨

٣٦٨

أبو حفص الخداد : ٢٨٩
 أبو حمزة النورى : ٢٩٣
 أبو حنيفة الكوفى : ٣٧ ، ٣٨
 أبو الخير (والد الشيخ أبى سعيد) :
 ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦
 أبو الدراوردى : ٢٨
 أبو الدرداء : ٢٣٠
 أبو روح (أنظر جمال الدين أبو
 روح)
 أبو سعد (سعيد) أسعد بن سعيد
 (شيخ الإسلام) : ١٨ ، ٦٩ ، ٧٩
 ١٢٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٩١
 ٤٢٢
 أبو سعد دادا : ٣٩٦ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ،
 ٤١١
 أبو سعد بن محمد السمعاني : ٤٢٤
 أبو سعيد سعيد بن أبى الخير (أنظر
 أبو سعيد فضل الله)
 أبو سعيد الخداد (الإمام) :
 ٣٥٦
 أبو سعيد الخشاب (الخادم) :
 ١١١
 أبو سعيد العيارى (السيد الإمام)
 ٣٤

أبو بكر المؤدب (السيد) : ٩٩ ،
 ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٣٠٢ ،
 ٣١٠ ، ٣١١
 أبو بكر النوقانى (الأستاذ) : ٢١٣
 أبو بكر الواسطى : ٢٣٠ ، ٢٩٥
 أبو جعفر : ١١٨
 أبو جعفر القابلى : ٢٨٠
 أبو جهل : ١٢٤
 أبو حامد اللوستاني : ٢٩٢
 أبو الحسن (الخادم) : ١٩٨
 أبو الحسن (الأعرج) الأبيوردي :
 ٣٩٠
 أبو الحسن البوشنجي : ٢٧٥
 أبو الحسن الخرقاني : ٦٤ ،
 ٦٦ ، ٦٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٥٠ ، ٢٩٠ ،
 أبو الحسن الرواقى (الإمام)
 ٢٢٠
 أبو الحسن السنجارى (الشيخ) :
 ١٥٢
 أبو الحسن النورى : ٢٧٢ ، ٢٩٣
 أبو الحسن على بن المثنى : ٢٩٥
 أبو الحسن الفاروزى : ٣٢٨
 أبو الحسين التونى : ١١٦ ، ١١٧
 ١١٨
 أبو الحسين المالكى : ٤٣٨

أبو سعيد القشيري : ٤٢٩

أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير

المينى : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩

٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨

٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤

٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧

٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩

٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣

١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٥

٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٢٩

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢

١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٥

١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧

١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٦

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨

٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩

الفقيه ، الإمام أبو علي : ٤٠ ،

٤٢ ، ١٥٣ ، ٢٩٧

أبو علي السنجي : ٤٠

أبو علي سياه (الشيخ) : ١٩٣ ،

١٩٤ ، ٢٦٩

أبو علي بن سينا (السيد) : ٢٢٢ ،

٢٢٣

أبو علي شجوي (الشيخ) : ٢٨٣ ،

٢٨٤

أبو علي الطوسي (أنظر : أبو علي

الفارمدي)

أبو علي العثماني (السيد الامام) :

٢٦٥

أبو الرضى (الآير) : ٧٨

أبو علي الفارمدي : ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٧

أبو علي الفقيه : ٤٠ ، ٤١

أبو المطهر بن فضل الله : ٣٩٠

أبو عمرو (صهر أبي القاسم القشيري) :

٩٩

أبو عمرو الفراهي : ٤٠

أبو عمرو البشخواني : ٣٨ ، ١٧٨ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١

أبو عمرو بن نجيد السلي : ٢٩٠

٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،

أبو العباس المغربي : ٢٩٥

أبو عبد الرحمن السلي (عبد الرحمن

السلي) : ٥٠ ، ٦٠ ، ١٥٢ ، ٢٣٧ ،

٢٩٠ ، ٢٥٥

أبو عبد الله باكو (عبد الله باكو) :

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨

أبو عبد الله الحضري (الإمام) :

٣٦ ، ٤٠

أبو عبد الله الداستاني : ٦٩

أبو عبد الله الرازي : ٢٧٦

أبو عبد الله الرازي : ٢٧٦

أبو عبد الله الكرام : ١١٦ ، ١٥٠

أبو عثمان الخيري (عثمان الخيري) :

٦٠ ، ١٢٨

أبو عثمان المغربي : ٢٩٥

أبو العز الموفق بن سعيد : ٣٩١

أبو العلا ناصر بن فضل الله : ٣٩٠ ،

٤٣٠

أبو علي (الشيخ) : ٧ ، ٥٨ ،

أبو علي الترشيدي : ١٠٥

أبو علي الدقاق : ٥٨ ، ٧٠ ، ١٠٢ ،

١٠٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٥

أبو علي زاهر بن أحمد (أبو علي

٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٧٢ ، ١٩٨ ، ٢٣٢ ،

٢٥٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٥٥ ، ٤٢٧ ،

أبو الفضل محمد بن أحمد الزوقاني :

١٧٤ : ٣١٤

أبو القاسم بشر ياسين : ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٢٣٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤

أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي

(انظر : الجنيد)

أبو القاسم الجنيد بن علي الشيرازي .

٤٥

أبو القاسم الجويني (فخر الإسلام) :

٤٢٩

أبو القاسم الحكيم : ١٩٢ ، ١٩٣ ،

أبو القاسم الروباهي : ١٢٨ ، ١٢٩ ،

أبو القاسم الزرادي : ١٨١

أبو القاسم القشيري (الأستاذ الامام) :

٨٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ،

٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ،

٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٧ ،

أبو القاسم الجرجاني : ٨١ ، ١٤٤ ،

٢٠٧

أبو القاسم النصر آبادي : ٥٠

أبو عمرو خشكويه (حاكم)

النيسابوري : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،

أبو الفتح (المريد) ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

أبو الفتح بن طاهر بن سعيد (السيد

الشيخ) : ١١٢ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٧١ ،

٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ،

٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ،

٤١٦ .

أبو الفتح بن عباس (السيد الامام) :

١١٢ .

أبي الفتح بن فضل الله (السيد)

٤١٢ .

أبو الفتح محمد بن سام : ٢٥

أبو الفتح محمد بن علي الحداد (محمد الحداد) :

٤٢٦ .

أبو الفتوح العياضي : ١٥١

أبو الفتوح الغضائري : ١٠١ ؛

١٠٢ ؛ ٢٤٤

أبو الفتوح مسعود بن فضل الله :

٣٩١

أبو الفخر بن المفضل : ٤٣٧

أبو الفرج المفضل بن أحمد العامري : ٣٩١

أبو الفضل الشامي : ٤٢٠ ؛ ٤٢١

أبو الفضل الفرائي : ٢٦١

أبو الفضل حسن السرخسي (الشيخ)

أبو العياض السرخسي : ١٤٥ ، ٢١٦

أبو نصر القشيري : ٤٢٩

أبو الوفا المظفر بن فضل الله : ٣٩٠

أبو هريرة : ٢٨٣

أبو يزيد (أنظر : بايزيد)

أبو يعقوب النهرجوري : ٢٩٣ ، ٢٩٤

أبو يوسف (القاضي) : ٢٨١

أتينز الخوارزمشاه : ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣

أحمد (ابن أبي الحسن الخرقاني) :

١٦٠ ، ١٦١

أحمد (مرید أبي الفضل حسن) :

٤٩ ، ٣٠

أحمد بانوفله (انظر : بانوفله)

أحمد حمويه (انظر : حمويه)

أحمد الدهستاني : ١١٢

أحمد الطبراني : ٣١٤

أحمد بن مالك الشوكاني (الامام) ، ١٠٣

أحمد النجار : ٥٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٩

أحمد أبو شره : ٢٤٨ ، ٢٤٩

أحمد بن أبي الليث : ٣١٥ ، ٣١٦

أبو القاسم الهاشمي : ٧٩ ، ٨٠

أبو القاسم (الحاجب) : ٩٢ ، ٩٣

أبو لبابة الميني : ٤٠

أبو هب : ١٢٤

أبو محمد الجريري : ٦٨

أبو محمد الجويني (السيد الإمام) :

٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ٢٣١

٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧

أبو محمد العنازي : ٣٣ ، ٣٨٨

أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش :

٤٣ ، ٢٨٥

أبو مسلم الفارسي : ١٥٢

أبو المظفر بن فضل الله : ٣٩٠

أبو المعالي الجويني (إمام الحرمين) :

١٠٢ ، ١٠٨ ، ٢٥٨

أبو المعالي القشيري (الإمام) : ٤٢٩

أبو منصور الورقاني : ١٣٩ ، ٣٦٥

٣٦٦ ، ٣٨٨

أبو نصر (الشيخ) : ١٠٤

أبو نصر الجرجسي : ٩٧ ، ٤١٢

أبو نصر السراج : ٤٣ ، ٧٨

أبو نصر الشيرواني : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٠٩

١٠٩

باؤفله : ٤٢٧ ، ٤٢٨
 بايزيد البسطامي : ٢٧ ، ١١٣ ، ١٦٤ ،
 ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٣٢٣
 بحر (الجنى) : ٣٨٩
 البخارى : ٢٨٣
 البخارى (الإمام الكبير) : ٤٢٥
 بشر الحافى : ٣٨
 بغراخان : ١١٣
 بلال الحبشى : ١٢٢
 بنى اسرائيل : ٢٩٤
 (ت)
 تاج الاسلام (أنظر : أبو سعد بن
 محمد السمعانى)
 الترمكان : ١٨٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٤٥
 (ث)
 ثابت : ٢٩٧
 (ج)
 جابر بن عبد الله : ٣٤٥
 جعفر بن محمد (الصادق) : ٣٧ ،
 ٥٠ ، ٣٥٩
 جعفرى بيك (السلطان) : ١٨٢ ،
 ١٨٣ ، ٢٧١
 جمال الدين أبو روح لطف الله ابن
 أبى سعيد : ٢٣ ، ٤٣١
 جمشيد : ٢٣٨
 الجنيد بن محمد البغدادى : ٤٣ ،

أحمد العدنى : (أنظر محمد بن عليان)
 أحمد (ابن الصوفى) : ٢٦٧
 أحمد بن نصر (الشيخ) : ٥٨ ،
 ٥٩ ، ٣١٦
 أدريس (النجى) : ٤٥
 إسماعيل بن إبراهيم : ٣٥٧
 إسماعيل الساوى (الشيخ) : ١٥٤ ،
 ٣٨٠
 إسماعيل الصابونى : ١٤٦ ، ١٥٣ ،
 ١٥٤ ، ١٧٢ ، ٢٣١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٣٠٥
 إسماعيل بن عباس : ١٢٨
 إسماعيل بن مكرم : ١٤٨
 إسماعيلك (ابن أبى على الدقاق) :
 ١٠٤
 أشرف بن أبى اليمان : ٢١٦ ، ٤١١
 ٤١٥
 أصحاب الصفة : ٣٦٢
 أصحاب الكمف : ٣٣٩
 أميره (أنظر : ميره)
 الانصارى (أنظر : عبد الله الانصارى)
 ايشى نيلى : ٩٥٠ ، ٩٦
 (ب)
 بابا حسن (إمام الشيخ فى الصلاة)
 ٢٣٣ ، ٢٣٤
 بابو بو الخيد (والد الشيخ أبى
 سعيد أنظر أبو الخير) .

حسين بن عباد الويشي : ١٥١
 حسين بن منصور (الحلاج) : ٩٤-
 حمدان (الامام) : ٦٢
 حمزة (السيد) : ٢٣٦
 حمزة التراب : ٢٣١ ، ٢٣٢
 حمزة السكاك : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٥-
 ٢١٦ ، ٢٥٥
 حمويه (السيد) : ١٧٨ ، ١٨٥ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٩
 حميد محويه : ٤٠
 حواء : ١٨

(خ)

خديجة : ٣٤٢
 الخضر : ٤٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ ،
 ٤٢٤

الخضري : ٣٧
 خطيب السكوني : ٢٠٢

(د)

دادا : ٢٧١ ، ٢٧٢
 داود (النبي) : ٢٨٢ ، ٢٩٧
 داود الطائي : ٤٣ ، ٦٨ ، ٢٩٧-

(ذ)

ذو النون المصري : ٢٧٥

(ر)

رابعة : ٢٩٧

٥٠ ، ٦٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٦٧ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠

(ح)

حبي (الشيخ) : ٢٣٨
 حبيب المعجمي : ٤٣ ، ٦٨
 حسن (انظر : نظام الملك)
 حسن (السيد الاجل) : ٢٤٧ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
 الحسن البصري : ٤٣ ، ٦٨ ، ٣٥٤
 حسن الجاناروي (الشيخ) : ٤١٥
 حسن السمرقندي (السيد الامام) :
 ٢١٣

حسن بن المؤدب : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ،
 ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١١ ،
 ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
 ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٧ ،
 ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠٥ ، ٢٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ،
 الحسين (أمير المؤمنين) : ٥٠
 حسين (القاضي) : ٢٦٩ ، ٣٧٢

راحة : ٣١٣ ، ٣١٤

(ز)

زكريا : ٢٨٨

(س)

سرى السقضى : ٢٣ ، ٥٠ ، ٦٨ ،

٢٨٢ ، ٢٨٤

سعيدة الصوفية : ٣٥٥

سفیان الثورى : ٢٨٥

سليمان (النبي) : ٢٦ ، ٢٨٩ ، ٣٤٠ ،

٣٤٨

سنجر بن ملكشاه (السلطان) :

٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٢٢ ، ٤٣١

السنكانى (السيد) : ٢٤٧ ، ٢٤٨

سورى : ١٤٩ ، ١٨٣

سهل بن عبد الله : ٢٣٠ ، ٢٧٩

سيارى : ٢٩٣

سيد بن محمد (الامير) : ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٦ ، ٢٠٧

سيمف (القاضى) : ١٩٩ ، ٢٠٠

(ش)

الشافعى المطلبى : ٣٦ ، ٢٧ ، ٤٠

الشبللى (أبو بكر) : ٥٠ ، ٢٦٥ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ،

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧

شبوئى : ١٨٤ ، ١٨٥

(ص)

الصابندى (سيد العراق) : ٤٣١

صاعد (القاضى) : ٨٩ ، ٩١ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٦ ، ٢٤٤

صاينه : ٣١٣

(ط)

طغرل (طغرليک السلطان) : ١٣٩ ،

١٤٠ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ٢٦٤ ، ٣٦٥ ،

٣٦٥ ، ٣٨٨

طله بن يوسف الطار : ٣٠٠

(ظ)

ظهير الدين أسعد القشبرى : ٤٢٨

(ع)

عائشة الصديقة : ٢٩٨

عبد الجليل (رشيد الطائفة) : ١٤٨

عبد الرحمن (المقرئ) : ١٢٤ ،

٢١٧ ، ٢٣٧

عبد الرحمن الصنعانى : ٢٨٣

عبد الرحيم (الامام) : ٢٦٦

عبد الرازق الصنعانى : ٢٨٣

عبد الصمد بن الحسين الصوفى

السرخسى : ٤٩ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٠٩

عبد الكريم (الخادم) : ٢١٤ ،

٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨

عبد الكريم الازجايى : ٢٦٦

عبد الملك بن شادان : ٢٠١

عبد الملك الطبرى : ٤٢٤ ؛ ٤٢٦
عبد الله الانصارى (أبو عبد الله
الانصارى — الشيخ) : ٢٦٠
عبد الله بن عمر : ٢٩٦
عبد الله بن الفرج العابد : ٢٧٩
عبد الله بن مبارك : ١٩٤ ، ٢٩٠
عز الدين محمود الايلباشى الطوسى : ٧٨
عزة : ٣٣٠ ؛ ٣٩٧
عقب (الجنى) : ٣٨٩
عقبة بن عامر : ٢٣٣
على حسن (السيد) : ٣٩٤
على الحجاز (السيد) : ١٩٢ ، ١٩٤
٢٦٩ ، ٣١٦ ، ٢٩٤
على الصندل : ٣٠٦
على الطرسوسى : ٢٤٧ ، ٣٠١
على (المحتسب) : ٤١٣ ، ٤١٤
على بن أبى طالب (أمير المؤمنين) :
٤٤٤ ، ٥٠٠ ، ٦٨٠ ، ٢٦٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤
على (زين العابدين) : ٥٠
عليك (السيد) : ١٣٨ ، ١٣٩
١٩٠ ؛ ٣٩٥ ؛ ٣٩٨
عماد الدين محمد بن عباس : ٢١٢ ، ٢١٣
عمار : ٣٠٢
عمر بن الخطاب : ٢٧٤ ، ٣٤٨
عمر الشوكانى : ٨٤ ، ١٠٣ ، ٢٠٠
٢٠١ ؛ ٢٠٣ ؛ ٤١٢
صمران (الخادم) : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨

عمرو (الجنى) : ٣٨٩
عيسى بن مريم : ٦٩ ، ٤١٥
(خ)
الغز : ٢١ ، ٦١ ، ١٧٣ ، ٢٣١
٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٤١ ، ٤٢٧
(ف)
فاطمة (ابنة أبى على الدقاق) : ١٠٢ ؛
١٠٣
فاطمة (ابنة السيد أبى طاهر) : ٢٤٠
فاطمة الزهراء : ٣٠٣
فرعون : ٢٣٨
فضل الله بن أبى الخير (انظر :
أبو سعيد فضل الله)
(ق)
قتيبة : ٤٢٠
(ك)
كثير : ٢٩٧
كعب الاحبار : ٢٧٤
كلب الروم : ٢٩٢
كمال الدين بن أبى سعيد : ٧٩
(ل)
لقمان السرخسى : ٤٠ ، ٤١ ، ٦١ ؛
٢٧٧ ؛ ٢٢٨ ؛ ٣٥٥ ؛ ٢٥٦
(م)
مالك الشوكانى : ٢٠٠ ؛ ٢١١
مالك بن أنس (مالك بن أنس) : ٣٨

ماهلك : ٢١٢

محمد المصطفى (رسول الله ، النبي ،

الرسول) : ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،

١٢٩ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٦ ،

١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ،

٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ،

٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،

٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ،

٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،

٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،

٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ،

٣٧٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٤ ، ٤٢٦ ،

٤٢٧ ، ٤٢٨

محمد (الحاجب ، عميد خراسان) :

١١٠ ، ١١١ ، ١١٢

محمد (انظر : سيد بن محمد) : ٢٦٤

محمد (العالم) : ١٤٢

محمد الجويني (انظر : أبو محمد الجويني)

محمد السمعاني : ٤٢٥

محمد الشوكاني (السيد) : ٨٤

محمد العارف النوفاني : ٣٦٨

محمد العنازي (انظر : أبو محمد

العنازي)

محمد القابني : ٢٥٧

محمد بن كوهيان : ١٥٣

محمد بن أبي إسحاق (الشيخ) : ٤١١

محمد بن أبي نصر الختني : ١١٣ ؛

١١٤ ؛ ١١٦

محمد الباقر : ٥٠

محمد بن حسام : ٢٨٠

محمد بن عبد السلام (أوحد الطائفة) :

٤٣٣

محمد بن عبد الله الطبري : ٦٨

محمد بن عبد الله بن يوسف الجويني :

٣٧٣

محمد بن علي القصاب : ٢٩٥

محمد بن المنور : ٢٠

محمد بن عليان النسوي (أحمد بن علي) :

٦٠ ؛ ٤١٢

محمد بن المضل : ٥٧

محمود (السيد) : ٨١ ؛ ٨٢

محمود (السلطان السلجوقي) : ٤٠١

محمود بن سيكتكين (السلطان) :

٢٢ ؛ ٩٠ ؛ ٢٨٨ ؛ ٢٩٣

مريم : ٦٩

المزني : ٣٦

مسعود (الامير) : ٢٠٨

مسعود: (السلطان الغزنوي) :

١٨٣ ، ١٨٢

مسلمة بن عبد الملك : ٢٩٦

مصعد النوقاني (السيد) : ٣١٣

المظفر (ابن الشيخ) : ٦٠

المظفر بن حمدان النوقاني (السيد

الامام) : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٣١٣ ، ٣١٤

المظفر السمعاني : ٤٢٥

معاذ : ٣٤٩ :

معاوية بن أبي سفيان : ٢٧٦

معروف الكرخي : ٤٣ ، ٦٨ ، ٥٠

المعشوق الطوسي : ٧٧ ، ٧٨

: المعمر الازهرى : ٢٨٢

المفضل (ابن الشيخ) : ٢٢٨ ، ٢٢٩

ملكشاه (السلطان) : ٤٠٠ ، ٤١٧

: المنور بن أبي سعيد (نور الدين) :

١٩٤ ، ٢٥٠ ، ٣٩٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ،

٤٣٧

موسى (النبي) : ٢٩٤ ، ٣٤٢ ، ٤١٥

موسى (الشيخ) : ١٤٧

مهد (مهدي) (البارودي) (الشيخ) :

٤٢٣ ، ٤٢٢

ميرة : ١٩١

الميكالين : ٣١٣

(ن)

ناصر الدين أبو محمد : ٤٢٥

ناصر المروزي (الشيخ) : ٤٠

النجار (السيد) : ٢٢٩

نظام الملك (حسن) : ٧٩ ، ١١٢ ،

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

٤١٧ ، ٤١٨

نمرود : ٢٢٨ ، ٣٣٥

(و)

الوليد : ٢٩٦

(هـ)

هامان : ٢٣٨

هارون : ٣٤٢

(ي)

يحيى (التركي) : ١٩٣

يحيى (ماوراء النهر) : ١٧٦ ، ١٧٧

١٧٨

يحيى بن زكريا : ٦٩

يحيى بن معاذ الرازي : ٢٧٩ ، ٢٩٣

يعقوب (النبي) : ٤١٥

يوسف بن الحسين : ٢٧٥

أسماء الأماكن والبلاد

بشولة : ١٣٤	ابيوردا (انظر : باوردا)
بغداد : ٤٣ - ٥٤ - ٣٠٠ - ٢٠٩ -	ارزيان : ١٦٦
٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤١٠ - ٤١١ -	ازجاف : ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ -
بغشور : ٢٦٨ - ٢٦٩	٢٠٦ - ٢١٥ - ٢٥٥ - ٢٩٢ - ٣٧٢
بلخ : ٣٦٣	استراباد : ٢٩٥
بلغار : ١٢٢	استو : ٤٠
بوابة الحيرة : ٢٢٤ - ٢٢٥	إصفهان : ٢٠٤ - ٤١٧
بوابة رودبار : ٢٣٦	آمل : ٥٦ - ٦٣ - ٦٨ - ٨٣ - ٨٤ -
بوابة شوخنان : ١٧١	٢٩٧
بوابة نوبهار : ٢٤٥	اندوزن : ٢٢٣
بوشنج : ١٢١	اندرمان : ٥٨
بوشنج هراة : ١٧٨	باب السرة : ٢٦٠
بيت المقدس : ٢١٧ - ٤٢١	باب الحبيب : ٢٢٢
تركستان : ٢٧١	باب بتي شيبه : ٢٨٢
تياران : ٤٥	يادنه : ١٨٢ - ١٨٩
جاجارم : ١٦٨ - ١٦٩	باز : ٧٧
جبل المسكام : ٢٨٤	باوردا (ابوردا) : ٤٠ - ٤٦ -
جناسك : ١٦٨	٥٤ - ٥٦ - ٥٧ - ١٨١ - ٢١٦ - ٢٥١ -
الحجاز : ١٦٠ - ١٨١ - ٢٤٨	بخارى : ٥٤ - ٥٨ - ٨٧ - ٨٨ - ٣١٨
حرو (نهر) : ٤٥	بسطام : ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٦ -
حي الحرب : ٢٥٠ - ٢٥١	١٦٧ - ١٦٨
حي المسيحيين : ٧٩	بستقان : ٣٠١
حي ناورسار : ٢٩٢	بشخوان : ١٧٩ - ١٧٠ -

حسین آباد : ۲۳۹۰

(خاوران) : ۴۰ - ۲۳۲ - ۳۷۵ -

۴۰۱ - ۴۱۴ - ۴۳۳

خاتقاه بنوقله : ۴۲۷

خاتقاه سروای : ۵۸

خاتقاه عدنی کویان (محله) : ۸۱ -

۸۸ - ۹۱ - ۱۰۱ - ۱۱۱ - ۱۱۳ -

۱۱۶ - ۱۴۱ - ۱۵۶ - ۱۵۷ - ۲۲۴ -

۲۵۲ - ۲۶۴ - ۳۰۷ - ۴۱۳

الختن : ۲۵۱

خد اشاد : ۱۷۰

خراسان : ۲۱ - ۲۳ - ۵۴ - ۵۴ -

۶۰ - ۱۱۲ - ۱۵۳ - ۱۶۴ - ۱۷۹ -

۱۸۱ - ۱۸۲ - ۱۸۳ - ۱۸۴ - ۱۸۷ -

۲۴۵ - ۲۶۲ - ۲۶۴ - ۲۶۶ - ۲۶۷ -

۲۸۷ - ۳۰۱ - ۴۰۱ - ۴۰۶ - ۴۰۸ -

۴۲۵ - ۴۳۱

خرقان : ۱۶ - ۱۶۱ - ۱۶۶ -

۱۶۷ - ۱۶۸ - ۱۶۹ - ۱۷۰

خوجان : ۴۰

دامغان : ۱۶۴

دربند : ۱۶۹

درمیون : ۱۲۳

دره کز : (وادی الکز) : ۵۷

دستجرد : ۲۵۵

دندانقان : ۴۰۱

دوبرادران : ۷۷

رباط بورجا : ۲۵۶

رباط زعقل : ۴۶ - ۲۰۹

رباط سربالا : ۴۳۱

رباط سرکه : ۴۶ - ۳۹۲ - ۴۱۴

رباط عبد الله مبارك : ۲۷۰

الرباط القديم : ۴۶ - ۴۸ - ۴۱۹

رباط المقبرة : ۴۶

ردان : ۵۸

رودبار : ۱۴۴

الروم : ۳۱۱

ریسکا : ۲۵۸

رفیقان : ۱۷۴ - ۲۰۱ - ۲۰۳

خردک : ۱۹۶

زعقل (أنظر : رباط زعقل)

سبزوار : ۱۶۶

سراجان (مدرسة) : ۱۴۲

سرخس : ۴۰ - ۴۱ - ۴۹ - ۵۰ -

۵۴ - ۵۷ - ۶۱ - ۷۲ - ۷۹ - ۸۵ -

۱۵۱ - ۱۵۳ - ۱۸۳ - ۱۹۲ - ۱۹۸ -

۱۹۹ - ۲۲۷ - ۲۵۱ - ۲۵۵ - ۲۵۶ -

۲۹۶ - ۴۰۰ - ۴۲۵ - ۴۲۷

سرداره : ۲۰۱

سفالقان : ۴۳۰

سمرقند : ۲۸۷

سوق الكرمانين : ۲۲۴ - ۲۲۵

کرمان : ۳۹۴
 الکعبه : ۱۶۳
 کلف : ۱۶۹
 کورونی : ۱۶۹
 الکوفه : ۱۸۱
 ماوراء النهر : ۱۱۳-۱۷۶-۱۷۸-
 ۱۸۶-۲۶۶-۳۰۹-۳۲۷
 المدينة : ۳۱۷
 مرو : ۳۶-۴۰-۴۶-۱۱۳-۱۱۴
 ۱۱۶-۱۲۲-۱۳۲-۱۹۳-۱۹۴-
 ۱۹۵-۲۰۵-۲۰۹-۲۲۷-۲۶۹
 ۲۷۰-۲۸۶-۲۹۱-۲۹۳-۳۰۳-
 ۳۱۶-۳۶۳-۳۷۴-۳۹۴-۴۰۰-
 ۴۰۱-۴۲۸-۴۳۱
 مرو الورد : ۲۶۸-۲۶۹-۳۷۲
 مکه : ۱۸-۷۰-۱۶۲-۱۶۶-
 ۱۷۸-۱۷۹-۲۷۴-۳۷-۴۲۴-
 ۴۲۵
 ملقباد : ۱۲۸
 ميهنه (ميهنه) : ۲۱-۲۲-۳۱-
 ۳۲-۳۶-۴۳-۴۴-۴۵-۴۶-
 ۴۷-۵۰-۵۶-۶۰-۶۸-۷۴-
 ۷۷-۸۳-۸۴-۸۸-۸۹-۱۳۸-
 ۱۴۲-۱۴۵-۱۵۲-۱۵۹-۱۷۱-۱۷۲-
 ۱۷۳-۱۷۴-۱۷۵-۱۷۶-۱۷۸-
 ۱۷۹-۱۸۰-۱۸۱-۱۸۲-۱۸۳-

الشام : ۵۹
 شاميه : ۵۷
 شاء ميهنه : ۵۷
 شروان : ۱۵۹
 شوکان : ۲۰۰
 شهر ستانه : ۴۰
 صلوه : ۱۶۴
 صومعه ادریس : ۴۵
 الطائف : ۱۸-۷۰
 طيرستان : ۲۳۰
 طرق : ۲۷۱
 طوس : ۴۳-۴۶-۷۷-۷۸-
 ۷۹-۸۱-۱۱۸-۱۲۳-۱۴۴-
 ۱۴۵-۱۷۴-۱۷۹-۱۹۱-۱۹۲-
 ۲۰۱-۲۱۰-۲۲۱-۲۲۹-۲۳۶-
 ۲۴۵-۲۵۱-۴۱۶-۴۳۰
 العراق : ۱۴۰-۱۴۲-۱۸۲-
 ۱۸۳-۱۸۸-۲۳۵-۲۴۲-۴۰۰-
 عرفات : ۱۶۳-۲۳۰
 عقبه رشك : ۱۷۴
 غار ابراهيم : ۲۲۳
 غزنين : ۹۰-۱۸۹-۱۹۷-۳۹۶-
 ۴۰۴-۴۰۵-۴۰۷-۴۱۷-۴۱۸-
 القنرات : ۴۰۹
 قراوه : ۴۰
 قاين : ۲۵۶-۲۵۷-

١٥٧-١٥٥-١٥٤-١٥٣-١٥٢
 ١٦٩-١٦٨-١٦١-١٦٠-١٥٩
 ١٧٤-١٧٣-١٧٢-١٧١-١٧٠
 ١٩٨-١٩٣-١٩١-١٩٠-١٧٥
 ٢٢٤-٢٣١-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٢
 ٢٤٢-٢٤١-٢٤٠-٢٢٩-٢٢٦
 ٢٥٠-٢٤٨-٢٤٦-٢٤٥-٢٤٣
 ٢٦٣-٢٦٢-٢٦١-٢٥٤-٢٥١
 ٢٩٩-٢٧٠-٢٦٨-٢٦٧-٢٦٤
 ٣٠٥-٣٠٤-٣٠٣-٣٠٢-٣٠١
 ٣٦٦-٣٢٨-٣١٧-٣١٦-٣١٤
 ٤١٣-٢٩٥-٣٨٩-٢٧٣-٢٧١
 ٤٢٩-٤٢٨-٤١٤

نور بخارا : ١٨١

نوشاد : ١٦٦

نوقان : ١٢٨ - ١٢٩ - ١٩١

٢٢٠ - ٣١٤

نهاوند : ٢٠٧

نهر واله : ١٢٣

النهر وان : ٤٠٨

هراة : ١٣٢ - ١٣٣ - ١٨٩ - ٢٥٨

٢٦٠ - ٢٥٩ - ٣٦٣

همدان : ١٤٠

العين : ٣١٨

يلسمة : ٥٨ - ٥٩ - ٦٠

١٨٩-١٨٨-١٨٧-١٨٥-١٨٤
 ١٩٦-١٩٥-١٩٤-١٩١-١٩٠
 ٢٠٥-٢٠٤-٢٠٣-٢٠٢-١٩٧
 ٢١٥-٢١٣-٢١٢-٢٠٩-٢٠٧
 ٢٤٨-٢٤٥-٢٢٦-٢٣٥-٢٣١
 ٢٦٦-٢٦١-٢٦٠-٢٥٥-٢٥١
 ٣١١-٣٠٩-٣٠٠-٢٩٢-٢٧٠
 ٢٧٣-٢٧١-٣٥٤-٣٤٣-٣٣٨
 ٣٩٩-٢٩٨-٣٩٦-٣٩٢-٢٧٤
 ٤١٤-٤٠٦-٤٠٤-٤٠١-٤٠٠
 ٤٢٣-٤٢٢-٤٢١-٤١٩-٤١٥
 ٤٣١-٤٣٠-٤٢٨-٤٢٧-٤٢٥
 ٤٣٥-٤٣٤-٤٣٣-٤٣٢

نسا : ٣٣ - ٤٠ - ٥٦ - ٥٨ - ٥٩

٤٢٣-٢٦٧-٢٥١-١٨٠-٦٣-٦٠

نيسابور : ٧٧ - ٨١ - ٨٣ - ٨٤

٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩١ - ٩٤ - ٩٥

٩٦ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١١٠

١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٨

١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣

١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩

١٣٠ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩

١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥

١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ٥١

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة